مركز دراسات الوحدة العربية



سلسلة أطروحات الدكتوراه (٤٩)

حركة القوميين العرب

ودورها في التطورات السياسية في العراق ١٩٥٨ ـ ١٩٦٦

الدكتور سعد مهدي شلاش



مركز دراسات الوحدة العربية

حركة القوميين العرب

ودورها في التطورات السياسية في العراق

١٩٥٨ ـ ١٩٦٦

الدكتور سعد مهدي شلاش

الفهرسة أثناء النشر - إعداد مركز دراسات الوحدة العربية

شلاش، سعد مهدي

حركة القوميين العرب ودورها قي التطورات السياسية في العراق، ١٩٥٨ - ١٩٦٦/ سعد مهدي شلاش.

٢٩٢ ص. - (سلسلة أطروحات الدكتوراه؛ ٤٩)

ببليوغرافية: ص ٢٦٧ - ٢٧٩.

يشتمل على فهرس.

ISBN 9953-450-42-0

١. حركة القوميين العرب. ٢. العراق - تاريخ (١٩٥٨ - ١٩٦٦). ٣. العراق - تاريخ - ثورة ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨. ٤. الاتحاد الاشتراكي العربي. ٥. الجمهورية العربية المتحدة. أ. العنوان. ب. السلسلة.

956.7043

«الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن اتجاهات يتبناها مركز دراسات الوحدة العربية»

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور» شارع ليون ص.ب: ٦٠٠١ - ١١٣

الحمراء - بيروت ٢٠٩٠ ١١٠٣ - لبنان

تلفون: ٨٦٩١٦٤ - ٨٠١٥٨٢ - ٨٠١٥٨٧

برقياً: «مرعربي» - بيروت

فاكس: ٨٦٥٥٤٨ (٩٦١١)

e-mail: info@caus.org.lb

Web Site: http://www.caus.org.lb

الطبعة الأولى

بيروت، أيلول/سبتمبر ٢٠٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾(*)

صدق الله العظيم

(*) القرآن الكريم، «سورة البقرة،» الآية ٧٩.

الإهــداء

إلى وطـنـي الـعـراق وأبـنـاء شـعـبـي الـعـربي الفلسطيني في انتفاضته... فخراً..

وإلى من هما نور عيني وربيع عمري... ينبوع الحنان وواحة الأمان، داعياً الباري عز وجل أن يسكنهما جناته، والديَّ... وفاءً..

وإلى من أشد بهم أزري، وأشركهم في أمري أحباء قلبي... اعتزازاً..

أهدي هذا الجهد المتواضع..

المحتويات

تقديم

تأسست حركة القوميين العرب في العراق في أوائل الخمسينيات من القرن العشرين، وكان أبرز قادتها المرحوم باسل رؤوف الكبيسي الذي عرفني به أخي ممدوح عبد الحميد الذي كان عضواً في الحركة في أوائل سنة ١٩٥٨. واستمر اتصاله بي بعد ثورة ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨. وبعد الثورة عرفني أخي بالسيد سلام أحمد، وكان أيضاً عضواً قيادياً في الحركة.

لقد أجاد الدكتور سعد شلاش في رسالته الموسومة بـ «حركة القوميين العرب ودورها في التطورات السياسية في العراق (١٩٥٨ ـ ١٩٦٦)».

وأبدع في سرد أحداث هذه الفترة المهمة في تاريخ العراق التي عشتها واطلعت على كل تفاصيلها، حيث كنت على اتصال بقيادة الحركة، خاصة عندما أصبحت الحركة جزءاً من الاتحاد الاشتراكي العربي عام ١٩٦٤م، ثم جزءاً من الحركة الاشتراكية العربية عام ١٩٦٥ بعد انهيار الاتحاد الاشتراكي. وإني أهنىء الدكتور سعد على هذه الرسالة العلمية القيمة، حيث بذل جهداً مشكوراً في مراجعة مصادر عديدة، ولم يغفل شاردة أو واردة دون أن يتطرق إليها.

وبحق، تعتبر هذه الرسالة مصدراً مهماً في كتابة تاريخ العراق المعاصر لما حوته من معلومات قيمة ومهمة على الرغم من حساسية الظروف والفترة التي نوقشت فيها، حيث كانت الرقابة تشطب كل ما يتعارض وفكر حزب البعث الحاكم آنذاك.

حضرت مناقشة الرسالة وأعجبت بالقدرة العلمية التي أبداها الباحث خلال المناقشة. وكان واثقاً من نفسه ومن رسالته، وتصدى بمقدرة للرد على كل ملاحظات أعضاء لجنة المناقشة بكفاءة يحسد عليها.

وأخيراً، أقول إني شديد الإعجاب بهذه الرسالة، ولقد قرأتها بإمعان واستفدت من المعلومات التي كانت تنقصني عن حركة القوميين العرب على الرغم من صلتي القوية بقيادتها.

صبحي عبد الحميد
٢٠٠٣/٧/٥

مقدمة

شهدت الساحة العربية منذ القرن التاسع عشر تطورات سياسية اقترنت بتنامي الوعي القومي العربي حتى اندلاع الثورة العربية الكبرى، بهدف تحقيق أماني الشعب العربي وآماله في الاستقلال والتحرر من ربقة الاستعمار والتسلط الأجنبي، إلا أن التحرك الاستعماري لتطويق هذه الثورة واحتوائها أخذ مداه من الهيمنة وفرض التسويات في المرحلة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى. وكانت الجماهير العربية المتمثلة بأحزابها وجمعياتها تواصل نضالها وتصديها للقوى الأجنبية، والتي كانت بريطانيا وفرنسا المحور الأساسي فيها، وقد انفردتا بتوجيه السياسة العربية حينذاك وفقاً لمصالحهما وأطماعهما. واستمر الاستعمار في سيطرته واستغلاله وجشعه إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية وبروز الولايات المتحدة واحتلالها مركز الصدارة في السياسة الغربية بتحديث أساليب الدولتين الاستعماريتين بريطانيا وفرنسا. ومن تلك الأساليب طرح المشاريع التي تهدف إلى استلاب خيرات الوطن العربي، وإلى فرض الإرادات التي تتقاطع مع أهداف الشعب العربي وطموحاته، الأمر الذي وحد هدف فصائل الحركة القومية. ومما زاد عنفوان كفاح الشعب العربي التحدي الاستعماري الصهيوني عام ١٩٤٨، عندما عمد الاستعمار إلى سلب أرض العرب المقدسة، فلسطين، وجمع مشردين من شذاذ الآفاق في كيان صهيوني، وشكلت ثورتا ٢٣ تموز/يوليو ١٩٥٢ في مصر ومن بعدها ثورة ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨ في العراق انعطافاً جديداً في تاريخ النضال القومي العربي، وعملاً جباراً استهدف اجتثاث النفوذ الاستعماري وهيمنته المقيتة.

دون ثمة شك أو التباس كان النضال القومي العربي الذي مهد طريق التحرر قد ارتكز على أسس نابعة من حقيقة الأمة العربية باعتبارها تعيش حياة متقدمة على أساس من العدالة الاجتماعية ووفقاً لأسس سليمة. وانطلاقاً من هذا المنظور، فإن مجاميع كبيرة من جماهير الشعب العربي انتظمت في أحزاب وحركات ارتبط بها الشعب ارتباطاً واعياً، حيث جمعت تلك التنظيمات الجماهير في تنظيم انضوى فيه

الفرد في إطار المجموع، وقد امتلك كل واحد منهم في هذا التنظيم أو ذاك قوتين: قوته الخاصة، وقوة الآخرين الذين يرتبط معهم في عمل تنظيمي مشترك.

لقد اهتم عدد كبير من الباحثين بتسليط الضوء على الكثير من الدراسات المتعلقة بنشاط الأحزاب والشخصيات التي أدت دوراً مهماً في الأحداث السياسية قبل ثورة ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨ وبعدها في العراق. وبناء على ذلك، فقد وجدت في حركة القوميين العرب ونشاطها في العراق للفترة من ١٩٥٨ إلى ١٩٦٦ ما يدفعني لتتبع دراسة ذلك الدور والنشاط الوطني والقومي الذي جاء استجابة فرضها تطور الحس القومي للحركة. وإلى جانب هذا لم ينل دور الحركة الاهتمام الكافي والمتكامل في مجالي الدراسة والتحليل لبيان موقع الحركة الصحيح ضمن مسار الحركة الوطنية والقومية في العراق، باستثناء أطروحة الشهيد باسل الكبيسي. ولذا عمدت إلى دراسة حركة القوميين العرب ودورها في التطورات السياسية كواحدة من القوى القومية البارزة التي أدت دوراً واضحاً في العراق، خاصة بعد قيام ثورة ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨، لكونها نابعة من رحم النظرية الثورية العربية وصادرة عنها، وأن أهدافها هي أهداف الأمة العربية في الوحدة وتحرير فلسطين.

وكانت الفترة التي أعقبت ثورة الرابع عشر من تموز/يوليو ١٩٥٨ لغاية ثورة الثامن من شباط/فبراير ١٩٦٣ قد اتسمت بالصراع السياسي والاحتدام العقائدي. وكان للحركة في تلك الفترة بالذات دور ملموس وبارز في حومة ذلك الصراع. وعلى الرغم من توقف نشاط الحركة في العراق عام ١٩٦٦، فإن ذلك لا يعني توقف نشاط أعضائها في ذلك العام، فقد انتهى دورها في العراق أواخر الستينيات.

اعتمد البحث على العديد من المصادر والمراجع، وفي مقدمتها الوثائق غير المنشورة، ونخص بالذكر الوثائق المتوافرة في مدرسة الإعداد الحزبي التابع للقيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي. وقد شكلت تلك الوثائق ركناً مهماً، بل مرتكزاً أساسياً للبحث، حيث اتسمت بترتيب تبويبها وجودة تصنيفها. كما اعتمد البحث على الوثائق المتوافرة في دار الكتب والوثائق، وخاصة في ما يتعلق بوثائق المجالس العرفية. وتم الاعتماد في إعداد البحث على البيانات والنشرات الخاصة بالحركة، والتي عُثر عليها أثناء البحث والاستقصاء في ملفات مدرسة الإعداد الحزبي ودار الكتب والوثائق، وفي حوزة بعض الأشخاص، فضلاً عن الاعتماد على إصدارات ومطبوعات الحركة التي عكست مواقف الحركة وآراءها إزاء القضايا الوطنية والقومية. ولم يخل البحث من المقابلات الشخصية التي شكلت جانباً مهماً في توثيق بعض المعلومات والتأكد من صحتها وتقديم بعض التفسيرات

والإيضاحات للحقائق التي يكتنفها الغموض. وقد اعتمدنا محاورة الشخصيات التي أدت دوراً مهماً في الأحداث التي تناولها البحث، ونخص بالذكر منهم السادة صبحي عبد الحميد، وأمير الحلو، وسلام أحمد، ونوري المرسومي الذين أبدوا مساعي مشكورة في الإجابة عن أغلب ما طرحه الباحث من أسئلة واستفسارات، فضلاً عن أجوبة الشخصيات السياسية العربية التي خصوا بها الباحث كالشهيد أبو علي مصطفى، والأساتذة هاني الهندي، ود. جورج حبش، ونايف حواتمة، وقد كان لها الأثر البالغ في تقديم البحث وإعداده. أما المؤلفات الأساسية التي اعتمدها البحث فهي: كتاب **حركة القوميين العرب** لباسل الكبيسي، وتأتي أهمية هذا الكتاب كون مؤلفه الشهيد باسل الكبيسي من العناصر الفاعلة التي انخرطت في تنظيم حركة القوميين العرب منذ التأسيس في العراق أواخر الخمسينيات، وقبل ذلك فقد شهد المرحوم باسل أطوار تأسيس الحركة ومراحله في أوائل الخمسينيات في الجامعة الأميركية في بيروت وشارك فيها. لذلك فإن ما جاء في كتابه يعتمد على أحاسيسه الفعلية وتجاربه العملية خلال خوضه المعارك الوطنية القومية، بالإضافة إلى تجربته التنظيمية في الحركة. وكانت المعلومات المدوّنة في المؤلف المذكور ناتجة من تجربة ذاتية لا تعتمد على آراء وأفكار تميل تارة إلى تبرير الأخطاء، وتارة أخرى إلى تجميل الشعارات التي تؤدي إلى انسياق عاطفي. ولذا فقد اعتمدنا خلال الدراسة والتتبع لدور الحركة في العراق إلى حدٍ كبير على ما ورد فيه، لما يتسم بالموضوعية وجدية التحليل، وخاصة في ما يتعلق بقضية الوحدة وسياسة المراحل التي تبنتها الحركة، فضلاً عما اتصف به المؤلف من وضوح الرؤيا وإلقاء الضوء على الدور الذي مارسته الحركة خلال نشاطها التنظيمي في العراق، سواء كان ذلك الدور إيجابياً أو سلبياً. أما كتاب محمد جمال باروت ـ **حركة القوميين العرب: النشأة والتطور ـ المصائر**، فإن الجهد والمساعي المبذولة فيه متميزة وواضحة. وإن ما ورد فيه من معلومات قيمة وإشارات تنظيمية مهمة قد جنب البحث الكثير من الفجوات التي قد يقع بها الباحث، وخاصة على مستوى التنظيم العربي للحركة، وذلك من خلال الموضوعية والدقة، سواء كان ذلك على المستوى العراقي أو العربي. واعتمد البحث في بعض جوانبه على كتاب سهير التل **حركة القوميين العرب وانعطافاتها الفكرية**، لما ورد فيه من المعلومات والمفاهيم المتعلقة بالحركة، وبخاصة في ما يخص السمات الفكرية للحركة، حيث اتسم الكتاب بالموضوعية والجهد الواضح من قبل الباحثة المذكورة. وشكل كتاب هاني الهندي وعبد الإله النصراوي **حركة القوميين العرب ـ نشأتها وتطورها عبر وثائقها** واحداً من المراجع المهمة التي اعتمدها البحث، إذ تضمن مادة وثائقية علمية. وأهمية هذا المرجع تكمن في ممارسة الدور النضالي الوطني والقومي

الذي مارسه مؤلفاه. فالهندي كان واحداً من المؤسسين الأوائل للحركة، في حين ساهم الثاني عبد الإله النصراوي بدور فاعل ومهم في الأحداث والوقائع التي شهدتها الساحة العراقية، وبخاصة بعد قيام ثورة ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨، وحتى انتهاء دور الحركة في العراق نهاية الستينيات.

ومن المراجع الأخرى التي يقتضي التنويه بها، كتاب الدكتور وليد قزيها **التحول الثوري في العالم العربي ـ حبش ورفاقه من القومية إلى الماركسية** الذي أورد فيه جملة من المعلومات التي تتعلق بنشاط الحركة وسماتها الفكرية، والمشاكل التي اعترت طريقها والانشقاقات التي أصابتها، حيث كان المؤلف واحداً من قياديي الحركة النشطاء. وقد عاش فترة زمنية في العراق مواكباً العمل التنظيمي للحركة. أما البحوث التي تمت الاستفادة من معلوماتها فكانت عوناً مهماً ومميزاً للبحث، وقد تضمنت آراء وأفكاراً بصدد النشاط السياسي لحركة القوميين العرب على المستويين العربي والعراقي. حيث اتسمت بوجهات نظر مختلفة يمثل أغلبها آراء وأفكاراً تتفق أحياناً وتتناقض أحياناً أخرى مع المصادر الحركية التي نوهنا عنها آنفاً. ونخص من تلك البحوث بحث المرحوم الدكتور عبد الله سلوم السامرائي: **حركة القوميين العرب ودورها في الوعي القومي**، وبحث الدكتور معن زيادة: **حركة القوميين العرب ـ قراءة جديدة للتجربة في ذمة التاريخ**. وساهمت الرسائل الجامعية غير المنشورة في إغناء البحث بآراء وأفكار علمية وتاريخية أسهمت في تقويمه، ومنها أطروحة الدكتور غازي فيصل الراوي: **حزب البعث العربي الاشتراكي في القطر اللبناني**، وأطروحة الدكتور خضير حسن سلمان: **التطورات السياسية في العراق ٨ شباط ـ ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣**.

أما بالنسبة إلى الصحف والمجلات العراقية والعربية، فقد أغنت البحث بتصور كامل للفترة التي تناولها: ١٩٥٨ ـ ١٩٦٦، لما تحمله من أحداث ووقائع وتعليقات ومقالات. أما صحيفة **الوحدة** الصادرة في العراق بشكلها السري والعلني والناطقة بلسان الحركة، وكذلك مجلة **الحرية** (المجلة المركزية للحركة) الصادرة في لبنان، فقد كان اعتماد البحث عليهما كبيراً، حيث شكلتا جانباً زاخراً بالتفصيلات الأساسية والجوانب المهمة لدراسة نشاطات حركة القوميين العرب والوقوف بدقة على اتجاهاتها ومنطلقاتها الأيديولوجية والفكرية، والأساليب المتبعة من قبل الحركة في تفسير الظواهر ومعالجتها. ولذلك فقد حاولنا قدر المستطاع استقصاء وتتبع المعلومات التي تضمنتهما صحيفة **الوحدة** ومجلة **الحرية** بعد أن أخضعنا ما ورد فيهما من معلومات للتحري والتدقيق واستبعاد ما تكرس منها للأغراض الدعائية والحزبية. وهنا أود أن أوضح بأن موضوعنا يتسم بالحساسية، وبصعوبة الحصول على المصادر لشحتها،

إضافة إلى عدم الاستعداد لدى الكثيرين من الساسة للتحدث عن نشاطات الحركة آنذاك.

وختاماً فإننا في الوقت الذي نتمنى فيه أن نكون قد وفقنا في وضع دراسة متواضعة في هذا المجال، فإننا نأمل في أن تتبعها دراسات أكثر عمقاً واتساعاً خدمة للمكتبة العربية والأجيال القادمة.

الفصل الأول

التطورات السياسية والمستجدات الدولية

أولاً: التطورات السياسية والمستجدات الدولية التي أدت إلى نكبة فلسطين ونشوء حركة القوميين العرب

قبل البحث في دراسة أثر النكبة في ظهور بعض الحركات والأحزاب السياسية، ومنها حركة القوميين العرب، لا بد من دراسة واستعراض جوانب تلك النكبة وتاريخها وتتبع تطوراتها بشكل سريع، والاطلاع على الظروف والأوضاع الدولية التي مهدت لوقوع تلك النكبة بشكل يتناسب وأهمية هذه القضية. استُخدمت لفظة «نكبة» إثر ما حدث في فلسطين عام ١٩٤٨، عند قيام الكيان الصهيوني في بقعة جغرافية محددة من الأرض. وقد روّجت لاستخدام ذلك اللفظ على ما يبدو في البداية الفئة المفكرة أصلاً، والتي تعرفت إلى تشخيص ما حدث. وقد ارتاح الشعب العربي لهذا التشخيص، حيث درج على استخدامه المسؤولون في الأقطار العربية وقتذاك. فشاع استعمال هذا اللفظ وشاعت الإشارة إليه، وأصبحنا من دون أن ندري أسرى لهذا المفهوم[1].

إن ممارسات التجني الدولي على حقوق الشعب الفلسطيني والعدوان على وجوده وكرامته، وبخاصة من قبل بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا، لم تكن وليدة يومها، إبان التقسيم وإقامة الكيان الصهيوني «إسرائيل» في عام ١٩٤٨، بل ولدت منذ ولادة فكرة اغتصاب فلسطين عند صدور وعد بلفور في ٢ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٧، إلا أن عام ١٩٤٨، وهو عام النكبة، قد شكل امتحاناً عسيراً لعدالة القضية الفلسطينية، وخيبة للآمال والأماني التي وعد بها الحلفاء، ولتطلعات الإنسانية

(١) خالد القشطيني، «الدول الكبرى وعام النكبة، ١٩٤٨،» **شؤون عربية**، العدد ٥٦ (كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٨)، ص ٦٦.

إلى عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية، ولوضع أساس العدالة بين كل الأمم. إلا أن ما تمت ممارسته بعد الحرب من قبل الدول العظمى قد أماط اللثام عن الواقع القائم على الاستغلال الناشىء عن التقاء المصالح الاستعمارية مع المصالح الصهيونية في انتزاع فلسطين من الوطن العربي، وإقامة وطن قومي لليهود، بسبب عدة اعتبارات تتمتع بها تلك الأرض المقدسة، ومنها أنها تشكل حلقة الوصل والبوابة التي تربط آسيا بأفريقيا.

لقد عرض قادة أوروبا على اليهود إقامة وطن لهم في فلسطين، قبل أن تطرح الحركة الصهيونية الفكرة بسنوات طويلة، وقد كان نابليون بونابرت (Napoleon Bonapart) أول من عرض على يهود فرنسا عام ١٧٩٩ إعادة بناء «المعبد اليهودي» في فلسطين إذا ساعدوه في فتوحاته في الشرق. ولم يكن ذلك العرض لقناعة نابليون «بأرض الميعاد»، بل لأن إقامة اليهود في فلسطين سوف تساعده في حروبه ضد بريطانيا في المشرق العربي[٢].

وكذلك فعلت بريطانيا عندما ظهرت دولة محمد علي باشا وامتداداتها في المشرق العربي والسودان، فقد أرسل اللورد هنري بالمرستون (Lord Henry Palmerstone)، رئيس وزراء بريطانيا حينذاك، مذكرة إلى سفيره في استانبول، شرح فيها الفوائد التي سيحصل عليها السلطان العثماني جراء تشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين، إذ قال: «إن عودة الشعب اليهودي إلى فلسطين بدعوة من السلطان وتحت حمايته يشكل سداً منيعاً في وجه المخططات الشريرة التي يعدها محمد علي أو من يخلفه»[٣].

وفي الولايات المتحدة كان الرئيس الأمريكي جون آدمس (John Adams) أول رئيس عبّر عن الاهتمام بالفكرة الصهيونية. ومما يشار إليه أن ثمة مجموعة غير يهودية، طرحت في وقت ما فكرة إقامة وطن قومي يهودي في فلسطين. وهكذا نظمت حملة مكثفة لإنشاء وطن لليهود في فلسطين، وجندت قوى مؤثرة وفعالة في أمريكا لخدمة مثل هذه المؤامرة.

---

(٢) أحمد سعيد نوفل، «العلاقة الجدلية بين قضية فلسطين والوحدة العربية،» **شؤون عربية**، العدد ٥٧ (آذار/مارس ١٩٨٩)، ص ٣٤ ـ ٣٥.

(٣) عبد الوهاب الكيالي، **تاريخ فلسطين الحديث** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٠)، ص ٢٧.

ففي عام ١٨٩١ وقبل ست سنوات من ميلاد المنظمة الصهيونية، قدمت مجموعة من المسيحيين يرأسها القس المشهور و. إي. بلاكستون (W.E.Blackston) اقتراحاً يدعو إلى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. وقد تجسد هذا الاقتراح بشكل نداء إلى الرئيس الأمريكي بنجامين هاريسون (Benjamin Harrison)[٤]. في ١٥ آذار/مارس ١٨٩١، ووقعه كبار الشخصيات الأمريكية.

وفي مجال النشاط الصهيوني، نلاحظ أنه في أعقاب ثورات عام ١٨٤٨ الأوروبية أخذت البرجوازية اليهودية تستغل المنطق القومي العنصري في دعواتها للاستيطان اليهودي في فلسطين مستعينة بالمبررات نفسها التي استعملتها الحركات القومية الأوروبية في تبرير سياساتها آنذاك من أجل كياناتها ووحدة دولها. وأخذت تكيل المديح لليهود كعنصر بشري استطاع المحافظة على نقاوته وتفوقه على العناصر البشرية الأخرى. ولعل الهدف الذي كانت تسعى إليه البرجوازية اليهودية من وراء هذا المنطق هو غرس النزعة القومية العنصرية بين المجموعات اليهودية لحثهم على الهجرة إلى فلسطين[٥].

وفي مطلع ستينيات القرن التاسع عشر، أخذ بعض دعاة الحركة الصهيونية يدعون إلى العمل من أجل «الهجرة» إلى فلسطين واستعمارها، وكان أبرز أولئك المفكرين هيريش كاليشر (Herish Kalesher) مؤلف الكتاب الموسوم **البحث عن صهيون** الصادر عام ١٨٦١. وفي الاتجاه ذاته نشر موزس هس (Moses Hiss) كتابه الموسوم **روما القدس** الذي نادى فيه بإقامة دولة يهودية في فلسطين. ويعد كتاب ليون بينسكر (Leon Benscar) (التحرير الثاني) الصادر عام ١٨٨٢، من أعمق الكتابات الصهيونية الأولى وأكثرها أثراً، وقد حلل فيه الوضع اليهودي العام، وخلص إلى المناداة بإمكان قيام وطن «قومي» يهودي في فلسطين أو أمريكا[٦].

وفضلاً عن اتساع النشاط الدعائي الصهيوني خلال تلك الفترة، فإن الظروف

---

(٤) ولد بنجامين هاريسون في ولاية أوهايو عام ١٨٣٣، وتم انتخابه رئيساً للولايات المتحدة للفترة ١٨٨٩ ـ ١٨٩٣ وتوفي عام ١٩٠١، وقد بدأ هاريسون حياته كمحام في أنديانا بوليس، وكان الرئيس التاسع وهو جمهوري. للمزيد من التفاصيل، انظر: مكسيم آرمبروستر، **رؤساء الولايات المتحدة** (بيروت: شركة الكتاب اللبناني، ١٩٦٤)، ص ١٥ ـ ٢٠.

(٥) محمد شديد، **الولايات المتحدة والفلسطينيون بين الاستيعاب والتصفية**، ترجمة كوكب الريس (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١)، ص ٥٨.

(٦) أمين محمود، «نشأة النزعة الاستيطانية في الفكر اليهودي الغربي خلال القرن التاسع عشر،» **العلوم الاجتماعية**، السنة ٤، العدد ٢ (تموز/يوليو ١٩٧٩)، ص ١٠.

التي مر بها اليهود في روسيا[٧] قد أمدت التجمعات الصهيونية في دول أوروبا، ومدن أمريكا بأعداد كبيرة من المهاجرين في فترة شهدت تركيز جهود الرأسمال الاحتكاري في هذه البلدان مع موجة جديدة من التوسع الإمبريالي. ومن خلال التناحر تم اقتسام العالم غير الأوروبي من قبل حفنة من الدول الأوروبية الكبرى لتترك آثارها واضحة في طبيعة ومستقبل الحركة الصهيونية التي نشأت فيها[٨].

وفي ضوء ما تقدم، فإننا لا بد من أن نشير إلى عامل مهم توّج العوامل والظروف التي نوهنا عنها آنفاً، وهو تحول الرأسمالية الصناعية، وانتقالها إلى مرحلة الإمبريالية، مما أدى إلى توسع المطامع الاستعمارية لبريطانيا وفرنسا وألمانيا في آسيا وأفريقيا، حيث تهيأت الظروف الملائمة لترجمة الرغبة عند اليهود في الهجرة إلى فلسطين. وفي ظل هذه الظروف نشأت الحركة الصهيونية. ونتيجة الدعم والتأييد من قبل بريطانيا فقد أعلن بعض الزعماء في العالم قراراً خطيراً إثر اجتماع عقدته المنظمة اليهودية العالمية جاء فيه: «إن فلسطين يجب أن تكون وطناً، وإن بالإمكان نقل أهل فلسطين العرب إلى الأقطار العربية المجاورة لأنها بلاد واسعة وقليلة السكان». وعلى أثر هذا القرار أعلن إسرائيل زانغويل (Israel Zangwill)[٩] «أن فلسطين وطن بلا شعب، فيجب أن تعطى لشعب بلا وطن، وأن واجب اليهود في المستقبل، أن يضيقوا الخناق على سكان فلسطين العرب حتى يضطروهم إلى الخروج منها»[١٠].

ومن جانب آخر، فإن السلطة العثمانية كانت قد أصدرت في عام ١٨٨٨ أنظمة منعت بموجبها الهجرة اليهودية الجماعية إلى الأراضي العثمانية، وحددت دخول معظم اليهود الأجانب إلى فلسطين بمدة ثلاثة أشهر لزيارة الأماكن المقدسة. وبهذه الصورة توقفت ولادة الصهيونية السياسية المنظمة، وبقيت تنتظر حلول الفرصة

(٧) إن ما مر به اليهود في روسيا من ظروف اعتباراً من عام ١٨٨٢، كاتهامهم بالاشتراك في اغتيال القيصر الروسي، وما أعقب ذلك من حملة اضطهاد وتشريد، جعلهم لا يلقون من السلطة إلا العنف والقمع على خلاف علاقاتهم ببريطانيا. ووجد بعض دعاة التحرر والتنوير بين اليهود في الاضطهادات ذريعة لمحاربة الاندماج والدعوة إلى الهجرة، وبدأت أنظار البعض تتجه صوب فلسطين بقصد تهجير اليهود إليها، وتوطينهم في أرضها. للمزيد من التفاصيل، انظر: أسعد رزوق، **إسرائيل الكبرى: دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني**، سلسلة كتب فلسطينية؛ ١٣، ط ٢ (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٧٣)، ص ٥٩.

(٨) صادق جلال العظم، **الصهيونية والصراع الطبقي** (بيروت: دار العودة، ١٩٥٧)، ص ١٠٥.

(٩) إسرائيل زانكويل: وهو مؤسس المنظمة الصهيونية للاستعمار والأراضي.

(١٠) عمر رشدي، **الصهيونية وربيبتها إسرائيل**، ط ٢ (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٥)، ص ٧٠.

المؤاتية لإخراجها إلى عالم الوجود[١١]. ولم تشأ الدول الأوروبية آنذاك ترك السلطات العثمانية وشأنها، بل أعربت عن احتجاجها على القيود المفروضة على اليهود، ورأت فيها خرقاً للامتيازات الأجنبية. فما كان من الباب العالي إلا أن أقدم على تنازل اسمي بتمديد فترة الإقامة إلى ثلاثة أشهر وإبلاغ المستفسرين أن مفعول القيود يسري على اليهود المهاجرين إلى فلسطين بصورة جماعية فقط. ففي فترة ما بين السنوات ١٨٨٢ ـ ١٩٠٣ وصل إلى فلسطين ٢٥ ألف مهاجر. وقد أطلق على الهجرة في هذه الفترة اسم «أليا الأولى»، أي الصعود إلى صهيون. وفي الفترة ما بين عامي ١٩٠٣ و١٩١٣ «أليا الثانية» التي هاجر إلى فلسطين خلالها ٤٠ ألف شخص، وصل مؤسسو دولة إسرائيل الصهاينة أمثال: بن غوريون وليفي أشكول وبن تسفي. وإلى هذه الهجرة بالذات يعود سبب تمرد السكان المحليين الذين بدأوا يرون في تدفق اليهود الأجانب الذين كانوا يشترون الأراضي من الزعماء الأتراك ويطردون الفلاحين العرب منها خطراً يهدد مستقبلهم[١٢]. وقد فطن عرب فلسطين إلى هذا التدخل والتسلل الاستيطاني، فأرسل أعيان القدس في الرابع والعشرين من شهر حزيران/يونيو ١٨٩١ التماساً إلى الباب العالي لاتخاذ إجراءات كفيلة بمنع نزوح اليهود الأجانب إلى فلسطين وشرائهم الأراضي. وكان العرب قد أدركوا أن القيود المفروضة على اليهود الأجانب قد خفضت بعد أن ترك محمد شريف رؤوف باشا متصرف القدس منصبه عام ١٨٨٩. ومحمد شريف رؤوف باشا الذي كان يتولى متصرفية القدس كان يؤيد تأييداً حاراً سياسة السلطان عبد الحميد الثاني في منع اليهود من الإقامة في فلسطين، وكان يسارع إلى طرد الحجاج من فلسطين بالقوة بمجرد انقضاء المدة المسموح بها لهم، كما كان يمنع قدر استطاعته بيع الأراضي لليهود. وقد اكتشفت السلطات العثمانية أن موظفي ميناء يافا المرتشين كانوا يرسلون إلى الوالي بيانات كاذبة تفيد أن كل اليهود الذين دخلوا البلاد خلال الشهر السابق قد عادوا من حيث أتوا. وازدادت إجراءات منع المهاجرين من الدخول إلى فلسطين حدة وفعالية، خاصة خلال سنة ١٨٨٧، واستبعدت العناصر الفاسدة، وذلك بعد أن وسعت مساحة الأراضي التي تسري عليها أوامر الحظر لتشمل أيضاً منطقة الجليل في شمال فلسطين، فضلاً عن منطقة القدس. وقد أدت تلك الإجراءات الى تدخل

(١١) آلان ر. تايلور، **مدخل إلى إسرائيل: الأعمال التحضيرية للجريمة الدبلوماسية الصهيونية، ١٨٩٧ ـ ١٩٤٧**، ترجمة شكري محمود نديم، السلسلة السياسية؛ ١٠ (بغداد: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٥)، ص ١٥.

(١٢) ف. ب. لادكين، **مصدر الأزمة الخطيرة: دور الصهيونية في تغذية النزاع في الشرق الأوسط**، ترجمة هاشم حمادي (دمشق: منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٧٥)، ص ٨٦ ـ ٨٧.

الدول الأجنبية، وخاصة سفير الولايات المتحدة أوسكار شتراوس اليهودي الأصل الذي استطاع حمل السلطات التركية على عزل والي القدس محمد شريف رؤوف باشا[١٣].

لقد حظيت فلسطين بالأهمية القصوى لدى السلطان عبد الحميد نظراً لمتابعته للمخططات الصهيونية التي كانت تعمل على تحويلها إلى وطن لليهود. كما اتخذ السلطان كل الوسائل الممكنة، كإصدار تشريعات وقوانين وإجراءات إدارية وسياسية، تحول دون وصول هؤلاء إلى أهدافهم. فقد ربط سنجق القدس مباشرة بالباب العالي ليشرف هو بنفسه على منع النفوذ الاستعماري والصهيوني في فلسطين، بعد أن زاد النشاط في هذا الاتجاه. وكان هذا النشاط، كما يرى هوغارت (Hogart)[١٤] هو الذي دفع السلطان عبد الحميد الثاني عام ١٨٨٧ إلى جعل القدس سنجقاً مستقلاً عن ولاية دمشق ومتصرفية لها اتصال مباشر بالباب العالي[١٥].

ولم يكف اليهود عن المطالبة بالسكن في فلسطين وشراء أراضٍ فيها أو التمكين لهم بالإقامة فيها، فأخذوا يرسلون الوفد تلو الوفد، حيث تشكلّ عام ١٩٠٢ وفد مكوّن من ثلاثة زعماء لليهود[١٦] لغرض مقابلة السلطان عبد الحميد الثاني، وبعد

---

(١٣) صبري جريس، **تاريخ الصهيونية (١٨٦٢ ـ ١٩٤٨)** (بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، ١٩٨١)، ج ١: **التسلل الصهيوني إلى فلسطين (١٨٦٢ ـ ١٩١٧)**، ص ١٠٩ ـ ١١٠.

(١٤) هوغارث: هو أحد البريطانيين المتخصصين في أمور الشرق الأوسط خلال الحرب العالمية الأولى.

(١٥) رفيق شاكر النتشة، **السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين: السلطان الذي خسر عرشه من أجل فلسطين**، ط ٢ (الرياض: شركة مطابع نجد التجارية، ١٩٨٥)، ص ١٦٢.

(١٦) استقبل تحسين باشا رئيس كتاب السلطان عبد الحميد الوفد اليهودي مستوضحاً منهم الغرض من المقابلة فاستمع إليهم يقولون: إن اليهود مستعدون أن يقوموا:

أ. بوفاء جميع الديون المستحقة على الدولة العثمانية.

ب. بناء أسطول لحماية الإمبراطورية العثمانية.

ج. تقديم قرض بمبلغ خمسة وثلاثين مليون ليرة ذهبية دون فائدة لإنعاش مالية الدولة وإنماء مواردها، وذلك مقابل:

١. إباحة دخول اليهود إلى فلسطين في أي يوم من أيام السنة للزيارة.

٢. السماح لليهود بإنشاء مستعمرة ينزل فيها أبناء جلدتهم قرب القدس الشريف أثناء وجودهم في فلسطين للزيارة.

ونقل تحسين باشا ما سمعه من اليهود الثلاثة إلى الخليفة، وكان رد الخليفة لتحسين: قل لليهود الوقحين ما يلي:

أ. إن ديون الدولة ليست عاراً عليها، لأن غيرها من الدول مثل فرنسا هي الأخرى مدينة، وذلك لا يضيرها. =

اطلاع السلطان على اقتراحات الوفد في ما يخص دخول اليهود إلى فلسطين، وما قدمه الوفد من مغريات مالية بشأن الهجرة وزيادتها، امتعض السلطان عبد الحميد من عرض الوفد وأبلغ طردهم فوراً[١٧].

وحري بنا أن نذكر محاولات هرتزل المستميتة للتأثير في السلطان عبد الحميد الثاني، فقد قام بزيارة الآستانة خمس مرات، واستطاع خلالها أن يقابل السلطان مرتين فقط من دون جدوى، وذلك لإصرار السلطات على عدم إمكانية هجرة اليهود وإقامتهم إقامة دائمة.

وفي النصف الأول من عام ١٩١١ أثار شكري العسلي (مندوب دمشق) وروحي الخالدي (مندوب القدس) داخل مجلس المبعوثان قضية الاستعمار الصهيوني والهجرة اليهودية إليها. وفي باريس تدفقت على المؤتمر العربي الأول المنعقد فيها عام ١٩١٣ عشرات البرقيات والعرائض من عرب فلسطين تلحّ على قادة المؤتمر بضرورة اتخاذ رد حاسم ضد الهجرة اليهودية وممارسات بيع الأراضي، إلا أن المؤتمر كان في واد آخر، وذلك لتوهم قادته بضرورة التحالف مع بريطانيا وفرنسا والحركة الصهيونية ضد السلطة التركية. وقد أثبتت الوثائق أن الصهيونية قد نشطت في حينه للحيلولة دون اتخاذ المؤتمر أية قرارات ضد الهجرة والحركة الصهيونية[١٨]. ومن المفيد أن نذكر أنه منذ بداية الهجرة اليهودية والتنامي الاستيطاني، مروراً بازدياد النشاط الصهيوني قبل وبعد انعقاد مؤتمر بازل عام ١٨٩٧، وحتى اندلاع الحرب العالمية الأولى، كان بإمكان قيام حركة وطنية فلسطينية مدركة تستطيع الوقوف أمام الهجرة اليهودية لولا التعاطف الاستعماري بحكم أيديولوجيته التوسعية والتقائها مع الطموحات الصهيونية ضد الحركة، فضلاً عن اتسام الحركة الوطنية بالضعف والسلبية من خلال تعكزها على الشكاوى والعرائض وإرسال الوفود التي سيرتها الإدارة البريطانية في فلسطين بإيعاز من حكومتها في لندن، وكذلك افتقار تلك الحركة إلى استراتيجية التخطيط والتكتيك مع عدم تحديد الطريق الصائب. وإزاء هذه

= ب. إن بيت القدس الشريف قد افتتحه أول مرة سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، ولست مستعداً لأن أتحمل في التاريخ وصمة بيعها لليهود وخيانة الأمانة التي كلفني المسلمون بحمايتها.

ج. ليحتفظ اليهود بأموالهم، فالدولة العلية لا يمكن أن تحتمي وراء حصون بنيت بأموال أعداء الإسلام. وأخيراً ليخرج هؤلاء من عندي، وأمرهم أن لا يحاولوا بعدها مقابلتي أو الدخول إلى هذا المكان أبداً.

(١٧) محمد مصطفى الهلالي، **شخصيات ظلمها التاريخ: عبد الحميد السلطان المفترى عليه** (الموصل: مكتبة الجبل العربي، ١٩٩٤)، ص ٣٥ ـ ٣٦.

(١٨) الكيالي، **تاريخ فلسطين الحديث**، ص ٥٠ ـ ٦٥.

الأسباب بقيت تلك الحركة الوطنية خلال المرحلة الأولى في واجهة النشاط الصهيوني أسيرة اللعبة الاستعمارية، فضلاً عن ضحالة إمكانياتها من الناحيتين الثورية والفكرية، حيث عجزت حتى عن رصد معسكر الأعداء، مما جعلها تتخبط في نضالها، وهذا ما أتاح للاستعمار البريطاني المبرر في خداع الجماهير والفتك بها لتوهمها في إمكانية الحصول على الاستقلال بمجرد الثورة على الإمبراطورية العثمانية. ويؤكد ذلك المعنى العديد من الباحثين. ففي كتابه **فلسطين: إليكم الحقيقة** يقارن جيفرز بين الحركة الصهيونية والحركة العربية في فلسطين، فيشير إلى أن «الأولى نشأت من خارج البلاد في حين كانت الثانية وطنية أصلية، وكان يمكن لهذه الحركة الوطنية أن تتطور - في رأي جيفرز - إلى مرتبة الدولة الوطنية الكاملة للاستقلال، لولا فرض نظام الانتداب عليها. وينتهي الكاتب إلى أن الصهيونية قوة ثانوية جلبت من الخارج ولم تفعل شيئاً سوى إعاقة تقدم القوة الوطنية»[١٩].

ومع بداية الحرب العالمية الأولى التي اندلعت في آب/أغسطس ١٩١٤، نشطت الحركة الصهيونية بسبب النمو غير المتكافئ للدول الاستعمارية، وتطلع هذه الدول - تبعاً لذلك - إلى إعادة تقسيم العالم. وهكذا انتعشت آمال الحركة الصهيونية، وكان طموحها في انتصار دول الوفاق فيها، وإقامة انتداب بريطاني في فلسطين ليقوم بتسهيل دخول مليون أو أكثر من اليهود إلى فلسطين خلال فترة عشرين أو ثلاثين سنة من إقامة الانتداب[٢٠]. وكان الهدف الصهيوني الرئيس يصب باتجاه الحصول على تصريح بريطاني رسمي يدعم أطماعهم في فلسطين، وقد تم لهم ما أرادوا فعلاً عندما حصلوا على إصدار تصريح بلفور في ٢ تشرين الثاني/نوفمبر عام ١٩١٧، حيث كان ذلك التصريح القاعدة الأساسية التي بني عليها صك الانتداب في فلسطين، وقد حظي بموافقة الرئيس الأمريكي ودرو ولسن (Woodrow Wilson) قبل صدوره، وذلك في ١٦ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٧، كما أيدته فرنسا في ١٤ شباط/فبراير ١٩١٨، وإيطاليا في ٩ أيار/مايو ١٩١٨[٢١].

ومهما يكن من أمر، ففي أواخر عام ١٩٢١ عقد العرب مؤتمرهم الرابع،

---

(١٩) جوزف ماري ناكل جيفرز، **فلسطين: إليكم الحقيقة**، ترجمة أحمد خليل الحاج، مراجعة محمد أحمد أنيس، ٤ ج (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧١ - ١٩٧٣)، ص ٥٩ - ٦١.

(٢٠) فرانك أ. مانويل، **بين أميركا وفلسطين**، ترجمة يوسف حنا (عمان: وزارة الثقافة والفنون، ١٩٦٧)، ص ٦٨ - ٧١.

(٢١) جامعة الدول العربية، الأمانة العامة، **الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين: المجموعة الأولى، ١٩١٥ - ١٩٤٦** (القاهرة: مطبعة جريدة الصباح، ١٩٥٧)، ص ٢٧.

وقرروا إرسال وفد إلى لندن للمطالبة بحقهم الشرعي في الاستقلال. وكان هذا الوفد برئاسة موسى كاظم الحسيني وعضوية السادة الحاج توفيق جهاد وأمين التميمي ومعين الماضي وشبلي الجمل وإبراهيم شماس، وقد مكث هذا الوفد في بريطانيا ما يقارب السنة، وهو يبسط حق العرب الشرعي أمام مجلس اللوردات وبعض الشخصيات الإنكليزية. وبعد عودة الوفد إلى فلسطين، أصدر تشرشل بوصفه وزيراً للمستعمرات في ١ تموز/يوليو ١٩٢٢ كتاباً أبيض تضمن تفسيراً للوطن القومي، وكان القصد من إصدار هذا الكتاب هو التخفيف من مخاوف العرب، ومما جاء فيه: إن حكومة جلالة الملك لا ترمي إلى جعل فلسطين يهودية، كما أن إنكلترا إنكليزية، وإنما تريد أن تعطي قسطاً كاملاً من الحكم الذاتي في فلسطين، وإن الذي وضع **الكتاب الأبيض** والسياسة التي انطوى عليها المجلس التشريعي الاستشاري والوكالة اليهودية هو ونستون تشرشل نفسه، وهو الذي أعلن أنه يعد نفسه صهيونياً[٢٢].

وعليه، فإن ما يتضح لنا من خلال الصفحات السابقة أن الصهيونية عملت بشكل دؤوب ومنظم على فتح أبواب فلسطين أمام الهجرة اليهودية واستعمار أرضها بشتى الطرق، منذ الساعات الأولى للاحتلال البريطاني لفلسطين، مروراً بخضوعها للانتداب، وحتى صدور ما يعرف **بالكتاب الأسود** عام ١٩٣١ بمساندة بريطانيا ودعمها. وقد وصف وايزمان رسالة ماكدونالد المتضمنة إلغاء **الكتاب الأبيض** بأن الفضل يعود إلى رسالة ماكدونالد في السماح للهجرة اليهودية إلى فلسطين، إذ بلغت الأرقام أربعين ألف مهاجر في سنة ١٩٣٤، واثنين وستين ألف مهاجر في سنة ١٩٣٥، وهي أرقام لم نكن لنحلم بها في سنة ١٩٣٠. فضلاً عما تقدم، قام ماكدونالد بتعيين السير آرثر ووكهوب (Arthur Wauchope) مندوباً سامياً في فلسطين بعد المذاكرة والتنسيق مع وايزمان، وبتعيين ووكهوب قطعت الصهيونية مراحل كبيرة في تنفيذ مخططها لاغتصاب فلسطين[٢٣].

ومنذ عام ١٩٣٠ ازداد السخط الفلسطيني خاصة، والعربي عامة، على الممارسات التآمرية البريطانية، فاشتدت الاحتجاجات، وتكررت الانتفاضات، وكان أبناء فلسطين من عمال وفلاحين وتجار صغار ومثقفين، العقبة الكأداء في وجه التآمر الاستعماري البريطاني الصهيوني. واستمر غليان البلاد تتفجر فيها حركات المقاومة

---

(٢٢) اسماعيل الخطيب الطوباسي، **كفاح الشعب الفلسطيني، ١٩٠٨ - ١٩٦٥** (عمان: مطبعة ومكتبة شوقي، ١٩٧٩)، ص ٢٣ - ٢٥.

(٢٣) تايلور، **مدخل إلى إسرائيل: الأعمال التحضيرية للجريمة الدبلوماسية الصهيونية، ١٨٩٧ - ١٩٤٧**، ص ٥٤.

هنا وهناك، حتى تتوجت تلك المرحلة بالعمل الثوري في فلسطين بقيام حركة القسام[٢٤]، فتفجرت ثورة عام ١٩٣٦[٢٥].

وفي ظل هذه الممارسات البريطانية، قررت حركة القسّام التي تعد المبادرة المهمة في مرحلة الانتداب البريطاني خوض الكفاح المسلح بشكل منظم، حيث كانت تلك الحركة البداية الحقيقية لثورة ١٩٣٦. فقد وقعت المصادمات بين العرب من جهة، وبين القوات البريطانية من جهة أخرى، للفترة ما بين ١٥ ـ ١٩ نيسان/أبريل ١٩٣٦ بثورة عارمة شهدتها فلسطين لأكثر من ثلاث سنوات[٢٦].

أما الموقف العربي الرسمي، فقد كان يغط في نوم عميق، وبعد مرور أربعة أشهر على الإضراب، قام المندوب السامي بتكليف نوري السعيد، وزير خارجية العراق آنذاك، بالوساطة بين الفريقين المتصارعين، فجاء السعيد إلى فلسطين وحل ضيفاً على المندوب السامي وأخذ يجتمع باللجنة العربية العليا. وكان الهدف الذي يرمي إليه الوسيط هو أن تقبل اللجنة العربية العليا الوساطة، فتدعو إلى وقف الاضراب والثورة مقابل بعض الوعود ووافقت اللجنة العليا على الوساطة التي أقنعها نوري السعيد بضرورة قبول المبدأ الدبلوماسي[٢٧]، وبعد أسابيع قليلة، وردت برقية من الملك عبد العزيز آل سعود جاء فيها أن الحكومة البريطانية وافقت على أن يوجه ملوك العرب وأمراؤهم نداء إلى الشعب الفلسطيني بوقف الإضراب استعداداً للنظر في مقترحاتهم، وأنها أي بريطانيا، لا تستطيع أن تعد بأي وعد قبل إنهاء الإضراب والثورة[٢٨]. ومع تقدم الثورة، ازداد وضع القوات البريطانية في فلسطين حرجاً، مما اضطر المندوب السامي البريطاني في فلسطين إلى مطالبة الأمير عبد الله حاكم شرق الأردن، والملك عبد العزيز آل سعود التدخل لتصفية الثورة[٢٩]. فسارع زعماء

(٢٤) ولد الشيخ عز الدين عبد القادر القسام في بلدة جبلة عام ١٨٧١، ونشأ في بيئة عربية إسلامية، درس في جامعة الأزهر على يد الشيخ محمد عبده، واستفاد من دروس عصره زمن أحمد عرابي ومصطفى كمال، وآمن القسام بفكرة الجهاد والعمل السري، وكان يرى الثورة المسلحة كأسلوب وحيد وقادر على إنهاء الانتداب والحيلولة دون قيام دولة صهيونية.

(٢٥) عيسى السفري، **فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية... سجل عام لقضية فلسطين في عشرين سنة**، ٢ ج (يافا: مكتبة فلسطين الجديدة، ١٩٣٧)، ج ١، ص ٢٤٧ ـ ٢٤٨.

(٢٦) سعد صادق، **فلسطين بين مخالب الاستعمار** (القاهرة: لجنة القاهرة للتأليف والنشر، ١٩٤٦)، ص ٩٤.

(٢٧) الطوباسي، **كفاح الشعب الفلسطيني، ١٩٠٨ ـ ١٩٦٥**، ص ٥٠.

(٢٨) المصدر نفسه، ص ٥٠ ـ ٥١.

(٢٩) الكيالي، **تاريخ فلسطين الحديث**، ص ٣١٦.

العرب: الملك عبد العزيز، والأمير عبد الله، والملك غازي بن فيصل الأول ملك العراق، والإمام يحيى ملك اليمن، إلى إصدار بيان في ٩ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٣٦ ناشدوا فيه عرب فلسطين الإخلاد والسكينة حقناً للدماء، معتمدين على حسن نيات صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها الشديدة في تحقيق العدل[٣٠].

أما عن الموقف الشعبي، فقد قرر أبناء الثورة في فلسطين استمرار الإضراب احتجاجاً على سياسة العنف التي تتبعها بريطانيا ضد عرب فلسطين. وبعد تطور الأحداث أصبحت الثورة ذات طابع قومي من خلال المساهمة الفعلية بالثورة الفلسطينية من قبل المتطوعين العرب القادمين إلى فلسطين من أقطار عربية عديدة، كشرق الأردن وسوريا ولبنان والعراق، جاهزين بأسلحتهم استعداداً للقتال. فخاضوا المعارك وقدموا الشهداء، علماً أن السلطات الأردنية منعت مرور السوريين والعراقيين عبر الأراضي الأردنية، وهم في طريقهم إلى جبهات القتال في فلسطين. وقام وفد من أهل شرق الأردن بمقابلة الأمير عبد الله وطلبوا منه تقديم مذكرة إلى الحكومة البريطانية احتجاجاً على ممارستها وسياستها ضد عرب فلسطين. وفي مصر تصاعدت موجة التأييد الشعبي الواسع للثورة الفلسطينية، وبادرت مختلف الأحزاب إلى نصرتها. وفي العراق بعثت السفارة البريطانية في ٤ آذار/مارس ١٩٣٦ برسالة إلى رئيس الوزراء العراقي طالبته فيها بكبح جماح الصحافة العراقية واندفاعها في إبراز البيانات الرسمية والتقارير العديدة لوكالات الأنباء المختلفة[٣١]. وبينما كانت سحب الحرب العالمية الثانية تغطي أفق أوروبا، دعا البريطانيون سنة ١٩٣٩ إلى عقد مؤتمر في لندن لفض النزاع العربي ـ اليهودي، وقد وضع «كتاب ماكدونالد الأبيض»[٣٢]، الصادر في ١٧ أيار/مايو ١٩٣٩، قيوداً صارمة على الهجرة اليهودية، وأعلن المؤتمر

(٣٠) دافيد بن غوريون، **لقاءات مع زعماء العرب** (تل أبيب: دار عام عوبيد؛ القاهرة: الهيئة العامة للاستعلامات، ١٩٦٧)، ص ٢٦٧.

(٣١) محمد مهدي أسد حيدر، **التطورات السياسية في فلسطين (١٩١٨ ـ ١٩٣٦)** (بغداد: المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية، ١٩٨٢)، ص ١٧٠ ـ ١٧١.

(٣٢) بعد فشل مؤتمر لندن عام ١٩٣٩ وفشل مباحثات القاهرة التي أعقبته، أصدرت الحكومة البريطانية كجزء من إجراءاتها لمواجهة الحالة الجديدة، بياناً عن سياستها الجديدة في فلسطين، عرف «بالكتاب الأبيض» لسنة ١٩٣٩ حيث تناول المشاكل الرئيسية، وهي الدستور والهجرة والأراضي. وأعلنت أن هدفها تكوين حكومة مستقلة في فلسطين من العرب واليهود خلال عشر سنوات. وقد أصدرت الوكالة اليهودية رفضها «للكتاب الأبيض» بعد يوم واحد من صدوره. أما الجانب العربي غير الرسمي، فقد أبدى رفضه، في الوقت الذي طلبت الحكومات العربية فيه من اللجنة العربية العليا قبول «الكتاب الأبيض»، وهذا ناتج من سياسة تلك الحكومات الموالية لبريطانيا المرتبطة معها.

الصهيوني المنعقد في الخريف من العام نفسه عدم شرعية الكتاب المذكور، ولكن سرعان ما زجّ العالم في حرب عالمية ثانية ووضع موضوع فلسطين على الرف. ومع بداية الحرب العالمية الثانية كانت الحرب الصهيونية تمر بمرحلة حاسمة لإعلان بناء الوطن اليهودي. وفي هذا الصدد، صرح دافيد بن غوريون: «إذا كانت الحرب العالمية الأولى قد جاءت بوعد بلفور، فإن الحرب العالمية الثانية ستأتي بالدولة اليهودية»[٣٣].

لقد خرجت الدول الكبرى من الحرب منهكة وغير مستعدة لتحمل مسؤوليات عسكرية جديدة، والتورط بمشاكل بعيدة عنها، بعد أن خرجت الدول بخزائن خاوية وأنظمة اقتصادية منهكة، وهي في أحوج ما تكون إلى المساعدات الأمريكية.

وفي أمريكا وجد ساستها أنفسهم وسط حملة انتخابية مستعرة، وبالتالي فهم بحاجة ماسة إلى دعم ومساندة اليهود وكسب أصواتهم الانتخابية، مما كان له الأثر الفعال في صياغة سياسة الدول الكبرى ورسم الخطوات التي اتخذتها. وقد استفاد الصهاينة كثيراً من وجود الأمم المتحدة في نيويورك، مركز نشاط اليهود وقلبه النابض[٣٤]. ويبدو أن الصهيونية العالمية، بحكم سيطرتها الاقتصادية والفكرية على دول الغرب، قد أفلحت في جعل بعض من دول أوروبا الغربية والشرقية مجرد ألعوبة في يدها، علماً بأن الصهيونية كانت تعي وتدرك ما يدور في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية من هواجس ومتغيرات، في الوقت الذي فات العرب، شعباً وحكومات وأحزاباً ومنظمات، إدراك هذه المسلمات ومغزى حقائقها وآثارها. وما يعزز اعتقادنا هذا هو موقف الاتحاد السوفياتي المتناقض إزاء القضية الفلسطينية، فإن ما يثير الدهشة والاستغراب ازدواج وتناقض ذلك الموقف حيال تلك القضية.

فقد أقرت أدبيات الفكر الماركسي والشيوعي السوفياتي بطلان الدعوة الهادفة لقيام أمة منفصلة عن غيرها، حيث عدتها تلك الأدبيات دعوة مستندة إلى أفكار رجعية من الناحية السياسية، كما وصف السوفيات الحركة الصهيونية على أنها أكثر الحركات رجعية، فقد عدّ ماركس القومية الوهمية لليهود: «هي قومية التاجر ورجل النقود».

أما لينين فقد استهجن فكرة اليهود لتشكيل أمة منفصلة عن غيرها لليهود،

---

(٣٣) تايلور، **مدخل إلى إسرائيل: الأعمال التحضيرية للجريمة الدبلوماسية الصهيونية، ١٨٩٧ - ١٩٤٧**، ص ٥٦.

(٣٤) القشطيني، «الدول الكبرى وعام النكبة، ١٩٤٨،» ص ٦٨.

بينما يرى ستالين بأنه: «لا يمكن أن يقال إن هذا الشعب يشكل أمة واحدة - ويقصد بالطبع الشعب اليهودي - واعتبر الصهيونية نزعة شوفينية»[٣٥].

إلا أنه بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، شهد الاتحاد السوفياتي موقفاً مغايراً تجاه القضية الفلسطينية بتأييده قيام دولة «إسرائيل» واعترافه السريع بها. ومن هنا يتبين صحة ما ذهبنا إليه من تأثير الصهيونية في الأوساط السياسية العالمية، وتحكمها في القرارات السياسية الدولية. ففي جلسة ١٤ أيار/مايو ١٩٤٧ أعلن غروميكو، مندوب الاتحاد السوفياتي في الأمم المتحدة، تأييد بلاده لقرار التقسيم، مبرراً ذلك اضطرار بلاده لقبول التقسيم... لاستحالة إقامة دولة موحدة، فلا مناص من التقسيم إلى دولتين[٣٦]. وهكذا اتخذ السوفيات قرارهم بالاعتراف بـ«إسرائيل» كدولة وشعب بدافع المصالح الاستراتيجية، والسبب الأهم هو تأثير الصهيونية. وبهذا فإن موقف السوفيات هذا يتناقض مع مبادئ الثورة البلشفية، ناهيك عما يشكله هذا القرار من استهانة لمشاعر الشعب العربي وعدالة قضيته الكبرى في فلسطين. وتبرر الكاتبة السوفياتية نيكيتا موقف الاتحاد السوفياتي المفاجىء هذا، في محاولة لإعطاء المبررات للخطأ الفادح الذي وقع فيه الاتحاد السوفياتي باعترافه بدول «إسرائيل»، حيث تقول: «إذا انطلقنا من مضمون قرار الأمم المتحدة لعام ١٩٤٧، فإنه يجب القول إن الدولة اليهودية تشكلت على أسس لا علاقة لها بأهداف الصهيونية العالمية، فلقد نظر القرار إلى الدولة اليهودية المقبلة باعتبار أن لها الحق في تحقيق الاستقلال (القومي) لليهود الذين يشكلون جزءاً من سكان فلسطين. وهكذا استند موقف الاتحاد السوفياتي إلى قرار هيئة الأمم المتحدة لعام ١٩٤٧ معترفاً بدولة «إسرائيل»[٣٧].

إلا أننا نرى أن هذا التبرير المنوّه عنه لا يمت بصلة إلى أرض الواقع من الناحية الاستراتيجية للسياسة السوفياتية لتلك الفترة.

من المعروف أن السياسة السوفياتية في الشرق الأوسط كانت تسعى في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية إلى تأمين الحدود الجنوبية حتى لا تستخدم هذه المنطقة كمنطقة وثوب على أراضيها، ولذلك شجعت كل الحركات المناهضة

---

(٣٥) صلاح الدين الدباغ، **الاتحاد السوفيتي وقضية فلسطين**، سلسلة دراسات فلسطينية؛ ٣٠ (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٦٨)، ص ٣٥ - ٤٨.

(٣٦) صلاح العقاد، **قضية فلسطين: المرحلة الحرجة ١٩٤٥ - ١٩٥٦** (القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٨)، ص ٥٠.

(٣٧) **الصهيونية أيديولوجية الإمبريالية** (موسكو: أكاديمية العلوم السوفيتية، [د.ت.])، ص ١٥.

للاستعمار البريطاني، كما استطاع دهاقنة الصهاينة في هذه الفترة خداع الاتحاد السوفياتي والرأي العام العالمي التقدمي، متظاهرين بأنهم سيكفون عن الدعوة للحركة الصهيونية التقليدية. كذلك ما جاء في تصريحات حاييم وايزمن وغولدا مائير وعدد آخر من زعماء الصهاينة، بأن ما يحدث في فلسطين هو توجيه ضربة (ماحقه) للاستعمار البريطاني، كما أن السوفيات قد اعترفوا بأن إقامة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين كان له مغزى جديد خاص عقب الحرب العالمية الثانية، خاصة بعد ما تعرض له اليهود من الإبادة الجماعية على أيدي النازية[٣٨]. ويذهب آخرون إلى أن كل الدلالات كانت تشير إلى أن الصهاينة نجحوا بالتأثير في الرئيس الأمريكي هاري ترومان وإقناعه بإدخال قضية تأييد المشروع الصهيوني خلال المساومات الجارية إبان الحرب العالمية الثانية. وكان بن غوريون قد صرح بأن الرئيس ترومان استطاع الظفر بتأييد ستالين في مؤتمر مالطة لصالح المشروع الصهيوني[٣٩] بإقامة الكيان الصهيوني لليهود على أرض فلسطين، فضلاً عن أن الاتحاد السوفياتي كان يتفادى الصدام مع الدول الاستعمارية، ولا سيما أن الحرب الباردة قد بلغت درجة من الحدة.

لقد كان السلوك الدولي حيال الامتحان الذي جرى على الساحة الفلسطينية من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفياتي مخيباً للمبادئ والآمال التي تطلعت إليها الشعوب الحرة. ولم يدر في خاطر تلك الشعوب هذا الخداع السياسي الذي مارسته تلك القوى الشريرة بعد الحرب.

وقد أدى تنامي الوعي القومي وازدياد التوتر الدولي إلى خلق فرص أمام الحركة القومية العربية لأن تتقدم ولو قليلاً لتحتل لها موقعاً أقوى مما كانت عليه، إن لم يكن في مجابهة أعداء الخارج، ففي الأقل لمجابهة أعداء الداخل وتعزيز صمود الأمة أيديولوجياً ضد التجزئة[٤٠]. وفي هذا الصدد، يقول محمد مهدي كبة: «عندما رفض العرب مشروع التقسيم، حاك الإنكليز وحلفاؤهم من الأمريكان والصهاينة مؤامرة تخلي بريطانيا عن التزاماتها الانتدابية على فلسطين، وأعلنت قرارها بانسحابها منها في ١٥ أيار/مايو عام ١٩٤٨، فدبت الحماسة في نفوس أبناء الشعب العربي،

(٣٨) ديمتروف لاسكي، **الطريق إلى السلام في الشرق** (موسكو: دار العلاقات الدولية، ١٩٤٧)، ص ٣٤ ـ ٣٦.

(٣٩) ناجي علوش، **الماركسية والمسألة اليهودية، ١٨٤٤ ـ ١٩٦٨** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٩)، ص ٣٣.

(٤٠) نزار عبد اللطيف الحديثي، **الأمة العربية والتحدي** (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥)، ص ١١٢.

وتعالت الصيحات والصراخات من كل جانب منادية بضرورة اغتنام هذه الفرصة لتحرير فلسطين من رجس الصهيونية»[٤١].

ومهما يكن من أمر، ففي الساعة الرابعة من عصر ١٤ أيار/مايو عام ١٩٤٨، أعلن دافيد بن غوريون، رئيس الحكومة المؤقتة، إنشاء الكيان الصهيوني على أرض فلسطين، وناشد «الشعب اليهودي» في الدياسبورا (المنفى) أن يقف إلى جانبها في الصراع الوشيك الحدوث مع العرب من أجل تحقيق الحلم الصهيوني القديم... باسترجاع فلسطين وقيام المعبد الثالث. ولم يكد نبأ إعلان مولد الدولة وقت العصر، ثم انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين في منتصف الليل ينتشران في العالم، حتى أسرعت الولايات المتحدة بعد دقائق قليلة إلى الاعتراف بالكيان الصهيوني، ثم تبعها الاتحاد السوفياتي آنذاك مباشرة[٤٢]. وتوالى بعدها اعتراف دول العالم، الشرقية منها والغربية، وأنزل العلم البريطاني من دار الحكومة في القدس مساء ١٤ أيار/مايو ١٩٤٨، كما غادرها السير آلان كاتغهام المندوب السامي البريطاني في فلسطين، بعد أن سلمها لقمة سائغة للصهيونية. وبذلك حققت بريطانيا كافة التزاماتها في تنفيذ تصريح بلفور على أرض فلسطين[٤٣]. وفي الأمم المتحدة رفضت الولايات المتحدة مشروع الدولة الفلسطينية الموحدة، وأيدت قرار التقسيم الجائر الذي أصدرته الأمم المتحدة ذا الرقم ١٨١ في ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٧ المتضمن التوصية بمشروع تقسيم فلسطين[٤٤]. ولم يقف مجلس الأمن، ولا الأمم المتحدة، مع شعب فلسطين، وهذه الأخيرة لم يجد بين أعضائها الستة والخمسين سوى الدول العربية السبع المستقلة حينذاك وعدد من الدول الإسلامية ودولتين ارتأتا الالتزام بالعدل. أما الدول العظمى وتابعاتها في دول الكتلتين الشرقية والغربية، فقد وقفت جميعها مع «إسرائيل» رغم الحرب الباردة التي كانت في عنفوانها بينهما آنذاك[٤٥]. وكانت حرب ١٩٤٨ الدليل القاطع والبرهان الواضح على هشاشة الأنظمة العربية من خلال

(٤١) محمد مهدي كبة، **مذكراتي في صميم الأحداث، ١٩١٨ ـ ١٩٥٨** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٥)، ص ٢٥٦.

(٤٢) حسن البدري، **الحرب في أرض السلام: الجولة العربية الإسرائيلية الأولى، ١٩٤٧ ـ ١٩٤٩** (بيروت؛ القاهرة: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٦)، ص ٥٣.

(٤٣) المصدر نفسه، ص ١٠١.

(٤٤) أحمد عبد الرحيم مصطفى، **الولايات المتحدة والمشرق العربي**، سلسلة عالم المعرفة؛ ٤ (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٧٨)، ص ٥٣ ـ ٦٥.

(٤٥) **العسكرية الصهيونية**، تقديم محمد حسنين هيكل، ٢ ج (القاهرة: مؤسسة الأهرام، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، ١٩٧٢)، ج ١: **المؤسسة العسكرية الإسرائيلية النشأة ـ التطور، ١٨٨٧ ـ ١٩٧٧**، ص ١٦١ ـ ١٦٦.

ضعفها وزيف مواقفها إبان تلك الحرب، فضلاً عن كشف نفوذ القوى الاستعمارية التي كانت تحكم تلك الأنظمة في تيسير وتوجيه طريق مسارها، لتقف تلك الأنظمة سداً بوجه تطلعات الأمة وشعبها في تحقيق أهدافها الوطنية والقومية، وقد كانت تعيش مرحلة مهمة من مراحل نهضتها الثورية وتطلعاتها القومية. ففي ربيع عام ١٩٤٨ نشبت المعركة الأولى بين جيوش الدول العربية والعصابات «الإسرائيلية»، فحلت الكارثة بإعلان الهدنة بين الجيوش العربية و«إسرائيل» وتقوت «إسرائيل» في الأمم المتحدة[٤٦].

ولم تكتف الولايات المتحدة الأمريكية وزعماؤها بدعم الحركة الصهيونية في المجالات كافة لتحقيق بناء كيانها، بل تمادت أمريكا في ممارستها العدوانية والدعائية لدعم ذلك الكيان. ويطالعنا الرئيس الأمريكي الأسبق آيزنهاور[٤٧] في مذكراته بالعديد من المزاعم التي تؤيد الحركة الصهيونية، مظهراً تفوق الأخيرة على العرب عسكرياً بقوله: «كان لدى إسرائيل التي يعد سكانها بأقل من مليوني نسمة خمسون ألف جندي، فضلاً عن مائتي ألف جندي احتياطي جاهزين للتعبئة خلال ثمانٍ وأربعين ساعة، وبالرغم من أن هذا الجيش كان صغيراً، لكنه كان باستطاعته مواجهة مجموع الجيوش التي تستطيع الحكومات المجاورة أن تجندها وتزوّدها»[٤٨].

وبالمقابل، فإن الوعي القومي الوحدوي قد أدرك، بعد تقسيم فلسطين، وانكشاف طبيعة التحدي الصهيوني، أن الوحدة هي الفكر الأكثر ثورية، والعمل الثوري هو الذي يواجه التحدي الصعب، وأن «العفوية» لم تعد تكفي أساساً لمسيرة النضال والعمل الوحدوي، وأن التنظيمات الحزبية المغلقة المتقوقعة على ذاتها عاجزة بدورها عن قيادة النضال الوحدوي، وأن جميع الأحزاب ضمن صيغ وهوية شكلية تبقى أسيرة الولاءات والمصالح والعقليات القطرية، مما لا يساعد على خلق الشروط المطلوبة لوحدة النضال[٤٩].

---

(٤٦) قسطنطين زريق، **معنى النكبة مجدداً** (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٧)، ص ٧.

(٤٧) آيزنهاور: هو دوايت دافيد (١٨٩٠ ـ ١٩٦٩) الرئيس الرابع والثلاثون للولايات المتحدة، ففي عام ١٩٥٢ انتخب رئيساً للجمهورية كمرشح للحزب الجمهوري، واصل سياسة احتواء الاتحاد السوفياتي التي بدأها سلفه ترومان، وجدد انتخابه ثانية عام ١٩٥٦، وفي عام ١٩٥٧ طرح مشروع «ملء الفراغ في الشرق الأوسط» فرفضته البلاد العربية، عدا لبنان.

(٤٨) **مذكرات آيزنهاور**، ترجمة هيوبوث يونغمان ([د.م.: د.ن.]، ١٩٦٩)، ص ١٣.

(٤٩) الياس فرح، **القومية العربية والوحدة العربية أمام تحدي المصير** (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٨)، ص ٣٣٤.

ولذا، فقد شهدت الفترة التي تلت النكبة ظهور أدبيات وكتابات قومية نشرها المفكرون العرب، أمثال: نبيه فارس، وقسطنطين زريق، ومحمد جميل بيهم، وفايز صايغ، وميشيل عفلق، وجورج حبش. وقد أسهم الكتاب الفلسطينيون بنسبة كبيرة من هذه النشريات إن لم تكن معظمها، كما أن معظم المفكرين كان مرتبطاً بالجامعة الأميركية في بيروت، إما بصفة طالب أو أستاذ. وفي هذا العهد الليبرالي للفكر القومي العربي، ولدت حركة القوميين العرب في بيروت، وكانت رابع منظمة سياسية عربية ذات نشاط تتجاوز الحدود الإقليمية، إذ سبقها كل من حركة القوميين السوريين الاجتماعيين، ومنظمة الإخوان المسلمين، وحزب البعث العربي الاشتراكي[٥٠].

ويرى المرحوم باسل الكبيسي[٥١]: «إن ثلاثة عوامل سياسية تحكمت في تطور الأحداث في المشرق العربي بعد تقسيم فلسطين: **أولها** المعارضة الشديدة التي أبدتها الجماهير العربية ضد قيام الكيان الصهيوني، حيث عبّرت هذه المعارضة عن نفسها بالعداء المتزايد للغرب، و**ثانيها** يتمثل بالاضمحلال التدريجي لنفوذ الصفوة الحاكمة التي لم تقم بأي دور فعال خلال الحرب العربية ـ الإسرائيلية في عام ١٩٤٨. أما العامل **الثالث**، فكان في نشوء حركة جدية تقوم على أساس تصميم الشباب القومي العربي وتحركه لمواجهة التحدي»[٥٢].

---

(٥٠) فارس المنصوري، في: **شؤون فلسطينية**، العدد ٥٥، (آذار/مارس ١٩٧٦)، ص ٢١٥.

(٥١) باسل الكبيسي: ولد باسل رؤوف الكبيسي في بغداد في شباط/فبراير عام ١٩٣٣، من عائلة عربية تتحدر من مدينة كبيسة التي تقع في محافظة الأنبار، ودرس في مدارسها. وفي الأربعينيات التحق بكلية فكتوريا بالاسكندرية بمصر، وأكمل دراسته في كلية بغداد. وفي سنة ١٩٥١ التحق بالجامعة الأميركية في بيروت، حيث التقى بجورج حبش، وأصبح من الأوائل الذين انتظموا إليه، ثم طرد من الجامعة الأميركية في بيروت لنشاطه القومي ليلتحق بعدها بجامعة آدمز في أمريكا، حيث تخرج فيها سنة ١٩٥٦ ليعين في وزارة الخارجية العراقية. ولدى اجتماع الكبار المسؤولين بين الحكومتين العراقية والأردنية أسهم في إنشاء دولة الاتحاد الهاشمي عام ١٩٥٨ كرد على وحدة مصر وسوريا. استطاع باسل أن يدخل سيارته المليئة بالمتفجرات إلى قصر الرحاب، حيث كان يجتمع المتآمرون، ولكن السيارة انفجرت في حديقة القصر، وتعرض باسل للتحقيق. ولكن قيام ثورة ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨ كانت سبباً في نجاته. وعمل تحت أقسى درجات الضغط والكبت السياسي من أجل المشاركة في إصدار النشرة السرية لحركة القوميين العرب **الوحدة** ليمضي بعدها عاماً ونصف عام داخل السجن معتقلاً، ويخرج بعدها ليواصل النضال ويتولى رئاسة تحرير الجريدة الرسمية للحركة **الوحدة** عام ١٩٦٣. وبعد هزيمة حزيران/يونيو عام ١٩٦٧ ناضل باسل في صفوف الثورة الفلسطينية كعضو مكتب سياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، منذ عام ١٩٦٨ حتى ٦ نيسان/أبريل عام ١٩٧٣ حيث اغتالته يد الغدر الصهيونية على أيدي رجال مخابراتها في باريس.

(٥٢) باسل الكبيسي، **حركة القوميين العرب**، ترجمة نادرة الخضيري الكبيسي، ط ٤ (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٥)، ص ٥٧.

وفي ضوء ما تقدم، يبدو أنه كان لصدمة النكبة رد فعل لدى جميع أبناء الشعب العربي بمختلف طبقاته. وقبل أن يشرع المفكرون والكتاب بمسك أقلامهم وتدوين آرائهم، كان غضب الجماهير هو الردّ الوحيد المعبّر عن مرارة النكبة، حيث ولد عن ذلك إعادة نظر أيديولوجية عند بعض المفكرين القوميين نتيجة الضغط الشعبي في أرجاء الوطن العربي لمعالجة الحرج والإحباط واليأس الذي دبّ في وجدان الشعب العربي، وما نتج عن ذلك كله من محاولات تنظيمية لوضع منهج فكري وتعبوي يبلور حركة النهوض القومي من خلال العمل الثوري العربي تجاه الهزيمة الفلسطينية العربية. وكانت محصلة ذلك ولادة تنظيمات ثورية، ومنها حركة القوميين العرب والمنظمات الوحدوية العربية الأخرى.

وحول أثر النكبة في ظهور حركة القوميين العرب يذكر جورج حبش: «في اليوم التالي لسقوط اللد دخلت قوات «إسرائيلية» المستشفى التي كنت أساعد فيه الأطباء في نقل الجرحى وإسعافهم على أمل أن تستمر المعركة طويلاً، وهزني منظر الضباط والجنود «الإسرائيليين»، وانتابني شعور بأنه لو كان معي مسدس لأفرغت الرصاص في رؤوسهم. وأتذكر في المحطة الأخيرة قبل أن نصبح خارج اللد، حيث لم يترك «الإسرائيليون» قطعة ثمينة في يد أو في عنق سيدة أو طفل إلا وسلبوها أمامنا وكأن شيئاً لم يكن»[٥٣]. ويضيف حبش: «لقد شعرت بالإهانة في أحداث ١٩٤٨، فقد أتى «الإسرائيليون» إلى اللد وأجبرونا على المغادرة. إنها صورة لا تغيب عن ذهني، ولا يمكن أن أنساها، حيث هناك ثلاثون ألف شخص يسيرون ويبكون... يصرخون من الرعب... نساء يحملن الرضع على أذرعهن والأطفال يمسكون بأذيالهن... والجنود «الإسرائيليون» يشهرون السلاح في ظهورهن... وبعض الناس سقط على قارعة الطريق وبعضهم لم ينهض ثانية... لقد كان مشهداً فظيعاً»[٥٤].

ومن المعروف أن الدكتور سامي بشارة الجراح الكبير والدكتور جورج حبش كانا يعملان في المستشفى الحكومي في يافا، وانضما إلى زملائهما في اللد للقيام بواجبهما في مستشفى المدينة الصغيرة[٥٥]. ويستخلص الدكتور الكبيسي في ذلك

(٥٣) فؤاد مطر، **حكيم الثورة: قصة حياة الدكتور جورج حبش**، ط ٤ (لندن: منشورات هاي لايت، ١٩٨٤)، ص ١٩ - ٢٠.

(٥٤) المصدر نفسه، ص ٢٠ - ٢١.

(٥٥) إسبير منير، **اللد في عهدي الانتداب والاحتلال**، سلسلة المدن الفلسطينية؛ ٢ (بيروت: مؤسسة الدارسات الفلسطينية، ١٩٩٧)، ص ٦٢.

المردود الانعكاسي لدى الشباب العربي جراء الاحتلال الصهيوني، وهزيمة الجيوش العربية على الشباب، مما حفزهم على الدفاع عن وطنهم بقوة وحماسة. وقد أكد في هذا الصدد كل من هاني الهندي وجهاد الضاحي هذه الحماسة والاندفاع، وهما من القادة المؤسسين لـ«الكتائب»[٥٦]. والكتائب هي كتائب الفداء العربي، تشكلت في اجتماع توحيدي انعقد في بيروت (آذار/مارس ١٩٤٩) من اتحاد ثلاث مجموعات (قومية - فدائية - شابة)، هي مجموعة بيروت التي قادها كل من جورج حبش وهاني الهندي، وكانت تضم عدداً من النشطاء القوميين في جمعية العروة الوثقى في الجامعة الأميركية في بيروت، والمجموعة السورية ومعظم أعضائها من طلاب الجامعة السورية. ويعد جهاد الضاحي من أبرز شخصيات تلك المجموعة.

أما المجموعة الثالثة فكانت المجموعة المصرية التي قادها الفدائيان المصريان المحترفان حسين توفيق ابن وكيل وزارة الدفاع المصرية يومذاك، وعبد القادر عامر حفيد أحمد عرابي، فضلاً عن عدد من الشبان الفلسطينيين والعراقيين والسوريين. وقد هدفت الكتائب إلى وضع الخطط لتدمير المؤسسات ولقتل الزعماء والمسؤولين عن ضياع فلسطين عام ١٩٤٨، فقامت بنسف المعبد اليهودي في دمشق، ونسف مدرسة الأليانس (Alliance) في بيروت... وإلقاء القنابل على عدد من موظفي الولايات المتحدة وبريطانيا، ومحاولة اغتيال أديب الشيشكلي، ولكن فشل المحاولة أدى إلى كشف المنظمة السرية وضربها. أما موقف المنظمة من الانضمام إلى حزب البعث، قد اقترح جورج حبش على ميشيل عفلق أن تكون المنظمة ذراعاً عسكرياً للحزب، غير أن عفلق لم يقبل التعامل مع الكتائبيين كمنظمة، بل كأفراد مثل عفيف بهنسي ومطاع صفدي. وقد أكد ذلك ناجي الضللي بأن الاجتماع مع عفلق قد تم في بيته في بيروت، وحضره كل من جورج حبش، وهاني الهندي، ومحسن قطان، وموسى حمدان، وعلي منكو، وعبد الغني النابلسي، وبرهان حماد، وناجي وآخرون، حيث أكدوا الأثر العميق لنكبة فلسطين في سلوكهم وطريقه تفكيرهم. وكانت النكبة بالنسبة إليهم ولبقية أعضاء تلك المنظمة نقطة تحول في حياتهم، ولم يعد بمقدورهم أن يسلكوا حياة طبيعية كبقية البشر، إذ تملكتهم فكرة الانتقام[٥٧]. أما فيصل جلول، فيرى في قراءته الجديدة عن علاقة النكبة في ظهور حركة القوميين العرب، فيقول: «نشأت حركة القوميين العرب كمحصلة لتجارب قادها المؤسسون

(٥٦) الكبيسي، **حركة القوميين العرب**، ص ٦٠.

(٥٧) محمد جمال باروت، **حركة القوميين العرب: النشأة - التطور - المصائر** (دمشق: المركز العربي للدراسات الاستراتيجية والعسكرية، ١٩٩٧)، ص ٤٧ و٥١.

في عدة تنظيمات أو جمعيات ذات اتجاه قومي تحرري، وإن الجامعة الأميركية وأجواءها كانت الميدان الذي تحرك فيه قادة الحركة، وكانت نكبة فلسطين تشكل العنصر الحاسم والفاعل في ولادة الحركة»[٥٨].

أما الأستاذ هاني الهندي، أحد القادة المؤسسين لحركة القوميين العرب، فيقول: «في تلك الأيام والأسابيع وبعد المشاركة في التظاهرات والاعتصامات والاضرابات عن الطعام لدفع الحكام العرب إلى نجدة عرب فلسطين بإدخال الجيوش العربية لحماية شعبنا وأراضينا، ولكن جاءت محزنة... وتطلع الشباب حينذاك إلى الأحزاب والمنظمات السياسية والشخصيات القومية والوطنية بعد أن تمت تجربة كل وسائل النضال وأساليبه دون جدوى. فإذا بهؤلاء القادة يعيشون في عالم آخر، فقد أظهر هؤلاء جهلاً مخزياً بحقيقة المشروع الاستعماري الاستيطاني الصهيوني وأهدافه الحقيقية، كما تكشف العجز المحزن في نظرة معارضي الأنظمة الحاكمة وقلة وعيهم بأخطار تلك الغزوة التي لا تستهدف فلسطين وحدها، بل إن الغزاة الصهاينة القادمين من أوروبا خاصة يتطلعون للسيطرة على بلدان المشرق العربي بإلحاق الهزيمة العسكرية بتلك الأنظمة... ولم نكن وحدنا الذين عشنا تلك المرحلة، بل كان الكثيرون من خارج أوساط الجامعة قد اتخذوا قرارهم بأن يتم اقتلاع الفساد من عواصم العرب. ففي خنادق الوحدات المصرية المحاصرة في الفالوجا، قرر جمال عبد الناصر أن هناك طريقاً وحيداً للنضال الجاد، فبدأ بتنظيم جهازه الثوري السري. وفي نابلس وطولكرم التف الضباط العراقيون الناقمون على قياداتهم العسكرية حول الشهيد رفعت الحاج سري، ليبدأ العمل والنضال إزاء تلك المحن. فتجمع عدد من أولئك الطلاب في الجامعة الأميركية وقرروا العمل والتنظيم، واعتقدوا أن العنف المنظم هو السبيل للبدء بالمقاومة الفعالة لأخطار الصهيونية»[٥٩].

وفي ضوء ما تقدم، فإن إجمال ما يمكن قوله في أن نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ بقدر ما كانت كارثة على الشعب العربي عامة، والفلسطيني خاصة، فإنها في الوقت نفسه كانت دافعاً له للصمود والتحدي وتعميق الوعي القومي، وانطلاق الطاقات النضالية. وإن تلك النكبة التي وإن أدت إلى خسارة القسم الأكبر من فلسطين، إلا أنها قادت إلى حالة من الوعي الشعبي والقومي، حيث شكلت بحق قاعدة لمعظم

(٥٨) فيصل جلول، «حركة القوميين العرب: قراءة جديدة لتجربة في ذمة التاريخ،» **الفكر العربي**، السنة ٤، العدد ٢٨ (تموز/يوليو ـ أيلول/سبتمبر ١٩٨٢)، ص ١٨٠.

(٥٩) في جواب بتاريخ ٢٠ شباط/فبراير ٢٠٠١، لرسالة كان قد بعثها الباحث إلى الأستاذ هاني الهندي.

التحولات والانتصارات التي شهدتها أمتنا العربية في الخمسينيات. ففي ظل الأوضاع وعجز السلطات الحاكمة عن حل مشاكل الجماهير، أو إدراك المتغيرات الدولية التي حدثت في أعقاب الحرب العالمية الثانية، فقد حمل المثقفون وبرغبة عارمة الفكر الجديد... وبشروا به.. وشكلوا التنظيمات لقيادة الجماهير لينتزعوا التحرير والتحرر، ومحو كل الآلام، حيث أثرى الفكر العربي والمكتوي بنار محنة ١٩٤٨ لهذا المنهل الجديد من الأحزاب والمنظمات التي أدركت أن المخطط الذي بدأ باغتصاب فلسطين جاء ليزيد بؤر التوتر في أطراف الوطن العربي، بهدف تطويق مسيرة النهضة القومية، وضرب مرتكزاتها الفكرية، ومحاصرة أداتها النضالية، لتيئيس الشعب العربي ودفعه إلى تقبل ما يطرح على الساحة العربية من مشاريع مشبوهة ومهينة. وفي ظل هذه الأجواء المحمومة، كان الردّ من تلك الأحزاب والمنظمات أبلغ وأقوى من تحدي تلك التصورات المقيتة. وفي خضم تلك الأحداث ولدت حركة القوميين العرب.

ثانياً: الجذور التاريخية لنشوء حركة القوميين العرب

عند تناول موضوع حركة القوميين العرب ومراحل قيامها كتنظيم سياسي قائم بذاته، لا بد لنا من تعريف التنظيمات والجمعيات التي ساهم القادة المؤسسون للحركة في نشاطاتهم خلالها، فضلاً عن معرفة هوية هؤلاء القادة، وهم: جورج حبش، وهاني الهندي، وجهاد الضاحي، لأن نشأة الحركة ونموها تعد محصلة تجارب هؤلاء المؤسسين، حيث إن تاريخ أي حركة يرتبط عضوياً برجال تلك الحركة. وفي بهذا الصدد يذكر الدكتور عبد الله سلوم السامرائي: ما يلي «لا حركة دون أن يكون هناك فرد أو جماعة أفراد وراء ظهورها. وهذه المقولة تصح على الحركات كافة، الدينية منها والسياسية والاقتصادية والاجتماعية»[٦٠].

وعلى الرغم من أن نكبة فلسطين هي العامل الأهم من عوامل نشوء الحركة، إلا أنه يمكن أن تعزى نشأة الحركة إلى الظروف التي تحكمت بعدد من المنظمات والأشخاص الذين أدوا دوراً مميزاً في الحياة الفكرية والسياسية، والذين أصبحوا في ما بعد نواة الحركة ومؤسسيها وقادتها. ومن أبرز تلك المنظمات: كتائب الفداء العربي، وجمعية العروة الوثقى[٦١] ويبدو لنا أن هذه النواة أو هؤلاء المؤسسين

(٦٠) عبد الله سلوم السامرائي، «حركة القوميين العرب ودورها في الوعي القومي،» **المستقبل العربي**، السنة ٨، العدد ٨٤ (شباط/فبراير ١٩٨٦)، ص ٧٧.

(٦١) سهير سلطي التلّ، **حركة القوميين العرب وانعطافاتها الفكرية**، سلسلة الثقافة القومية؛ ٣١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٦)، ص ٢٨.

للحركة كانوا يتشبثون في جهادهم لبناء أسس حياتهم السياسية من جديد، بعد قرون من سبات مدمر، من أجل انطلاق حركة القومية العربية، بوصفها حاملة لواء آمالهم وتطلعاتهم، إلى نظام جديد، وهم يكافحون بضراوة في سبيل ذلك النظام.

لقد كانت كتائب الفداء العربي وليدة نكبة فلسطين عام ١٩٤٨، وإن لم تظهر كمنظمة قتالية إلا بعد المحاولة الفاشلة لاغتيال أديب الشيشكلي في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٥٠. وكانت هذه المنظمة نموذجاً للعنف الذي مارسته، ففي الثلاثينيات والأربعينيات شهدت هذه المنظمة بروز اتجاهات ومنظمات قومية كانت تتطلع بإعجاب إلى النموذج الفاشي الأوروبي، وحاولت أن تستلهم منه برنامجاً ثورياً قوياً يعيد إلى الأمة العربية مجدها ومكانها في التاريخ[٦٢]. ولذا، فإن تأثير هذه المنظمة كان واضحاً في حركة القوميين، وخاصة خلال السنوات الأولى من بداياتها[٦٣]، حيث كانت كتائب الفداء العربي تحمل في مخيلتها فكرة الانتقام، ويغذيها دافع الكراهية الشديدة للصهيونية واليهود، فضلاً عن خليط غريب من الأفكار التي تقدس العنف السياسي ورواده في أوروبا الغربية، أمثال غاريبالدي قائد منظمة «القمصان الحمراء» الإيطالية، وماتزيني، عضو الجمعية الوطنية السرية «كاربوناري»، ومؤسس جمعية «إيطاليا الفتاة»، فاقتبسوا من هؤلاء أساليب المنظمات السرية، فضلاً عن استفادة الكتائب من تجربة سابقة ساهم فيها بعض الأعضاء المصريين الذين كانوا منخرطين في تنظيم هو الآخر متأثر بتلك التنظيمات بزعامة أحمد حسين تحت اسم «مصر الفتاة»[٦٤]. وكما أسلفنا فقد تشكلت كتائب الفداء العربي في اجتماع توحيدي انعقد في بيروت (آذار/ مارس ١٩٤٩) من اتحاد ثلاث مجموعات قومية فدائية شابة، هي: مجموعة بيروت التي قادها كل من جورج حبش وهاني الهندي، والمجموعة السورية التي كان يقودها جهاد ضاحي، الطالب الحقوقي في الجامعة السورية بدمشق، وكذلك المجموعة المصرية التي قادها المصريان المحترفان حسين توفيق، وعبد القادر عامر[٦٥]. وكان مناخ الجامعة الأميركية الفكري والسياسي المعبأ ضد الشيوعية والمبشر بالنظريات القومية اليمينية والرأسمالية المنبع الذي نهل منه

(٦٢) محسن ابراهيم، **لماذا...؟ منظمة الاشتراكيين اللبنانيين، حركة القوميين العرب من الفاشية إلى الناصرية: «تحليل ونقد»** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٠)، ص ١٦.

(٦٣) الكبيسي، **حركة القوميين العرب**، ص ٤١.

(٦٤) معن زيادة، «تقييم تجربة حركة القوميين العرب في مرحلتها الأولى،» ورقة قدمت إلى: **القومية العربية في الفكر والممارسة: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية**، ط ٣ (بيروت: المركز، ١٩٨٤)، ص ٣٣٥ - ٣٣٦.

(٦٥) باروت، **حركة القوميين العرب: النشأة ـ التطور ـ المصائر**، ص ٣٠.

مؤسسو الحركة أفكارهم وصاغوا من خلاله نظرياتهم السياسية الأولى[٦٦]، إلا أن هاني الهندي أحد القادة المؤسسين للحركة، يستنكر النعوت والأوصاف التي أطلقها البعض على الحركة وإلصاق صفة الفاشية بها، وذلك في رسالة للباحث يذكر فيها: «إن القياس والمقارنة والحكم السليم يجب أن يتم في ضوء الأحداث في زمانها وظروفها السياسية والاجتماعية، لا بعد وقوعها بسنوات وعقود، حيث تتغير المعطيات والأوضاع المكونة لتلك الأحداث والوقائع. فكلنا يذكر مظاهرات الطلاب في مصر، وأحداث مجزرة كوبري عباس أيام اسماعيل صدقي باشا، ومظاهرات طلاب دمشق وبيروت وبغداد من أجل إسقاط قرار تقسيم فلسطين، ففي تلك الأيام صادف وجود عدد من الشباب ذوي الحس القومي الوافدين من أكثر من قطر عربي، فتلاقى هؤلاء على مقاعد الدراسة في الجامعة الأميركية في بيروت، معايشين تلك الأيام الصاخبة ومعاصرين أسابيع النكبة وأيامها، حيث كانت أنباء تساقط المدن والقرى الفلسطينية تطغى على كل شيء، وكانت مناظر الآلاف وعشرات الآلاف من اللاجئين الهاربين من حيفا وعكا تلفظهم القوارب على شواطئ صور وصيدا وبيروت، وقرى حدود لبنان الجنوبي تستقبل أولئك البؤساء من صفد وطبريا... أمام ذلك التهافت المخيف والانهيار المدمر وتزايد الصراع بين الأنظمة الحاكمة، وانحياز بعض الحكام إما إلى بريطانيا، أو إلى الولايات المتحدة، وأمام تدفق مئات الآلاف من أبناء شعبنا مطرودين من ديارهم ليلتجئوا إلى الأردن وسوريا ولبنان، بعد أن شهد هؤلاء مذابح حيفا ويافا وطبريا ودير ياسين التي نفذتها عصابات الهاغانا والإرغون وشتيرن... وأمام تلك الأحداث تجمع عدد من أولئك الطلاب في الجامعة الأميركية وقرروا العمل والتنظيم، واعتقدوا أن «العنف المنظم» هو السبيل الملائم للبدء بالمقاومة الفعالة لأخطار الصهيونية والمشاريع الاستعمارية»[٦٧].

ونعود إلى منظمة الكتائب، حيث دعت إلى وحدة سوريا والعراق والأردن دون النظر إلى طبيعة النظام السياسي (ملكي أم جمهوري)، وتفككت هذه المنظمة بعد محاولة اغتيال نائب رئيس أركان الجيش السوري أديب الشيشكلي على طريق دمر - دمشق، وطرح مسألة اغتيال أكرم الحوراني لمعارضة وحدة سوريا والعراق[٦٨]، وانطلقت أجهزة الأمن العسكري تبحث وتفتش عن المعتدين، واعتقل أحمد الشيباني،

(٦٦) ابراهيم، **لماذا...؟ منظمة الاشتراكيين اللبنانيين، حركة القوميين العرب من الفاشية إلى الناصرية: «تحليل ونقد»**، ص ١٧.

(٦٧) انظر رسالة هاني الهندي التي بعثها إلى الباحث بتاريخ ٢٠/ ١٢/ ٢٠٠١.

(٦٨) **نايف حواتمة يتحدث**، إعداد وحوار عماد نداف (بيروت: دار المناهل؛ دمشق: دار الكتاب، [د.ت.])، ص ٣٧.

وكيل الشيخ فواز الشعلان، من زعماء القبائل العربية الكبيرة، ويرتبط بصلة مصاهرة مع الملك عبد العزيز بن سعود. وكان هذا مؤشراً على أن السلطة كان لديها شك بعلاقة السعودية بمحاولة الاغتيال. وتم اعتقال عبد القادر عامر، وتعرض لتعذيب شديد، لكنه صمد وقاوم، ثم اعتقل حسين توفيق، وبعد التعذيب انهار واعترف بكل شيء يتعلق بالمنظمة، وليس عن عملية اغتيال العقيد الشيشكلي فقط. وتم اعتقال كل عناصر التنظيم في سوريا، كما دوهمت أماكن تخزين السلاح. واعتقل الدكتور أمين رويحة، وأحمد الشرباتي، ونشأت شيخ الأرض، حيث تلاشت هذه المنظمة في ١٢ تشرين الأول/ أكتوبر عام ١٩٥٠[٦٩].

وفي ١٣ تشرين الثاني/ نوفمبر عام ١٩٥٠ أصدر الرئيس (النقيب) مظهر وصفي، قاضي التحقيق العسكري، قرار الاتهام ضد عناصر منظمة كتائب الفداء العربي، وقد نشرت الصحف المحلية والعربية قرار الاتهام وتناقلته وكالات الأنباء والإذاعات. وكان لنشر القرار صدىً كبير في الأوساط العربية، لأنه أشار بإصبع الاتهام إلى دولة عربية وهي السعودية. وكان نشأت شيخ الأرض وكيل السعودية (التجاري) قد قدم تفاصيل عن الأموال التي سلمها إلى الدكتور أمين رويحة، وأورد تفاصيل عن دعم الصحف السورية والشخصيات السياسية بالمال السعودي لتندد بحزب الشعب، ومشروع الاتحاد السوري ـ العراقي الذي كان يرعاه النظام الملكي في بغداد[٧٠].

وعدت محاولة اغتيال الشيشكلي القشة التي قصمت ظهر البعير، فانقسمت كتائب الفداء العربي عملياً، ووصلت حدة الانقسام فيها إلى درجة تخوّف كل طرف من تصفية الطرف الآخر. ووفق ما يتم عادة في أعراف حسم الخلافات في مثل هذه التنظيمات، وفي ظل هذا المناخ المتوتر من الشك والحذر والانهيار التام للثقة، لم يعد ممكناً أن تعمل الكتائب كمنظمة موحدة، خاصة بعد اعتراف حسين توفيق، قائد العملية، بكل الأسماء التي يعرفها عن الكتائب[٧١]. وكان بينهم أربعة متهمين من أعضاء القيادة الخماسية لحركة القوميين العرب.

(٦٩) هاني الهندي وعبد الإله النصراوي، محرران، **حركة القوميين العرب: نشأتها وتطورها عبر وثائقها ١٩٥١ ـ ١٩٦٨: الكتاب الأول، ١٩٥١ ـ ١٩٦١**، ٣ ج (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ٢٠٠١ ـ ٢٠٠٣)، ج ١، ص ٧٠.

(٧٠) المصدر نفسه، ص ٧٠.

(٧١) قدم المتهمون إلى المحكمة العسكرية في دمشق، وكان رئيسها إسماعيل قولي، ومعه عضوان عسكريان هما المقدمان حسن غنام ورشاد نظمي، والنائب العام المقدم محمد الرافعي، ولكن الأخير أبعد عن هذه المحاكمة بعد الجلسة الأولى، إذ لم يكن في مستوى مواجهة الدفاع الذي وصل عددهم إلى نحو خمسين=

وهكذا انتهت هذه المرحلة من العمل بالنسبة إلى القادة النواة المؤسسين لحركة القوميين العرب في ما بعد، وهم: حبش، وضاحي، والهندي[٧٢].

إلا أن أدبيات الحركة ووثائقها لا تشير من قريب أو بعيد إلى علاقاتها بكتائب الفداء العربي، إلا أن محسن إبراهيم أماط اللثام عن هذه العلاقة[٧٣]، وأكد ذلك باسل الكبيسي[٧٤]، إذ بعد انتهاء دور منظمة كتائب الفداء العربي انصرف جورج حبش ورفاقه إلى بناء منظمة جديدة سميت في ما بعد بحركة القوميين العرب. وقد

= محامياً، كان معظمهم من سوريا، فضلاً عن عدد من المحامين اللامعين من لبنان ومصر. كما تطوع المحامي علي محمود الشيخ علي من العراق للدفاع عن المتهمين. وكان الأخير وزيراً للعدل في حكومة رشيد عالي الكيلاني خلال الحرب العراقية ـ البريطانية في ربيع ١٩٤١. ومن ناحية ثانية، فقد كان هناك أربعة محامين تولوا الادعاء الشخصي نيابة عن الضباط الذين كانوا مع الشيشكلي في السيارة عند وقوع الحادث. وكان خليل كلاس هو العضو البارز في هيئة الادعاء الشخصي، وكلهم من أنصار الحوراني، وفي الجلسة الثانية تولى عبد الوهاب الأزرق دور النائب العام. أما المتهمون، فقد بلغ عددهم ١٤ متهماً، وقد أفرج قاضي التحقيق عن كل من لم يشترك بعمليات العنف. وكان نادي الضباط بدمشق مكان المحاكمة التي بدأت في ٢٠/ ١٢/ ١٩٥٠ واستمرت نحو ثلاثة أشهر. ومن اللافت للنظر أن الطبيب أمين رويحة انقطع عن الحضور بعد عدة جلسات لسوء وضعه الصحي ونقله إلى مستشفى العظمة العسكري. وكان غياب رويحة المتهم الرئيسي في محاولة اغتيال الشيشكلي مؤشراً مهماً على أن العقيد الشيشكلي توصل إلى اتفاق مع المملكة السعودية. وقد حقق نجاحاً مهماً بعد أن نجا من الموت. وفي ٢١/ ١٢/ ١٩٥٠ ألقى النائب العام عبد الوهاب الأزرق مطالعته الطويلة طالباً حكم الإعدام على المتهمين الأربعة الذين قاموا بالاعتداء على سيارة العقيد الشيشكلي. وهؤلاء المتهمون هم حسين توفيق وعبد القادر عامر من مصر، وزهير اليوسف من فلسطين، وعباس الخرسان من العراق. وفي ١١/ ٣/ ١٩٥١ أصدرت المحكمة العسكرية حكم الإعدام على حسين توفيق وزملائه الثلاثة، وحكمت بالسجن لمدة سبع سنوات على المتهمين الهندي وجهاد الضاحي، وبالسجن لمدة خمس سنوات على المتهم نشأت شيخ الأرض لقيامه بتمويل عملية الاعتداء. وفي ١٥/ ٥/ ١٩٥١ دُعي المتهمون إلى المحكمة العسكرية، حيث قرأ رئيسها اسماعيل قولي قرار محكمة التمييز، وملخصه تثبيت حكم الإعدام على المتهمين الثلاثة الأولين. أما بالنسبة إلى المتهم الخرسان، فقد خفض الحكم إلى خمس عشرة سنة، في حين أصدرت محكمة التمييز عفواً عن المتهمين الآخرين من جميع التهم المنسوبة إليهم لعدم كفاية الأدلة ضدهم. لقد أصدرت محكمة التمييز العسكرية قرارها بتبرئة المتهمين بعد التسوية السياسية التي تمت بين حكام السعودية وأديب الشيكشلي، إذ تركز اهتمام الرياض على طي القصة بالكامل، وخاصة بالنسبة إلى أمين رويحة الذي كان وراء عملية اغتيال العقيد الشيشكلي. أما مصير المتهمين الأربعة، فقد نجح الخرسان بأن يهرب من السجن في عام ١٩٥٣ بمساعدة شقيقته الطبيبة فاطمة الخرسان، وبقي الثلاثة في سجن دمشق المدني حتى صيف ١٩٥٧، حيث أفرج عنهم بعد وساطة المشير عبد الحكيم عامر، قائد الجيش المصري ونائب رئيس الجمهورية المصرية، لدى قيادة الجيش السوري، حيث صدر عفو بحق المتهمين الثلاثة. فعاد الشابان المصريان إلى بلدهما، وسافر زهير اليوسف إلى الكويت للعمل هناك.

(٧٢) الهندي والنصراوي، محرران، المصدر نفسه، ص ٧٠ ـ ٧٣.

(٧٣) ابراهيم، **لماذا. . .؟ منظمة الاشتراكيين اللبنانيين، حركة القوميين العرب من الفاشية إلى الناصرية: «تحليل ونقد»**، ص ١٦.

(٧٤) الكبيسي، **حركة القوميين العرب**، ص ٤١.

تركزت النشاطات الأولى للقوميين العرب في جمعية «العروة الوثقى»[٧٥]، وفي الجامعة الأميركية في بيروت، حيث أصبح حبش وهاني الهندي أعضاء في أسرة تحرير مجلة الجمعية[٧٦].

وفي أوائل الثلاثينيات، أنشئت جمعية العروة الوثقى في المجالات الأدبية، إلا أنها سرعان ما تحولت إلى جمعية سياسية، حيث واكبت المد السياسي القومي الذي نشأ بعد ضياع فلسطين، وعلى أثر ارتفاع حدة المطالبة العربية بالاستقلال والتحرر من نير الاستعمار، الأمر الذي أدى بطبيعة الحال إلى طغيان السياسة على الأدب في نشاطات هذه الجمعية التي كانت تضم عدداً كبيراً من طلاب وأساتذة الجامعة الأميركية في بيروت. وكان الدكتور قسطنطين زريق[٧٧] من أشهر منظّريها، فضلاً عن آخرين من أمثال محمد فاضل الجمالي وإسماعيل الأزهري. وكانت هذه الجمعية تعارض الاشتراكية، وتدعو إلى الوحدة العربية وإلى مصالحة الغرب، وكان منظرو

(٧٥) زيادة، «تقييم تجربة حركة القوميين العرب في مرحلتها الأولى،» ص ٣٢٧.

(٧٦) تأسست جمعية «العروة الوثقى» بين صفوف الطلبة العرب في الجامعة الأميركية في بيروت عام ١٩١٨، ويبدو أنها اقتبست التسمية من مجلة بهذه التسمية، وكانت مناراً لدعوة الإصلاح في نهاية القرن التاسع عشر، وكان يصدرها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومجموعة المتنورين المتحلقين حولهم في القاهرة. وشغل إبراهيم دادا منصب أول رئيس لجمعية «العروة الوثقى» عام ١٩١٨. وتبنت الجمعية الدعوة القومية في كل مراحل تطور الفكر القومي، وغلب الطابع القومي المجرد الذي استند إلى كتابات الرواد الأوائل في المسألة القومية الذين عملوا في حقل التدريس في الجامعة الأميركية أمثال: قسطنطين زريق، نبيه فارس، نقولا زيادة، ادوار عطية، ألبرت حوراني، ومنح الصلح وغيرهم. وقد توقفت الجمعية عن ممارسة دورها وإصدار مجلتها خلال سنوات (١٩٤١ ـ ١٩٤٦) بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية وتأثر لبنان بمجرياتها، إذ استأنفت نشاطها من جديد في أواخر عام ١٩٤٦ لتقوم بدورها القومي وسط مخاض فكري كبير وتحديات مصيرية بالغة الدقة.

(٧٧) قسطنطين زريق: من مواليد مدينة دمشق سنة ١٩٠٩، حصل على شهادة البكالوريوس من الجامعة الأميركية في بيروت سنة ١٩٢٨. وحصل على شهادة الماجستير من جامعة شيكاغو سنة ١٩٢٩، وفي السنة الثانية حصل على شهادة الدكتوراه في الأدب واللغات الشرقية من جامعة برنستن. وقد عاد بعد تخرجه إلى الجامعة الأميركية أستاذاً للتاريخ العربي لمدة خمسة عشر عاماً، ثم شغل منصب مستشار للسفارة السورية في واشنطن سنة ١٩٤٥، وفي سنة ١٩٤٧ عين وزيراً مفوضاً لسوريا في الولايات المتحدة، واشترك عضواً بارزاً لدى هيئة الأمم المتحدة، ثم عاد إلى الجامعة الأميركية نائباً لرئيسها. وفي سنة ١٩٤٩ عين بمنصب رئيس الجامعة السورية، ثم عاد بعدها إلى الجامعة الأميركية. ومن مؤلفاته: **معنى الوعي القومي: نظرات في الحياة القومية المتفتحة في الوطن العربي** و**معنى النكبة** و**نحن والتاريخ**. للمزيد من التفاصيل انظر: حازم زكي نسيبة، **القومية العربية: فكرتها، نشأتها، تطورها**، ترجمة عبد اللطيف شرارة؛ مراجعة برهان دجاني؛ تقديم قسطنطين زريق، ط ٢ (بيروت: المكتبة الأهلية، ١٩٦٢)، ص ٣٨ ـ ٤٢. وقد نشر مركز دراسات الوحدة العربية مؤلفاته كاملة في أربعة مجلدات، انظر: **الأعمال الفكرية العامة للدكتور قسطنطين زريق**، ٤ مج (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٤).

الجمعية يعدون أمريكا رائدة الديمقراطية والحرية في العالم[٧٨].

وكانت للعروة الوثقى رسالة قومية تقوم على بعض الأمور الأساسية التي تؤمن بها، وهي الروح الوطنية في العمل المخلص لتحقيق أهداف القومية العربية، والأساس الأول الإيمان بالقومية العربية، وهو الإيمان الذي يفيد بأن العرب في أفكارهم المختلفة مستوفون للشروط التي تجعل منهم أمة واحدة، وما الفروق في مستوى المعيشة والتعليم والرقي إلا أمور عرضية تزول بإتمام الوحدة، كما أن القومية الصحيحة لا ترتكز على العنصر (الدم)، وأن العرب أمة واحدة، تكونت تكوناً واحداً في تاريخها الذي تدعمه لغة واحدة وأدب واحد، ولأبنائها آمال واحدة يصبون إليها. أما بلاد العرب، فهي بقعة من الأرض تضم الجزيرة العربية والهلال الخصيب ووادي النيل وشمال أفريقيا[٧٩].

تألفت النواة القيادية المؤسسية للحركة[٨٠] من ثمانية طلاب قوميين على أهبة التخرج في الجامعة الأميركية في بيروت، وكانوا جميعاً من نشطاء جمعية العروة الوثقى وقادتها. وكان للشباب القومي علاقات وثيقة جداً مع القيادات الطلابية اللبنانية، مثل علياء رياض الصلح وشقيقتها، ومع شخصيات سياسية وإعلامية عربية، مثل تقي الدين الصلح، ومحمد شقير، وعلي ناصر الدين، وعفيف الطيبي وشقيقه وفيق الطيبي وغيرهم. وبعد التظاهرة الكبيرة في ٢٢ تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٥١، تأييداً لحكومة الوفد بإلغاء المعاهدة البريطانية، اندمجت منظمة العروبة بالحلقة الثقافية بكل حلقاتها وعناصرها، وتشكلت من مجموعتين: نواة صلبة تحت إشراف هيئة موحدة تنشط باسم الشباب القومي العربي، والتي عرفت في ما بعد «باسم حركة القوميين العرب». وكان جورج حبش مسؤولاً ومعه زملاؤه كقيادة للتنظيم الموحد في الحلقة الثقافية، وهم أحمد الخطيب، ووديع حداد، وصالح شبل، وحامد الجبوري، وهاني الهندي[٨١].

(٧٨) جلول، «حركة القوميين العرب: قراءة جديدة لتجربة في ذمة التاريخ،» ص ١٨٢.

(٧٩) **العروة** (كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٢)، ص ٦٦.

(٨٠) كانت النواة المؤسسة المعلن عنها تضم ستة أعضاء من أصل ثمانية، وهم جورج حبش، وهو فلسطيني من اللد وابن تاجر متوسط للمواد التموينية، وأحمد الخطيب، وهو كويتي من عائلة متوسطة، ووديع حداد، وهو فلسطيني من صفد وابن مدرس للغة العربية، وهاني الهندي، وهو سوري وابن ضابط كبير عمل في الجيش العراقي سابقاً ثم في الجيش السوري، وصالح شبل، وهو فلسطيني من عكا وابن أحد تجارها المتوسطين، وحامد الجبوري، وهو عراقي من الحلة وابن أحد شيوخ عشيرة الجبور في الفرات الأوسط. وكان الثلاثة الأوائل يدرسون في كلية الطب في الجامعة الأميركية، في حين كان يدرس الثلاثة الآخرون في كلية الاقتصاد والعلوم السياسية في الجامعة نفسها.

وقد تم تأسيس النواة القيادية لحركة القوميين العرب خلال اجتماع في مقهى «محيو» في محلة الروشة في بيروت. وفي هذا الاجتماع نوقشت مسألة بقاء قياديي الحركة في بيروت أو عدمه بعد التخرج، على أنه لا يجوز أن يتصرف أي عضو في أية مسألة تخص الأحوال الشخصية دون حصوله على قرار جماعي، وإذا أراد العضو الزواج أو السفر أو العمل في قطاع ما، عليه أن يأخذ موافقة الجميع[٨٢].

وانصرف جورج حبش كلياً نحو بناء منظمة للنضال الجماهيري، وقد أصبحت الجامعة الأميركية مرة ثانية مجالاً رحباً لنشاطه بحكم كونه معروفاً ومحترماً بسبب الأعمال التي قام بها سابقاً، فضلاً عن وجود عدد من الأصدقاء القدامى الذين يثق بهم ويعتمد عليهم. ولم تمض سوى أسابيع قلائل على بدء عمله حتى نجح بإجراء الاتصالات اللازمة لتمكينه من الدخول في معركة حامية الوطيس لغرض انتخاب اللجنة التنفيذية لجمعية العروة الوثقى. ونجح جورج حبش ومجموعة من القوميين العرب في الفوز على كل من الشيوعيين والقوميين السوريين. ومنذ ذلك الحين أصبح جورج حبش معروفاً بعزمه على بناء منظمة سياسية فعالة مستقلة عن جمعية العروة الوثقى، فكان ظهور «شباب الثأر»، ومن هؤلاء كان بروز الشباب القومي العربي، ومن خلال نشرة **الثأر**، انطلقت الدعوة إلى شعارات الوحدة والتحرر والثأر، ومن مجموع هذه العناصر كلها قامت حركة القوميين العرب[٨٣]. وكانت هيئة مقاومة الصلح مع «إسرائيل» التي تشكلت عام ١٩٥٢ واجهة الحركة، والتي ركزت اهتمامها بالدرجة الأولى على الفلسطينيين، فوصل نجاحهم بعد تشكيلها إلى تطبيق الأهداف المعلنة من اسمها كحشد كافة القوى ضد أي حل سلمي مع الكيان الصهيوني. وقد أصبح تشكيلها ضرورياً في ضوء المحاولات التي قامت بها في ذلك الحين كل من وكالة الغوث التابعة للأمم المتحدة والإدارة الأمريكية لتوطين اللاجئين الفلسطينيين في الأقطار العربية المجاورة[٨٤]، مما دفع بقادة حركة القوميين العرب إلى عقد حلقات دراسية حاضر خلالها الدكتور قسطنطين زريق الذي أصبح المرشد للجنة التنفيذية لجمعية العروة الوثقى، كما أنهم تأثروا بآراء الأستاذ

(٨١) الهندي والنصراوي، محرران، **حركة القوميين العرب: نشأتها وتطورها عبر وثائقها، ١٩٥١ - ١٩٦٨: الكتاب الأول، ١٩٥١ - ١٩٦١**، ص ٨٩ - ٩٠.

(٨٢) مطر، **حكيم الثورة: قصة حياة الدكتور جورج حبش**، ص ٤٠.

(٨٣) السامرائي، «حركة القوميين العرب ودورها في الوعي القومي،» ص ١٦٩.

(٨٤) عبد الرزاق الحسني، **تاريخ الوزارات العراقية**، ١٥ ج، ط ٣ المزيدة الجديدة المهذبة (صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٦٥ - ١٩٦٩)، ج ١، ص ٢٨.

علي ناصر الدين[٨٥].

وأخذ قادة عصبة العمل القومي الذين كانت لهم علاقة وطيدة بالقوميين العرب يمارسون تأثيراً كبيراً في تطور الحركة السياسي بعد تأسيس منظمة مقاومة الصلح مع «إسرائيل»، فضلاً عن قيام قادة الحركة بإصدار مجلة **الثأر** ورفع شعار «وحدة، تحرر، ثأر»[٨٦].

لقد استقت الحركة مفهوم «الثأر» ومضامينه من علي ناصر الدين، وحين أصدرت أول نشرة تحريضية لها أواخر عام ١٩٥٢ منذ اختارت لها عنوان «الثأر» وجعلته الركن الثالث من شعارها الرمزي «وحدة، تحرر، ثأر» استناداً إلى ما ذكره

(٨٥) ويذكر أن الأستاذ علي ناصر الدين قد هزته هزيمة العرب أمام الكيان الصهيوني والتردي في الواقع العربي، حيث كتب عدة مقالات عن هذه المرحلة، عبّر في إحداها قائلاً: «كنت قد عاهدت نفسي بعد النكبة أن التزم بعدة أمور، منها أن لا أحاضر ولا أخطب ولا أحضر حفلة او اجتماعاً، إلا أن يكون الغرض من هذا كله البحث الجدي في محو العار الذي ألصقه بالعرب فريق من العرب أنفسهم قبل الإنكليز وقبل الأمريكان وقبل اليهود».

ويستطرد الكاتب ناصر الدين في محاضرته بأن العرب أمتي وقومي ومن غير المعقول أن يستمروا في سكوتهم على واقعهم هذا الذي يغلب عليه التهريج والدجل والشعوذة والتضليل والميوعة والشهوات والرضى بالنتيجة، والعيش في الذل، والعار. ثم يتطرق الكاتب إلى الوسائل الكفيلة بمحو العار والشعور بواجب الثأر، ويتحمل هذه المسؤولية الذين نزل بهم العار بالذات، ويقصد العرب، حيث دعا إلى الثأر للعزة والكرامة والشرف، قبل المال والتجارة والطين. ويضيف الكاتب أن هناك أمراً واحداً يبرر بل يحتم الثأر، إنه قانون غير مكتوب على ورق، ولكنه محفور على الجماجم وعلى عظام الصدور!! إنه قانون الشرف القومي، وهذا القانون وحده يرجع الحق إلى نصابه وليلقن شباب العرب وشاباتهم وأولادهم وأطفالهم أيضاً ما كان يلقنه الفرنسيون لأطفالهم بعد الحرب السبعينية بشان الألزاس واللورين. ودعا الكاتب العربي إلى الكف عن الهتاف والتعييط، العاصفة تعصف من دون إنذار! والصاعقة تنقض، فتصفق الجبال كذلك من دون إنذار.

وعلي ناصر الدين من مواليد عام ١٨٩٢ في قرية درزية بجبل لبنان، ونضج وعيه في إطار الجيل القومي الذي ارتبط بالثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦ وطمح من خلالها إلى إقامة دولة قومية في آسيا العربية. التف الجيل الذي انتمى إليه ناصر الدين حول فيصل الأول في سوريا، ثم في العراق فقد كان العراق بالنسبة إلى ناصر الدين بمثابة بروسيا في الوحدة الألمانية، وكان يصف فيصل دوماً بفيصل الكبير. وقد أسس فريقاً من جيله عصبة العمل القومي، وبفضل ناصر الدين استمر اسم العصبة في بيروت حتى أوائل الخمسينيات. وقد تعرض القوميون العرب خلال الحرب العالمية الثانية إلى الملاحقات والاعتقالات التي قام بها الإنكليز والفرنسيون في سوريا والعراق ولبنان والكويت بدعوى نازيتهم، حيث تم اعتقال ناصر الدين ولم يفرج عنه إلا في أوائل عام ١٩٤٣. وللمزيد من التفاصيل، انظر: علي ناصر الدين: **قضية العرب** (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٤٦)، ص ٩، و**هكذا كنا نكتب** (بيروت: مطبعة الاتحاد، ١٩٥٢)، ج ١، ص ٢٨، ٣٤، ٦٩، ٢٠٩ و٢٧٩، وقد تضمن الكتاب عدة موضوعات منها: «حرصاً على فلسطين، وقاحة المبشرين الاستعماريين، المعاهدة العراقية الإنكليزية، الصلح ليس سيد الأحكام، من الشام إلى بغداد، والثأر».

(٨٦) عبد الجبار حسن الجبوري، **الأحزاب والجمعيات السياسية في القطر العراقي...، ١٩٠٨ - ١٩٥٨** (بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٧)، ص ٢١٢ - ٢١٣.

الأعضاء الأوائل في الحركة. إن قيادة الحركة كانت توجههم إلى ضرورة قراءة محاضرة ناصر الدين «الثأر، أو محو العار»، وبلغ من أهمية تأثر الحركة بعلي ناصر الدين أن استدعاه جورج حبش إلى عمان أوائل عام ١٩٥٤ بهدف الاستماع إلى نصائحه وإرشاداته حول سياسة الحركة وتوجهاتها، ولا سيما بشأن مشروع الهلال الخصيب الذي تجدد طرحه بصورة ملحة أوائل عام ١٩٥٤، حيث أدى علي ناصر الدين دوراً أعظم أهمية وتأثيراً من دور قسطنطين زريق[٨٧]. وإذا كان قسطنطين زريق قد لعب دوراً استراتيجياً في التكوين التربوي والأيديولوجي للنواة القيادية المؤسسة حتى أوائل عام ١٩٥١ على الأكثر، فإن علي ناصر الدين قد لعب دور المرشد الروحي التأسيسي للحركة على وجه الدقة والتحديد. وتبين إحدى الدراسات المقارنة أن فكر الحركة السياسي والأيديولوجي في طورها القومي التقليدي هو فكر علي ناصرالدين، والذي كان أكثر تأثيراً من فكر قسطنطين زريق[٨٨].

وعلى أية حال، فقد تمكن جورج حبش وزملاؤه من السيطرة سيطرة تامة على جمعية العروة الوثقى، حيث أصبح حبش رئيساً لها، وكان نائبه أحمد الخطيب في الدورة اللاحقة. وأصبح أحمد الخطيب رئيساً للجمعية، ووديع حداد عضواً في هيئتها الإدارية. وقد أضحت العروة الوثقى مسرحاً رحباً لنشاط القوميين منذ بدايتها الأولى عام ١٩٤٩ وحتى إغلاقها عام ١٩٥٥[٨٩].

وفي عام ١٩٥١ أبلغ جورج حبش اللجنة التنفيذية عن انبثاق منظمة سرية جديدة، وقوبلت الفكرة بالترحيب من لدن الجميع، وهكذا أعلن عن قيام حركة القوميين العرب[٩٠].

وقد حددت حركة القوميين العرب[٩١] أهدافها بالقضاء على التجزئة من خلال تحقيق الوحدة العربية والقضاء على الاستعمار والهيمنة، وذلك بالتحرر والقضاء على

---

(٨٧) باروت، **حركة القوميين العرب: النشأة ـ التطور ـ المصائر**، ص ٥٦ ـ ٥٧.

(٨٨) المصدر نفسه، ص ٥٩.

(٨٩) زيادة، «تقييم تجربة حركة القوميين العرب في مرحلتها الأولى،» ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨.

(٩٠) **القومية العربية في الفكر والممارسة: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية**، ص ٣٢٩.

(٩١) انظر: مطر، **حكيم الثورة: قصة حياة الدكتور جورج حبش**، ص ٤٣، حيث يذكر جورج حبش: أن تسمية الحركة لم تتخذ بقرار وحتى قبل العام ١٩٥٦، وكان اسم «حركة القوميين العرب» يستعمل في معظم النشرات التي تصدرها، وكان ذلك يحدث بالعفوية، ولكن بعد المؤتمر الأول عام ١٩٥٩ قررنا إجراء استفتاء في قواعد الحركة، فأقرت الأغلبية مبدأ استمرار العمل تحت اسم «حركة القوميين العرب». وبعد هذا الاستفتاء انتهى النقاش في مسألة التسمية، إلا أن ما نوه به حبش في ما يخص التسمية يتنافى مع =

«إسرائيل» والثأر منها. ومن هنا جمعت الحركة أهدافها الثلاثة «وحدة، تحرر، ثأر»، إلا أن مقياس الترابط بين هذه الأهداف كان الوحدة العربية، بحيث يدور نضال التحرر والثأر في نطاقها[٩٢]، وهذا لا يعني أن الحركة عدت الوحدة تقدمية دائماً حتى ولو كانت وحدة عروش، فارتفعت في أوساطها وأدبياتها شعارات: الوحدة بأي ثمن، والوحدة أولاً، والوحدة آخراً، والوحدة قبل كل شيء، والوحدة طريق التحرر ومفتاح لكل المعضلات التي يواجهها المجتمع العربي[٩٣]، إذ إن الكيانات المجزأة علة النكبة وسببها الأساس الأول[٩٤].

وهكذا ولدت «حركة القوميين العرب» في حدود الجامعة الأميركية تنظيماً واسعاً وسط أجواء سياسية محمومة إثر نكبة فلسطين، حيث تمثلت تلك الأجواء بالليبرالية من جهة، والشيوعية والإخوان المسلمين من جهة أخرى. وفي هذا الصدد لا يمكن إغفال دور الكتائب التي تشكلت منها «حركة القوميين العرب»، وبعد انتقالها إلى مرحلة العروة الوثقى، حيث تصارعت الأفكار بين طلبة الجامعة الأميركية. فوجد القادة المؤسسون للحركة أنفسهم منجذبين إلى أفكار ساطع الحصري وقسطنطين زريق وعلي ناصر الدين، وفي مواجهة الدعوات القطرية للقوميين السوريين وغيرهم، فانصرفوا إلى البناء التنظيمي للحركة مكتفين بشعارهم «وحدة، تحرر، ثأر». ويبدو أن تبني الحركة لسياسة المراحل كان بدوافع معينة، ولربما كان أهم هذه الدوافع وقوع الحركة تحت تأثير أفكار الحصري وزريق وناصر الدين، وخاصة الأخير الذي تعامل مع مفهوم الوحدة تعاملاً مطلقاً، الأمر الذي شكل عبئاً ثقيلاً على الحركة التي اكتفت بالبناء التنظيمي دون العناية بالبناء الفكري.

ثالثاً: انتشار حركة القوميين العرب في الوطن العربي

= أغلب المصادر بهذا الخصوص، فقد أجمعت غالبية المصادر على أن تسمية حركة القوميين العرب كانت بعد ثورة ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨ في العراق عندما أرسلت القيادة القومية للحركة أحد قادتها، وهو هاني الهندي، فتم اختيار اسم «حركة القوميين العرب» بدلاً من «الشباب القومي العربي» لإزالة الالتباس ما بين منظمة الشباب القومي الحركية، ومنظمة الشباب القومي العربي (الاستقلالية)، باعتبار أن القوميين العرب خط من حزب الاستقلال. ومن هنا جاء الاقتصار الرمزي للقوميين العرب بـ (الحركيين) والذي أول ما استخدم في العراق.

(٩٢) الحكم دروزة وحامد الجبوري، **مع القومية العربية**، ط ٤ (بيروت: دار الفجر الجديدة، ١٩٦٠)، ص ١٦٦.

(٩٣) زيادة، «تقييم تجربة حركة القوميين العرب في مرحلتها الأولى،» ص ٣٣٤.

(٩٤) هاني الهندي ومحسن ابراهيم، **إسرائيل: فكرة... حركة... دولة** (بيروت: دار الفجر الجديدة، ١٩٥٨)، ص ٤.

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وقيام الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨، أصبحت قضية فلسطين المحور الأساس لنضال القوى الوطنية والقومية في الوطن العربي، ليس ضد هذا الكيان وحسب، بل ضد القوى المحلية الحاكمة التي تهاونت في دفاعها عن فلسطين، وضد القوى الخارجية التي تواطأت مع ذلك الكيان ودعمته. وكانت النخبة المؤسسة لحركة القوميين العرب واحدة من هذه القوى التي شعرت بخيبة الأمل لما حدث على ثرى فلسطين وقيام «إسرائيل». وقد دفعت تلك الظروف هذه النخبة إلى اتباع النشاط السياسي، حيث كان في مقدمة تلك الظروف فشل الجامعة العربية في الدفاع عن فلسطين عام ١٩٤٨.

ولم يكن ذلك الفشل مجرد هزيمة عسكرية وسياسية يمكن أن يمنى بها أي تنظيم سياسي أو عسكري في لعبة الحرب التي تحتمل الهزيمة أو الانتصار، وإنما كان شيئاً يختلف عن ذلك اختلافاً جذرياً ونهائياً. فقد اختلف احتلال اليهود لجزء من فلسطين في عام ١٩٤٨ عن احتلال آخر عرفه الوطن العربي، ذلك أن اليهود لم يتركوا المنطقة ليظل فيها أبناؤها، وإنما عدوا أرض فلسطين حكراً لليهود، وعملوا على اقتلاع العرب منها بكل الوسائل المتصورة وغير المتصورة، إرهاباً وقتلاً وطرداً وضغطاً وتشريداً، بحيث لم يبق منهم داخل البلاد إلا أقلية عددية ما لبثت نسبتها أن تضاءلت بسرعة متزايدة بمرور الزمن أمام اليهود النازحين إلى «إسرائيل» بقصد الاستقرار النهائي كمواطنين فيها[٩٥]. وفي ضوء ما تقدم من هذه المقدمة المقتضبة، حاول القادة المؤسسون للحركة إيجاد طريق بديل بعيداً عن السياقات التنظيمية التقليدية للأحزاب والفئات الوطنية العاملة آنذاك.

وليس ثمة شك في أنه سيكون من المفيد أن نشير في هذه المناسبة إلى المناخ السياسي للشرق العربي خلال السنوات التي تلت عام ١٩٤٨، فقد كانت فترة اضطراب وغليان. وفي هذا الصدد يذكر باسل الكبيسي أن الأحزاب في العراق برهنت على عدائها للنظام القديم بمؤازرة اليقظة القومية المتعاظمة بعد الهزيمة. ففي سوريا التي وثب الجيش فيها فأقصى الحكومة المدنية عام ١٩٤٩، كان يُترقب انقلاب عسكري جديد. وفي مصر كان الكفاح الوطني ضد الإنكليز يتصاعد في طريقه إلى الذروة لإجلاء جيش الاحتلال البريطاني عن الأرض المصرية. وفي الأردن كان الفلسطينيون متذمرين من سطوة البيروقراطية الحاكمة في ظل الملك عبد الله. فالمنطقة العربية كانت كلها تغلي كالمرجل، والشعب العربي كله يتطلع نحو التغيير، والقوميون

(٩٥) شديد، **الولايات المتحدة والفلسطينيون بين الاستيعاب والتصفية**، ص ٨٣ ـ ٨٤.

العرب في الوقت نفسه كانوا يحددون بصعوبة نياتهم الأولى، وقد نجحوا بتنظيم العديد من الخلايا السرية في أوساط الجامعة الأميركية في بيروت، فضلاً عن أن المناخ السياسي على درجة الخصوص كان ينادي بقيام تنظيم للنضال الجماهيري عند نهاية عام ١٩٥١، وتحت ستار العروة الوثقى[٩٦].

ويستعرض أحمد البرصان كتاب المؤلف اليهودي آمنون كوهين **الأحزاب السياسية في الضفة الغربية أثناء الحكم الأردني ١٩٤٩ ـ ١٩٦٧**، فيتناول الفصل الثالث الخاص بالقوميين العرب فيقول: «إن أول تبلور لهذه الفكرة يمثل خريجي الجامعة الأميركية في بيروت، ثم تحول التنظيم نحو الأردن مع أواخر عام ١٩٥٢ وبداية عام ١٩٥٣، بانعقاد مؤتمر عمان ثم تشكيل النادي العربي. ومن أبرز قادة القوميين العرب في تلك الفترة: جورج حبش، ووديع حداد، وصلاح عنتباوي، وصبحي غوشة. وقد استطاع القوميون أن يضموا إلى تنظيم الأطباء والمحامين بعض العاملين خارج الأردن كمنتسبي الجامعة الأميركية وغيرهم. ولا شك في أن القوميين العرب تأثروا بأحداث المنطقة وأثروا فيها، وبخاصة أثناء المد القومي بزعامة عبد الناصر لقيادة العرب. ثم يتناول الكاتب أيديولوجية القوميين العرب وتأثيرهم في الأردن والمجابهة مع الحكومة الأردنية[٩٧].

أما سهير التل، فتقول: «أدار القوميون نشاطهم داخل الجامعة تحت ستار جمعية العروة الوثقى، فقد توجوا عملهم بتظاهرة أيدت إلغاء المعاهدة البريطانية ـ المصرية، ودعت إلى جلاء القوات البريطانية عن القنال، مما ترتب على تلك التظاهرة ملاحقة عدد من الطلبة وفصلهم. ثم اتبع هذا النشاط بنشاط آخر أجبر إدارة الجامعة على التراجع عن قراراتها، مما أعطى للحركة شعبية واسعة. وبعد ذلك قررت القيادة العمل خارج أوساط الجامعة، وتمثلت الخطوة الأولى في التحرك ضد منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط. وبحلول عام ١٩٥٢ وصل نشاط الحركة إلى مناطق شعبية ومخيمات كبيرة، حيث بدأت العمل تحت ستار منظمة هيئة مقاومة الصلح مع «إسرائيل»، وأصدرت جريدة أسمتها **الثأر**، وجندت الهيئة عناصر وقيادات جديدة للحركة من أبرزها: وديع حداد، وأحمد اليماني. وبعد أن أثبتت الحركة وجودها في صفوف الفلسطينيين في الخارج، بعثت عدداً من الناشطين لحشد اللاجئين في كل

(٩٦) باسل الكبيسي، «القوميون العرب من العنف الفردي إلى الماركسية،» **البلاغ**، العدد ٨٦ (آب/أغسطس ١٩٧٣)، ص ٣٢ ـ ٣٣.

(٩٧) أحمد البرصان، في: **شؤون عربية**، العددان ٣٣ ـ ٣٤ (تشرين الثاني/نوفمبر ـ كانون الأول/ديسمبر ١٩٨٣)، ص ٤٨٦ ـ ٤٨٧.

من سوريا ولبنان والأردن للعمل. ومع بداية عام ١٩٥٣، وخلال فترة قصيرة نجح هؤلاء ببناء الخلايا السرية، حيث واصلت العمل في الأقطار المذكورة بالتنسيق مع المنظمة الأم في بيروت»[٩٨].

أما الدكتور معن زيادة، فيرى ما يلي: «إن امتدادات الحركة الرئيسة كانت في صفوف اللاجئين وبعض المخيمات دون أن تستطيع تشكيل حزب البرجوازية الصغيرة، فكانت طيلة تلك الفترة تعمل بين أحزاب تمثل البرجوازية المتوسطة والكبيرة. وقد ظلت الحركة تراوح مكانها طيلة فترة الخمسينيات، ولم تتمكن من التعامل مع الواقع العربي تعاملاً نقدياً جدلياً حتى أوائل الستينيات، فيما دخلت بعد ذلك في مرحلة إعادة صياغة لكل منطلقاتها النظرية وسياستها العملية وإعادة تأسيس لكل البنى التنظيمية والنضالية»[٩٩].

ويرى فيصل جلول ما يلي: «إن السياسة الناصرية هي العنصر الحاسم في توسيع حركة القوميين العرب ونفاذها إلى أوساط المجتمع العربي من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي، ولا يعود انتشار الحركة عربياً في الخمسينيات إلى محض الصدفة وحدها، بل نجد أنها انتقلت من منظمة محصورة في إطار لبناني ضيق ومستقلة بين عدد من المنظمات الصغيرة، إلى حركة ذات حضور فعال في سوريا والأردن والعراق ومصر، بل وصلت حتى إلى ليبيا والسودان واليمن خلال سنوات قليلة. ويمكن القول إنها كانت تنتشر جنباً إلى جنب مع تصاعد الحركة الناصرية في عقد الخمسينيات، والتي اكتسحت معظم الأقطار العربية المنغلقة بعضها على البعض الآخر بفعل السياسة البريطانية والفرنسية في الوطن العربي»[١٠٠].

في حين يرى محمد جمال باروت: «أن حركة القوميين العرب لم تحقق قبل قيام الجمهورية العربية المتحدة أي حضور سياسي إلا في قطرين فحسب، وهما الكويت والأردن. واستمد هذا الحضور أهميته من اندراجه في ما يسمى بالمد الناصري الذي نتج من فشل العدوان الثلاثي، ودعوته إلى قيام وحدة أو اتحاد فدرالي على الأقل بين الأردن وسوريا ومصر. وقد تغير هذا المجرى بسرعة بعد فشل العدوان الثلاثي وقيام الجمهورية العربية المتحدة بين سوريا ومصر التي رأت فيها الحركة نواة للوحدة العربية الشاملة، وأخذت تعمل كأداة طوعية في الوطن العربي»[١٠١].

(٩٨) التل، **حركة القوميين العرب وانعطافاتها الفكرية**، ص ٣٢ - ٣٣.

(٩٩) زيادة، «تقييم حركة القوميين العرب في مراحلها الأولى،» ص ٣٣٩ - ٣٤٤.

(١٠٠) جلول، «حركة القوميين العرب: قراءة جديدة لتجربة في ذمة التاريخ،» ص ١٨٥.

وعلى أي حال، فقد كان انتشار حركة القوميين العرب في الوطن العربي خلال المرحلة الأولى وحتى الستينيات انتشاراً متفاوتاً بين دولة عربية وأخرى. ففي لبنان وفرت الحرب العالمية الثانية للبرجوازية اللبنانية فرصة استثنائية لتحقيق أرباح عريضة تراكمت على شكل رساميل نقدية. وكانت موجة الازدهار الاقتصادي قد أفرزت تأثيرات مهمة على مجمل الوضع الطبقي اللبناني في فترة الخمسينيات، والطبقة البرجوازية الصغيرة في لبنان أصابها من رذاذ الازدهار الاقتصادي ما جعلها في حالة مختلفة عن مثيلاتها في عدد من الأقطار العربية الأخرى، فالانقسام الطائفي في صفوف البرجوازية الصغيرة اللبنانية ظهر واضحاً. وكانت هذه الطبقة تمثل الوجود السياسي الذي يستخدمه النظام لإثارة النعرات الطائفية عند مقتني المال. أما الكتل الصغيرة التي خرجت من بين مثقفي هذه الطبقة وحرفييها وبعض ملاكيها الصغار في المدينة والريف فقد توزعت ما بين الحزب الشيوعي اللبناني والأحزاب القومية العربية. فاستقطب الشيوعيون جزءاً منها، وبخاصة في مناطق الريف، كما توغل الشيوعيون في أوساط عدد من مثقفي المدن ذوي الأصول الريفية. واستقطب الجناح القومي العربي الجزء الآخر الذي كان يتركز في المدن وبعض قرى الساحل. ومن هذا الإطار نشأت حركة القوميين العرب في لبنان[١٠٢].

وبصدد هذا الموضوع يقول جورج حبش: «بدأنا في لبنان بإصدار نشرة **الثأر**، ثم تعددت منابرنا وزرعنا رفاقاً في مؤسسات كثيرة، ثم أنشأنا النادي الثقافي العربي، ولم تمض فترة طويلة حتى أصبحنا قوة سياسية في لبنان يأتي ذكرها عند تشخيص القوى السياسية القائمة آنذاك، وساعدتنا العلاقة الطيبة مع الجمهورية العربية المتحدة وعبد الحميد السراج على ممارسة دور أساسي في ثورة ١٩٥٨ في لبنان، وأمكننا استقطاب قطاع عريض من الجماهير في جنوب لبنان، وخاض رفيقنا محمد الزيات الانتخابات، وحصل على بضعة آلاف من الأصوات هزت قطاع الخليل بالرغم من عدم فوزه»[١٠٣]. وقد وقف القوميون العرب ضد حكومة رئيس الجمهورية كميل شمعون في حينه، وشاركوا في الحرب الأهلية سنة ١٩٥٨ تحت قيادات الزعماء المسلمين الخاضعين لهيمنة دولة الوحدة. وبعد انتهاء الحرب الأهلية تحت شعار «لا غالب ولا مغلوب»، وبعد أن اعتمد عبد الناصر حلاً مناسباً للوضع

(١٠١) باروت، **حركة القوميين العرب: النشأة ـ التطور ـ المصائر**، ص ١١٤.

(١٠٢) إبراهيم، **لماذا...؟ منظمة الاشتراكيين اللبنانيين، حركة القوميين العرب من الفاشية إلى الناصرية: «تحليل ونقد»**، ص ٣٢ - ٣٣.

(١٠٣) مطر، **حكيم الثورة: قصة حياة الدكتور جورج حبش**، ص ٦٢.

الداخلي، تنحى بموجبه كميل شمعون عن السلطة وانتخب اللواء فؤاد شهاب بمبادرة ناصرية أساساً، وبموافقة أمريكية[١٠٤]. كونت حركة القوميين العرب في لبنان الفصيل الثاني للدعوة القومية إلى جانب حزب البعث العربي الاشتراكي، وتركز انتشارها بين صفوف طلاب الثانويات الذين استهوتهم الطقوس شبه العسكرية من مخيمات كشفية وتعبئة شبه عسكرية، ولم تستطع الحركة أن تخرج من عزلتها والدخول في الحياة السياسية اللبنانية جزئياً إلا في سنة ١٩٥٨. ففي مدينة صور أدت الحركة دوراً أساسياً وعسكرياً في أحداث ١٩٥٨، وضعها في قمة القيادة السياسية في المدينة.

أما في بيروت، فقد التحمت الحركة بالبرجوازية الإسلامية التي ابتعدت عن البعثيين والشيوعيين، ووجدت في الحركة ضالتها المنشودة، فكانت معارك الإفتاء وحقوق المسلمين والأوقاف على رأس هموم فرع الحركة اللبناني. وبانتهاء عصر الحركة اليميني تساقطت هذه العناصر، واتخذت مواقعها الطبيعية في صفوف المؤيدين للزعامات السياسية والطائفية والدينية[١٠٥].

وهكذا عاشت الحركة في السنوات الخمس الأولى لقيامها وضعاً هامشياً قاتلاً جعلها في إطار تنظيمي غامض الهوية، بل حتى مجهول الوجود من قبل أكثر قطاعات الجماهير اتصالاً بالعمل السياسي، ولكن أحداث عام ١٩٥٨ وما تلاها كانت بمثابة فرصة للحركة للخروج من تقوقعها والانتشار نسبياً في بعض المناطق، ضمن استقطابات طبقية متوافقة مع طبيعة البرنامج السياسي اليميني لحركة القوميين العرب في مجمل فروعها[١٠٦].

أما انتشار حركة القوميين العرب في الأردن، فقد كان مع أواخر عام ١٩٥٢ وبداية عام ١٩٥٣، وبتكوين مؤتمر عمان تم تشكيل النادي العربي[١٠٧] ففي نهاية عام ١٩٥٢ أسس جورج حبش ووديع حداد في عمان بعد تركهما لبنان عيادة زاولا فيها الطب إلى جانب السياسة، كما أسسا مدرسة لمحو الأمية في المنتدى العربي الذي اتخذاه واجهة لنشاطهما. وعبر هذا المنتدى التقيا بحمد الفرحان، رجل الأعمال

(١٠٤) جلول، «حركة القوميين العرب: قراءة جديدة لتجربة في ذمة التاريخ،» ص ١٨٦.

(١٠٥) زيادة، «تقييم حركة القوميين العرب في مراحلها الأولى،» ص ٢٢٤.

(١٠٦) إبراهيم، **لماذا. . .؟ منظمة الاشتراكيين اللبنانيين، حركة القوميين العرب من الفاشية إلى الناصرية: «تحليل ونقد»**، ص ٣٩.

(١٠٧) أحمد دليربان، في: **شؤون عربية**، العددان ٣٣ ـ ٣٤ (تشرين الثاني/ نوفمبر ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٣)، ص ٤٨٦.

الأردني الذي كان قد أسس مع نفر من الجناح المنور من البرجوازية الأردنية «مؤتمر عمان»، فالتحق الطبيبان بالمؤتمر واستفادا من مركزه السياسي والاجتماعي في تكوين قيادة لتنظيم فتي. وفي غضون سنتين من العمل أصدر حبش وحلفاؤه مجلة **الرأي** الأسبوعية، صوت الشباب القومي العربي التي أدت دوراً في تعريف المواطنين بالحركة[١٠٨]. وكان الطبيبان يعطيان للمرضى المعوزين الوصفات الطبية المجانية مصحوبة بنسخ من مجلة **الرأي**، لكن بعد ثمانية أشهر من صدورها، منعتها السلطات الأردنية بحجة حملتها ضد المعاهدة الأردنية ـ الإنكليزية التي عقدت عام ١٩٣٠، والتي تتلقى الحكومة الأردنية بموجبها، مساعدات عسكرية ومالية بريطانية، مقابل السماح لها بإقامة قواعد عسكرية في العقبة والمفرق. وعادت المجلة إلى الصدور تحت الاسم نفسه في دمشق، حيث أسهم غسان كنفاني المنتمي حديثاً إلى حركة القوميين العرب بقسط كبير في تحريرها وتحضيرها[١٠٩]. ويمكن القول بأن مجلة **الرأي** استقطبت جماهير غفيرة من العرب في الأردن، وأدت دوراً أساسياً في بلورة الهوية السياسية لحركة القوميين العرب في الساحة الأردنية[١١٠].

كما أدت الحركة دوراً في الأردن متأثرة بموقف الملك حسين المؤيد مؤقتاً للسياسة الناصرية. وعليه نلاحظ التحول في هذا الموقف عندما قرر الملك حسين إبعاد غلوب باشا عن قيادة الجيش الأردني في حينه، وكلف الزعيم القومي سليمان النابلسي بتأليف حكومة وطنية، الأمر الذي دفع جورج حبش إلى خوض الانتخابات. وعندما أقال الملك حكومة النابلسي تحولت الحركة إلى العمل السري في عام ١٩٥٨. وبعد انحسار وجود حركة القوميين العرب في الأردن. ومع إعلان الوحدة بين مصر وسوريا، انتقل مركز الثقل في عمل الحركة إلى سوريا ولبنان، وبذلك فقد ربطت مصيرها بمصير دولة الوحدة[١١١].

أما انتشار الحركة في مصر، فقد كان القوميون العرب ينظرون بعين الريبة والحذر إلى النخبة العسكرية التي قادت ثورة ٢٣ تموز/ يوليو في مصر بسبب طبيعة العلاقات بين الثورة المصرية والولايات المتحدة الأمريكية. وكان لعلاقة السفير الأمريكي جيفرسون مع القادة الجدد في مصر أثر في تكوين الانطباع السلبي،

(١٠٨) زيادة، «تقييم حركة القوميين العرب في مراحلها الأولى،» ص ٢٢٤.

(١٠٩) جلول، «حركة القوميين العرب: قراءة جديدة لتجربة في ذمة التاريخ،» ص ١٨٤.

(١١٠) مطر، **حكيم الثورة: قصة حياة الدكتور جورج حبش**، ص ٦١.

(١١١) جلول، المصدر نفسه، ص ١٨٥.

وكذلك فإن اتفاقية الجلاء عام ١٩٥٤ بين مصر وبريطانيا لم تحظ برضى القوميين العرب، بل اعتبروا الاتفاقية عقد بيع للإمبرياليين. ولم تكن حركة القوميين العرب مبهورة أو مفتونة بالإصلاحات المحلية التي أنجزتها الثورة داخل مصر، فضلاً عن أن الحركة لم تسترح لإلغاء الأحزاب وإبدالها بما يسمى بـ«هيئة التحرير». ولتلك الأسباب، لم يكن في حدود المستطاع أن تقوم علاقة حميمة بين حركة القوميين العرب والثورة المصرية. ففي هذا الوقت كان القوميون العرب يحاولون مع الأحزاب السورية واللبنانية والأردنية القيام بعمل مشترك من أجل مقاومة الغرب والتصدي لمشروع توطين اللاجئين الفلسطينيين في الدول العربية. وكان هذا يعني فتح جبهة جديدة تتسم بالاحتراز من الحكام العسكريين في مصر[١١٢]. ومنذ النصف الثاني من عقد الخمسينيات أخذت علاقة الحركة بالثورة المصرية تمر بمرحلة جديدة بعد أن أكدت ثورة ٢٣ تموز/يوليو عروبتها ونضالها وثوريتها. وبهذا الصدد يقول جورج حبش: «عندما قام تنظيمنا الطلابي في الجامعة الأميركية في بيروت بتظاهرة ضد حلف بغداد، أقدمت الجامعة على طرد عدد من الطلاب أعضاء التنظيم. وفي تلك الفترة كان جمال عبد الناصر الزعيم السياسي الأول يقود بحماسة المعركة ضد الأحلاف العسكرية، حيث أبدت الحكومة المصرية استعدادها لاستقبال الطلاب المطرودين، فالتحق عدد من رفاقنا بجامعة القاهرة، وتمكنوا من إنشاء تنظيم طلابي في مصر استقطب عدداً من الطلبة العرب بضمنهم بعض الطلاب المصريين[١١٣]. وتؤكد سهير التل تأثر حركة القوميين العرب، وبدرجة كبيرة، بالحركة الناصرية، وقد وصل هذا التأثر درجة التباهي بها فكرياً وتنظيمياً[١١٤].

لقد شهد عام ١٩٥٦ تحولاً جذرياً في موقف حركة القوميين العرب من عبد الناصر بعد أن برزت مرحلة تحول مهمة في سياسة الثورة المصرية، وبخاصة بعدما تبنت حكومة الثورة المصرية سياسة حيادية صلبة. وعقد عبد الناصر صفقة أسلحة مع الاتحاد السوفياتي، وأكد الدستور المصري الجديد الصادر سنة ١٩٥٦ بأن المصريين شعب عربي، وهو جزء من الأمة العربية، ثم أعلنت الثورة تأميم قناة السويس بعد سحب العرض الأمريكي المعونة من أجل بناء سد أسوان، الأمر الذي أدى إلى توطيد علاقة الحركة بالثورة الناصرية. وقد وجدت الحركة بعد ذلك في

---

(١١٢) غالي شكري، «ربع قرن من التحدي، حركة القوميين العرب من مجموعة إرهابية إلى حزب اشتراكي،» **البلاغ**، العدد ٨٦ (آب/أغسطس ١٩٧٣).

(١١٣) مطر، **حكيم الثورة: قصة حياة الدكتور جورج حبش**، ص ٥٥ ـ ٥٦.

(١١٤) التلّ، **حركة القوميين العرب وانعطافاتها الفكرية**، ص ٣٤.

إذاعة «صوت العرب» البرنامج الأسبوعي المخصص للحركة الموجّه من القاهرة، أداة فعالة في تحركها السياسي[١١٥].

وكان أحد الدوافع السياسية لإنشاء فرع مصري للحركة هو وجود عدد كبير من الطلبة العرب في القاهرة والاسكندرية، حيث شجع على تشكيل منظمة طلابية أدت دوراً مهماً في تدريب وتثقيف الكوادر الجديدة سياسياً، وهي الكوادر التي أرسلت في ما بعد إلى البلدان العربية الأخرى. فقد وصل خمسة عشر طالباً قيادياً إلى القاهرة في عامي ١٩٥٥ و١٩٥٦، ممن كانوا قد طردوا من لبنان. وقد رفد الحركة القومية في مصر بكوادر مدربة سياسياً ممن عملوا بنشاط في مختلف الميادين، بحيث أحرزت الحركة في أقل من سنة قدراً كبيراً من السيطرة على عدد من جمعيات ومنظمات الطلاب العرب. وكان اتحاد المبعوثين للطلبة الكويتيين الأكثر نشاطاً في هذا المجال، وأصدر مجلة **الاتحاد** الأسبوعية، والتي تحولت في ما بعد إلى صوت الحركة في مصر[١١٦].

وفي سوريا، كان حزب البعث العربي الاشتراكي، ومنذ مطلع الأربعينيات، قد اكتسح ساحة النضال، واستقطب جماهير الشعب القومية إلى جانب الحزب الشيوعي الذي كانت له امتدادات في بعض أوساط المثقفين والطلبة والعمال، في حين كانت كتلة خالد العظم والحزب الوطني تعبر عن أفكار البرجوازية المتوسطة ومصالحها، بينما ضم حزب الشعب الشرائح العليا من البرجوازية وشبه الإقطاعية[١١٧]. ولذا فإن الحركة لم تتمكن من النمو والانتشار والدخول في الحياة السياسية السورية، وبقيت على هامش الأحداث تماماً طيلة فترة الخمسينيات. فبعد تجربة هاني الهندي القصيرة، قامت الحركة بمحاولة جديدة لتنظيم فرع لها في دمشق مطلع عام ١٩٥٤، على أن حزب البعث العربي الاشتراكي الذي تطور تنظيمه بفضل اندماجه مع الحزب العربي الاشتراكي الذي يقوده أكرم الحوراني، لم يصبح عندئذ القوة السياسية الرئيسة في هيكل السلطة فحسب، بل إن البعث امتص كذلك واستوعب داخل صفوفه الأكثرية الساحقة من الشباب القومي العربي. وظلت جهود الحركة ضئيلة وغير مجدية، وفي أواسط الخمسينيات نجحت الحركة بإصدار مجلة **الرأي** الأسبوعية، وكتبت في مناسبات متعددة مدافعة عن فكرة اتحاد سوريا مع

---

(١١٥) جلول، «حركة القوميين العرب: قراءة جديدة لتجربة في ذمة التاريخ،» ص ١٨٦.

(١١٦) وليد قزيها، **التحول الثوري في العالم العربي: حبش ورفاقه من القومية إلى الماركسية**، ترجمة سليم بركات (القاهرة: الجامعة الأمريكية، دائرة العلوم السياسية، ١٩٧٣)، ص ٤٢ ـ ٤٣.

(١١٧) زيادة، «تقييم حركة القوميين العرب في مراحلها الأولى،» ص ٣٣٩.

بلدان عربية أخرى من ضمنها مصر العربية والسعودية والأردن(١١٨).

ولم يكن صدور المجلة الأسبوعية **الرأي** ونشرة **الثأر** ومطبوعات الشباب القومي الأخرى وراء انطلاقة العمل، بل إن ما سهّل تلك العلاقة ويسّرها وجود عناصر قيادية ذات كفاية وخبرة في سوريا في تلك المرحلة، ومنهم د. جورج حبش الذي لاحقته السلطات الأردنية، فتسلل إلى سوريا في أيلول/ سبتمبر عام ١٩٥٤، وأقام فيها شهوراً عديدة، وكان متفرغاً للعمل، فضلاً عن قيادي آخر هو عدنان فرج. أما ثابت المهايني، فقد سافر إلى الولايات المتحدة عام ١٩٥٤، حيث تابع دراسته بعد أن فصلته الجامعة في تلك الفترة(١١٩).

وكان قيام الجمهورية العربية المتحدة قد ألزم الأحزاب والحركات السياسية بحل تنظيماتها والانخراط في تنظيم الاتحاد القومي، ولكن الانفصال السوري عن الوحدة عام ١٩٦١ شجع الحركة على التحرك بسرعة لتعبئة القوى الناصرية في البلاد(١٢٠).

وأصبحت الحركة معروفة بإخلاصها وتكريس نشاطها كقوة ناصرية بفضل خطواتها التي قامت بها بتوجيه من قائدها جورج حبش المختبئ في دمشق، وامتدت نشاطاتها عام ١٩٦١ إلى جامعة دمشق، والمدارس الثانوية، وبعض شرائح الحركة العمالية في حلب ودمشق(١٢١). وقد انتهت الحركة في سوريا بالاتجاه نحو الاندماج مع الاتحاد الاشتراكي العربي عام ١٩٦٤ الذي تشكل فعلياً من حركة القوميين العرب التي تطورت نحو اليسار في مسارها مع التيار المتأثر بقيادة عبد الناصر من عام ١٩٥٨ وآخرين من العناصر اليسارية الوطنية الأخرى(١٢٢).

لقد تلقت حركة القوميين العرب التأثيرات الإيجابية للثورة الناصرية قبل العام ١٩٦١، وكان عليها أن تتلقى تأثيراتها السلبية بعد العام المذكور. ويجمع النقاد الذين تناولوا تجربة الحركة على اعتبار الأعوام (١٩٦١ ـ ١٩٦٣) أعوام التحولات الداخلية والصراعات الفكرية داخل الحركة إذا جاز التعبير(١٢٣).

---

(١١٨) قزيها، المصدر نفسه، ص ٤١.

(١١٩) الهندي والنصراوي، محران، **حركة القوميين العرب: نشأتها وتطورها عبر وثائقها، ١٩٥١ ـ ١٩٦٨: الكتاب الأول، ١٩٥١ ـ ١٩٦١**، ص ١٢٧.

(١٢٠) قزيها، المصدر نفسه، ص ٤١.

(١٢١) المصدر نفسه، ص ٤١.

(١٢٢) **نايف حواتمة يتحدث**، ص ٤٢.

وفي الكويت، كان انتشار حركة القوميين العرب واسعاً، ويقف وراء ذلك معاداة الحركة منذ نشوئها الأيديولوجي والفكري للاشتراكية. ولذا، فإن انتشارها في الكويت كان مميزاً، فضلاً عن الظروف الملائمة الأخرى، فقد بدأ أحمد الخطيب عند عودته إلى بلاده طبيباً في صيف ١٩٥٢ بتنشيط اتصالاته بعدد من المثقفين الذين ارتبط بهم بعلاقات صداقة وتفاهم سياسي عام. وقد تجمع عدد من هؤلاء، فأسسوا النادي الثقافي القومي(١٢٤). ولقيت الحركة في الكويت ظروفاً أكثر ملاءمة من بقية الأقطار، وذلك لأن الثروة النفطية المتجمعة حديثاً للبلاد أفرزت طبقة برجوازية تجارية لم تستطع الأطر السياسية والإدارية للنظام العشائري التقليدي الحاكم أن تستوعبها مع مصالحها النامية، وقد استفادت الحركة من هذا التناقض الجزئي المؤقت بين الشيوخ والتجار أو بين النظام والبرجوازية. وفي ظل الفراغ السياسي للبلاد استطاع الطبيب أحمد الخطيب زميل حبش في قيادة العروة الوثقى أن يشكل تنظيماً أدى دوراً بارزاً في الكويت، حيث التفت حوله البرجوازية التجارية الكبيرة والمتوسطة عندما وجدت في حركة القوميين العرب ضالتها المنشودة.

ومن خلال دعم البرجوازية التجارية، المادي والمعنوي، دخلت الحركة انتخابات مجالس الأوقاف والصحة والتعليم، حيث حققت انتصارات باهرة، فضلاً عن استفادة الحركة من المد القومي العارم الناتج من معركة السويس، فركزت وجودها ودعمت قواعدها. وعندما رضخت الأسرة الحاكمة للمطالبة بالحياة الدستورية، دخلت حركة القوميين العرب معركة الانتخابات، ففازت باثني عشر مقعداً مشكّلة بذلك أول معارضة رسمية في الحياة السياسية الكويتية(١٢٥). وبسبب وجود الطبيب أحمد الخطيب في الكويت أمكن للحركة أن تنشط وتحقق إنجازاً سياسياً مهماً. وقد وهب الطبيب أحمد الخطيب نفسه من أجل الحركة، حيث استحصل في البداية على ترخيص لإنشاء ناد حصل من خلاله على ترخيص لإصدار مجلة **الإيمان**. وتجاوبت الجماهير مع ما يكتب في المجلة، ففي مطلع عام ١٩٥٣ أصدر النادي الثقافي مجلة شهرية حملت اسم **الإيمان**، وتألفت أسرة التحرير فيها من أحمد السقاف، ود. أحمد الخطيب، ويوسف إبراهيم الغانم، ويوسف مشاري.

---

(١٢٣) جلول، «حركة القوميين العرب: قراءة جديدة لتجربة في ذمة التاريخ،» ص ١٨٧.

(١٢٤) الهندي والنصراوي، محران، **حركة القوميين العرب: نشأتها وتطورها عبر وثائقها، ١٩٥١ ـ ١٩٦٨: الكتاب الأول، ١٩٥١ ـ ١٩٦١**، ص ١٢٠.

(١٢٥) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ٢٢/١١، حركة القوميين العرب، الحديث عن أقسام الحركة القومية الثورية، ص ٧.

ولكن السنة الثانية حملت اسم عبد الله أحمد حسين رئيساً للتحرير فقط ولكن المجلة بقيت على صلة قوية حميمة بالشباب القومي[١٢٦].

وقد أتاح الوجود السياسي الذي حققته الحركة في الكويت تأمين وجود تنظيمي في مناطق أخرى في الخليج العربي[١٢٧]. أما بروز قيادة عبد الناصر في الشارع الكويتي، فكان محصلة طبيعية إثر الانتصار السياسي والعسكري لتلك القيادة على العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦[١٢٨].

لقد ازداد نشاط الحركة في الكويت، فقامت بتعبئة الكويتيين والعرب المقيمين جماهيرياً ضد العدوان، ووجهت نداءً إلى التجار والمؤسسات التجارية، وعدت البضائع الانكليزية محرمة، وأن كل شخص لا يستجيب لهذا النداء خائن وعدو للأمة العربية. واستجابة لنداء الحركة بضرورة قطع النفط عن الدول التي شاركت في العدوان أعلن عمال ميناء الأحمدي الإضراب العام. وفي العاشر من تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٥٦ حدثت عدة انفجارات قدر عددها بعشرة انفجارات في ميناء الأحمدي، وفي مدينة الأحمدي، مما أدى إلى حظر التجول ليلاً في مناطق حقول النفط[١٢٩].

ويذكر أن الطبيب أحمد الخطيب هو الذي قاد الجماهير وسار معها إلى مواقع آبار النفط وصماماته لضمان منع مرور النفط في الأنابيب. وكان الشيخ عبد الله الجابر الصباح يصطحب الخطيب ليطمئنه ويؤكد له نيات الحكومة وتجاوبها مع نيات الناس، وأنهم لن يبيعوا النفط لأعداء العرب[١٣٠]. وخلال الاضطرابات والتظاهرات الشعبية ضد المعتدين، وعجز الإدارة الحكومية عن فعل أي شيء، رفض جاسم القطامي مدير الشرطة قمع التظاهرات، وقدم استقالته للشيخ الجابر الذي قبلها بشرط عدم إعلان نصها، إلا أن القطامي أعلن النص، حيث قال فيه: «لا استطيع أن أحارب هذه الأفكار التي أنا شخصياً أؤمن بها، ومستعد للتضحية بالنفس والمال في سبيل استمرارها وبلوغ ما تصبو إليه». وتضامناً مع القطامي قدم

(١٢٦) الهندي والنصراوي، محرران، المصدر نفسه، ص ١٢٢.

(١٢٧) زيادة، «تقييم حركة القوميين العرب في مراحلها الأولى،» ص ٢٤١.

(١٢٨) مطر، **حكيم الثورة: قصة حياة الدكتور جورج حبش**، ص ٦٣.

(١٢٩) فلاح عبد الله المديرس، **ملامح أولية حول نشأة التجمعات والتنظيمات السياسية في الكويت** (الكويت: دار قرطاس للنشر، ١٩٩٤)، ص ٤.

(١٣٠) المصدر نفسه، ص ٢٥ ـ ٢٦.

ستة عشر ضابطاً استقالاتهم من الخدمة، وبهذه الاستقالة تعزز مركز حركة القوميين العرب بانتساب القطامي رسمياً إليها ليصبح واحداً من أبرز الوجوه القيادية الوطنية والقومية فيها[١٣١]. وهكذا، وبغياب أي فصائل أو تنظيمات سياسية سابقة، شكّل القوميون العرب ركن القاعدة الأساس للحركة الوطنية في الكويت، والتفت حولهم أوساط واسعة من الطبقة البرجوازية التجارية الكبيرة والمتوسطة التي بدأت تخوض بهم ومن خلالهم معاركها السياسية، كتحديث النظام العشائري وتطويره[١٣٢].

وانشطرت الحركة في الكويت إلى يسار باسم «الحركة الشعبية الثورية»، وبرز من قيادتها: النقابي البارز حسين البوحمد ناصر، الغانم، د. أحمد الربعي، وعبد الوزير دعيج. أما الاتجاه القومي التقليدي فشكل «تجمع الديمقراطيين الكويتيين» بأمانة الطبيب أحمد الخطيب، وعبد الله النيباري، وسامي منيس. أما الاتجاه الثالث وهو ناصري، فقد شكل «التجمع الوطني» برئاسة جاسم القطامي[١٣٣].

أما اليمن، فإنه كان أمام معضلات النضال من أجل الاستقلال وفتح الطريق نحو بناء مجتمع عصري وتوحيد الجنوب المفتت إلى أكثر من واحد وعشرين كياناً إقليمياً. وفي بدء العمل انطلق الشباب في البناء والتنظيم على أساس وحدة اليمن المستقل والمتحد، فكان القياديون آنذاك شباباً من الشمال والجنوب، وكان البارز بينهم القيادي الجنوبي فيصل عبد اللطيف، ويحيى الأرياني، وسلطان العبسي، بالإضافة إلى طلبة نشطاء من اليمن المحتل، مثل عبد الملك إسماعيل، وعبد العزيز الدالي. وكان هناك وجه سياسي معروف، وهو قحطان الشعبي، فضلاً عن وجود مهنيين ومثقفين، مثل علي السلامي، وطه مقبل، وسالم زين، وكانت قيادة الحركة في مصر قد تمكنت من تنظيم عدة روابط طلابية عربية في الحركة[١٣٤]. وكانت أول دورة إعداد قيادية تجريها قيادة الحركة لعدد من الخريجين هي الدورة السرية التي نظمتها الحركة في دمشق عام ١٩٥٩، وحاضر فيها جورج حبش، والحكم دروزة، وهاني الهندي، وغيرهم[١٣٥]. وضمت هذه الدورة عشرة كوادر خريجين من أقطار مختلفة، كان من أبرزهم فيصل عبد اللطيف الشعبي، وقحطان الشعبي، من اليمن،

(١٣١) باروت، **حركة القوميين العرب: النشأة ـ التطور ـ المصائر**، ص ١١١.

(١٣٢) إبراهيم، **لماذا...؟ منظمة الاشتراكيين اللبنانيين، حركة القوميين العرب من الفاشية إلى الناصرية: «تحليل ونقد»**، ص ٢٤.

(١٣٣) **نايف حواتمة يتحدث**، ص ٤٧.

(١٣٤) الهندي والنصراوي، محرران، **حركة القوميين العرب: نشأتها وتطورها عبر وثائقها، ١٩٥١ ـ ١٩٦٨: الكتاب الأول، ١٩٥١ ـ ١٩٦١**، ص ٤٢.

(١٣٥) باروت، **حركة القوميين العرب: النشأة ـ التطور ـ المصائر**، ص ١٣٩ ـ ١٤٠.

وكان الغرض من إعداد هؤلاء الخريجين قيامهم بتأسيس فروع لحركة القوميين العرب في أقطارهم(١٣٦).

وقد تابع فرع الحركة الذي أنشئ في اليمن آنذاك نشاطه في مناهضة الاستعمار والرجعية والإقطاع متأثراً بالظروف المحلية. وقد عمل تحت اسم الجبهة القومية عام ١٩٦٣، وعلى رغم ما أبداه الفرع من عواطف مؤيدة للناصرية في مؤتمر تعز عام ١٩٦٥، إلا أن المواقف السياسية للحكومة المصرية التي أبدت تقارباً مع العربية السعودية خلقت أزمة سياسية بين الطرفين المصري ـ السعودي أدت تفاعلاتها إلى إعلان القطيعة مع الناصريين والاستمرار في قيادة النضال السياسي والعسكري ضد الاستعمار والرجعية المحلية(١٣٧).

وإذا كانت نتائج حرب اليمن قد انعكست على انتصارات الجيش المصري في اليمن من أجهزة الإعلام المصرية والعربية المتأثرة بالناصرية، فإن الانتكاسات الفعلية في اليمن لم تكن خافية على القوميين العرب الذين كانوا يتلقون التقارير المباشرة عن مجريات تلك الحرب من خلال عناصر الحركة المشاركين فيها. وقد أدى هذا الأمر إلى طرح أسئلة داخلية في الحركة، كانت تضاف إلى تلك الأسئلة التي طرحت بعد تجربة الانفصال. يضاف إلى ذلك الخلافات العلنية في اليمن بين فروع الحركة، وبين الضباط المصريين في حينه. وقد أدى ذلك كله إلى تدني مستوى العلاقة بين الحركة وبين الناصرية دون أن ينتهي إلى قطيعة علنية بين الطرفين، بل يمكن القول بأن الموقف المعلن للحركة حتى عشية العام ١٩٦٧ كان مؤيداً للسياسة الناصرية(١٣٨).

وبعد انتهاء مؤتمر بيروت الذي انعقد في نيسان/ أبريل ١٩٦٣، وشارك فيه عدد من فروع حركة القوميين العرب، طرحت عدة نظريات أكدت الانحياز إلى الاشتراكية، وذلك استجابة لمسلسل التحولات إلى الاشتراكية (نايف حواتمة، محمد كشلي، محسن إبراهيم). وتحولت أغلبية المؤتمر نحو اليسار، في حين رفضت هذا الاتجاه الهيئة المركزية التقليدية (جورج حبش، وهاني الهندي، ووديع حداد)(١٣٩). ومن سياق مجمل هذه العملية من التحولات، اندفعت الفروع نحو ممارسة برامجها القطرية بما يستجيب وطبيعة المرحلة التي يمر بها هذا القطر أو ذاك. ففي اليمن الشمالي اتخذ الفرع عنواناً ينسجم وطبيعة المرحلة، وهو «الحزب الديمقراطي الثوري»

(١٣٦) التلّ، **حركة القوميين العرب وانعطافاتها الفكرية**، ص ٤١.
(١٣٧) جلول، «حركة القوميين العرب: قراءة جديدة لتجربة في ذمة التاريخ،» ص ٦٦.
(١٣٨) **نايف حواتمة يتحدث**، ص ٤٧.
(١٣٩) المصدر نفسه، ص ٤٧.

بأمانة سلطان أحمد عمر، وجار الله عمر، ويحيى الأرياني، وعبد الكريم الشيباني، ومالك الأرياني. ومن جنوب اليمن سمي الفرع بـ«الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن» الذي تأسس في ١٩ آب/أغسطس ١٩٦٣ بقيادة عبد الفتاح إسماعيل، وسالم ربيع علي، ، وعلي عنتر، وعلي صالح عباد، وعبد الله الخامري، وعلي سالم البيض، وفيصل الشعبي، ومحمود عشيش، وفيصل العطاس، وسالم صالح محمد، وعبد العزيز عبد الولي(١٤٠).

يتضح من خلال تتبع هذا البحث اتسام حركة القوميين العرب بالانحسار وعدم انتشار أطرها التنظيمية في الوطن العربي طيلة فترة الخمسينيات. وذلك إما لأنها انطلقت من أساس فكري خاطئ، أو لأنها لم تمتلك منطلقاً أيديولوجياً رصيناً، أو لأن نشوءها ارتبط بظروف مرحلة مؤقتة، وإن كانت بدايتها استجابة صحيحة لضرورة تاريخية للقضاء على مواقع التجزئة بالوحدة واسترداد فلسطين بالثأر (القوة) دون الالتفات إلى مبدأ الترابط بين الوحدة والاشتراكية وإدراج هذا المبدأ ضمن المراحل اللاحقة.

وعلى أي حال، فإن حركة القوميين العرب لم تستطع أن تقتحم مجالاً عربياً واحداً بتنظيم شعبي متماسك، سوى مجال واحد وهو الكويت. والواقع أن كل مرحلة من المراحل التي مرت بها حركة القوميين العرب كانت تمثل موقفاً أيديولوجياً وفكرياً قائماً بذاته ليعبر عن منطلق نظري يتناسب والمرحلة التي تمر بها الحركة. فمرحلة النشوء بعد النكبة هي غير مرحلة النضوج، وهي بالتأكيد عكس مرحلة الانشقاقات والتطرف، وهذا ما سنتناوله في الصفحات التالية.

وهكذا يتضح اتساع فترة الخمسينيات بانتشار تنظيمات حركة القوميين العرب اسمياً، إن صح التعبير، في أغلب أقطار مشرق الوطن العربي، إلا أنه كان في الوقت نفسه انتشاراً يشوبه التقوقع والانحسار، أو بعبارة أدق فإن ذلك التنظيم سجل حضوراً في أقطار مختلفة، منها لبنان والأردن وسوريا والعراق والكويت ومصر، إلا أنه لم يحدث له صدى واسع أو تأثير ملموس في الساحات السياسية في تلك الأقطار. كما أنه خلال عام ١٩٥٨ وبعده، باعتبار أن ذلك العام شكل نقطة تحول مهمة لتلك الأقطار بسبب الأحداث التي عاشتها الجماهير خلال هذه السنة، فقد تسلمت الحكم في لبنان سلطة وطنية، أما في مصر وسوريا فقد كانت ولادة

(١٤٠) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ١١/٢٢، تعميم للجهاز القيادي بعنوان: حول استراتيجية الحركة أو مخططنا للمدى البعيد، ١٩٦١، ص ٦.

الوحدة وقيام الجمهورية العربية المتحدة. وفي العراق انبثقت ثورة ١٤ تموز/ يوليو عام ١٩٥٨. وبما أن علاج أية ظاهرة يتوقف على تشخيصها، وعلى الظروف المحيطة بها والمستجدة لها، وبناء على ما تقدم، فقد أصدرت اللجنة التنفيذية لحركة القوميين العرب في نيسان/ أبريل عام ١٩٦١ تعميماً حول الساحة التي يمكن أن تعمل فيها الحركة والتي تكون موضوع اهتمامها الأول، حيث أوضح التعميم الاتجاهات التي ترى اختيار الساحة المناسبة، وهي:

١ ـ التركيز على ساحة الجمهورية العربية المتحدة داخلياً، فهي نواة الوحدة، وهي قلعة العرب التحررية، وعليه يجب تركيز الجهود لضمان الحماية أولاً، ولضمان صحة مخططاتها السياسية والاجتماعية ثانياً. ويرد التعميم نفسه فيقول بأن هناك من يقول بأن في الجمهورية العربية المتحدة من هم كفيلون بحمايتها.

٢ ـ التركيز على ساحة العراق، ويعزى السبب في اختيار هذه الساحة إلى انتكاسة ثورة ١٤ تموز/ يوليو التي قلبت ميزان القوى على الساحة العربية، إلا أن من محاذير هذا الاتجاه الاحتراز من مخططات الرجعية العربية في الداخل، والعمل على قلب نظام الحكم في المتحدة نفسها، أو أن يبادر الاستعمار بحجة المحافظة على الكيان الصهيوني، ويقوم بعدوان على الجمهورية العربية المتحدة، أو أن يستغل الشيوعيون الفرصة فينفردون بساحة العراق ويقيمون حكماً شيوعياً، وفي هذه الساحة العربية بالذات يصعب بعدها تقويض أركانه لما له من صفة الشراسة في المحافظة على وجوده. وبعد الدراسة والتحليل أقر المؤتمر القومي بالاتجاه الذي يرى أن ساحة العراق هي ساحة التركيز الأولى، وذلك ضرورة تنشيط ساحة فلسطين، وتثبيت وجود الحركة فيها لتؤدي دوراً تاريخياً بشأنها، فضلاً عن إقرار المؤتمر بالاهتمام بساحة الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية، ودراسة متطلبات قيام نضال تحرري تاريخي فيها، وقد استند المؤتمر في اتجاهه وخياراته إلى أمور كان أهمها:

١ ـ طبيعية ساحة العراق، كونها ساحة حية قابلة للتطور والمفاجآت، وكون الحركة في الساحة قادرة على أن تؤدي دوراً مهماً في تحريرها وتوحيدها مع العربية المتحدة.

٢ ـ إن ساحة العراق تضم إمكانات ضخمة تستطيع في حالة تحريرها أن تدفع بالمعركة العربية أشواطاً كبرى إلى الأمام.

٣ ـ طبيعة التهاب الساحة العراقية شعبياً، وأن أي جهد تنظيمي أو نضالي يبذل في هذه الساحة سيعطي مردوداً سريعاً.

٤ ـ ضمان ساحة العربية المتحدة من حيث استمرارها في الخط الوحدوي التحرري دون أن تكون هذه الجمهورية عرضة لنكسات رجعية يمينية أو يسارية متطرفة[١٤١].

(١٤١) المصدر نفسه، ص ٦ ـ ٧.

الفصل الثاني

التأسيس والتنظيم والانشقاق

أولاً: البدايات التأسيسية والتطورات التنظيمية والظواهر الانشقاقية لحركة القوميين العرب

كشفت الظروف التي أعقبت الحرب العالمية الثانية عن مستجدات جديدة على نطاق السياسة الدولية، فقد أخذت الاستراتيجية الغربية تتجه اتجاهاً جديداً فرضه واقع الحال إثر نتائج تلك الحرب، حيث بزوغ النزعة الاستقلالية لدى شعوب كثيرة في منطقة العالم الثالث، ومنها أقطار الوطن العربي. فقد نال العديد من شعوب تلك المنطقة استقلالها، وكذلك تزايد المد القومي وتصاعد منذ مطلع الخمسينيات، مع ارتباط ذلك المد، بالنسبة إلى الوطن العربي، بقضيتين رئيسيتين مترابطتين، وهما قضية الوحدة العربية، كونها تشكل هدفاً وحلماً، وكذلك قضية فلسطين التي صارت تشكل نقطة الارتكاز والتمحور في آلام الشعب العربي وآماله. وأطلق على هذه القضية في الأدب السياسي العربي المعاصر بعد عام ١٩٤٨ تعبير «النكبة».

لقد ركّز الاستعمار من أجل تصفية قضية فلسطين بكل وسيلة ممكنة على تقوية «إسرائيل» بما في ذلك تحقيق الصلح، واستخدام بعض الحكام العرب أداة لهذه الغاية، فهوّلوا من خطر «إسرائيل» وأبرزوا الضعف العربي، ونادوا بضرورة التعقل ومعالجة الأمور بحكم الواقع. وحاول الاستعمار تثبيت الفئة العربية الحاكمة عن طريق امتصاص الوعي الذي ولدته النكبة وقتله، أو تضليله. فشنت حملات قاسية على القوى التقدمية بتهمة الشيوعية، وعرضت مشاريع وحدوية مشبوهة كمشروع الهلال الخصيب[1]. ولذا لم تستطع هذه الفئات الحاكمة التصدي للاحتلال الصهيوني

(١) عوني فرسخ، **الوحدة في التجربة: دراسة تحليلية لوحدة ١٩٥٨** (بيروت: دار المسيرة، ١٩٨٠)، ص ٤٣.

في فلسطين، ولا لواقع التجزئة الذي فرضه الاستعمار الأوروبي. دفع هذا كله التطور الاجتماعي والسياسي الذي أصاب البيئة العربية، ودفع بقوى اجتماعية جديدة عكست تطلعاتها ونظراتها القومية، وبالتحديد في مجال تحويل الفكرة العربية إلى حركة سياسية لها أسس تنظيمية وطابع الشمول والانتشار، وإضفاء الطابع الشعبي والجماهيري عليها، سواء انعكس ذلك في أن القوى التي تصدّت لحكامها كانت ذات صلة قوية مباشرة بالجماهير العربية، أم أن بعضها عكس آمال وتطلعات الجماهير وتبنّاها[2]. وكذلك كان لقيام بعض الثورات ذات النزعة التحررية أثر بليغ في إقلاق المستعمر، سواء كان هذا المستعمر تقليدياً متمثلاً في الاستعمار البريطاني الذي راح نفوذه ينحصر بعد الحرب العالمية الثانية، أو كان هذا المستعمر قوة حديثة جبارة مثل الإمبريالية الأمريكية. وفي الوقت الذي كانت فيه نظرة المستعمر وسياساته بعيدة النظر، وتنطوي على كثير من الحذر والترقب والاحتراز، فإن غالبية السياسات العربية كانت عبارة عن ردود أفعال ضعيفة، فضلاً عن أنها تدور في فلك السياسة البريطانية بالذات، وكان الحكام آنذاك لا يرون أبعد من أرنبة أنوفهم[3]. وفي العراق شهدت السنوات الأولى من الخمسينيات أحداثاً وطنية بارزة بفعل تأثيرات داخلية وإقليمية وعربية، مما أدى إلى نمو الوعي التحرري وتصاعد العمل الشعبي المنظم باتجاه تغيير نظام الحكم، ودعم ذلك الاتجاه انتشار الأفكار القومية بفعل التأثيرات القومية لثورة ٢٣ تموز/يوليو ١٩٥٢ في مصر، وانتشار أفكار التغيّر والتحديث في عموم أقطار الوطن العربي[4]. وهكذا يتجلى لنا بكل وضوح أنه منذ الحرب العالمية الثانية نمت وتطورت حركة القومية العربية عمقاً واتساعاً بسبب نشوء أحزاب قومية ثورية ذات أيديولوجية واضحة تربط بين محتوى الوحدة العربية وشكلها. وعندما جاءت ثورة ٢٣ تموز/يوليو ١٩٥٢، وتبنى الرئيس عبد الناصر حركة القومية العربية ازداد نشر الوعي القومي بين الجماهير، مما انعكس على نشاط الأحزاب القومية واتساعه في العراق، مثل حزب الاستقلال وحزب البعث في النضال ضد الطبقة الحاكمة لتحقيق أماني العرب القومية في الوحدة والتحرر. وكانت مأساة فلسطين عاملاً مهماً في التطورات السياسية للبلاد العربية بصورة

(٢) محمد عبد العاطي [وآخرون]، **تحليل مضمون الفكر القومي العربي (دراسة استطلاعية)**، المشرف على الدراسة السيد يسين، ط ٢ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٢)، ص ١٠٩.

(٣) حمزة مصطفى، «ثورة ١٩٥٨ في الوثائق السرية البريطانية،» **آفاق عربية**، العدد ٧ (تموز/يوليو ١٩٨٩)، ص ٥٤.

(٤) صباح ياسين، **الفكر والقضايا القومية في الصحافة العربية: دارسة مقارنة للصحافة في مصر والعراق** (بغداد: دار الشؤون الثقافية، ١٩٩٢)، ص ٥١.

عامة، والعراق بصورة خاصة، مما جعل الأحزاب السياسية القومية في العراق تضع في برامجها مسألة تحرير فلسطين هدفاً أساسياً تسعى لتحقيقه بإسقاط الأنظمة الرجعية والمرتبطة بالاستعمار[5]. ولم يكن الشباب القومي في العراق بمعزل عما كان يدور من نضال لتطور الفكر القومي العربي ذلك الوقت، فقد كانت لهم مشاركات على المستوى القومي العربي من خلال الدعوات الوحدوية، ومن خلال المشاركة الفعلية في الجمعيات والنوادي الطلابية في أقطار الوطن العربي، والتي تكللت باندفاع تلك القوى القومية إلى العمل على تحويل فكرة القومية إلى حركات سياسية لها أسس تنظيمية ذات طابع شمولي وجماهيري، وأن تتحول القومية العربية من فكرة وطموح إلى مضمون ثوري يمثل القوة الدافعة الديناميكية التي تعبّر عن تطلع الأمة نحو تحقيق أهدافها[6]. ومن هنا بدأ تشكيل التنظيمات القومية ذات البعد الوحدوي في هذه الفترة، ومنها حركة القوميين العرب وفروعها في الأقطار العربية.

١ ـ التأسيس

إن البحث عن نشوء حركة القوميين العرب في العراق لا بد من أن ينطلق من نشاط أبناء العائلات البرجوازية والثرية الذين أنهوا دراساتهم في الجامعة الأميركية في بيروت في أوائل الخمسينيات. وقد أتاحت لهم فترة وجودهم في بيروت أن يلتقوا مع العديد من العناصر القيادية المؤسسة لحركة القوميين العرب. وعند عودة الخريجين في الجامعة الأميركية من لبنان إلى بغداد نشطوا في إنشاء الحركة في العراق. وكانت مفاهيمهم لا تتعدى حدود الحماس العاطفي الذي انعكس على شعارهم «وحدة، تحرر، ثأر بالقوة، بالحديد بالنار»، وكانت العقلية البرجوازية ذات الطابع اليميني تسيطر على قياداتهم[7].

كانت البدايات الأولى لإنشاء أول فرع للتنظيم في العراق عام ١٩٥٢ عند عودة حامد الجبوري إلى بغداد، بعد تخرجه في الجامعة، وكانت مهمته أن يبدأ بتشكيل نواة عمل للشباب القومي العربي. وتعدّ هذه المنظمة امتداداً لـ«الشباب القومي العربي» التي تشكلت خلاياها الأولى نهاية عام ١٩٥١ في بيروت، من

(٥) ليث الزبيدي، **ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق**، سلسلة دراسات؛ ١٨٤ (بغداد: دار الرشيد للنشر، ١٩٧٩)، ص ٤٠ ـ ٤١.

(٦) أحمد فؤاد الأهواني، **القومية العربية** (القاهرة: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٠)، ص ٤.

(٧) باسل الكبيسي، **حركة القوميين العرب**، ترجمة نادرة الخضيري الكبيسي، ط ٤ (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٥)، ص ٥٤ ـ ٥٦.

اندماج ثلاث مجموعات طلابية، هي **أولاً** «الحلقة الثقافية» في الجامعة الأميركية، ومن أبرز أعضائها: هاني الهندي وجورج حبش ووديع حداد وصالح شبل وأحمد الخطيب وحامد الجبوري، والمجموعة **الثانية** «منظمة العروبة» عام ١٩٥٠ من طلاب ثانوية الجامعة الأميركية في بيروت، ومن أبرز أعضائها: ثابت المهايني (سوريا) ومصطفى بيضون (لبنان) وعدنان فرج (فلسطين) وأديب قعوار (الأردن)، والحلقة **الثالثة** من طلبة كلية الدراسات ـ الجامعة الأميركية برئاسة أسماء الموقع (سوريا) وباسل الكبيسي (العراق)، وفيصل بن خضراء (فلسطين)[٨].

والواقع، فإن العمل لبناء أول تنظيم لحركة القوميين في العراق، بدأ مع قدوم صالح شبل (فلسطيني) في خريف عام ١٩٥٤ إلى بغداد تحت غطاء إدارته لشركة تجارية مولها أحد أصدقاء الشباب القومي[٩].

لقد كانت نشاطات الشباب القومي العربي في العراق، وإعداد المواد التثقيفية والسياسية، من الأمور الصعبة التي واجهت العمل حينذاك؛ ذلك أن أجهزة الأمن العراقية تميزت بخبراتها وامتداداتها بحكم محاربتها المتواصلة للحزب الشيوعي، إضافة إلى وجود ضباط أمن بريطانيين تخصصوا في دراسة أوضاع العراق وتياراته السياسية المختلفة، ومن هنا لم يكن ميسوراً تأمين وصول نشرات الشباب القومي العربي كـ **الثأر** و**الرأي** والمحاضرات والتقارير السياسية وغيرها إلى العراق بسبب شدة الرقابة الأمنية ويقظة عناصرها. وإذا كانت الرقابة الأمنية ضد كل نشاط سياسي شديدة ودقيقة بالنسبة إلى المواطنين فإنها كانت أشد دقة ومتابعة للعرب القادمين من خارج العراق، وخاصة للشباب المثقف منهم، وبشكل أخص حين يكون أولئك الشباب العربي من أقطار عربية معينة. ومع ذلك، فقد كانت تلك أولى خطوات البداية لبناء جهاز تنظيمي للشباب القومي العربي في العراق. ومهما يكن من أمر، فقد سبق صالح شبل في المجيء إلى العراق كل من نهاد هيكل (عام ١٩٥٢) وسعيد بركة (آذار/ مارس ١٩٥٣) وهما من فلسطين، حيث كان هيكل من العناصر الناشطة في جمعية العروة الوثقى، ومن أعضاء الحلقة الثقافية. وقد قدم الاثنان إلى بغداد للعمل ولمساعدة شبل والجبوري في مهمتهما[١٠]. وبالتالي، فقد كانت النواة الأولى لتأسيس

(٨) هاني الهندي وعبد الإله النصراوي، محرران، **حركة القوميين العرب: نشأتها وتطورها عبر وثائقها ١٩٥١ ـ ١٩٦٨: الكتاب الأول، ١٩٥١ ـ ١٩٦١**، ٣ ج (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ٢٠٠١ ـ ٢٠٠٣)، ج ١، ص ٨٤ ـ ٨٦.

(٩) وليد قزيها، **التحول الثوري في العالم العربي: حبش ورفاقه من القومية إلى الماركسية**، ترجمة سليم بركات (القاهرة: الجامعة الأمريكية، دائرة العلوم السياسية، ١٩٧٣)، ص ٣٧.

(١٠) الهندي والنصراوي، محرران، المصدر نفسه، ص ١٣٢.

فرع العراق تتألف من شبل وهيكل وبركة والجبوري، وأصبح شبل هو المسؤول عنها، حيث شكّل وجوده دفعة قوية لتنشيط العمل ودعمه[١١]. واستطاع هؤلاء من خلال استثمار علاقاتهم الشخصية تكوين عدة خلايا بسيطة ضمت بعض العراقيين والفلسطينيين.

وكانت فترة العطلة الصيفية مفيدة للعمل التنظيمي، حيث يقضي بعض الطلاب النشطين الموجودين خارج العراق أسابيع عديدة من عطلتهم بين أسرهم في بغداد والمدن العراقية الأخرى، مما أتاح لنواة التنظيم في العراق فرصة الإفادة من وجودهم. وكان من بين هؤلاء باسل الكبيسي الذي ساهم بفتح مجالات عديدة للعمل التنظيمي خلال أسابيع العطلة الدراسية التي كان يقضيها في بغداد[١٢].

وعندما عاد باسل الكبيسي إلى بغداد في أيار/ مايو عام ١٩٥٦ بعد إنهاء دراسته الجامعية تعزز وضع الحركة التنظيمية بحكم سعة دائرة علاقاته الاجتماعية، إذ كان ابناً لأحد الشخصيات المعروفة في العهد الملكي، وهو المرحوم رؤوف الكبيسي، مدير الأوقاف العام في العراق، فضلاً عن كون عائلته ترتبط بعلاقات المصاهرة والقرابة بعدد من العوائل العربية والكردية المعروفة. وعلاوة على ذلك، فقد حققت دعوته الثورية قوة دعم له بين معارفه من الشباب القومي، والذين كانوا مادة صالحة للتنظيم في الحركة، أمثال غازي القصاب وزهير رايح العطية وعدنان الكيلاني وموسى الجلبي. وبفضل تلك العلاقات استطاع باسل الكبيسي تكوين خلايا تنظيمية في منطقة الأعظمية، وامتد نشاطه إلى بعض ضباط الجيش العراقي، إذ استطاع تنظيم البعض منهم[١٣].

وبذلك يمكن القول إن مجموعة الشباب القومي في العراق كانت بحاجة إلى عنصر عراقي، وجاء باسل الكبيسي في الوقت المناسب، ونجح بملء ذلك الفراغ في ظروف كان يشهد فيها الوضع السياسي في العراق غلياناً شعبياً ومعارضة جماهيرية ضد النظام الملكي. وتوسعت قيادة التنظيم في العراق بعد عام ١٩٥٦ بانضمام الكبيسي إليها، إلا أنها ما لبثت أن واجهت أولى النكسات في شباط/ فبراير ١٩٥٧، حين تم القبض على صالح شبل والتحقيق معه من قبل ضباط الأمن السياسي، وتم إبعاده خارج العراق[١٤]. ومن ذلك يظهر أن السلطات الأمنية

(١١) المصدر نفسه، ص ١٣١ ـ ١٣٢.

(١٢) المصدر نفسه، ص ١٣٢.

(١٣) مقابلة شخصية مع أمير الحلو بتاريخ ٢٠ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٠.

(١٤) الهندي والنصراوي، محرران، المصدر نفسه، ص ١٨٧.

العراقية التي تميزت بخبرتها الواسعة لم تكن غافلة عما كان يجري في البلاد من ظهور التنظيم القومي الجديد.

ولم يؤثر هذا الاعتقال لأحد قادة التنظيم في الروح المعنوية لقيادته، فواصلت مسيرتها النضالية، حيث نجح الشباب القومي في منتصف عام ١٩٥٧ بإيجاد موطئ قدم لهم في بيوت عمال بغداد، وذلك بانتماء عامل التبغ هاشم علي محسن، وهو من قاطني الأكواخ الطينية[١٥]. وبذلك استطاع التنظيم تجاوز قطاع الطلاب وصغار الموظفين والمعلمين. ومع كل ذلك، فإن البعض يقدر حجم التنظيم يوم قيام ثورة ١٤ تموز/ يوليو ١٩٥٨ بعشرين عضواً في أقل التقديرات، وسبعة وعشرين عضواً في أقصاها، والبعض منهم لم يزل مقيماً في بيروت[١٦].

ويمكن القول إن أوضاع الحركة التنظيمية في الفترة التي سبقت ١٤ تموز/ يوليو ١٩٥٨ كانت بسيطة ومحدودة تعتمد على العلاقات الاجتماعية لأعضائها، لذلك لم يكن اسمها بارزاً في الشارع على الرغم من بعض المشاركات الجماهيرية التي ساهم فيها المنتظمون كالتظاهرات والاعتصامات التي صاحبت العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، ومنها الاعتصام في كلية الآداب، حيث كان باسل الكبيسي عضواً في اللجنة المشرفة على الفعاليات الجماهيرية المعارضة[١٧].

وبعد ثورة ١٤ تموز/ يوليو ١٩٥٨ أرسلت القيادة المركزية للحركة في دمشق هاني الهندي، أحد قادتها الأكفاء إلى بغداد وذلك أواخر تموز/ يوليو ١٩٥٨، وكانت أمامه قائمة طويلة من المشاكل المتعددة والتي غطت الجوانب التنظيمية والسياسية والفكرية. وقد استطاع الهندي مساعدة القيادة المحلية في رسم خطة عمل جديدة لإعادة الهيكل التنظيمي في العراق[١٨].

وفي زيارة الهندي الثانية للعراق في أواخر كانون الثاني/ يناير عام ١٩٥٩ ركز جهوده على رفع مستوى الأعضاء والاهتمام بتوعيتهم. وجرى إبعاد بعض العناصر على مستويات مختلفة، كما تم تكليف آخرين ممن عرفوا بالنشاط والحيوية والوعي

(١٥) حنا بطاطو، **العراق**، ترجمة عفيف الرزاز، ٣ ج (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٩٢)، ج ٣: **الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار**، ص ٣٤٤.

(١٦) محمد جمال باروت، **حركة القوميين العرب: النشأة ـ التطور ـ المصائر** (دمشق: المركز العربي للدراسات الاستراتيجية والعسكرية، ١٩٩٧)، ص ١٠٣.

(١٧) مقابلة شخصية مع أمير الحلو بتاريخ ٢٠ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٠.

(١٨) رسالة للباحث من الأستاذ هاني الهندي بتاريخ ٢٠ شباط/ فبراير ٢٠٠١.

والكفاءة بمهمات ومسؤوليات لرفع عمل التنظيم. ومن جهة ثانية، استطاع الهندي وقيادة فرع العراق إيجاد اسم جديد للشباب القومي يميزهم من قواعد حزب الاستقلال في العراق، فأطلق اسم «حركة القوميين العرب» لأول مرة على التنظيم، وتم إقراره من قبل القيادة المركزية، وجرى تعميمه على مختلف الفروع في الأقطار العربية. وكانت هذه الخطوة العملية الأولى التي ساعدت الحركة الناشئة على إثبات وجودها كتنظيم سياسي مستقل[١٩].

لقد جرى تعزيز القيادة المحلية لإقليم العراق بشكل كبير ومؤثر من قبل المركز بعد أن تمكنت قيادة حركة القوميين العرب في العراق من أن تؤسس لها فروعاً في الموصل وكربلاء والحلة والنجف. فقد التحق بالقيادة سلام أحمد بعد أن أنهى دراسته في الجامعة الأميركية في بيروت، وفي أواخر آب/ أغسطس ١٩٥٨ وصل نايف حواتمة إلى بغداد، وكانت قيادة الحركة المركزية قد كلفته بالذهاب إلى العراق لتولي قيادة العمل هناك[٢٠]. وكان لحواتمة عند استلامه مسؤولية فرع العراق مخزون في العمل السري على أرض ضفتي نهر الأردن في منظمة القوميين العرب الأردنية ـ الفلسطينية. وقد تحمل حواتمة قيادة العمل في منظمة القوميين العرب بعد انقلاب نيسان/ أبريل ١٩٥٧ الذي قام به القصر الملكي بالتعاون مع واشنطن لإدخال الأردن في مشروع آيزنهاور للشرق الأوسط بعد أن فشلت كل محاولات إدخال الأردن في الحلف الباكستاني ـ التركي ـ العراقي (حلف بغداد). واختزن تجربة في العمل القيادي المسلح والعلني في لبنان بعد انكشاف دوره في الأردن وانتقاله سراً ومشياً على الأقدام من عمان إلى غور الأردن الشمالي، وإلى داخل الحدود السورية في شباط/ فبراير ١٩٥٨. وفي شمال لبنان تحمل نايف حواتمة قيادة العمل المسلح والعلني الجماهيري، وأشرف على إذاعة محلية لمنظمة الشباب القومي العربي في طرابلس، وساعده برهان غلاييني، ورشيد فهمي كرامي، ود. عصام حداد، ورشيد درباس، ومصطفى صيداوي، ومحمود طبو، ومصطفى درنيقة[٢١]. ولما يمتاز به حواتمة من خصائص نضالية وتنظيمية، فقد مثل وجوده في القيادة الإقليمية ثقلاً كبيراً ساعد على تركيز القواعد التنظيمية، ومن ثم التوسع في التنظيم والقيام بممارسات نضالية على الساحة العراقية[٢٢]. ومن الجدير بالذكر أن اسم حركة

(١٩) المصدر نفسه.

(٢٠) مقابلة شخصية مع أمير الحلو بتاريخ ٢٠ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٠.

(٢١) رسالة للباحث من نايف حواتمة بتاريخ ٦ آب/ أغسطس ٢٠٠١.

(٢٢) مقابلة شخصية مع أمير الحلو بتاريخ ٢٠ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٠.

القوميين العرب باعتقاد الباحث كان بمبادرة حواتمة، وذلك في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٥٨ لحل التداخل والالتباس مع منظمة الشباب القومي العربي لحزب الاستقلال، إذ بدأت بيانات تنظيم إقليم العراق تصدر من مطلع تشرين الأول/ أكتوبر بالاسم الجديد في الوقت الذي لم يسحب الاسم الجديد على فروع منظمة الشباب القومي العربي في لبنان وسوريا والكويت والأردن، حيث يشير جورج حبش في حواره مع فؤاد مطر إلى «أن فرع العراق اقترح في تشرين الأول/ أكتوبر تبني اسم حركة القوميين العرب». ومما يؤكد ما ذهب إليه الباحث أن هاني الهندي أكد ذلك في كتابه الصادر عن مؤسسة الأبحاث العربية ببيروت عام ٢٠٠١، إذ يقول «صدر في تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٥٨ في العراق أول بيان يحمل اسم حركة القوميين العرب». ومن جانب آخر، فقد تسلم نايف حواتمة مسؤوليات تنظيمية متعددة، في بغداد والموصل والفرات الأوسط. وفي الواقع أن نايف حواتمة قد أدى دوراً كبيراً في بروز فرع العراق تنظيماً ونضالاً على الرغم من وجوده غير القانوني. فقد كان يشارك أعضاء الحركة في الجلوس في مقاهيهم ومناطقهم الشعبية، كما قاد عدة مظاهرات بنفسه، ولم يتوان عن قيادة الجماهير للهتاف وترديد الأناشيد القومية بلهجته غير العراقية[٢٣]. كما وصل إلى بغداد أيضاً في أوائل عام ١٩٥٩ عمر فاضل. وهو من القياديين البارزين في قيادة إقليم لبنان لمساعدة حواتمة في مسؤولياته الجديدة في العراق[٢٤].

كما قامت القيادة التنفيذية القومية برفد العمل التنظيمي بعنصرين قياديين آخرين، هما عبدالحليم حريبي (لبنان) وابراهيم قبعة (فلسطين) لمساعدة قيادة إقليم العراق بعد إلقاء القبض على حامد الجبوري وهيكل، من قبل قوات الأمن العراقية، حيث قامت بسجن الجبوري، وإبعاد هيكل خارج العراق[٢٥].

وبذلك ترسخت الأسس السرية لتنظيم حركة القوميين العرب في العراق، إذ شكل هؤلاء القوميون العرب من العراقيين والعرب أول قيادة إقليم لحركتهم برئاسة نايف حواتمة.

٢ ـ الهيكل التنظيمي

كانت حركة القوميين العرب تشكل هرماً تنظيمياً، تحكمه العلاقات العمودية،

(٢٣) الهندي والنصراوي، محرران، **حركة القوميين العرب: نشأتها وتطورها عبر وثائقها ١٩٥١ ـ ١٩٦٨: الكتاب الأول، ١٩٥١ ـ ١٩٦١**، ص ٢٤٠.

(٢٤) المصدر نفسه، ص ٢٤٠ ـ ٢٤٣.

(٢٥) قزيها، **التحول الثوري في العالم العربي: حبش ورفاقه من القومية إلى الماركسية**، ص ٣٨.

وتخضع فيه القيادات، أو المراتب الدنيا، إلى القيادات أو المراتب العليا وفق مبدأي «لا تيارات ولا أجنحة» و«نفّذ ثم ناقش». وفي مثل هذه البنية الهرمية التي تحكمها مركزية شديدة للغاية لا يمكن للقيادات الدنيا أن تحاسب القيادات العليا. فكانت القيادات تدير «جهازاً» يمثل خلايا الحركة. وبموجب تلك البنية الهرمية التي تقوم على المركزية الإدارية التنفيذية يصنف الأعضاء عمودياً وأفقياً، للمرتبة المناسبة لهم. فكان الهرم التنظيمي يتدرج من «الخلية إلى «الرابطة» فـ«الشعبة» فـ«قيادة الإقليم»[٢٦]، كما هو موضح أدناه:

أ ـ **الخلية**: تعد الخلية الوحدة الأساسية في الحركة، إذ إنها صلة الوصل ما بينها وبين الشعب، وهي نواة العمل التنظيمي. وتتألف كل خلية من ثلاثة إلى سبعة أعضاء وفق تنظيم جغرافي (خلايا الأحياء أو تنظيم مهني (خلايا العمل)، وتجتمع كل خلية أسبوعياً، ومهمتها تنفيذ الواجبات والأعمال المعهودة إليها من الرابطة أو من مندوبها[٢٧]. ويتم أثناء الاجتماعات الأسبوعية المنتظمة للخلايا اتباع جدول أعمال دقيق لتزويد الأعضاء بالأفكار والتجارب الثورية الأساسية. ويتضمن جدول الأعمال في العادة الأبواب الدائمة التالية:

(١) قراءة ومناقشة التوجيهات الصادرة من المراتب العليا.

(٢) مناقشة التقرير السياسي الذي يقوم بتقديمه أحد أعضاء الخلية حول أحداث الأسبوع المهمة.

(٣) دراسة قضية فكرية أو مشكلة تنظيمية تطرحها المراتب العليا أو يختارها المسؤول عن الخلية.

(٤) بحث أعمال الخلية خلال الأسبوع المنصرم، وتعيين مهمات جديدة للأسبوع القادم.

(٥) باب المالية والمتفرقات.

(٦) النقد والنقد الذاتي.

ويمكن القول إن المعلومات التي ترد إلى الحركة بواسطة الوحدات الأساسية للتنظيم تجهزها بالمواد التي تجعلها قادرة على تأدية مهامها[٢٨].

(٢٦) باروت، **حركة القوميين العرب: النشأة ـ التطور ـ المصائر**، ص ٨٣ ـ ٨٤.

(٢٧) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ٢٢/١١، النظام الداخلي، لجنة الإدارة، ص ٣.

(٢٨) مقابلة شخصية مع أمير الحلو بتاريخ ٢٠ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٠.

ب ـ **الرابطة**: وتتكون من ثلاثة إلى سبعة أعضاء تعينهم الشعبة، وقد تكون رابطة جغرافية في «الأحياء والمناطق» أو مهنية في «أماكن العمل». وتتولى الرابطة شؤون الخلايا، إذ كان قائد كل خلية عضواً في الرابطة، وتكون هي المسؤولة عن أعمال الخلايا أمام الشعبة. ومن واجباتها أيضاً اقتراح انتساب الأعضاء الجدد إلى الحركة، وتنفيذ خطة المنطقة وبرامجها في المجال المعين[٢٩]. ولكون حركة القوميين العرب تعتمد نظام العلاقات العمودية، فإن الخلايا لا تتمكن من الاتصال بعضها ببعض مباشرة، وهكذا تشكل الرابطة وسيلة الاتصال بين الوحدات الأساسية[٣٠].

ج ـ **الشعبة**: تتألف كل شعبة من ثلاثة إلى سبعة أعضاء تعينهم قيادة الإقليم، ويشرف أعضاء الشعبة على الروابط في المدينة أو القطاع، ويكون مسؤول الشعبة عضواً في قيادة الإقليم. وتتولى الشعبة شؤون العمل القومي بمختلف مجالاته، وتكون مسؤولة عن أعمالها أمام قيادة الإقليم أو مندوبها. ومن واجبات الشعبة أيضاً قبول الأعضاء الجدد في الحركة، وتنسيق وتنظيم عمل الروابط في نطاق عملها[٣١]. وتعادل الشعبة في بعض الأحزاب قيادة فرع، غير أنه قد يوجد في محافظة واحدة أكثر من شعبة، كما يمكن لمحافظتين أن تكونا في إطار شعبة واحدة. وقد اعتمدت الحركة في بعض الأقطار على سياسة تنظيم وجوه بارزة في المحافظة أو المدينة ووضعها في الصدارة، أي في موقع الشعبة. ومن غير الضروري أن تكون هذه الوجوه على رغم وظيفتها الرسمية على دراية تامة بتفاصيل العمل، فكان هناك أحياناً أشبه ما يكون بجهاز خاص في كل شعبة[٣٢].

د ـ **قيادة الإقليم**: تتربع قيادة الإقليم على قمة التركيب الهرمي في أي بلد عربي تعمل فيه حركة القوميين العرب. وتتكون قيادة الإقليم من عضو مسؤول معين من قبل المؤتمر، الإقليمي، ومن عدد من الأعضاء الذين تعينهم اللجنة التنفيذية المركزية (القومية). وتقوم قيادة الإقليم بتمثيل الحركة في ذلك الإقليم (أي البلد العربي المعني). وتتضمن واجبات قيادة الإقليم ما يلي:

(١) تطبيق مبادئ الحركة وقوانينها وتنفيذ خططها وقراراتها في الإقليم.

---

(٢٩) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ٢٢/١١، النظام الداخلي، لجنة الإدارة، ص ٣.

(٣٠) الكبيسي، **حركة القوميين العرب**، ص ١٢٢.

(٣١)القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ٢٢/١١، النظام الداخلي، لجنة الإدارة، ص ٣.

(٣٢) باروت، **حركة القوميين العرب: النشأة ـ التطور ـ المصائر**، ص ٨١.

(٢) الإشراف على تنظيمات الحركة في الإقليم.

(٣) رفع المستوى النظري والتنظيمي لأعضاء الإقليم.

(٤) تنظيم مالية الحركة في الإقليم.

وتعقد قيادة الإقليم واللجنة التنفيذية المؤتمر الإقليمي كلما دعت الحاجة إلى إعادة النظر في استراتيجية وتكتيك الحركة في ذلك الإقليم[٣٣]. وتضطلع قيادة الإقليم بوظائف قيادة قطرية (الإقليم) أو القطر. ويتم تعيينها من قبل اللجنة التنفيذية القومية. وقد نصت بعض التعديلات التنظيمية اللاحقة على أن يكون مسؤول الإقليم معيناً من قبل المؤتمر الإقليمي، في حين تعين اللجنة التنفيذية القومية الأعضاء الآخرين، إلا أن هذا المؤتمر قلما اجتمع[٣٤].

وعلى الرغم من المركزية الشديدة في الحركة، فإنها أقرت بحق قيادات الإقليم بوضع المخططات لكل إقليم، ولكن لا تسمح لها بتنفيذها قبل أن تمر على المركز. وكانت القيادة التنفيذية القومية تهيئ مباشرة أعضاء تعينهم كي يتولوا تأسيس أو تطوير عمل الإقليم، كما تم في إيفاد نايف حواتمة إلى العراق بعد ثورة ١٤ تموز/ يوليو ١٩٥٨. وفي أقاليم عديدة كان بعض أعضاء القيادة القومية يشرفون مباشرة على عمل الإقليم أو قيادته، كما هو الحال بالنسبة إلى جورج حبش، ووديع حداد في الأردن، وأحمد الخطيب في الكويت، والحكم دروزة، وهاني الهندي في سوريا، وصالح شبل، وحامد الجبوري، في العراق[٣٥].

هـ ـ **مؤتمر الإقليم**: يضاف إلى الهيكل التنظيمي مؤتمر الإقليم الذي ينتخب أو يختار القيادة. وقد مر الهيكل التنظيمي في العراق بفترتين أساسيتين: **الأولى** عام ١٩٥٨، حيث كان اختيار القيادات يتم بالتعيين، بما في ذلك قيادة الإقليم. فالقائمة المرشحة يتم اختيارها من قبل القيادة السابقة، وأمام المؤتمر، فإما أن يرفضها أو يقبل بها. وعادة ما كان للمركز (مركز الحركة للجنة التنفيذية القومية) رأي حاسم في الأمر. والفترة **الثانية** بعد مؤتمر عام ١٩٦٦ الذي تم عقده بالتنسيق مع القيادة التنفيذية القومية، وعقد بصورة سرية في مقر نقابة الزراعيين في بغداد حيث تقرر اعتماد الترشيح الفردي والاقتراع السري في اختيار القيادة من قبل المؤتمر. وهذا يعود إلى طبيعة المرحلة، والتوسع الذي حصل في الحركة وانتشار المفاهيم الديمقراطية، وانحسار الطابع السري المركزي في العمل. كما جرى في هذا المؤتمر

---

(٣٣) الكبيسي، **حركة القوميين العرب**، ص ١٢٢ ـ ١٢٣.

(٣٤) باروت، المصدر نفسه، ص ٨١.

(٣٥) المصدر نفسه، ص ٨٢.

استعراض لمسيرة التنظيم النضالية وللوضع السياسي في العراق(٣٦).

ومن الجدير بالذكر قوله هنا إن كل عضو من أعضاء الخلية في حركة القوميين العرب كان يقود حلقة من حلقات «الأنصار»، وهي تضم المبتدئين في التنظيم. ولا يعتبرون من أعضاء الحركة حتى يتم تأهيلهم من خلال دورات وممارسات ثقافية وعملية(٣٧).

وتمثل الاجتماعات الأسبوعية لأفراد التنظيم ممارسة قومية تنظيمية يشارك فيها أفراد المنظمة مسؤولياتهم في عدد من المجالات، حيث يبدأ الاجتماع بترديد القول التالي: «**باسم العروبة نفتتح الاجتماع**» من قبل مسؤول المنظمة. ويتضمن الاجتماع(٣٨).

التعليق السياسي: ويتناول الأوضاع السياسية، وقد يكلف أحد أعضاء المنظمة بإعداد تعليق سياسي مسبق.

الجانب الثقافي: ويتضمن قراءة المواد المقررة مركزياً من الحركة ككتاب **التثقيف القومي** الذي أصدرته القيادة التنفيذية القومية، أو أية بحوث، أو دراسات أخرى، كما يكلف أحد الأعضاء بتلخيص وعرض أحد الكتب السياسية.

الجانب التنظيمي: ويتناول بحث شؤون التنظيم في جميع الجوانب وأوضاع الأعضاء التنظيمية.

الجانب المالي: ويتم بحث الأوضاع المالية للمنظمة وجباية الاشتراكات الشهرية.

النقد والنقد الذاتي: ويتدارس فيه الأعضاء بحث الجوانب الإيجابية والسلبية في أداء المنظمة وأعضائها.

العضوية

وتتمثل في الأعضاء المنتمين إلى حركة القوميين العرب بشروط تؤهلهم الانضمام في الحركة والعمل بين صفوفها، وهي(٣٩):

(٣٦) مقابلة شخصية مع نوري المرسومي بتاريخ ٢٧ آذار/مارس ٢٠٠١.
(٣٧) مقابلة شخصية مع أمير الحلو بتاريخ ١٩ آذار/مارس ٢٠٠١.
(٣٨) مقابلة شخصية مع أمير الحلو بتاريخ ١٩ آذار/مارس ٢٠٠١.
(٣٩) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ١١/٢٢، النظام الداخلي، لجنة الإدارة، ص ٤.

أ - الإيمان بأهداف الحركة ومبادئها.

ب - العمل في إحدى تشكيلات الحركة.

ج - الطاعة لأوامر الحركة، والدقة، والانتظام في أداء وتنفيذ المهمات المعهودة إليه.

د - المساهمة المادية في تمويل صندوق الحركة.

هـ - التجسيد لمفاهيم الحركة وعقيدتها.

بالإضافة إلى ذلك، فإن لكل عضو في الحركة حقوقاً تتمثل في(٤٠):

أ - نقد الحركة ومحاسبتها.

ب - تقديم الاقتراحات وطلب الأجوبة عنها.

ج - طلب معرفة ما لا يتعارض مع سرية بعض الأمور في الحركة.

د - مناقشة خطة الإقليم العامة.

هـ - مناقشة خطة العمل في المجال الموجود فيه.

وفي مقابل هذه الحقوق والواجبات، وضعت قيادة الحركة القومية ضوابط انضباطية لمخالفات الأعضاء في تنظيمات الأقاليم، وعلى كافة مستوياتها، وهي(٤١):

أ - أعضاء المؤتمر

(١) النقد في اللجنة التنفيذية.

(٢) التعليق بقرار من اللجنة التنفيذية.

(٣) العقوبات الأشد من حق المؤتمر.

ب - أعضاء قيادات الأقاليم

(١) انتقاد من اللجنة التنفيذية.

(٢) التعليق باقتراح من قيادة الإقليم ومصادقة اللجنة التنفيذية.

(٣) للجنة التنفيذية حق اتخاذ كافة الإجراءات الأكثر شدة.

(٤٠) المصدر نفسه، ص ٤.
(٤١) المصدر نفسه، ص ٤ - ٥.

ج ـ أعضاء الشعب والروابط والخلايا

(١) انتقاد من المرتبة الأولى.

(٢) إنذار مقترح من المرتبة وتوافق عليه المرتبة الأولى.

(٣) التعليق الذي تقترحه المرتبة وتوافق عليه المرتبة الأولى.

(٤) إنزال من المرتبة بقرار من الشعبة أو قيادة الإقليم.

(٥) الفصل من الحركة بقرار من الشعبة وقيادة الإقليم.

ومن الجدير بالذكر أن السنوات الأولى من تأسيس حركة القوميين العرب، كما يذكر جورج حبش، شهدت نوعاً من المبالغة في النظر إلى واجبات العضو وحقوقه، وهي مبالغة اتسمت بنوع من التدخل غير المحدود في حياة العضو الخاصة. فلا يجوز للعضو أن يتزوج أو يسافر أو أن يعمل في قطاع ما إلا بعد أن يأخذ موافقة الجميع، أي «الحركة». ويضيف حبش: إلا أن هذه المبالغة قد أفادت التنظيم في ذلك الوقت، حيث كانت نوعية الأعضاء مثالية، إذ كان الأعضاء يلتزمون الطاعة، والعضو ينفذ كل ما يطلب منه ولأقصى مستويات التضحية، فيوافق من دون أي نقاش[٤٢]. وفي قلب هذا الاستغراق الوجداني، لم يكن هناك من مكان اسمه الحياة الخاصة للفرد، ويعني ذلك في رأي حبش «ترهب أو رهبنة» المناضلين، أي تحولهم إلى رهبان، يعني استغراقاً وجدانياً وروحياً عميقاً في الجماعة يجعل منها «مجتمع مؤمنين» زهدوا في كل شيء من أجل الحلم القومي[٤٣].

لقد كان الفكر التنظيمي للحركة من الناحية الإجرائية أو العملية هو فكر قيادتها المؤسسة. فقد حاولت أن تبين في إطارها المخصوص مجتمعاً مكثفاً قائماً بحد ذاته، لا يجد وضعاً أدق له من وصف «مجتمع المؤمنين»، أو «مجتمع الأخوية» العقائدية. ونتيجة لكارثة النكبة، عد القوميون العرب في طورهم التأسيسي الضحك جريمة، وفي هذا المنظور رأي لبعض القوميين، بأن حركتهم كانت تعلم الأخلاق درساً ثابتاً من دروسها، فكادت المسلكية الشخصية وأخلاقياتها تكون درساً يعلم ويراقب ويصحح تمارينه وتعطى له العلامات التي تعتمد في تحديد مستوى كفاءة

(٤٢) فؤاد مطر، **حكيم الثورة: قصة حياة الدكتور جورج حبش**، ط ٤ (لندن: منشورات هاي لايت، ١٩٨٤)، ص ٥٨.

(٤٣) فاضل الربيعي، **كبش المحرقة: نموذج لمجتمع القوميين العرب** (بيروت: رياض الريس، ١٩٩٩)، ص ٧٠.

العضو[٤٤]. أما في ما يتعلق بمالية التنظيم، فقد كانت نشاطات الحركة في العراق تموّل ذاتياً من جمع الاشتراكات الشهرية لأعضاء التنظيم، فضلاً عن المصادر الأخرى التي تتكون من مجموع التبرعات الخاصة، أو مما كانت ترسله القيادة التنفيذية القومية في بيروت. وتعد هذه الأموال الرصيد المالي للتنظيم في إقليم العراق، حيث تصرف منه في تغطية رواتب أعضاء القيادة والأعضاء المتفرغين وفي النشر والإعلام وتغطية النشاطات الأخرى[٤٥].

وكان الاشتراك المالي يتم دفعه نهاية كل شهر، وكان يحدد في بادئ الأمر وفقاً لميزانية كل عضو ودخله المالي، إلا أن اللجنة المالية المركزية أصدرت تعليمات مالية، حددت بموجبها الاشتراكات المالية تصاعدياً، مع التميز بين الأعضاء المسؤولين عائلياً، وغيرهم ممن لا يعيلون أحداً، ولكن هذا لا يشمل مطلقاً أي عضو بتخفيض قيمة اشتراكه مما كان يدفعه سابقاً حسب القاعدة القديمة.

ومن أجل تنظيم الأمور المالية، فقد أنيطت مسؤولياتها في إقليم العراق بلجنة مكونة من ثلاثة أعضاء كحد أدنى تحددهم قيادة الإقليم، وتكون هذه اللجنة تحت مسؤولية أحد أعضاء قيادة الإقليم، وتختار اللجنة من بين أعضائها، وباتفاق مع القيادة، محاسباً وأميناً للصندوق[٤٦]. وفي الوقت نفسه يعيّن في كل شعبة، أو رابطة، أو خلية، مسؤول مالي من بين أعضائها. وكانت المبادئ التنظيمية المذكورة آنفاً ملائمة للجيل الأول من مجتمع المؤمنين، عندما كان المجتمع محدود العدد، غير أنه مع توسع حجم التنظيم وانتشار خلاياه في عدة أقطار عربية، ومن ضمنها العراق، فقد أصبح من الضروري إعادة النظر في المبادئ التنظيمية الواردة. وفي ضوء الوضع الجديد، أخذ الأعضاء الجدد في الحركة، وخاصة أولئك الذين كانت لهم بعض الخبرة في مؤسسات سياسية، يثيرون الشكوك حول جوانب معينة في نظام الحزب (الحركة)، كإثارة التساؤل عن جدوى المبادئ التنظيمية في غياب الديمقراطية، كما أثاروا مبدأ المركزية الديمقراطية غير المتوافقة مع نظام التعيين. ولعل في هذا النقد والتساؤل كثيراً من الحقيقة، إذ لو عمل فعلاً بمبدأ الديمقراطية المركزية لتحتّم انتخاب المراتب القيادية في الحركة[٤٧].

(٤٤) باروت، **حركة القوميين العرب: النشأة ـ التطور ـ المصائر**، ص ٩٦.

(٤٥) مقابلة شخصية مع أمير الحلو بتاريخ ٢٠ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٠.

(٤٦) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ١١/٢٢، النظام الداخلي، لجنة الإدارة، ص ٦.

(٤٧) الكبيسي، **حركة القوميين العرب**، ص ١٣٥ ـ ١٣٦.

لقد قامت حركة القوميين العرب وفق مبادئ تنظيمية ميزتها كحركة قومية نضالية، وهذه المبادئ هي: مبدأ القيادة للأكفأ. ويعني ذلك أن الحركة في تجديدها للمسؤولين القياديين ولأعضاء المراتب القيادية، فإنها لا تأخذ أي مقياس بعين الاعتبار غير مقياس الكفاءة القيادية بمعزل عن السنّ، أو الدرجة، أو النفوذ العائلي، أو المالي، أو الأقدمية في الحركة، كما يعني هذا المبدأ تصعيد من تثبت كفاءته وتنزيل مرتبة من تنقصه الكفاءة.

أما المبدأ الثاني، فهو مبدأ القيادة في صف الأعضاء، والذي يفرض على القيادة أن تعيش القيادة وسط الأعضاء، لا أمامهم، ولا فوقهم، ولا بمعزل عنهم. كما ركزت القيادة على مبدأ: نفّذ ثم ناقش[48]، إذ من حق الحركة أن تصدر في بعض الأوقات تعليمات إلى أعضائها تطلب منهم تنفيذها دون مناقشة، ومهما كانت آراؤهم في تلك التعليمات، فإن من حق العضو النقاش بعد التنفيذ. وتضيف وثيقة المبادئ التنظيمية بـ «أننا بدون هذا السلاح قد نتحول إلى حركة تجيد الجدل والنقاش، ولكنها لا تجيد التنفيذ».

وعلى ذلك، فإن الحركة مبنية على الطاعة وعلى المركزية المرنة، وهي أقرب بطبيعة الحال إلى المركزية. ويبدو أن المركزية المرنة أساساً لم تكن سوى ترجمة خاصة لـ«مركزية الديمقراطية» التي بدأت الحركة باستخدامها منذ عام ١٩٥٧ في أدبياتها. فضلاً عن ذلك، فقد تطلبت السرية من أعضاء التنظيم اكتساب كل عضو في الحركة اسماً حركياً مستعاراً، وأن لا يسعى لمعرفة أية تفصيلات تتعلق بحياة مسؤوله. فمكان عمل هذا المسؤول وعنوان منزله واسمه الصريح هي كلها أمور يجهلها أعضاء المرتبة التي يكون مسؤولاً عنها[49].

وعلى أي حال، كانت هذه الإجراءات أموراً ضرورية فرضتها المرحلة السياسية في العراق في ظل سياسات إجرائية قمعية كانت تقوم بها الأنظمة السياسية القائمة في العراق.

ويمكن القول إن حركة القوميين العرب في العراق خلال حضورها ونشاطها قد صممت تنظيماً اتسم بالطاعة والسرية.

---

(٤٨) حركة القوميين العرب، المبادئ التنظيمية (المبدآن ٢ و٨)، نقلاً عن باروت، **حركة القوميين العرب: النشأة ـ التطور ـ المصائر**.

(٤٩) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ٢٢/١١، النشرة الداخلية، العدد ٥ في ١٥ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٠، ص ٣ ـ ٤.

٣ ـ الإعلام

اعتمدت حركة القوميين العرب في العراق منذ تأسيسها وحتى منتصف عام ١٩٥٨ في تثقيف أعضائها ونشر مبادئها القومية على ما كان يرد إليها من منشورات مركزية من القيادة التنفيذية القومية في بيروت، كصحيفتي **الرأي**، و**الثأر**[50]، والمحاضرات، والتقارير السياسية وغيرها. وبطبيعة الحال، لم يكن ميسوراً تأمين وصول تلك النشرات إلى العراق بسبب شدة الرقابة الأمنية ويقظة عناصرها. وسرعان ما اتخذت قيادة العراق خطوات إعلامية خاصة بها بعد ثورة ١٤ تموز/يوليو عام ١٩٥٨، فبدأت بإصدار أول صحيفة سرية لها، هي صحيفة **الوحدة**، وذلك لتبني الحركة وحدة العراق الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة[51]. وقد صدر العدد الأول منها في تموز/يوليو ١٩٥٨، وجاء في ترويستها «**الوحدة** تصدرها حركة القوميين العرب في العراق»[52]، وهي مكونة من أربع صفحات حجم «فولسكاب». وبعد أن صدر منها ثمانية أعداد، أصبح عدد صفحاتها ما بين ٦ ـ ٨ صفحات عام ١٩٥٩. واستمرت **الوحدة** بالصدور إلى قبيل ثورة الموصل في ٨ آذار/مارس ١٩٥٩[53]، حيث توقفت خلال ازدياد النفوذ الشيوعي في العراق، لكنها عاودت الصدور ثانية في حزيران/يونيو عام ١٩٦٠. واستمرت بالإصدار السري حتى ثورة ٨ شباط/فبراير عام ١٩٦٣، حيث صدرت **الوحدة** بشكل علني يومي، إذ صدر العدد الأول منها في ٤ آذار/مارس ١٩٦٣. وكانت صحيفة **الوحدة** تحرر من قبل أعضاء القيادة أنفسهم، وبعد صدورها العلني بدأت تنشر بأقلام نايف حواتمة وغسان كنفاني وأمير الحلو وآخرين[54]. ولكنها ما لبثت أن منعت من الصدور في نيسان/أبريل من العام نفسه من قبل السلطات القائمة آنذاك، ثم عادت إلى الصدور السري مرة أخرى[55].

وقد اشتملت الإمكانيات الطباعية لحركة القوميين العرب في العراق على جهاز

---

(٥٠) وليد قزيها، «الأسس الاجتماعية ـ السياسية لنمو الحركة القومية المعاصرة في المشرق العربي،» **المستقبل العربي**، السنة ١، العدد ٦ (آذار/مارس ١٩٧٩)، ص ١٢٦ ـ ١٢٧.

(٥١) الهندي والنصراوي، محرران، **حركة القوميين العرب: نشأتها وتطورها عبر وثائقها ١٩٥١ ـ ١٩٦٨: الكتاب الأول، ١٩٥١ ـ ١٩٦١**، ص ١٣٣.

(٥٢) وائل علي أحمد النحاس، «تاريخ الصحافة العراقية ١٩٥٨ ـ ١٩٦٣،» (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، العراق، ١٩٩٣)، ص ١٩٧.

(٥٣) انظر نشرة الوحدة طريقنا، العدد ١٢ (شباط/فبراير ١٩٦٣).

(٥٤) **الوحدة**، ٤/٣/١٩٦٣.

(٥٥) مقابلة شخصية مع أمير الحلو بتاريخ حزيران/يونيو ٢٠٠١.

رونيو واحد، وجهاز تأبير واحد، وجهاز طباعي قديم لدى عبد الأمير الوكيل، مسؤول الحركة في الفرات الأوسط. فالإمكانيات كانت محدودة جداً، والأوكار الطباعية كانت غير ثابتة خشية اكتشافها من قبل الجهات الأمنية[٥٦]. ومن الأوكار الطباعية المعتمدة في بغداد، وكر في الصليخ، وكان سحب الاستنسلات المطبوعة في سوريا يتم على جهاز الرونيو في العراق، مما سهل مهمة الطبع في أحيان كثيرة[٥٧]. واهتمت **الوحدة** بالقضايا القومية منذ صدور عددها الأول في تموز/يوليو ١٩٥٨، منذ أولت اهتماماً واضحاً بالدعوة إلى قيام الوحدة العربية، وعدّت التضامن خطوة نحو تحقيقها، منتقدة التضامن المزيّف الذي تدّعيه العناصر المعادية. وهاجمت **الوحدة** بشدة الحركة الانفصالية في الإقليم الشمالي من الجمهورية العربية المتحدة[٥٨].

كذلك اهتمت جريدة **الوحدة** بالقضية اليمنية، وبالعلاقات العراقية ـ الجزائرية وسبل تطويرها[٥٩]. فضلاً عن ذلك، فقد اهتمت بالقضايا الوطنية، ومنها المسألة الكردية في العراق، ونبهت إلى تلك المسألة في وقت مبكر، إلا أن التأزم القائم بين العرب والأكراد لم يكن من صنع الجماهير العربية أو الكردية في العراق، بل من صنع القوى المعادية للتحرر والتقدم[٦٠].

كذلك اهتمت الصحيفة بإبراز بعض القضايا الوطنية الأخرى، مثل ثورة الموصل القومية، وعدتها الرد الطبيعي على الانحراف الذي حصل في ثورة ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨ الذي أدى إلى إفراغ الثورة من كل محتواها القومي الديمقراطي التقدمي[٦١].

ومن الموضوعات التي كانت المحور الأساسي للمقالة الافتتاحية لصحيفة **الوحدة**، والتي عبّرت عن اتجاهات هذه الصحيفة، قضية الوحدة بين مصر وسوريا التي كانت حجر الزاوية في البناء الثوري العربي ومطمح الملايين من جماهير شعبنا وأمتنا. فقد كتبت **الوحدة** مقالة افتتاحية بعنوان «بين الوحدة والاتحاد ومشروع حركة القوميين العرب» ركزت فيه «على اعتبار أن الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨

(٥٦) النحاس، «تاريخ الصحافة العراقية ١٩٥٨ ـ ١٩٦٣،» ص ١٣٨.
(٥٧) المصدر نفسه، ص ١٣٨ ـ ١٣٩.
(٥٨) **الوحدة**، ٦/٣/١٩٦٣.
(٥٩) **الوحدة**، ١/٤/١٩٦٣.
(٦٠) **الوحدة**، ٨/٣/١٩٦٣.
(٦١) **الوحدة**، ٧/٣/١٩٦٣.

وضعت حداً فاصلاً بين العمل الوحدوي الصادق وبين الصراخ الوحدوي الكاذب الذي مارسته الرجعية الاستعمارية طيلة خمسين عاماً، فقد حملت الجمهورية العربية المتحدة في أحشائها محتوى اشتراكياً أزاح بدفعة واحدة مشاريع جميع المتاجرين بقضية الوحدة، فتحددت وللمرة الأولى في تاريخ العرب الحديث الأبعاد الثورية لمطلب الوحدة العربية، ولم يعد بإمكان المشاريع الرجعية أن تثبت أمام المقاييس التقدمية لقضية الوحدة»[٦٢]. وفي مقالة أخرى لصحيفة **الوحدة** في معرض اهتمامها بقضية الوحدة العربية بعنوان: «حتى لا تضيع الوحدة مرة أخرى» ذكرت الصحيفة: «أن شعبنا العربي في مصر وسوريا والعراق يعيش مرحلة مصيرية من حياته، مرحلة تنقله من واقع إلى واقع جديد. ومن هنا يجب بحث هذه القضية بحضور الجماهير وفي ظل مراقبتها وتوجيهها»[٦٣].

وقد ركزت صحيفة **الوحدة** في معرض اهتمامها بهذه القضية على الميثاق الثلاثي لمشروع الوحدة بين مصر وسوريا والعراق. ففي مقالة لها بعنوان «لا وحدة بدون وحدويين، ولا ثورة بدون ثوريين» دعت فيه الشعب العراقي إلى الإسهام الفعال في صنع دولة الوحدة المنشودة، وذلك بإطلاعه على أدق التفاصيل كي يتمكن من طرح وجهات النظر كاملة في قضية تقرير مصيره[٦٤].

وعلاوة على ما سبق، فقد كانت للحركة نشاطات إعلامية أخرى، كخط اليافطات، والكتابة على الجدران، بعد إقرارها بشكل مركزي من القيادة، وتقوم التنظيمات الأدنى بتنفيذها بصورة سرية في المناسبات والأحداث الساخنة للتعبير عن وجودها القومي في الساحة السياسية[٦٥]. كما قامت الحركة بإعادة طبع كتاب **مع القومية العربية** عام ١٩٥٩ لمؤلفيه الحكم دروزة وحامد الجبوري وقد كان قد طبع لأول مرة في القاهرة عام ١٩٥٧، وهو يتضمن الآراء السياسية لحركة القوميين العرب[٦٦]. وامتداداً لنشاط الحركة على الصعيد القومي، فقد فتحت الحركة في العراق عام ١٩٦١ «المنتدى الثقافي العربي» في منطقة الأعظمية ببغداد، وكان من بين مؤسسيه باسل الكبيسي. وغدا المنتدى مركزاً لتجنيد الطلاب الجامعيين والثانويين، ومكاناً يرتاده العديد من الأعضاء البارزين في حركة القوميين العرب

(٦٢) المصدر نفسه.
(٦٣) **الوحدة**، ٢٢/٣/١٩٦٣.
(٦٤) **الوحدة**، ٢٤/٣/١٩٦٣.
(٦٥) مقابلة شخصية مع أمير الحلو بتاريخ ١٩ آذار/مارس ٢٠٠١.
(٦٦) قزيها، **التحول الثوري في العالم العربي: حبش ورفاقه من القومية إلى الماركسية**، ص ٣٨.

لإلقاء المحاضرات التحريضية. ولم تقتصر نشاطات النادي على أعضاء الحركة فقط، بل ساهم فيه العديد من العراقيين المستقلين، ومن بينهم حازم مشتاق وعبد الهادي محبوبة وغيرهما، وتم إغلاق النادي من قبل سلطة ٨ شباط/فبراير بعد مرور شهرين من قيام السلطة.

وأخيراً، لا بد من القول إن صحيفة **الوحدة** كانت المرتكز الأساس لإعلام الحركة في العراق وقد استمرت بالمناشدة والالتزام بمبادئ الحركة الأساسية، وهي الوحدة قبل كل شيء، وفوق كل شيء، لأنها محور الترابط بين التحرر والثأر، حيث يتحقق التحرر والثأر في نطاقها، ولأن الوحدة، كما يبدو للباحث في إعلام الحركة، هي الوسيلة الوحيدة والمفتاح الأمثل لكل المشكلات والمعوقات التي يواجهها الشعب العربي، وأن الكيانات المصطنعة علة النكبة وسببها الأول والأخير.

ثانياً: السمات والايديولوجيات الفكرية لحركة القوميين العرب

من خلال الدراسة والتتبع يتضح لنا أن السمات الفكرية التي اتسمت بها حركة القوميين العرب في فترة الولادة والنشوء تبيّن أن الرؤية الوحيدة للحركة تتجسد في أن تحرير فلسطين لا يتم إلا بالوحدة العربية. ونظراً إلى خصوصية نشأتها ربطت كل مفاهيمها الفكرية ومنطلقاتها الأيديولوجية بالعمل من أجل فلسطين، مما أدى إلى غياب المضامين الاجتماعية والسياسية للوحدة العربية. وكان محصلة ذلك أن الحركة لم ترَ في الوحدة العربية إلا وجهها المعبّر عن القوة اللازمة للثأر والبطش باليهود.

وكان الجانب الذي تهدف إليه الحركة هو وجود قوة عربية تحت مظلة الوحدة بغض النظر عن الأنظمة والجماهير. لذا، فقد لوحظ من خلال المتابعة التنظيمية والنضالية للحركة أنها أيدت مشاريع وحدوية مشبوهة، حيث باركت وحدة العراق والأردن في الخمسينيات، بحجة أن للأردن حدوداً مع فلسطين للقضاء على اليهود. ولذا وضعت الحركة تصوراتها في الوحدة باعتقادها أن منطقة الهلال الخصيب بشكل عام هي الساحة المؤهلة لأن تقوم فيها أول عملية توحيدية، وبالتالي فهي الساحة المؤهلة لقيام الدولة العربية النواة. ونادت بضرورة الدعوة إلى جبهة قومية ورفض فكرة الجبهة الوطنية بحجة الاحتراز من حدوث تصدع في العمل القومي[٦٧]. وهنا

(٦٧) انظر فارس المنصوري، في: **شؤون فلسطينية**، العدد ٥٥ (آذار/مارس ١٩٧٦)، ص ٢١٤.

نود أن نوضح أن هناك فرقاً شاسعاً بين وحدة تصنعها وتدعمها الجماهير العربية المتضررة من واقع التجزئة والتخلف، وبين وحدة تصنعها عروش وأنظمة غير مؤمنة بالوحدة، لأن هدف الأنظمة هو ركوب الموجة الوحدوية، وليس هدفها الوحدة بذاتها لتكسب من خلال رفعها لبيارق الوحدة الشرعية التي تفتقدها، حيث تتظاهر هذه الأنظمة بالسعي إلى الوحدة، ولكنها في الواقع لا تؤمن بها. فهي ترفض الوحدة العربية الحقيقية لأن منطق الأمور يؤكد بأن المنتفع من وضع اجتماعي ما لا يثور على هذا الوضع، بل يتشبث به ويعزز ركائزه ويدافع عن بقائه واستمراريته. وإذا طبقنا ذلك على طموحات الحركة وعلى وحدتها المنشودة يظهر اختيارها أنظمة أسيرة لنزعة التجزئة، بل إن تلك الأنظمة تستمد وجودها من هذا الواقع...! فكيف يقبل العقل بعد هذا أن تأمل الحركة من هذه الأنظمة أن تحقق الوحدة... أو بالأحرى أن تحرر فلسطين؟. وهكذا انصبت أغلب أهداف حركة القوميين العرب الفكرية على وحدة خالية من الأساس الفكري العميق، وعلى التحرر المجرد من الأساس الاقتصادي القوي لإقامة الوحدة، فضلاً عن فراغها من الأساس الاجتماعي والقضاء على «إسرائيل» والثأر منها. وذلك كله لم يكن قائماً، بل كانت هناك مرحلة ساخنة اكتوى بلهيبها كما يبدو فكر الحركة، ولذا اتسم فكرها منذ الولادة بسياسة المراحل.

وللدكتور معن زيادة[٦٨] رأي في تقويمه لحركة القوميين العرب في مراحلها الأولى، حيث نستشف من رأيه أن الحركة تعد نفسها مميزة من غيرها من الأحزاب القومية، والقوى الوطنية، بسبب إدراكها لطبيعة الخطر الصهيوني، وتركيزها على شعار تحرير فلسطين، إلا أن موقفها من هذا الموضوع تميز ببدائية فجة، شددت على التماثل بين اليهودية والصهيونية، فكل يهودي هو صهيوني. وهنا يبدو للباحث أن الوقائع أثبتت التماثل بين اليهود والصهيونية في بناء المشروع الصهيوني طوال سنوات هجرة اليهود إلى فلسطين وحتى يومنا هذا.

ويواصل معن زيادة رأيه في تقويمه للحركة بأنها انساقت في معاداة الشيوعية العالمية والمحلية، ووقعت في فخ فهم مثالي للقومية بالتمييز بين قومية حقيقية، وقومية غير حقيقية، ولم تهتم بتوحيد الأمة، بل اكتفت بالإصرار على أن الأمة واحدة، وكذلك لم تهتم بتحرير الشعب، بل تغنت بهذا التحرر. ويذهب زيادة في

(٦٨) معن زيادة، «تقييم تجربة حركة القوميين العرب في مرحلتها الأولى،» ورقة قدمت إلى: **القومية العربية في الفكر والممارسة: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية**، ط ٣ (بيروت: المركز، ١٩٨٤)، ص ٣٣١ - ٣٣٧.

تقويمه للحركة، بأنها أنكرت انكاراً مطلقاً مقولة الصراع الطبقي، فكان ذلك مدخلاً لرفض كل تحريض سياسي طبقي ضد شبه الإقطاع والبرجوازية الكبيرة والرجعية. وتخبطت الحركة في ممارسة شعاراتها في الوحدة والتحرر والثأر تخبطاً انزلقت معه إلى ارتكاب أخطاء سياسية تاريخية، حيث ظلت تراوح في مكانها طيلة فترة الخمسينيات. وكان الطابع العام للعلاقات التنظيمية في مرحلتها الأولى يفتقر إلى التقاليد الديمقراطية. وفي العراق ظلت الحركة تعيش عزلة خانقة، بل إن حزب الاستقلال استطاع إقامة تحالفات وطنية مع الشيوعيين والبعثيين، في حين عجزت الحركة بسبب موقفها من الشيوعيين عن الدخول في أية تحالفات وطنية، ولم تلعب أكثر من دور هامشي في أحداث العراق حتى بعد ثورة ١٩٥٨. ولم تتمكن من التعامل مع الواقع العربي، تعاملاً نقدياً جدلياً حتى أوائل الستينيات، حيث أعادت النظر في صياغة كل منطلقاتها النظرية وسياستها العملية، وذلك بإعادة تأسيس كل بناها التنظيمية والنضالية.

ويثير بعض المنظرين الوحدويين الجدل والمناقضة لدحض ما جاء في آراء معن زيادة وتقويمه لتجربة حركة القوميين العرب، حيث يعبّر وميض عمر نظمي عن استغرابه من المبالغة في الاعتذار الذي يقدمه معن زيادة عن خلاف حركة القوميين العرب مع الأحزاب الشيوعية العربية، وبالذات حول مسائل بالغة الأهمية، كالوحدة العربية، وقضية فلسطين. باختصار، وبصدد هذه المسائل بالذات، يقول وميض نظمي: «أعتقد بأن الشيوعيين، لا القوميين، هم المطالبون بالاعتذار، والحقيقة أننا لو أخذنا مثلاً، في تصوري الفكري يوم الانفصال في أيلول/ سبتمبر ١٩٦١، كان عبد الناصر، القومي البرجوازي الذاتي، أكثر ماركسية، وأكثر معاداة للإمبريالية من الحزب الشيوعي السوري الذي صفق لعملية الانفصال التي قامت بها الإمبريالية والرجعية والاستعمار والصهيونية. من هذا المعنى، ليس كافياً أن نجعل من الماركسية غطاء لنا كي يعمينا عن حاجات المجتمع، ومن الممكن في حالات معينة أن يقف إنسان ليصل إلى قناعات ماركسية ومواقف تقدمية وصحيحة. وهذا ينطبق على حركة القوميين العرب، وأعتقد أنها قد تطورت بشكل معقول، بحيث تستفيد من ماضيها الوحدوي ومن إدراكها لأهمية المسألة القومية، لتكون ماركسيتها ماركسية حقيقية؛ ماركسية تصلح للعالم الثالث، لا أن يكون الوصول إلى الماركسية دفعاً إلى العدمية القومية، وبالتالي الشلل التاريخي». أما سعد الدين ابراهيم، فيرى أن هناك نقطة جوهرية تحكمت في تطور الحركة من البداية إلى النهاية، كما تحكم في تطور كثير من الحركات السياسية القومية العربية، وهي البحث عن الخلاص الذي استأثر بوجدان الإنسان العربي المحبط، وإذا كنا نصف حركة القوميين العرب في بدايتها بأنها كانت

متطرفة مجازاً، فإني أضيف بأنها كانت تقدم حلولاً جازمة واضحة للخلاص من محنة الإنسان العربي، في ذلك الوقت، حيث كانت نكبة فلسطين والتجزئة والضعف العربي العام. ولذا قدمت الحركة فكراً مبسطاً يعد بالخلاص. فقد تعوّد الفرد العربي بعد كل هزيمة قومية، وبعد كل انتكاسة درامية في الوضع العربي، أن تخرج نظريات تبسيطية تقول إن هناك طريقاً واحداً وسهلاً لو اتبعناه، فسيتم لنا الخلاص. ومن هذا الانقلاب من النقيض إلى النقيض، من فاشية علمانية إلى ماركسية لينينية؛ كلا الطريقين، بصرف النظر عن مآثر الماركسية، أو ما تنطوي عليه الفاشية من بعض المقومات الصحيحة أو غير الصحيحة، فإن كلتيهما تناسب بناء نفسياً محبطاً يبحث عن الخلاص بأوضح السبل وأبسطها. ويمكن القول إنه إذا استطاعت حركة إسلامية دينية سلفية على أرض الواقع أن تحقق إنجازات تعطي هذا الإنسان المحبط طريقاً للخلاص، فسيلتف حولها الجميع. وقد نفاجأ بأن الماركسيين اللينينيين سيصفقون لها، وإن لم ينضموا إليها، بل ينبرون أيضاً للمشاركة في قيادتها والتبشير بها. وأرجو ألا تخدعنا حواراتنا النظرية، وكل ذكائنا اللفظي عن هذه الحقيقة.

ويذكر منير شفيق في رده على معن زيادة بقوله: «إنه على الرغم من أنني ممن خاضوا صراعات في أوائل الخمسينيات ضد بعض أفكار حركة القوميين العرب، إلا أنه من الإنصاف القول إن التقويم والدراسة التي قدمها د. معن زيادة لم تكن منصفة، أو دقيقة، فهو لم يفرق بين ما هو ثانوي في تقويمه للحركة عما هو جوهري، فاعتبر بعض الطروحات الجانبية، وربما الشكلية، هو الجوهر، وهذا ما دفعه إلى وصفها بالفاشية، بينما لم يبرز الجانب الجوهري، وهو أن هذه الحركة كانت تتبنى شعارات نضالية وصحيحة في جوهرها، مثل شعارات التحرر والوحدة وتحرير فلسطين. أما كون ذلك قد غلف بشعارات التأثر، أو التشبه بلبس قمصان خضراء أو سوداء، فإن هذا هو الجانب الشكلي والثانوي. ولعل أحد الأدلة على ذلك هو أن القوميين العرب شاركوا إيجابياً في كل النضالات القومية، أو الوطنية المحلية، ضد الاستعمار والأحلاف والعملاء. ويندر أن نتذكر معارك خاضتها القوى الوطنية في الخمسينيات لم تكن لحركة القوميين العرب مشاركة فيها. ولعل تشبيهها بالفاشية يعتمد على شكلية ظاهرية، ثم أين مارست هذه الحركة الفاشية؟ هل هنالك ممارسات من هذا الطراز ضد الشعب؟».

أما الياس مرقص، فيجمل رده على معن زيادة بقوله: «إن الأحزاب العربية القومية والتقدمية والماركسية كانت أحزاباً نخبوية، أي تعتمد على النخبة السياسية، وخاصة بالمقارنة مع الفكر الليبرالي السابق المقلد للغرب. ولقد كان لدى حركة القوميين العرب، فكراً وقيادة لا حركة - في وقت، أو أوقات ما، طابع جماهيري

يتيح لها أن تخرج من النخبوية، ولكن الظروف والإرادة شاءت غير ذلك».

ويرى فيصل جلول: «أن نشأة حركة القوميين العرب كانت نشأة تنظيمية بحتة إذا جاز التعبير، فقد اهتم مؤسسوها منذ البدء بالعمل المباشر والفوري ذي الطابع التحريضي، الأمر الذي يؤكد ما قاله كثيرون عنها بأنها رد فعل على نكبة فلسطين»(٦٩).

لقد كان كتاب **مع القومية العربية** للحكم دروزة وحامد الجبوري أول محاولة جدية من قبل الحركة لسد الثغرة الفكرية التي عانتها طوال فترة التأسيس، ومع أن مقدمة الطبعة الأولى لا تتضمن أية أشارة إلى أهمية الفكر في النضال، وتكتفي بالتأكيد على أهمية العقيدة، فإن مقدمة الطبعة الثانية تركز على أهمية الفكر في النضال حيث تنص: «إن النضال حين يفتقر إلى الفكرة الواضحة المحددة يصبح نضالاً ظرفياً، منفعلاً لا فاعلاً، ومتأثراً، ويكون أقرب إلى ردة الفعل منه إلى الفعل الهادف المؤثر في التطوير التاريخي للأمة العربية، وإن فقدان التوازن بين عمليتي البناء الأساسي والفكري قد يشكل ثغرة في المستقبل، وأنه يتيح المجال للأفكار والاتجاهات المناقضة لأن تختبئ وراء فكر القومية العربية وتعمل على تطعيمه بارتكازات فكرية نضالية لا تمت إلى حقيقته وجوهره بصلة. وهكذا يلاحظ أن حركة القوميين العرب انتبهت أخيراً إلى أهمية البناء الفكري، وضرورة توازنه مع البناء السياسي الذي اهتمت به طويلاً، وذلك من أجل تحديد معالم النضال الكفيل بتحقيق الكيان السياسي والاجتماعي العربي. وهكذا جاءت الطبعة الثانية لكتاب القومية العربية لتمثل الإطار الفكري الذي اعتمدته الحركة في مسيرتها النضالية للمرحلة الآتية»(٧٠).

وحسبت الحركة الوحدة العربية المقياس لبلورة النضال العربي عامة بحيث يدور نضال التحرير والثأر في نطاق نضال الوحدة التي لا تعتبر تحقيقاً للطموح العربي القومي وتجسيداً لوحدة الأمة العربية فحسب، ولكنها مسمار في نعش «إسرائيل» وتقريب للغد المشرق يوم استعادة فلسطين يوم الثأر(٧١).

---

(٦٩) فيصل جلول، «حركة القوميين العرب: قراءة جديدة لتجربة في ذمة التاريخ،» **الفكر العربي**، السنة ٤، العدد ٢٨ (تموز/يوليو ١٩٨٢)، ص ١٨٣.

(٧٠) الحكم دروزة وحامد الجبوري، **مع القومية العربية**، ط ٤ (بيروت: دار الفجر الجديدة، ١٩٦٠)، نقلاً عن: سهير سلطي التل، **حركة القوميين العرب وانعطافاتها الفكرية**، سلسلة الثقافة القومية؛ ٣١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٦)، ص ٧٥ ـ ٧٦.

(٧١) انظر: نشرة **الثأر**، ٢٠/٣/١٩٥٨.

إن هذا التطرف اللفظي عند الحركة وتمجيدها للعنف كان سبباً في إطلاق أسماء عليها مثل: جماعة الحديد والثأر، وجماعة الثأر، إلا أنه في عام ١٩٥٧ أثار محسن إبراهيم أحد قادة الحركة الجدل حول الجدوى من رفع شعار الثأر ومدى ملاءمة المرحلة للنضال القومي الثوري في ظل تحالف الحركة مع الناصرية.

وعليه تم استبدال شعار الثأر بشعار استرداد فلسطين ثم تجاوزه أيضاً مع التحول الذي شهدته صفوف حركة القوميين العرب في ظل التحالف مع عبد الناصر، فبيّن جورج حبش، مؤكداً أن حركة القوميين العرب كانت مثالية، وأنها لا تستند إلى نظرية متكاملة، ولذا فإن الحركة لم تتبنّ هدف الاشتراكية، لأن ذلك في نظرها هو سابق لأوانه، وأن الثورة السياسية هي الضرورة التي تتناسب مع مرحلة النضال العربي، وأن الشعار الذي رفعناه هو (وحدة تحرر ثأر) كان من أجل تحقيق الثورة السياسية بالثورة الاجتماعية(٧٢).

ويفند الدكتور وليد قزيها وهو أستاذ في قسم العلوم السياسية في الجامعة الأمريكية في القاهرة وعضو سابق في حركة القوميين العرب ذلك قائلاً: في أن المرحلة التي تبعت النكبة حين كان نقاش المثقفين العرب يدور حول نقاط أساسية ثلاث، هي التهديد الصهيوني، وعلاقة العرب بالغرب، وطبيعة الأنظمة العربية الحاكمة. وكان المنطق في هذا النقاش المستمر هو القاعدة الليبرالية التي ارتكز عليها معظم المفكرين، إذ ارتبطت الماركسية في أذهانهم بموقف الاتحاد السوفياتي المؤيد لخلق «إسرائيل» وهذا الارتباط أعماهم، بسبب ما، عن الحقيقة الواضحة، والتي تبين بأن الليبرالية هي الأخرى شاركت في تأسيس الكيان الصهيوني، إلا أن الأهم من ذلك في نظرهم كان فتور الأحزاب الشيوعية في البلاد العربية تجاه الفكرة القومية، تلك الفكرة التي كان ساطع الحصري قد طرحها بقوة وبأسلوب مقنع مستوحياً إياها من قراءاته في نشوء الفكرة القومية بأوروبا في القرن التاسع عشر. ويجب أن لا ننسى الخلفية الاجتماعية لهؤلاء المفكرين، إذ كانوا بلا استثناء تقريباً ينتمون إلى الطبقة البرجوازية، فلم يكن من المستغرب أن يكون المنطلق ليبرالياً والحديث يدور عن السياسة قبل الاقتصاد وأحياناً بمعزل عنه(٧٣).

ووقفت حركة القوميين العرب ضد مناهضة الطبقات الإقطاعية والبرجوازية والأنظمة الرجعية لمجرد دعوتها للوحدة العربية، والأكثر من ذلك فقد عدت الحركة

---

(٧٢) مطر، **حكيم الثورة: قصة حياة الدكتور جورج حبش**، ص ٤٥ ـ ٤٧.

(٧٣) انظر المنصوري، في: **شؤون فلسطينية**، العدد ٥٥ (آذار/مارس ١٩٧٦)، ص ٢١٥ ـ ٢١٧.

كل دعوة بمطالب إصلاحية، كالإصلاح الزراعي مثلاً إشارة إلى معارك جانبية من شأنها تبديد الجهد القومي الأساسي الذي يجب أن يظل منصرفاً للنضال ضد التجزئة والاستعمار واليهود[٧٤].

لقد امتازت المرحلة القومية عند حركة القوميين العرب بالإلحاح الشديد على قضية وحدة العربية، ولم تحاول الحركة البحث في قضايا نضالية عربية أخرى حين رأت في الوحدة حلاً لجميع مشاكل الأمة العربية، هذا الإلحاح من الحركة على قضية الوحدة العربية دفعها إلى انتهاج سياسة وحدوية ضبابية، وجعل الحركة عاجزة عن رؤية شعار الوحدة في سياقه التاريخي الصحيح وبمضامينه الطبقية والتقدمية المتصلة بمجمل الصراعات التي كانت حركة التحرر الوطني العربية تخوضها ضد تحالف الاستعمار والإقطاع[٧٥].

إن أهم ما تميزت به حركة القوميين العرب عن بقية فصائل الحركة القومية العربية في تلك المرحلة، هو ربطها الوحدة العربية بالقوة والثأر وغياب أي مضامين للوحدة غير دلالتها المعبرة عن القوة. فكانت ترى «في وحدتنا قوتنا وفي قوتنا ثأرنا وفي ثأرنا حلاً لجميع مشاكل النازحين»[٧٦].

وابتعدت حركة القوميين العرب عن الموضوعية في تأكيدها المطلق، على اعتبار أن أي شكل من أشكال الوحدة يعني القوة الكفيلة بتحرير فلسطين، من منطلق «أن إيجاد القوة العسكرية التي تكفل لنا النصر الأكيد في معركة حياة أو فناء نخوضها ضد الغزو اليهودي، وأعوانه المستعمرين لا يتأتى بغير الوحدة»[٧٧].

وكان من المنطقي بالنسبة إلى فكر يتعامل بمفاهيم الثأر والقوة المجردة أن يرفض كل حديث عن السلام والتفاوض، لأن «إسرائيل» عندما قامت لم تستشر هيئة الأمم المتحدة، فقد حاربت بقوة السلاح، ونحن أردنا «لإسرائيل» الفناء فما لنا غير قوة السلاح ومعركة الدم والحديد والثأر[٧٨].

إن الخط التطوري للحركة منذ تأسيسها في صيف ١٩٥١ حين اتخذ قراراً

(٧٤) محسن إبراهيم، «في الديمقراطية والتنظيم الشعبي،» **الحرية** (كانون الثاني/ يناير ١٩٦٢)، ص ١٨.

(٧٥) محسن إبراهيم، **لماذا. . . ؟ منظمة الاشتراكيين اللبنانيين، حركة القوميين العرب: من الفاشية إلى الناصرية: «تحليل ونقد»** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٠)، ص ٢١.

(٧٦) انظر: **الرأي**، ٢٥/ ٣/ ١٩٥٤.

(٧٧) انظر نشرة **الثأر**، ٢/ ١١/ ١٩٥٦.

(٧٨) انظر: نشرة **الثأر**، ٥/ ١٢/ ١٩٥٧.

بإطلاق حركة سياسية في مقهى في محلة الروشة في بيروت من قبل شبان ثوريين شاهدوا بأنفسهم ضياع فلسطين، وحتى العام ١٩٥٩، أي بعد ثماني سنوات فقط من التأسيس، إنما يشير إلى طور أول من أطوار الطفولة السياسية كانت فيه الحركة منغمسة في إنشاء المجتمع القومي، وهي عملية اتسمت إلى حد بعيد بكثافة الإحساس بأن الجماعية المنشودة أو دمج الأعضاء كلياً في روحها المتقدة، إنما تشكل الحل المثالي لمعضلة إنشاء الأداة السياسية الحديدية. وهذا إحساس حقيقي انتاب الأعضاء المؤسسين الذين كانوا يعيبون على الأحزاب السائدة آنذاك افتقادها للروح الحديدية، ولكن هؤلاء سرعان ما سيجدون انفسهم بعد ثماني سنوات من تأسيس حركتهم أمام حركة فكرية داخلية تكاد تمزق الروح الجماعية. وبالفعل، واعتباراً من العام ١٩٥٩ حتى عام ١٩٦٣، كانت آراء وأفكار الأفراد تعمل في الاتجاه المتعارض مع تلك البنية الحديدية الجماعية وتحاول اختراقها[٧٩].

أثارت حركة الجدل الفكري المفاجئة داخل مجتمع حركة القوميين العرب المؤمن في نفوس القادة المؤسسين إحساساً بدنو الخطر، وهذا تقليد ظل سائداً لدى معظم الأحزاب الماركسية والشيوعية التي كانت تنظر بقدر ما من الريبة لكل فكرة لا تقبل القياس على المسطرة الأيديولوجية[٨٠]، وفي ضوء ما تقدم نستطيع القول إن الأيديولوجية المتأخرة بشكل عام، أيديولوجية مزدوجة متنوعة الآفاق والأبعاد، وأنها خاضت مراحل صراع حادة لتحديد ملامحها ومساراتها على أرض واقعها وعصرها، إلا أن هناك حقاً اجتهادات ومبادرات إيجابية في تاريخ المناهج الثورية للثورة العربية في بعض ساحاتها أحسنت الإنصات إلى نبض الواقع والتعامل معه.

وبصدد الظروف الخاصة التي نشأت الحركة في أجوائها يذكر هاني الهندي[٨١] «أن العمل التنظيمي لحركة القوميين العرب انطلق من قبل طلاب جامعيين دفعتهم

(٧٩) الربيعي، **كبش المحرقة: نموذج لمجتمع القوميين العرب**، ص ٩٣.

(٨٠) المصدر نفسه، ص ٩٤.

(٨١) يذكر هاني الهندي، وهو أحد المؤسسين البارزين للحركة: «وإذا كانت هناك إشارة لخطوط فكرية ذات توجه قومي يمكن القول إني شخصياً قد عشت أيام المد القومي العربي في مدارس العراق في السنوات القليلة التي سبقت الحرب العراقية ـ البريطانية في آذار/ مارس ١٩٤١ حيث كان الطلاب يتلقون توجيهاً عقائدياً مكثفاً. وبعد سنوات أي حين ذهبت للجامعة الأميركية أتيح لي أن أحضر الحلقات التثقيفية التي كان قسطنطين زريق يعقدها لعدد قليل من طلاب الجامعة. وقد كان المرحوم زريق واضحاً في رفضه لطروحات العنف مما دفع طلابه لأن يسيروا باتجاه آخر غير ما كان يبشر به. وعليه فإني شخصياً تأثرت كثيراً بحياتي المنزلية حيث التوجه لوالدي وبدراستي حتى الصف الإعدادي في العراق وبتأثيرات زريق في الجامعة». وكان هذا التوضيح ضمن رسالة من الأستاذ الهندي للباحث بتاريخ ٢٠ شباط/ فبراير ٢٠٠١، ص ٤.

الحماسة والشعور بالذل الذي ألحقه العدو بأمتنا إلى أكثر من وقفة عقلانية، ودراسة موضوعية لظروف تلك المرحلة. وعليه فقد كان العمل قد تقدم آنذاك على الفكرة والتحليل. وهذا لا يعني أنه لم تكن هناك خطوط فكرية عامة منها، مثلاً الإيمان بوحدة الأمة العربية ومصيرها، والتوجه القومي العام وإدراك خطورة المشروع الصهيوني. وبالتالي لم تكن الانطلاقة متكاملة بل كان للحماس دوره الفاعل، ولم نكن نملك فكرة واضحة متكاملة أو نظرية قومية، لكن ذلك لم يكن يعني أبداً أننا وأقصد - رفاقي وأنا - بدأنا من الصفر، أو من لا شيء، فالحق يقال إن زريق كان ذا قناعة عميقة بالفكر القومي الإنساني، وكان متشدداً في ضرورة قيام المجتمع المدني وتوفير الحريات الخاصة والعامة، ويصر على أهمية تلازم الفكرة وتجسيدها»[٨٢].

لقد استقطبت حركة القوميين العرب بعد وقت قصير من قيامها أعداداً واسعة من الشباب المثقف، ساعدها في ذلك أنها كانت بنت النكبة (نكبة ١٩٤٨) وكانت إلى حد ما الرد الحاد الأول على النكبة. وكان قدر الحركة أن ولدت في جو نفسي سياسي خاب بأحزاب يسارية اعترفت بالكيان الصهيوني، أو على الأقل لم تقاتله، ولذا فهي أول من رفع راية العودة، وكان الثأر شعار الحركة في سنينها الأولى، وقد عنى كفاحاً ونضالاً أكثر مما عنى مجرد اقتصاص من أعداء الشعب الفلسطيني. فكان الثأر هو الحرب، والقتال، والنضال إنما صيغ ذلك الأسلوب برمز الثأر التقليدي[٨٣]. ففي السنوات الأولى من وجود الحركة لازمها مفهوم الثأر ودلالاته القبلية، وكثيراً ما كان يطلق على القوميين العرب اسم «جماعة الثأر» أو «جماعة الحديد والنار» الدالة على تمجيد الحركة للقوة والإصرار. وتحت ضغط الاتهامات بالتعصب والفاشية التي أثيرت ضد الحركة بسبب رفعها لمثل هذه الشعارات الرومانسية[٨٤] عمدت الحركة إلى تقليص استخدامها لهذا المصطلح[٨٥]، وأخيراً تبنت شعار «استعادة فلسطين»[٨٦]، وبصدد مسألة تأثر حركة القوميين العرب بمنظمة كتائب الفداء العربي الذي حاول البعض إلصاقه بالحركة خاصة من ناحية التطرف في العنف، فيشير هاني الهندي إلى تجربة

(٨٢) انظر رسالة الأستاذ الهندي للباحث بتاريخ ٢٠ شباط/ فبراير ٢٠٠١، ص ٣ - ٤.

(٨٣) أنيس صايغ، «دعوة إلى تاريخ حركة القوميين العرب،» **الهدف السنوي**، الأعداد ١٢ - ١٤ (كانون الثاني/ يناير ١٩٩٦)، ص ٢٢ - ٢٣.

(٨٤) قزيها، **التحول الثوري في العالم العربي: حبش ورفاقه من القومية إلى الماركسية**، ص ٥٤.

(٨٥) أثناء انعقاد المؤتمر الوطني الثاني للحركة في عمان عام ١٩٥٧، اقترح محسن ابراهيم شطب هذا المصطلح (الثأر) فرد أحد الأعضاء المؤسسين قائلاً: «هل هذا المؤتمر لليهود أم للقوميين العرب؟ وانتهى هذا الأمر إلى تكريس هذا المصطلح كمصطلح رسمي بسبب رد الفعل الحاد الذي أحدثه اقتراح محسن إبراهيم».

(٨٦) قزيها، المصدر نفسه، ص ٥٢ - ٥٥.

الكتائب بشيء من التفصيل حين عاش اثنان من مؤسسي الحركة تأكد أنهما كانا في المرحلة الأخيرة من عمر كتائب الفداء، غير مرتاحين أبداً، بل عاشا أزمة حقيقية بسبب رفضهما فكرة العنف[٨٧]. وأن جورج حبش هو الذي بادر للتوجه نحو بناء تنظيمي سياسي حيث كان رئيساً للهيئة العامة لجمعية العروة الوثقى، وكان طالباً في كلية الطب في السنة النهائية. وكان أول الذين فاتحهم بتوجهه الجديد هم؛ أحمد الخطيب (الكويت) ووديع حداد وصالح شبل (فلسطين) وحامد الجبوري (العراق). ففي تلك الفترة أي أوائل عام ١٩٥١ كان توجه حبش مع رفاقه نحو العمل على إيجاد تنظيم قومي سري عرف باسم الشباب القومي العربي لسنوات عديدة وهذا التنظيم الجديد بدأ قومياً راديكالياً، لكنه لم يدخل العنف سلوكاً وأيديولوجية[٨٨].

إن أي عمل سياسي منظم لا ينطلق من نظرية معروفة يؤدي حتماً إلى التخبط وعدم تحديد الأهداف بين ما هو كائن وبين ما يجب أن يكون. وهذا ما جرى بالنسبة إلى الحركة. ونتيجة للدراسة والاستقصاء البحثي، فإن الحركة كانت تفتقر إلى نظرية ذات خطة سياسية معروفة، وهي ما اتفق على تسميتها من قبل المفكرين والمنظرين بالاستراتيجية التي تجسد الخط الثابت بين العمل السياسي والغايات التي تستهدفها، إضافة إلى المرونة والقدرة على المناورة، وهو ما يسمى بالتكتيك، إلا أننا لم نلمس ذلك الأسلوب العلمي للعمل السياسي خلال الممارسة العملية التي مورست من قبل الحركة منذ قيامها، والذي يتوجب النظرية الاستراتيجية، التكتيك، وكان ذلك سمة مميزة لأيديولوجية الحركة السياسية والفكرية.

تحدث الدكتور جورج حبَش خلال حوار أجراه معه الصحافي محمود سويد بصدد تجربة حركة القوميين العرب قائلاً: «إن تجربة حركة القوميين العرب وغيرها من التجارب هي مكون مستمر من مكونات وعينا الحاضر، وتاريخ أي شعب أو أمة هو سلسلة مترابطة، فالتاريخ لا يعرف الفراغ، مهما تكن حقائقه مرة وقاسية وأي قطع مع التاريخ هو قطع مع الحاضر»[٨٩]. أما الدروس التي استنبطها حبش من

(٨٧) في تلك الفترة كان هاني الهندي قد اعتقل في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٥٠ مع قرابة عشرين شاباً من سوريا والعراق وفلسطين ومصر بعد انكشاف أمر كتائب الفداء العربي بعد محاولة اغتيال العقيد أديب الشيشكلي التي خطط لها ونفذها حسين توفيق وعبد القادر عامر، خلافاً لرفض القياديين الآخرين جهاد الضاحي وجورج حبش وهاني الهندي.

(٨٨) انظر رسالة الأستاذ هاني الهندي للباحث بتاريخ ٢٠ شباط/ فبراير ٢٠٠١.

(٨٩) **التجربة النضالية الفلسطينية: حوار شامل مع جورج حبش**، أجرى الحوار محمود سويد، مرجعيات؛ ٣ (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٨)، ص ١٧.

خلال تلك التجربة فيكثفها بثلاثة دروس فيقول: «كنا نراهن على التحرير من خلال الوحدة فجاء الانفصال ليضعنا وجهاً لوجه أمام ضرورة العمل القطري الفلسطيني. أما الدرس الثاني، فهو الموضوع الطبقي حين هاجمنا في البدء الماركسية، لأننا ربطنا بينها وبين موقف الاتحاد السوفياتي من التقسيم. أما بعد هزيمة حزيران/ يونيو ١٩٦٧ وهزيمة الأنظمة، بدأنا نفكر في البعد الأيديولوجي للحركة خاصة بعد قيام الحركة الانفصالية التي قضت على الوحدة بين مصر وسوريا، والتي قادها كبار البرجوازيين، بعد أن تناقضت مصالحهم مع التوجه الاشتراكي للوحدة». وأخيراً يرى حبش أنه لا يمكن للشعب أن يحقق أهدافه الكبرى إلا من خلال الحياة الديمقراطية[٩٠].

إذاً هناك ثلاثة دروس أساسية في رأي حبش وهي: الترابط بين النضال القومي وبين النضال القطري، والموضوع الطبقي والاشتراكي، وثالثهما الديمقراطية، وأخيراً لا بد من الإشارة إلى أن أزمة حركة القوميين العرب في مسألة إمكانية بناء النظرية السياسية ـ الاجتماعية القادرة على استخراج قوانين الواقع والدفع باتجاه تفسيره لم تكن أزمة الحركة فقط، بل هي أزمة فصائل حركة التحرر العربي كافة بما فيها الأحزاب الشيوعية العربية، وبعض الأنظمة الوطنية، إذ لم تعط لحركة الفكر الأهمية المناسبة وسط زخم الحدث السياسي. وما الجهود الفكرية في إطار حركة التحرر الوطني إلا جهود فردية لأشخاص مفكرين، إما خرجوا من أحزابهم أو أعطتهم أحزابهم قدراً من الحرية الفكرية. لكن جل هذه الجهود لم ترق إلى مستوى تأسيس النظرية المتكاملة، وظلت في إطار المشاريع الفكرية التي سيحددها الزمن في ما لو كانت ستكتمل أم لا[٩١].

وبصدد أدبيات الحركة فحري بنا الإشارة إلى مجموعة الكتب والدراسات التي صدرت عن حركة القوميين العرب، حيث كان لهذه الدراسات الأثر البالغ في بلورة فكرة الحركة وتركيز تنظيماتها وتحديد الملامح الواضحة لسماتها الفكرية لتلك الفترة، إلا أن فك عرى وحدة الجمهورية العربية المتحدة كان له انعكاس واضح في تأثيره في فكر الحركة وانتقالها من الإطار السياسي إلى المحتوى الاجتماعي، كما سيتبين من خلال البحث في موضوع الانشقاقات.

(٩٠) المصدر نفسه، ص ١٨.

(٩١) التل، **حركة القوميين العرب وانعطافاتها الفكرية**، ص ٢٩.

ثالثاً: التطورات التنظيمية والظواهر الانشقاقية للحركة

دون ثمة شك أن أي حزب أو حركة يمثل وسيلة تأثير بقدر ما يعبر عن علاقة سلطة قائمة على أساس من التنظيم، وكلما كانت علاقة التأثير غير مناسبة فإن وجود السلطة سينتهي إلى نوع من التباين بين القادة والأتباع.

ورغم أن الأحزاب والفئات السياسية العقائدية التي كان النهج القومي العربي أبرز سماتها قد تمكنت إلى حد ما من بعث الوعي والتفتح في نفوس الجماهير، إلا أنها أخفقت في تنظيم دورها الريادي في المجتمع العربي. وكأنموذج على ذلك، هناك مصر وسوريا والعراق، حيث لم تستطع تلك الأحزاب في تلك النواحي أن تثبت فعالية حقيقية في ساعات الشدة، وفي الصمود أمام الأعاصير التي هبت عليها كحركة الانفصال السوري والانسلاخ من الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٦١، وأزمة الكويت ومطالبة العراق بها في العام نفسه، وكذلك الصراع مع شركات النفط خلال تلك الحقبة، ودفعت تلك الأحزاب والفئات ثمن أخطائها غالياً في ما بعد.

وعلى الرغم من أن الأحزاب جاءت ثورة على الفساد والواقع العربي، إلا أن كثيراً من قادة تلك الأحزاب استسلم لأمراض ذلك الواقع خلال تعاملهم مع كوادرهم والشعب. وكانت محصلة ذلك قصور الفكر القومي عن الوفاء باحتياجات النضال، والمبالغة في تقدير أهمية الظروف الإقليمية في الوطن العربي، وكذلك ضعف المشاركة الشعبية، وأعني بذلك القواعد أو الخلايا في الشؤون العامة، إضافة إلى ضعف وحدة الفكر لتلك الأحزاب والافتقار إلى الوضوح العقائدي، والمراهقة الفكرية والانفعال في المعالجة الثورية للأمور، مما أدى إلى اللجوء إلى المناورات الرخيصة في العمل الحزبي، سواء داخل تنظيم الحزب الواحد، أو في ما بين الأحزاب المختلفة، أو في علاقتها بالجماهير، وكان ذلك كله أو بعضه يشكل أسباباً مهمة في حدوث الانشقاقات داخل الأحزاب، مما يتسبب في انقسام الحزب أو الفئة على نفسها بحيث يؤدي ذلك إلى تشتيت الجهد وقيام الصراعات بين الصفوف، الأمر الذي أضعف القدرة على مجابهة القوى الأخرى، والعجز عن تحقيق الأهداف والآمال.

وحركة القوميين العرب واحدة من تلك الأحزاب والحركات التي تعرضت لانعطافات وتحولات برنامجية عاصفة، طبقية وسياسية وتحالفية.

إن انفصال الفكر عن العمل الوحدوي وانفصام النظرية عن الواقع أكثر من ارتكازه على النظريات، وإن الاكتفاء بالتنظير للوحدة يؤدي مع مرور الوقت إلى تحجيم فكرة الوحدة في حين أن التحول من الوحدة نظرياً إلى التوحيد عملياً، ومن

التنظير إلى التنظيم يختصر كثيراً من الوقت والجهد والتضحيات، فقد احتلت الأيديولوجيا موقعاً متقدماً في الخطاب الوحدوي في حين غابت، الاستراتيجية والخطط العملية والمرحلية، وغلبت الشعارات الحماسية والمنهجيات التجذيبية، وتراجعت الأبحاث العملية المستندة إلى تقنيات العلوم الاجتماعية التي يقع عليها عبء دراسة الواقع ورسم الكيفيات، واستخراج القوانين التي تسهل عملية التكامل والتفاعل[٩٢].

إن الانشقاقات التي جرت في صفوف حركة القوميين العرب في رأي هاني الهندي لم تكن كلها أيديولوجية، بل إن الانفصال السوري نفسه في أيلول/سبتمبر ١٩٦١ فتح الطريق واسعاً أمام تساؤلات عديدة وعميقة، ذلك أن الهزائم تولد بعد تعمق الخلافات والتناقضات. فقد حدث ما لم يكن متصوراً أو خاطراً على البال، فالأحزاب السياسية ومنها القومية، كتنظيمات وقيادات سياسية التي دعت لوحدة سوريا مع مصر، وفي مقدمتها البعث آنذاك، ترتد وتنتقد كل صحيح وجيد في التجربة تلك. فقد أدى الانفصال إلى هزة قلبت موازين القوى في المنطقة، وأطلقت يد الرجعية، وتراجع المد القومي التقدمي... ويضاف إلى ذلك برأي الهندي: «أن جيل الستينيات شهد أحداثاً وانتصارات ومنها شعارات ثورية، كانتصار كاسترو، وسيطرته على كوبا، وظاهرة غيفارا واستقلال الشعوب الأفريقية بداية الستينات، ثم أحداث الحركات الشعبية اليسارية في أوروبا، فانعكس ذلك كله على أوضاع المنطقة العربية الشرقية، فكانت انشقاقات حزب البعث عام ١٩٦٢ في سوريا، ثم انشقاقات الأحزاب الشيوعية العربية، وكانت حركة القوميين العرب واحدة من تلك المنظمات التي أصبحت ساحة لصراعات فكرية وسياسية، ولكن بالتأكيد كان لتلك الخلافات والانشقاقات التي سيطرت عليها العواطف والانفعالات على المواقف العقلانية المطلوبة دورها في وصولنا إلى ما نحن عليه اليوم»[٩٣]. وفي كتابه **كبش المحرقة** يرى الربيعي أنه مع إخفاق الوحدة، وقفت الحركة في مقدمة التيارات السياسية المقاومة للانفصال. وقبل ذلك كان هناك تياران رئيسيان يتصارعان في الخفاء، وهما تيار محسن ابراهيم وأنصاره، وتيار جورج حبش والهندي والخطيب، ولطالما جرى التوصل إلى تسويات توفيقية عند كل احتدام في الأزمة، بيد أن الانفصال (إخفاق الوحدة) أصبح هو المحرك الجماهيري وليس الوحدة مما أتاح

(٩٢) عبد الغني عماد، «الوحدة والتكامل بين المعوقات والممكنات،» **المستقبل العربي**، السنة ٢٣، العدد ٢٥٧ (تموز/يوليو ٢٠٠٠)، ص ١٨.

(٩٣) انظر رسالة هاني الهندي إلى الباحث بتاريخ ٢٠ شباط/فبراير ٢٠٠١، ص ٦.

للحركة أن تنعطف بسرعة مدهشة نحو اتجاه شعبوي من شأنه تغيير الطابع النخبوي لمجتمعها العقائدي بصورة غير متوقعة، ولم يعد ذلك المجتمع العقائدي المنغلق يتسع لنخبة من أبناء الطبقات الميسورة والثرية، بل غدا يعج بأبناء عائلات مدقعة بالفقر وبعمال حرفيين وفلاحين[٩٤]. وحين بدأت حركة القوميين العرب تتحدث باللغة اليسارية، كان جزء من جسمها القيادي النخبوي يهترئ ويتساقط خارجها معلناً رفضه الاستمرار في مجتمع تبدلت عقيدته على حين غرة، وهذا الجزء من الجسم السياسي مثله أبناء العائلات الثرية وهم إجمالاً من مثقفيها المرموقين الذين كانوا ذات يوم مثال التضحية والقدرة بنبذ الحياة الخاصة. وباختصار فإن كل ما جرى من انقسامات وانشقاقات دمرها في خاتمة المطاف، أي لحظة انفتاحها المفاجئ المباغت على المؤثرات الخارجية التي حذر منها المرشد الروحي علي ناصر الدين ذات يوم وثبتها في كتابه **قضية العرب**[٩٥].

لقد اتسمت مرحلة الخمسينيات وأكثر منها الستينيات بظاهرة الاجتهادات الشخصية لأغلب الأحزاب في الوطن العربي عامة والعراق خاصة، فدب الانقسام بين أطراف القيادات من جهة، وبين القيادات والقواعد الشعبية من جهة أخرى، وكان التوتر الثوري والتطرف العقائدي داخل التنظيم الواحد يجعل من المواقف أن تخسر الشيء الكثير من أصالتها، ويصبح ادعاؤها وسيلة لتغطية الانتهازية. وهذا القصور في الأيديولوجية يؤدي في المحصلة إلى تباين الأهداف الحقيقية بين الأجنحة داخل التنظيم الواحد، ويمحو بعضها قوة البعض الآخر. وهذا ما حل بحركة القوميين العرب.

ففي عام ١٩٥٩ ذهب محسن إبراهيم ونايف حواتمة بعيداً عندما أكدا أن البنية الاقتصادية والاجتماعية هما العاملان اللذان يحددان جميع الجوانب الأخرى في المجتمع العربي. وفي عام ١٩٦٠ صارت مجلة **الحرية** الأسبوعية الصحيفة المركزية للحركة، وأصبح محسن إبراهيم مدير تحريرها، وحيث إن مركز الحركة كان في دمشق فقد تمكن أنصار الاتجاه الراديكالي الجديد من التعبير عن آرائهم في بيروت بأقل درجة من رقابة رفاقهم التقليديين. وظهرت الدلائل الأولى للانشقاق بعد بضعة أشهر من صدور **الحرية** عندما كتب محسن إبراهيم معلناً تخليه عن نظرية المراحل، وتتبع ميلاً متنامياً لتبني فكرة غامضة عن الاشتراكية العربية لتفسير التحول

(٩٤) الربيعي، **كبش المحرقة: نموذج لمجتمع القوميين العرب**، ص ١٢٨.

(٩٥) المصدر نفسه، ص ١٢٦ ـ ١٢٨.

الاجتماعي والسياسي في الوطن العربي. وترسخ هذا النمط الفكري داخل الحركة عندما انهارت الجمهورية العربية المتحدة في أيلول/سبتمبر ١٩٦١. وفي هذا الصدد وصفت مجلة **الحرية** الانقلاب الانفصالي السوري ١٩٦١ بأنه عمل مضاد قامت به الطبقة الرجعية ضد مفهوم أو مبدأ ونهج الاشتراكية[٩٦].

وبالنسبة إلى العراق، ففي أواخر عام ١٩٥٩ كانت عمليات الكسب الجديد بالنسبة إلى الانضمام لحركة القوميين العرب تعتمد على اتجاه القوميين إلى الانضواء تحت لواء تنظيم قومي ناصري. وعندما بدأ مركز الحركة يطرح عبر مجلته **الحرية** ونشراته آراء مختلفة تهتف لعبد الناصر، خصوصاً، بعد نكسة الانفصال، كانت جماهيرية الحركة تهتف لعبد الناصر وترفع صوره بشكل علني غير متقيدة بالشعارات التي وضعتها القيادة ولا بالمناسبة التي جرى التظاهر من أجلها. وبقيت هذه الحالة ترافق عمل الحركة في العراق، ولم تكن الانتقادات الجادة لسياسة عبد الناصر تعمم بشكل واضح على جميع المستويات، واقتصرت على العناصر القيادية بمستوياتها المختلفة[٩٧].

إن المنظرين القوميين التقليديين للحركة استخدموا تعبير القضية الاقتصادية وتصادم المصالح الاقتصادية تفادياً لاستخدام تعبير الاشتراكية والصراع الطبقي، وفي إطار ذلك لا يمكن بناء الاشتراكية من دون اشتراكيين. وبذلك تتكلم الحركة لأول مرة في أدبياتها عن رجعية طبقية داخل المجتمع القومي نفسه، بعد أن كانت تحصر صفة الرجعية بالعمالة للاستعمار[٩٨]، إلا أن تلك التعابير والمواجهة لم تأخذ مداها وتأثيرها إلا بعد الانفصال عن طريق مجلة **الحرية**، إذ تبنى المشرفون على هذه المجلة ومنهم محسن إبراهيم ومحمد كشلي ونايف حواتمة خطاً نظرياً تناول الانفصال بمنظور طبقي. واعتبر هذا الفريق حدث الانفصال نتاجاً للموقف المعادي الذي اتخذته طبقة الإقطاعيين والبرجوازيين تجاه الوحدة والاشتراكية[٩٩].

فلقد تخلت حركة القوميين العرب في مقتبل الستينيات عن مواقفها المعروفة حول الوحدة والتحرر، وأصبحت لا تختلف في تصوراتها عن بقية فصائل الحركة القومية العربية، كحزب البعث، وبعض الحركات الناصرية. . وكان من أهم

(٩٦) قزيها، **التحول الثوري في العالم العربي: حبش ورفاقه من القومية إلى الماركسية**، ص ٦٧ ـ ٦٨.

(٩٧) انظر مقابلة شخصية مع أمير الحلو بتاريخ ١١/٣/٢٠٠١.

(٩٨) باروت، **حركة القوميين العرب: النشأة ـ التطور ـ المصائر**، ص ٢٢٧.

(٩٩) قزيها، «الأسس الاجتماعية ـ السياسية لنمو الحركة القومية المعاصرة في المشرق العربي،» ص ٦٨.

المستجدات التي طرأت على تصورات الحركة نبذها لمرحلية النضال التي طبعت فكرها في سنواتها الأولى، فلم يعد النضال العربي ينقسم إلى مرحلة أولى تنصب على قضايا الوحدة والتحرر والثأر، ومرحلة ثانية مؤجلة مهمتها معالجة القضايا الاجتماعية، بل رأت الحركة أن النضال العربي كل واحد لا يتجزأ لا يمكن فيه الفصل بين النضال السياسي والنضال الاجتماعي. ولم تعد الوحدة العربية في تصور الحركة مرتبطة بمفهوم القوة المطلقة وبدلالاتها السياسية المحصنة، بل إنها بدأت تتخذ هذا الفهم لترتبط بآثار اجتماعية عميقة، وهكذا بدأت حركة الوحدة تتخطى النطاق السياسي لتحتوي الانقلاب الاقتصادي والاجتماعي الشامل[١٠٠].

ومن الأمور التنظيمية والانشقاقية بعد عام ١٩٦١ إقدام حامد الجبوري عضو قيادة إقليم العراق وأخوه عدّاي الجبوري وعصام السرطاوي (فلسطين) ويوسف الخرسان وعدد قليل جداً من الأعضاء بحركة انشقاقية. وقد استطاعت القيادة تطويق هذا الانشقاق بسرعة وتجريده من أية قيمة تنظيمية، حيث عزا الجميع هذا الانشقاق لأسباب شخصية بحتة منها توتر العلاقة بين حامد الجبوري ونايف حواتمة، وإقدام الجبوري على إطلاق الرصاص على حواتمة، مما أدى إلى فصل الجبوري من الحركة بقرار مركزي. وبعد فترة انضم الجبوري إلى حزب البعث العربي الاشتراكي، وفي تلك الفترة انضم إلى قيادة الإقليم عبد الإله النصراوي حيث تولى مسؤولية الفرات الأوسط إضافة إلى المهمات التنظيمية الأخرى[١٠١].

وخلال السنوات الممتدة من عام ١٩٦١ حتى عام ١٩٦٦ كانت الأفكار الماركسية قد باشرت بغزو الحركة مستفيدة من الأسئلة التي كانت تطرح في الداخل حول الانتكاسات المصرية المتتالية من جهة، ومستفيدة أيضاً من جو الانفراج في العلاقات المصرية ـ السوفياتية، ومن دعم الاتحاد السوفياتي لمصر الذي وصل عشية الخامس من حزيران/يونيو إلى درجات قياسية. ويمكن القول بجرأة إن المقاومة الفلسطينية قد تجاوزت مرحلة عنق الزجاجة بعد الهزيمة مباشرة، وقد شكلت المقاومة الفلسطينية والماركسية (غير المسوفياتية) ظاهرتين معارضتين للسياسة الناصرية[١٠٢].

ولم تتح التصورات الدراماتيكية التي شهدتها صفوف الحركة الثبات على موقف

(١٠٠) **الحرية** (٢٠ شباط/فبراير ١٩٦١).

(١٠١) مقابلة شخصية مع أمير الحلو بتاريخ ١١/٣/٢٠٠١.

(١٠٢) جلول، «حركة القوميين العرب: قراءة جديدة لتجربة في ذمة التاريخ،» ص ١٨٨ ـ ١٨٩.

فكري واضح سواء على المستوى الفكري أو التنظيمي. ويبدو أن مرحلة التحول الاشتراكي والتخندق مع عبد الناصر لم تكن إلا خطوة انتقالية نحو الماركسية وتبني مقولة الصراع الطبقي، وأن معركة فلسطين لن يكتب لها النجاح إلا إذا انتصر العرب في معركتهم الاجتماعية والسياسية ضد الأنظمة الرجعية والطبقات المتحالفة معها والتي تشكل عوامل مضادة للتحرك العربي نحو ردع «إسرائيل» والاستعمار الجديد المتمثل بأمريكا[١٠٣].

وعلى أي حال، فقد حدث أول تناقض جدي في الفريق المركزي للحركة إثر مؤتمر عام ١٩٦٣ نهاية آذار/ مارس وأوائل نيسان/ أبريل. وكان هذا المؤتمر في حقيقته اجتماعاً قيادياً موسعاً أكثر منه مؤتمراً، فقد ضم لأول مرة مندوبين عن قيادات الأقاليم. ورغم أنه لم يتشكل على قاعدة انتخابية، فإنه اعتبر خرقاً لكل التقاليد التنظيمية المعمول بها في حركة القوميين العرب، وخروجاً عن مألوفها. وقد حضر هذا المؤتمر عدد من كوادر الصف الثاني، أمثال: نايف حواتمة، وعبد الإله النصراوي، ومحمد كشلي، ووليد قزيها، وأخذ هؤلاء الشباب راحتهم لغياب عدد من أعضاء القيادة المؤسسة واستطاعوا أن يفرضوا مواقفهم وآراءهم على الحركة[١٠٤]، وبهذا الصدد يذكر حواتمة: «إنه بعد مؤتمر نيسان/أبريل ١٩٦٣، تم تشكيل لجنة سياسية للتحضير لمؤتمر منتخب من (كشلي، حواتمة، إبراهيم، الهندي، حبش، حداد) أي ٣× ٣».

ولكن العناصر القومية التقليدية عطلت هذه العملية، واتخذت مساراً آخر يتمسك بالعلاقات الهيكلية التنظيمية المركزية[١٠٥].

وفي بداية عام ١٩٦٤ عقد اجتماع كبير للجنة التنفيذية في بيروت، حيث وسع محسن إبرهيم تحليلاته لتشمل الحركة ذاتها، مما أثار امتعاض الأعضاء المؤسسين وبعض مؤيديهم ممن كانوا يفخرون بإنجازات الحركة، وفي أجواء من النقاش الحامي والحاد، تقرر إحالة كل الموضوع على المؤتمر الوطني مع الموافقة على أن يكون جميع

---

(١٠٣) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ١١/٢٢، حركة القوميين العرب، الثورة العربية أمام معركة المصير، التقرير السياسي الصادر عن الاجتماع الموسع للجنة التنفيذية (القومية) للحركة، تموز/يوليو ١٩٦٧، ص ١٦ ـ ١٧.

(١٠٤) باروت، **حركة القوميين العرب: النشأة ـ التطور ـ المصائر**، ص ٢٢٩.

(١٠٥) **نايف حواتمة يتحدث**، إعداد وحوار عماد نداف (بيروت: دار المناهل؛ دمشق: دار الكتاب، [د. ت.])، ص ٥٢.

أعضاء القيادات الإقليمية أعضاء في المؤتمر، إضافة إلى ممثلي طلاب الحركة في أوروبا. وفي أواخر نيسان/ أبريل ١٩٦٤ بدأت الوفود تصل إلى العاصمة اللبنانية[١٠٦]، ومع مطلع أيار/مايو عقد المؤتمر اجتماعاته وقد حضر المؤتمر ما بين ٣٧ ـ ٤٠ مندوباً من عدد من الأقطار العربية من ضمنهم الأعضاء العشرة الدائمون في المكتب السياسي، فضلاً عن خمسة ممثلين من القيادة الفلسطينية الحديثة النشأة. وكان هؤلاء من الأقطار المبينة وكما يلي: (٦) لبنان، (٤) اليمن الجنوبي (٣) العراق (٣) يمثلون الطلاب، وواحد أو اثنان لكل من الكويت وليبيا والأردن وسوريا. وقد تناولت الجلسات الافتتاحية للمؤتمر عدداً من القضايا الإجرائية، وانتقلت الجلسات لبحث ما أسماه المؤتمر بـ «الأزمة الأيديولوجية» داخل الحركة، علماً بأن تضارب الآراء الشديد الذي ظهر في المؤتمر خلف جرحاً عميقاً لا يلتئم في العلاقات بين المجموعتين وكانت المسألة مسألة وقت قبل أن يحدث الانشقاق الفعلي[١٠٧].

وقد وصف الكبيسي مؤتمر عام ١٩٦٤ بأنه نقطة انعطاف في تاريخ الحركة، طرحت فيه للمرة الأولى أفكار ومفاهيم تنظيمية جديدة[١٠٨]. أما محسن إبراهيم فيصف مؤتمر عام ١٩٦٤ بأنه أزمة عنيفة كادت تصل إلى الانشقاق العلني، وأنه لا بد من عقد مؤتمر آخر خلال عام تتقابل فيه وجهات النظر بصورة رئيسية ليصبح بالإمكان الخروج بنتائج حاسمة تحدد خطى سير الحركة مستقبلاً[١٠٩]. ويشير الدكتور حبش إلى أنه كمحاولة لتفادي الانشقاق، اتفقنا على الدعوة إلى مؤتمر عام ١٩٦٥[١١٠].

السمات الفلسطينية للحركة

وعلى الرغم من هذه الأجواء الانشقاقية يبدو للباحث أن حركة القوميين العرب كانت من أهم المنظمات الحزبية العربية التي تميزت عن نظائرها على صعيدي

---

(١٠٦) عندما كانت الوفود تصل إلى بيروت كان يقابلهم أعضاء الجماعتين من المكتب السياسي لكسبهم كل إلى جانبه. وبعد أن اكتسب الخلاف مزيداً من الزخم، تبودلت الاتهامات، حيث وجه حبش ورفاقه تهمة «اليسارية الطفولية» إلى مجموعة «الحرية»، ونعتوهم بالمنظرين الذين لم يستطيعوا تحمل أعباء النضال السياسي. أما المجموعة الثانية (الحرية) فقد ادعت أن الأعضاء المؤسسين لم يمنعوا العناصر الثورية من التعبير عن آرائهم التقدمية وحسب، بل إنهم شجعوا العناصر المتخلفة أيديولوجياً لإحكام قبضتهم على فروع الحركة.

(١٠٧) قزيها، «الأسس الاجتماعية ـ السياسية لنمو الحركة القومية المعاصرة في المشرق العربي،» ص ٧٤.

(١٠٨) الكبيسي، **حركة القوميين العرب**، ص ١٢٥.

(١٠٩) إبراهيم، **لماذا . . . ؟ منظمة الاشتراكيين اللبنانيين، حركة القوميين العرب: من الفاشية إلى الناصرية: «تحليل ونقد»**، ص ٥١.

(١١٠) مطر، **حكيم الثورة: قصة حياة الدكتور جورج حبش**، ص ٧٧.

العقيدة والأهداف الأساسية حيث اتسمت بسمات فلسطينية واضحة ومركزة سواء من حيث النشأة، أو من جهة برنامج العمل، أو الغايات الأساسية. فقد قامت الحركة وكما اتضح من خلال هذه الدراسة والاستقصاء أنها كانت رد فعل مباشر لأحداث عام ١٩٤٨، وما سببته تلك النكبة من جراح وآلام شديدة في نفوس الشباب العربي والشباب الفلسطيني على وجه الخصوص. ويدل تاريخها ونضالها على أن العنصر الفلسطيني كان محور الاستقطاب الرئيسي في صفوفها، وعلى يد الفلسطينيين تم وضع الأركان الأساسية لها، وبتأثيرهم وتحت قياداتهم ترعرعت فروعها المختلفة. والأهم من ذلك فقد شكل الفلسطينيون أينما وجدوا المادة الرئيسية من هيكل الحركة التنظيمية، وصاغوا اهتماماتها بهمومهم الأساسية. لذا فإن الانشقاقات والخلافات الاجتهادية لم تبتعد عن القضية الأم، وهي القضية الفلسطينية، وبالرغم من أن برنامج عمل حركة القوميين العرب كان معنوناً بالشعارات القومية العريضة كالوحدة، فقد كانت القضية الفلسطينية تشكل مركز القلب في عمل الحركة ونشاطاتها.

لقد عرفت حركة القوميين العرب لأول مرة في تاريخها السياسي تكوين جهاز فلسطيني خاص، عرف باسم «إقليم فلسطين» وذلك عام ١٩٦٠. ولم تمض مدة سنتين على تشكيل الإقليم الفلسطيني هذا حتى عقد أول مؤتمر قطري فلسطيني للأعضاء الفلسطينيين في الحركة وذلك عام ١٩٦٢. وحضر هذا المؤتمر مندوبو الساحات المختلفة في إقليم فلسطين (أي مندوبو ساحات الأردن ولبنان ومصر وسوريا والعراق والكويت). وقد قرر المؤتمر في ختام أعماله استمرار التدريب والإعداد للعمل المسلح، وتخزين السلاح، والاتصال بالسكان العرب في فلسطين المحتلة.

وهكذا يمكن القول إن «فلسطينية» حركة القوميين العرب التي كانت لسنوات طويلة في وجدان مؤسسيها الأوائل قد أخذت بالإفصاح عن نفسها وبلورة سماتها الخاصة، بتغيرات سياسية فلسطينية ناجزة. ومما يشار إليه أن حركة القوميين العرب شأنها شأن غيرها من الأحزاب والمؤسسات العربية الفلسطينية أفردت دوراً خاصاً للفلسطينيين في صفوفها، ومهمات محددة لهم، دون أن يعني ذلك تخليها عن أي شعار من شعاراتها القومية ومفاهيمها العربية الشمولية، ودون أن تسقط في الإقليمية والانفصالية الضيقة[١١١].

(١١١) عيسى الشعيبي، **الكيانية الفلسطينية: الوعي الذاتي والتطور المؤسساتي ١٩٤٧ - ١٩٧٧** (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٧٩)، ص ٨٥ - ٨٧.

وعلى أي حال فقد كان مؤتمر عام ١٩٦٥ بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير، حيث استسلمت القيادة التقليدية المركزية المؤسسة أمام الصف الثاني القيادي على المستوى العملي نتيجة لانهيار حركة القوميين العرب، كما صممها الآباء المؤسسون في الخمسينيات. فما بين عام ١٩٦٢ (بدء طرح الحركة لنفسها كحركة شعبية اشتراكية ديمقراطية)، وعام ١٩٦٥ (الالتحام بالناصرية) كانت الكوادر القومية التقليدية، بما فيها عدد من قيادات الصف الأول، تغادر الحركة أو تتساقط تنظيمياً مفسرة ذلك على الأرجح بسيطرة عناصر شيوعية معادية للقومية تنفذ مؤامرة لتصفية الحركة وإزالتها، انسجاماً مع مخططات هدامة مشبوهة. وهكذا كان مؤتمر عام ١٩٦٥ تعبيراً نموذجياً عن حركة القوميين العرب الشابة الجديدة الناهضة من ركام الحركة القومية وانهيارها[١١٢]. ويستعيد حواتمة ذاكرته فيشير بقوله: «إلى أنه فاز بفترة نضال في العراق، امتدت نحو خمس سنوات تقريباً بخدمة شعب العراق، في مجرى النضالات السرية من بغداد إلى الموصل إلى كربلاء والنجف الأشرف حتى البصرة». وبالنسبة إلى التحولات نحو اليسار، فإن الحركة قد انتهت في المحتوى الفكري والطبقي الأساسي منذ عام ١٩٥٨، عندما قررت القيادة الالتحام بالناصرية، بحيث أصبحت مسألة حل الشكل واقعية منذ عام ١٩٦٦[١١٣].

لقد أدى التصدع الذي أصاب حركة القوميين العرب إثر قرارات تموز/يوليو عام ١٩٦١ إلى قبول قيادة الحركة ممثلة بحبش والهندي وحداد والخطيب بالقرارات الاشتراكية والدفاع عنها، كما وافقت كذلك على الرأي القائل بأن تنفيذ مثل هذه القرارات يجب أن يتم بصورة سلمية ضمن إطار تحالف واسع بين الطبقات العاملة والمثقفين والرأسماليين الوطنيين، في حين أن مجموعة أخرى من الحركة قد تكونت من شباب الجيل الجديد للقوميين العرب كنايف حواتمة ومحسن إبراهيم ومحمد كشلي رفضت الانتقال السلمي نحو الاشتراكية، ورافق ذلك عملية نقد بشأن أيديولوجية الحركة من قبل الجيل الجديد واستمر ذلك النقد حتى عام ١٩٦٦ وما بعدها إلى أن تم الفراق الكامل بين الناصرية وحركة القوميين العرب[١١٤].

ويرى معن زيادة أن العناصر التي أدت دوراً في تطوير الحركة هي عناصر غير

(١١٢) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ١١/٥، حركة القوميين العرب، تقرير عن أعمال القومي للحركة (مؤتمر شباط/فبراير ١٩٦٥)، ص ٨ - ١٠.

(١١٣) **نايف حواتمة يتحدث،** ص ٥٠ - ٥١.

(١١٤) عبد الله سلوم السامرائي، «حركة القوميين العرب ودورها في الوعي القومي،» **المستقبل العربي،** السنة ٨، العدد ٨٤ (شباط/فبراير ١٩٨٦)، ص ١٧٥.

تلك العناصر المؤسسة للحركة، وهم من خارج التأثيرات المباشرة للأجواء التي تأثرت بها الحلقة المؤسسة للحركة في الجامعة الأميركية. فإن حواتمة لم يدخل الجامعة الأميركية، بل لم يدخل أية جامعة، إلا بعد سنوات متأخرة حيث درس في جامعة بيروت العربية، كما أن أصوله الطبقية معروفة، وكذلك محسن إبراهيم الذي لم يدخل الجامعة الأميركية على الإطلاق، لكنه دخل الجامعة اللبنانية في مرحلة متأخرة أيضاً، وهو من أصول طبقية متواضعة، وكذا الحال بالنسبة إلى محمد كشلي الذي لم يدرس في الجامعة الأميركية ولم يتحدر من أصول طبقية برجوازية. فهؤلاء هم الأشخاص الذي أدوا الدور المهم في عملية الانشقاق، ولكن هذا لا ينفي أن للأحداث الدور الأول في عملية التغير والتطوير داخل حركة القوميين العرب[١١٥].

أما الدكتور أنيس صايغ فيشير إلى تجربة حركة القوميين العرب كونها تتسم بانفرادها تقريباً بين سائر الحركات العقائدية في الوطن العربي في الانتقال من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار في ما بين نشوئها أواخر الأربعينيات وتكريسها مساراً يسارياً في أواخر الستينيات. والمهم في هذا الانتقال أنه كان صادقاً ومخلصاً، ولم يكن عملاً مفتعلاً أو تستراً وراء شعارات تخدع الجماهير. فالحركة التي قدمت في الخمسينيات أدبيات خصبة بالفكر اليميني المتجدد، غير التقليدي والمتنور نوعاً ما، هي نفسها التي قدمت أدبيات الفكر اليساري المتسم بالكثير من العمق والتحليل والشمول[١١٦].

وعلى ضوء ما تقدم يرى الباحث أن ما جرى في صفوف الحركة بالاتجاه نحو اليسارية الماركسية لغرض التحولات الاشتراكية لم يكن مبدأ قائماً بذاته كهدف اقتصادي، بقدر ما كان هدفاً سياسياً، كون تلك التحولات لم تكن لها أسس أيديولوجية واضحة، فقد تناست الحركة أن النظريات الجاهزة ليست عقيدة، ولكنها دليل عمل والتجارب الجاهزة لن تكون بديلاً عن العمل الجماهيري، ولهذا يمكن القول أن الثغرة الرئيسة التي نفذت منها الحركة في طرح مشاريعها التحولية الاشتراكية هي الانفصال السوري ـ المصري عام ١٩٦١ الذي فتح الطريق واسعاً أمام تساؤلات عديدة وعميقة، ولا سيما أن الشارع السياسي العراقي كان يموج بالانفجارات الجماهيرية زمن الوحدة، وكان الصراع بين المد الوحدوي والقوى الإقليمية يتفاقم بلا أفق وبين حد السيوف. أهي الوحدة الفورية؟... أم الاتحاد

(١١٥) زيادة، «تقييم تجربة حركة القوميين العرب في مرحلتها الأولى،» ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

(١١٦) صايغ، «دعوة إلى تاريخ حركة القوميين العرب،» ص ٢٥.

الفدرالي؟... أهي دولة اتحادية تضم سوريا ومصر والعراق؟... أم صراع وانقسام؟ وكانت تلك التناقضات والتصارعات تتفجر يومياً ساخنة على العراق حيث تحيط به مناورات الأنظمة والصراعات الدولية المتطلعة نحو منابع النفط ومصباته على الخليج العربي والبحر المتوسط. وبناء على ما تقدم فإن تلاشي أحلام وحدويي الحركة أمام المصالح الإقليمية والطموحات الدولية قد ولد الانعطاف الحاسم بعد الانفصال ليتخذ من تلك التحولات وتحت ستار التطلعات الاشتراكية مساراً جديداً، والذي واصل التباين والصراع بين جناحي الراديكالية اليسارية والجناح القومي المحافظ بدءاً من الانفصال أيلول/سبتمبر ١٩٦١ وحتى شباط/فبراير ١٩٦٩، والذي كان فيه الفصل المأساوي الختامي في مسار ومصير حركة القوميين العرب.

ومهما يكن من أمر فإن ما طرأ على مسار الحركة الأيديولوجي من أفكار وتطورات انعكس على كل الأقاليم المرتبطة بالحركة التنفيذية القومية تنظيمياً، ومنها قيادة إقليم العراق الذي فقدت فيه الحركة وحدتها وتماسكها التنظيميين، وخاصة إثر فشل الحركة الانقلابية في ٣٠ حزيران/يونيو ١٩٦٦، حيث تمخض عن ذلك انشقاقات وتمردات وعصيانات تنظيمية سياسية داخل الحركة، حيث عقدت اللجنة التنفيذية القومية للحركة في تموز/يوليو ١٩٦٦ اجتماعاً راجعت فيه شعار الالتحام بالناصرية[١١٧]، الذي أدى تشتتها في الوطن العربي إلى عدم إمكانية نجاة الحركة من ذلك التشتت، إضافة إلى الهزائم التي منيت بها الحركة في العراق، مما أدى إلى بروز الخلافات بين الجناح القومي والجناح اليساري داخل الحركة[١١٨].

ففي حين بدأت طروحات محسن إبرهيم ونايف حواتمة منذ مؤتمر عام ١٩٦٤ حول كون الحركة رافداً من روافد الناصرية، وصولاً إلى طرح الفكر والنهج الماركسي بعد ذلك، كان التيار الآخر الذي مثله جورج حبش وهاني الهندي والمرحوم وديع حداد يعتمد النهج القومي المستقل للحركة أولاً، ثم بدأت طروحاته اليسارية والماركسية بعد ذلك أيضاً. وإذا كانت غالبية قيادة إقليم العراق قد تأثرت بتلك التطورات، فإنها حافظت على وحدتها التنظيمية شكلياً حتى وصول الانشقاق النهائي في المركز. وفي عام ١٩٦٦ جرت لأول مرة انتخابات لقيادة الإقليم في العراق عن طريق مؤتمر قطري وبالانتخاب السري، حيث عقد المؤتمر اجتماعاته في دار هاشم علي محسن، وفاز في الانتخابات كل من السادة سلام أحمد، وعبد الإله

(١١٧) باروت، **حركة القوميين العرب: النشأة ـ التطور ـ المصائر**، ص ٢٥٥.

(١١٨) الكبيسي، **حركة القوميين العرب**، ص ١٥٤.

النصراوي، وهاشم علي محسن، ونوري نجم المرسومي، وعبد الحسين الربيعي، وجواد دوش وآخرون قد يتذكرهم السيد عبد الإله النصراوي[١١٩]، إلا أن الخلاف استمر يتصاعد بوتائر مختلفة إلى أن نسفت حرب الخامس من حزيران/يونيو ما تبقى من الروابط القليلة التي كانت تشد الأجنحة المختلفة بعضها إلى بعض.

وعلى أي حال تمزقت المنظمة الأم، وظهرت في العراق مجموعات سياسية مستقلة التزم أغلبها النظرية الماركسية ـ اللينينية كطريق.

(١١٩) انظر محاضرة أمير الحلو، «حركة القوميين العرب في العراق ١٩٥٨ ـ ١٩٦٦،» في عمان بتاريخ ٧ تموز/يوليو ١٩٩٦، ص ٢١.

الفصل الثالث

قيام ثورة ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨، وانعكاساتها على تطور الحركة (١٩٥٨ ــ ١٩٦٣)

قامت ثورة ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨ في العراق لتمثل الإرادة الشعبية الواعية، ولتؤكد أن في العراق شعباً لن يرضخ للنفوذ الأجنبي، ولتثبت أن جيش العراق لا يمكن أن يكون إلا أداة ثورية لتحقيق آمال الوطن وأهداف الأمة العربية، ولذا فقد كانت تلك الثورة حدثاً قومياً ضخماً ومرحلة حتمية من مراحل تصاعد المد القومي التحرري، وإن هذه الثورة في نظر الشعب ستكون نقطة وثوب للقومية العربية نحو إنجازات ثورية أشد عمقاً وأوسع مدى، لبلوغ أماني الشعب العربي القومية.

إن تلاحم الجماهير الشعبية بأحزابها السياسية وفئاتها العفوية في صباح الرابع عشر من تموز/يوليو مع ثورة القوات المسلحة لم يكن عاطفياً، أو وليد الحدث، وإنما جاء وتبلور نتيجة وعي وطني وقومي مسبق، فثورة ١٤ تموز/يوليو لم تكن منقطعة الجذور عن نضالات الشعب العراقي، ولم تكن حدثاً فوقياً أو طارئاً، وإنما كانت جزءاً عضوياً من الحركة الوطنية القومية والنهضة العربية الشاملة.

لقد كان للتحولات التي أحدثتها ثورة ١٤ تموز/يوليو، وفي مقدمتها التحرر السياسي من النفوذ الاستعماري الممثل بالنظام الملكي، وانسحاب العراق من ميثاق بغداد والخروج من منطقة الإسترليني، وإصدار القانون رقم ٨٠ والاعتراف بالحقوق القومية للشعب الكردي في العراق، وإعلان سياسة الحياد الإيجابي، الأثر الواضح في طبيعة العلاقة بين القوى السياسية بعد الثورة، وفي القوى السياسية نفسها.

وبقراءة موضوعية واستقراء دقيق لطبيعة الأوضاع السائدة إبان عهد النظام الملكي، وعجز العراق عن ممارسة دوره الحقيقي على الساحتين العربية والعالمية، يمكن إدراك الأهمية البالغة لثورة الرابع عشر من تموز/يوليو.

كانت القوى السياسية إبان المرحلة التي سبقت قيام ثورة ١٤ تموز/يوليو قد أدت دوراً أساسياً في اجتثاث النظام الملكي القائم آنذاك بمختلف مؤسساته بهدف تحقيق الاستقلال السياسي، وأن التحالفات الثورية هي في الأصل تحالفات الطلائع

التقدمية الممثلة لقوى الشعب العاملة، فمن الصعب جداً التوصل إلى تحالف طبقي، لذا فإن التحالف الطبقي يأخذ صيغته عن طريق الأحزاب التقدمية[1].

ومن خلال هذا المنظور تشكلت قبل قيام ثورة ١٤ تموز/يوليو جبهة الاتحاد الوطني، وذلك في شباط/فبراير ١٩٥٧ من أربعة أحزاب: وهي الاستقلال، والحزب الوطني الديمقراطي، وحزب البعث العربي الاشتراكي، والحزب الشيوعي، وبعض المستقلين. وأصدرت الجبهة في ٢٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٧ بياناً أشادت فيه بالوحدة العربية، وبالقرار التاريخي الذي أجمع عليه النواب السوريون والمصريون في جلستهم المشتركة بدمشق في ١١ تشرين الثاني/نوفمبر، والذي أعلنوا فيه رغبة الشعبين بإقامة اتحاد بين القطرين، وفي الوقت نفسه أشار البيان إلى العزم الراسخ في تحرير العراق وإلحاقه بركب العروبة المتحرر، حيث وزع الطلاب القوميون البيان في كليتي الطب والصيدلة، والذي كان بعنوان (الاتحاد العربي أمنية العرب العظمى)[2]، وقد تضمن مدى استعداد الجبهة للمشاركة في الحكم، فيما إذا نجحت الثورة التي كان يخطط لها الضباط الأحرار من قبل التنظيم، وقد نوقش هذا الموضوع في اجتماع من أعلى المستويات بين قادة الأحزاب الممثلة في الجبهة، وتقرر مبدئياً دعم الثورة، واستعداد الجبهة للمشاركة فيها على أساس تنفيذ منهجها، وبهذا الصدد يؤكد السيد رجب عبد المجيد سكرتير تنظيم الضباط الأحرار، قيام الاتصالات بين التنظيم والجبهة الوطنية عن طريق محمد صديق شنشل وعبد الستار علي الحسين، منذ أواخر عام ١٩٥٧ وبداية عام ١٩٥٨، وبالإضافة إلى ذلك فقد قامت اتصالات أخرى بين المدنيين والعسكريين[3]، وعند قيام الثورة استطاعت الجبهة أن تحافظ على وحدة صفوفها وأن تثبت أركان الجمهورية، وتدفع الأخطار عنها سواء في الداخل أو الخارج.

إلا أن الخلافات التي كانت طفيفة في البداية، استفحلت عندما اشتد الصراع بين عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف[4]، وقد قيم هذا الخلاف بين قائدي

---

(١) عزيز السيد جاسم، **موضوعات الجبهة الوطنية التقدمية: ميثاق العمل الوطني في ميزان التجربة السياسية** (بغداد: مكتبة النهضة، ١٩٧٢)، ص ١٧١.

(٢) قحطان أحمد سليمان، «السياسة الخارجية العراقية من ثورة ١٤ تموز إلى ثورة ١٤ رمضان ١٩٦٣،» (رسالة ماجيستير، جامعة بغداد، كلية القانون والسياسة، بغداد، ١٩٧٨)، ص ٥٨.

(٣) عبد الجبار عبد مصطفى، **تجربة العمل الجبهوي في العراق ١٩٢١ ـ ١٩٥٨**، سلسلة دراسات؛ ١٥٧ (بغداد: منشورات وزارة الثقافة والفنون، ١٩٧٨)، ص ٢٦١ ـ ٢٦٢.

(٤) ليث الزبيدي، **ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق**، سلسلة دراسات؛ ١٨٤ (بغداد: دار الرشيد للنشر، ١٩٧٩)، ص ٤٥١.

الثورة أحد أقطاب الحركة الوطنية محمد صديق شنشل في اليوم الرابع للثورة موضحاً أن الخلاف بين نصف مجنون ونصف عاقل[5]، وأن العراق وثورته سيدفعان ثمن ذلك[6].

أما السيد صبحي عبد الحميد فيرى أن انفراد عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف بالثورة دون أن يعلما اللجنة العليا بساعة الصفر يعني عدم التزامهما بقرارات اللجنة العليا، والتي كان أهمها تشكيل مجلس قيادة الثورة. إلا أن الإثنين اختلفا بعد برهة في ما بينهما حول قضايا شخصية، وادعى كل منهما أنه هو الرجل الأول بالثورة. وبعد انقسام الشارع العراقي إلى فريقين، فريق قومي يدعو إلى الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة ويؤيد عبد السلام عارف جهاراً، وفريق شيوعي يعارض قيام الوحدة، وحاول الشيوعيون كسب عبد الكريم قاسم إلى جانبهم بالالتفاف حوله، لذلك انقلب الخلاف الشخصي بين رجلي الثورة، إلى خلاف عقائدي، حيث تنصل عبد الكريم قاسم من مبدأ قيام الوحدة الذي كان مبدأ أساسياً عند الضباط الأحرار قبل الثورة[7].

ويذكر جاسم العزاوي: «أن الخلاف أخذ طريقه بين الرجلين بعد أن وصلت

---

(٥) في مساء يوم ١٨ تموز/يوليو كان عبد الناصر على موعد مع وفد عراقي على مستوى عالٍ يمثل النظام العراقي الثوري، وقد توجه هذا الوفد إلى دمشق عندما أذيع نبأ وصول الرئيس جمال عبد الناصر إليها، وكان الوفد العراقي مؤلفاً من العقيد الركن عبد السلام عارف والأستاذ صديق شنشل وزير الإرشاد والسيد محمد حديد وزير المالية، والسيد عبد الجبار الجومرد وزير الخارجية، وكان العشاء مع الوفد العراقي مناسبة عامرة بالحماس ومشاعر الزهو بانتصار كبير على المستوى القومي. وبعد أن انتهى العشاء كان عبد الناصر على موعد مع الاستاذ صديق شنشل الذي كان صديقاً قديماً لجمال عبد الناصر بحكم اشتغاله الطويل بالعمل العربي القومي. وقد روعي أن لا يتم هذا اللقاء في قصر الضيافة حتى لا يسبب حساسية للآخرين من أعضاء الوفد، وفي هذا اللقاء تحدث عبد الناصر قائلاً لشنشل: «إن ما حدث في بغداد كان بالنسبة له أشبه ما يكون بالأحلام المستحيلة التحقيق»، إلا أن عبد الناصر فوجئ برد صديق شنشل له عندما قال: «على المستوى القومي نعم يا سيادة الرئيس ولكن على مستوى القطر العراقي، يمكن أن يتحول إلى كابوس ثقيل». وبدت الدهشة على وجه عبد الناصر فعلى الرغم من كل ما سمعه من عبد الحميد السراج، فإن ما يقوله صديق شنشل الآن يبدو له أسوأ مما تصور. ومضى شنشل يقول: «إن على رأس الثورة العراقية الآن رجلين، أولهما نصف مجنون، والثاني نصف عاقل، كان نصف المجنون في تقدير شنشل هو اللواء عبد الكريم قاسم، وكان نصف العاقل في تقديره هو عبد السلام عارف»، وبعد أن أصغى الرئيس جمال عبد الناصر بعناية لأخبار صديق شنشل قال له: «إنه على استعداد تام لأن يقدم كل المساعدة للثورة، ولكنه لا يستطيع أن يقدم على أية خطوة وحدوية قبل أن تقوم الوحدة السورية ـ المصرية على قدميها»، ووافقه صديق شنشل على هذا التصور.

(٦) مصطفى طلاس، **مرآة حياتي**، ط ٤ (دمشق: دار طلاس، [١٩٩٧])، ج ١: **العقد الأول ١٩٤٨ ـ ١٩٥٨**، ص ٧٧٧ ـ ٧٧٨.

(٧) مقابلة شخصية مع صبحي عبد الحميد بتاريخ ١٥ شباط/فبراير ٢٠٠١.

إلى عبد الكريم قاسم صورة البرقية التي بعثها عبد السلام عارف في ١٨ تموز/ يوليو ١٩٥٨ إلى عبد الناصر بواسطة القائم بأعمال الجمهورية العربية المتحدة والتي جاء فيها أنه سيموت دفاعاً عن هدفه وهو الوحدة، وأنه سيذهب في الوقت المناسب لإعلان ولائه لسيادة الرئيس وتجنيد نفسه وضباطه تحت إمرة سيادته. . . وأن الزعيم عبد الكريم لا يستطيع الوقوف في وجه هذه الفكرة. . .

وقد أزعجت تلك البرقية عبد الكريم قاسم كثيراً، وحزت في نفسه فأضمرها لعبد السلام، وكان الأحرى به مصارحة عبد السلام والطلب منه أن يقدم تفسيراً للبرقية أو نفيها. وأغلب الاعتقاد أن البرقية كانت إحدى ألاعيب الشيوعيين الذين بدأوا يتحركون لإيجاد ثغرة ينفذون من خلالها لسلب الثورة وسرقتها. ويستطرد العزاوي أنه أطلع بعد ذلك على البرقية وأخبر بها الملحق العسكري في السفارة المصرية العقيد عبد المجيد فريد، وعاتبه على مثل ذلك التدخل محذراً إياه من وجود أشخاص في السفارة يعملون لحساب الشيوعيين، وبعد مضي يوم أو يومين اتصل عبد المجيد فريد بالعزاوي ونفى وجود مثل هذه البرقية نفياً قاطعاً ومؤكداً[٨].

ويرى العزاوي أن أمين النفوري الوزير السوري في حكومة الوحدة وأحد المعادين للاتجاه القومي قد أبدى نشاطاً واسعاً لدق أول إسفين للخلافات بين قائدي الثورة، وهو ممن يسعون لتنفيذ المخطط الشيوعي في المنطقة، حيث أخبر عبد الكريم قاسم بلقاء عبد السلام عارف مع الرئيس عبد الناصر في دمشق في ١٩ تموز/ يوليو وخطابه الذي تجاهل فيه ذكر اسم عبد الكريم قاسم، كما زعم النفوري أن عبد الناصر قد تآمر مع عبد السلام للتخلص من عبد الكريم قاسم.

وأكد ذلك ما زعمه خالد محيي الدين، أحد قياديي اليسار المصري ورئيس مجلس السلم والتضامن وعضو مجلس القيادة المصري سابقاً، ورئيس تحرير صحيفة **المساء** المصرية آنذاك، في رسالة مماثلة إلى عبد الكريم قاسم زاعماً وجود تنسيق للتآمر بين عبد الناصر وعبد السلام عارف للتخلص منه، ودمج العراق في الجمهورية العربية المتحدة بوصفه إقليماً شرقياً[٩].

وفي خضم الصراع بين عبد الكريم قاسم أو بين الشيوعيين والقوميين، تلكأ الزعيم عبد الكريم قاسم في التصديق على الاتفاق الذي وقعه نائبه العقيد عبد السلام عارف مع حكومة الجمهورية العربية المتحدة في ١٩ تموز/ يوليو ١٩٥٨ وذلك

---

(٨) جاسم كاظم العزاوي، **ثورة ١٤ تموز: أسرارها، أحداثها، رجالها حتى نهاية عبد الكريم قاسم** (بغداد: شركة المعرفة للنشر والتوزيع المحدودة، ١٩٩٠)، ص ١٦٦ ـ ١٦٧.

(٩) المصدر نفسه، ص ١٦٧.

وكما يقول السيد محمد صديق شنشل نكاية بنائبه عارف الذي لم يذكر اسم قاسم في خطابه الذي ألقاه في دمشق والذى ادعى فيه أنه كل شيء بالثورة[١٠].

ويبدو أن الضباط الأحرار لم يعيروا اهتماماً لوضع خطة عمل لمرحلة ما بعد الثورة وأصبح شغلهم الشاغل إسقاط النظام الملكي والتخلص من نوري السعيد، وبهذا الصدد يذكر السيد رجب عبد المجيد سكرتير تنظيم الضباط الأحرار: «بأن أهداف ثورة ١٤ تموز/ يوليو كانت تقوم على تحرير العراق من النفوذ الأجنبي والاحتلال والقواعد العسكرية والأجنبية والحفاظ على سيادة واستقلال البلاد، والحفاظ على الوحدة الوطنية والتضامن الأخوي مع الدول العربية وخاصة مع الجمهورية العربية المتحدة، واتباع سياسة الحياد الإيجابي في العلاقات الدولية وتحرير الاقتصاد العراقي من السيطرة الأجنبية والانسحاب من الاتحاد العربي[١١]. وفضلاً عن ذلك فإن توليفه وزارة الثورة[١٢] قد جمعت عناصر بين أقصى اليسار وأقصى اليمين[١٣].

وكان الشيوعيون يشكلون كتلة متماسكة ضمن الجبهة الوطنية، أما الكتل الأخرى فقد ضمت البعثيين وفئات أخرى ليست متماسكة تماسكاً حزبياً متراصاً، إضافة إلى عدم اتفاق هؤلاء في الأهداف. فحزب البعث كان يؤيد الدخول في وحدة مع العربية المتحدة وله في ذلك شروط، **أهمها** تخفيف سلطات الرئيس عبد الناصر ليتسنى ظهور المؤسسات الديمقراطية، وفئة **أخرى** ترى التريث في إقامة الوحدة، حيث تفضل الاتحاد على الوحدة، ونعني بهذه الفئة الحزب الوطني الديمقراطي، **وثالثة** تريد المحافظة على استقلال العراق التام مع توثيق العلاقات الاقتصادية والأخوية مع

---

(١٠) سليمان، «السياسة الخارجية العراقية من ثورة ١٤ تموز إلى ثورة ١٤ رمضان ١٩٦٣،» ص ٧٥.

(١١) المصدر نفسه، ص ١٣ ـ ١٤.

(١٢) جمعت توليفة وزارة الثورة بين أقصى اليسار الماركسي الممثل في إبراهيم كبة وزير الاقتصاد، إضافة إلى توكيله وزارة الإصلاح الزراعي، وبين أقصى اليمين الممثل في عبد السلام عارف وزير الداخلية، وبين الوحدوي الفوري فؤاد الركابي وزير الإعمار، وبين التيار الإقليمي الاشتراكي الممثلة في قطبي الحزب الوطني الديمقراطي، محمد حديد وزير المالية، وهديب الحاج حمود وزير الزراعة، وبين هؤلاء الأضداد حيث عين القومي المعتدل ناجي طالب وزيراً للشؤون الاجتماعية، كما عين صديق شنشل من حزب الاستقلال (القومي) وزيراً للإرشاد، وعين الدكتور عبد الجبار الجومرد (قومي معتدل) وزيراً للخارجية، إلى جانب الوزراء الآخرين المستقلين عرباً وأكراداً، أما مجلس السيادة فقد تألف من ثلاثة أعضاء اتسموا بالعفة والمحافظة، وهم بعيدون عن ممارسة مسؤولياتهم الفعلية التي نص عليها الدستور المؤقت، وانعزالهم عن التيارات الوافدة التي بدأت تعصف بحياة مجتمعهم، فكانوا واجهة بيضاء لحكم قاتم الإحمرار، وهم: محمد نجيب الربيعي ومحمد مهدي كبة وخالد النقشبندي. وللمزيد من التفاصيل، انظر: محمود الدرة، **ثورة الموصل القومية ١٩٥٩: فصل في تاريخ العراق المعاصر** (بغداد: دار اليقظة العربية، ١٩٨٧)، ص ٨٧ ـ ٨٨.

(١٣) المصدر نفسه، ص ٨٧ ـ ٨٨.

البلاد العربية. أما القوميات غير العربية وعلى رأسها العراقيون الأكراد، فكانوا يتخوفون من فكرة الوحدة، لكي لا تتناقص نسبتهم إزاء أكثرية عربية متزايدة. أما الشيوعيون فإنهم يرفضون الوحدة أصلاً، ويدعون أيضاً إلى الاتحاد[١٤]. وكانت قضية الوحدة هي الباب الذي ولج منه الخلاف ما بين أركان النظام الجديد، حيث برز التيار الوطني الإقليمي الذي يتزعمه عبد الكريم قاسم، والتيار القومي الذي يتزعمه عبد السلام عارف وبجانب هذين التيارين كان هناك التيار الأممي الشيوعي.

ومع أن عبد السلام عارف كما ظهر على حقيقته في ما بعد بأنه لا يؤمن بالوحدة العربية السياسية التي تذيب شخصيته ودوره القيادي، فإنه أراد الظهور على المسرح السياسي كزعيم قومي، يستمد من شخصية عبد الناصر الذي أصبح رمزاً للنضال القومي المتحرر القوة والتأييد المعنوي ليركب موجه المد القومي في العراق، ويصبح الزعيم القومي فيه[١٥].

وقد أدى ازدياد الخلاف إلى انقسام الرأي العام العراقي إلى كتلتين متصارعتين هما **الكتلة الإقليمية** التي رفعت مرحلياً شعار الجمهورية العراقية ودعت إلى الاتحاد الفدرالي والصداقة مع الاتحاد السوفياتي. وكان في طليعة تلك الكتلة الحزب الشيوعي العراقي. أما الكتلة الثانية فهي **الكتلة القومية** التي تدعو إلى الوحدة والانضمام الفوري إلى الجمهورية العربية المتحدة، وكان يمثل هذه الكتلة القوى القومية وفي مقدمتها حزب البعث العربي الاشتراكي وحركة القوميين العرب[١٦].

ومهما يكن من أمر فقد أصبح المد القومي. بعد ثورة ١٤ تموز/يوليو عام ١٩٥٨ قوياً، مما شكل تهديداً خطيراً للمصالح الأجنبية في المنطقة، كما هدد في الصميم محاولات الشيوعيين الرامية إلى إضعاف حماس الجماهير المؤيدة والداعية إلى الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة، بعد أن امتلأت شوارع بغداد بصور جمال عبد الناصر، وتعالت الهتافات التي تعبر عن حب الجماهير للرئيس عبد ناصر، والواقع أن تلك النشاطات لم تعبر عن حب الجماهير للرئيس عبد الناصر وحسب، وإنما كانت تعكس مدى تعلق الجماهير وتطلعها نحو الوحدة العربية[١٧].

---

(١٤) ناجي علوش، **الثورة والجماهير: مراحل النضال العربي ودور الحركة الثورية ١٩٤٨ ـ ١٩٦١** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٢).

(١٥) الدرة، المصدر نفسه، ص ٨٣ ـ ٨٤.

(١٦) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ٧/٢٣، العدد ١١٨، ١٥ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٨.

(١٧) خضير حسن سلمان، «التطورات السياسية الداخلية في العراق ٨ شباط ـ ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣،» (أطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٩٨).

وعلى أي حال فإن القوى القومية بزعامة حزب البعث العربي الاشتراكي أكدت موقفها الداعم لحكومة الثورة، وضرورة الابتعاد عن شق الصف الوطني، ودعت إلى تعاون جميع الفصائل الوطنية لتحقيق أهداف الثورة[١٨]. وعلى الرغم مما تقدم فإن الخلافات بين القوى السياسية حول مسألة الوحدة العربية بعد الثورة قد أججها الشيوعيون، وكان ذلك جلياً منذ اليوم الرابع للثورة عندما نظمت الأحزاب السياسية مساء يوم ١٨ تموز/يوليو ١٩٥٨ تظاهرة لتأييد الثورة، وعندما رفع البعثيون ومعهم الفئات القومية شعار الوحدة العربية، قابلهم الشيوعيون بهتافات استفزازية، ومن الهتافات التي رددها الشيوعيون: (اتحاد فدرالي صداقة سوفياتية) و(جمهوريتك يا كريم مستحيل تصير إقليم)، لتعبر عن مدى إصرار الشيوعيين على تمزيق وحدة الصف الوطني[١٩]، إضافة إلى ذلك فإن خطاب عبد الكريم قاسم الذي ألقاه على المتظاهرين، قد زاد من حدة الخلافات بين الفئات السياسية، كما عزز في ذلك الحين موقف الشيوعيين وتجاوزاتهم على مختلف الصعد[٢٠].

ولم يكن سقوط الملكية في ١٤ تموز/يوليو كاشفاً الأمور على حقيقتها، فقد تغير الكثير من المقدمات السياسية، وتغيرت معها الأهداف والممارسات والعلاقات المتبادلة بين الأحزاب المختلفة، وكان لا بد من ظهور التعارض بين المصالح الحياتية للقوميين والشيوعيين من أن تبرز إلى السطح عاجلاً أم آجلاً، ولكن الواقع أن حالات عدم التوافق هذه، ظهرت بأجلى صورها حدة خلال الأسابيع المبكرة التي أعقبت الثورة، عندما طرح القوميون مسألة الاندماج الفوري بالجمهورية العربية المتحدة كمهمة ملحة. وكان هذا بحد ذاته، كافياً لخلق شيء من الارتباك بين الشيوعيين. أما عندما قفز العقيد عارف بعد ذلك إلى الواجهة، وبدأ باستثارة حماس الناس والجيش لعبد الناصر، شعر الشيوعيون بقلق شديد، ولم يكن قلقهم مجرد أوهام بما سيؤول إليه الاندماج من نذير لحزبهم، كما أن العودة إلى حالة العمل السري في ظل عبد الناصر، لم تكن تشبه على الإطلاق العمل السري في ظل نوري السعيد، وكان الأمر يتعلق بوجودهم نفسه كقوة فاعلة تاريخياً، ولهذا فإنهم فسروا مبادرة عارف والقوميين على أنها لا تقل عن دعوة إلى نزاع قاتل[٢١]. وكان النظام

---

(١٨) حزب البعث العربي الاشتراكي، **نضال البعث: القطر العراقي، ١٩٥٨ ـ ١٩٦٣، من ثورة الرابع عشر من تموز إلى ثورة الرابع عشر من رمضان**، ط ٣ (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٦)، ج ٧، ص ١٤ ـ ١٧.

(١٩) معاذ عبد الرحيم، «نزاع على الكرسي الأول، فجر الخلاف بين قاسم وعارف،» **الاتحاد**، ٩/١٠/١٩٨٩.

(٢٠) **مبادئ ثورة ١٤ تموز في خطب الزعيم** (بغداد: وزارة الإرشاد، ١٩٥٩)، ص ١٠٨.

(٢١) حنا بطاطو، **العراق**، ترجمة عفيف الرزاز، ٣ ج (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٩٢)، ج ٣: **الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار**، ص ١٣٩.

الذي انبثق بعد ثورة تموز/ يوليو قد حمل منذ أشهره الأولى طابع الغموض. ولم يكن هناك شخص أو قوة أو مؤسسة تسيطر على الأمور. ومنذ صدور الدستور المؤقت أوكلت السلطتان التشريعية والتنفيذية إلى مجلس الوزراء(٢٢). وهكذا بدأ الصراع يتفاقم بسرعة، فكان توجه عبد السلام عارف صوب القوى القومية بزعامة حزب البعث، في حين تخندق عبد الكريم قاسم مع الشيوعيين والحزب الوطني الديمقراطي. وقد استغل الشيوعيون هذا الخلاف أسوأ استغلال، واستثمروه لتوسيع شقة الخلاف بين عارف وقاسم، حيث يؤكد أحد التقارير الأمنية صحة ما ذهبنا إليه فيشير إلى أن الشيوعيين قد استغلوا الخلاف بين عبد السلام عارف وعبد الكريم قاسم فوسعوا شقته، بحيث انعكس ذلك الخلاف واتسع على الساحة الجماهيرية(٢٣). وعلى أية حال فإن تطورات الأحداث وتفاقم الخلافات، بشكل سريع أظهرت أن الخلافات التي استعرت بين قائدي الثورة لم تكن خلافات مبدئية أو عقائدية، بقدر ما كان تضارب نزعات وتقاطع طموحات لكلا القائدين.

وهكذا فقد استمر الصراع واتسعت فجواته. وكان هدف الشيوعيين الأول في تلك المرحلة هو إبعاد عبد السلام عارف عن الساحة السياسية والتعجيل بسقوطه. وكان حلول شهر أيلول/ سبتمبر قاتماً بالسواد على وضع القوى القومية، وفي مقدمتها حزب البعث، وكذلك على مركز الشريك الأول لثورة ١٤ تموز/ يوليو عبد السلام عارف.

وفي الثالث من أيلول/ سبتمبر ١٩٥٨ أصدر المكتب السياسي للحزب الشيوعي (جناح عامر عبدالله) بياناً أدان فيه دعاة الوحدة. حيث أشار إلى تخوف وقلق الشعب العراقي من الوحدة. ودعا البيان إلى الاحتراز من الدعوة إلى انضمام العراق إلى الجمهورية العربية المتحدة، وأهاب بالشعب العراقي بعربه وأكراده وقومياته الأخرى بمحاربة دعاة هذا الهدف، وكانت كل المزاعم التي أوردها البيان تهدف إلى تسفيه شعار الوحدة للحيلولة دون التقارب مع العربية المتحدة. وكانت دعوة الشيوعيين هذه بمثابة صب الزيت على النار، مما أدى إلى إشعال الفتيل بين الفئات القومية والقوى الإقليمية(٢٤). وفي سياق ما تقدم فقد صعّد الحزب الشيوعي حملته ضد الوحدة، وأوضح عامر عبد الله في محاضرة ألقاها في جمعية الخريجين أفكار

(٢٢) المصدر نفسه، ص ١١٩ ـ ١٢٠.

(٢٣) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ١٧، تقرير دون رقم وتاريخ صادر من مديرية الأمن العام.

(٢٤) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ٢٢، البيان الذي أصدره الحزب الشيوعي العراقي بتاريخ ٣ أيلول/ سبتمبر ١٩٥٨.

الحزب المعادية للوحدة. وكانت تلك الأفكار تصب بهدف واحد، وهو محاربة الأفكار الوحدوية وللوحدة كهدف، إذ شدد في محاضرته على عدم جدوى الحديث عن الوحدة في الوقت الحاضر(٢٥).

وعن الوحدة والاتحاد يرى عزيز الحاج أنه من الخطأ والضار طرح شعارات لا يهضمها غالبية الشعب العراقي، مما يؤدي إلى إرغام القوى الوطنية الأخرى لقبولها، وخصوصاً في ما يتعلق منها بصميم القضايا الوطنية والقومية العليا. ويزيد الوضع سوءاً محاولة فرض تلك الشعارات فرضاً على الشعب كله(٢٦). وفي هذه الأجواء الساخنة من الصراع على الساحة السياسية من ناحية، وتصاعد الخلافات الشخصية بين قائدي الثورة من ناحية أخرى، حسم عبد الكريم قاسم الموقف لصالحه ولصالح الشيوعيين، فأصدر في ١١ أيلول/ سبتمبر ١٩٥٨ قراراً أعفى بموجبه عبد السلام عارف من منصبه كنائب للقائد العام للقوات المسلحة. وفي ٣٠ أيلول/ سبتمبر أصدر قراراً آخر أعفى فيه عارف من جميع مناصبه، وعيّنه سفيراً للعراق في بون(٢٧). وزاد الشيوعيون من جانبهم تأجيج الموقف والركوب على موجة تدعو إلى إبعاد الوزراء القوميين عن السلطة مشككين بإخلاصهم للثورة، حيث أهابوا بعبد الكريم قاسم للاعتماد على حزبهم والحزب الوطني الديمقراطي لحماية الثورة(٢٨)، وبعد اعتقال عارف نظم الشيوعيون التظاهرات في بغداد وفي أغلب أنحاء العراق وهم يهتفون (خمسة بالشهر ماتوا البعثية) مطالبين بإعدام عبد السلام عارف، وضرورة محاربة وقمع القوى القومية(٢٩). أما عبد الكريم قاسم فقد اتخذ عدداً من الإجراءات التي يستشف منها إضفاء طابع الشرعية على نشاط الحزب الشيوعي، كإعادة الاعتبار لقادة الحزب الشيوعي الذين أعدموا في شباط/ فبراير ١٩٤٩ (فهد ومجموعته) وإلغاء الفقرة من قانون العقوبات البغدادي، والتي تشير إلى أن الانتماء للشيوعية يعد من الجرائم التي يعاقب عليها القانون، كما تم منح الحزب الشيوعي إجازة صحيفة **اتحاد الشعب** والتي صدر العدد الأول منها في ٢٥ كانون الثاني/ يناير ١٩٥٩(٣٠). وتوالت

(٢٥) عامر عبد الله، **الطريق التاريخي لوحدة الأمة العربية** (بغداد: مكتبة الثورة، ١٩٥٩).

(٢٦) **الوقائع العراقية**، ٤/ ١٠/ ١٩٥٨.

(٢٧) عزيز الحاج، **ثورتنا في العراق وقضية الوحدة** (بغداد: دار بغداد للطباعة والنشر والترجمة، [د.ت.])، ص ١٠.

(٢٨) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ١٥، مديرية الأمن العامة، التقرير الأسبوعي المرقم ٩٦٢٣ الصادر في ١١ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٨.

(٢٩) مجيد خدوري، **العراق الجمهوري** (بيروت: الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٤)، ص ١٤٣.

(٣٠) بطاطو، **العراق**، ج ٢: **الحزب الشيوعي العراقي**، ص ٨٧.

تطورات الأحداث بعد تقديم الوزراء القوميين استقالتهم[٣١] في ٥ شباط/ فبراير ١٩٥٩، مما أدى إلى انفراد عبد الكريم قاسم في السلطة العليا، وهيمنة الشيوعيين على الساحة السياسية[٣٢]، وما زاد في الطين بلة منبر المحكمة العسكرية العليا الخاصة واستغلال الشيوعيين لأجواء المحكمة والتي كانت مشجعة لممارساتها، وخلال هذه الفترة كان لمحاكمة رشيد عالي والحكم عليه بالإعدام لدى الرأي العام العراقي والعربي صدى عنيف، فاضطر عبد الكريم قاسم إلى عدم تنفيذ الحكم على الرغم من مظاهرات الشيوعيين ومطالبتهم له بتنفيذ الحكم، وكان شعارهم في ذلك الوقت وهو موجه إلى عبد الكريم قاسم قولهم له: «لا تكول ما عندي وكت... أعدم... أعدم»[٣٣].

وفي صباح ٨/ ٣/ ١٩٥٩ أعلن العقيد عبد الوهاب الشواف القائد العسكري لمنطقة الموصل بياناً في إذاعة محلية أدان فيه الحكم القائم وأعلن الثورة، ولم يلق الشواف التأييد الذي توقعه من رفاقه في بقية أنحاء العراق وقتل في اليوم التالي. وانتصر الشيوعيون في الموصل، وبدأت حملة إرهاب دامية وتركت هذه الأحداث آثارها البعيدة، حيث أدت إلى هزيمة منكرة للقوميين في العراق، واتهم عبد الناصر الشيوعيين العراقيين بمحاولة انتزاع سوريا من الجمهورية العربية المتحدة وإدخالها في هلال خصيب شيوعي، وترك النزاع بين الشيوعيين والقوميين في العراق ندباً وجراحات لا تمحى، وعراقاً منقسماً بحدة وبشكل مأساوي حقاً[٣٤]. وهكذا استمر الصراع بين القوى القومية والقوى الانعزالية بشكل عنيف، نتج عنه المذابح والمجازر في الموصل بعد حركة الشواف، وكذلك المذابح في كركوك والبصرة وغيرهما، من مدن العراق الأخرى. وحين وجد الشيوعيون أن الشارع قد أصبح تحت سيطرتهم أخذوا يطالبون بالحكم علناً، وكانوا يخططون في الوقت نفسه للإطاحة بعبد الكريم قاسم والاستيلاء على السلطة، ولكن تمسك الزعيم قاسم بالحكم وخشيته من انقلابهم عليه جعله يرفض مطالبتهم بإشراك وزراء شيوعيين في الحكم، مما أدى إلى

(٣١) قبلت استقالة الوزراء القوميين بموجب المرسوم الجمهوري المرقم ١٠٥ والصادر في ٧ شباط/ فبراير ١٩٥٩، وهم الدكتور: محمد صالح محمود والسيد صديق شنشل والشيخ بابا علي والدكتور عبد الجبار الجومرد والزعيم الركن ناجي طالب والسيد فؤاد الركابي. وللمزيد من التفاصيل انظر: **الوقائع العراقية**، ١٠/ ٢/ ١٩٥٩.

(٣٢) الدرة، **ثورة الموصل القومية ١٩٥٩: فصل في تاريخ العراق المعاصر**، ص ٨٧.

(٣٣) بطاطو، **العراق**، ج ٣: **الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار**، ص ١٧٧ ـ ١٩٣.

(٣٤) محمد حسين الحبيب، **حقائق عن ثورة ١٤ تموز في العراق** (بيروت: دار الأندلس، ١٩٨١)، ص ١٢٦.

توتر العلاقات بينه وبينهم، ودفعه إلى الإيغال في الفردية والانعزالية، ولكنها كانت فردية حائرة لا تدري من هو سندها ومؤيدها[٣٥]. ويذكر الصحافي الجزائري محمد أمين دوغان الذي زار العراق عدة مرات أنه ذهب إلى العراق عام ١٩٦٠، وكان العراق خارجاً من مجزرة أهلية لم يسلم منها حزب أو جماعة أو فئة أو دولة إذ يقول: «رأيت العراق مختبراً عراقياً وعربياً ودولياً... فكل من يريد أن يجري تجربة ما... يذهب إلى العراق ويبذر بذرة الخير والشر ثم يستريح.. ليجد البذرة تنمو إما شجرة لها ثمر حلو جميل، أو شجرة تطل منها رؤوس الأفاعي والثعابين، ولكن الحقيقة تبقى حقيقة... وهي أن الشعب العراقي وحده يدفع ثمن التجارب... سواء كانت له أم عليه»[٣٦].

وخلال فترة تلك الصراعات كانت حركة القوميين العرب الفتية التجربة في الساحة العراقية تتسع تنظيماً لتمثل الدور المطلوب في تلك الساحة.

وكانت قائمة المشاكل طويلة ومتعددة أمام الحركة شملت الجوانب التنظيمية والسياسية والفكرية. ويومها كان القياديون المسؤولون عنها حامد الجبوري وباسل الكبيسي ونهاد هيكل وغازي القصاب، وفي الموصل كان (عبد الباري الطالب) ناشطاً حيث بدأ العمل بسرعة. وإزاء تدفق الأحداث وتلاحقها في القطر تمت إعادة النظر في الهيكل التنظيمي للحركة[٣٧]، مع إعادة بناء الهيكل في بغداد وبقية المناطق خاصة في النجف والموصل، وبداية متواضعة في البصرة. وجرى إبعاد بعض العناصر على مستويات مختلفة، وتركز الجهد على رفع مستوى الأعضاء والاهتمام بتوعيتهم، ومع تكليف العديد ممن عرفوا بالنشاط والحيوية والوعي والكفاءة بمهمات ومسؤوليات أكثر من المعتاد لتحسين أوضاع العمل التنظيمي[٣٨].

وكان القطر العراقي الساحة الثانية بعد الأردن التي بدأت الحركة نشاطها

(٣٥) محمد أمين دوغان، **الحقيقة كما رأيتها في العراق** (بيروت: دار الشعب؛ دار الأحد، ١٩٦٢)، ص ٣١٤.

(٣٦) هاني الهندي وعبد الإله النصراوي، محرران، **حركة القوميين العرب: نشأتها وتطورها عبر وثائقها ١٩٥١ ـ ١٩٦٨: الكتاب الأول، ١٩٥١ ـ ١٩٦١**، ٣ ج (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ٢٠٠١ ـ ٢٠٠٣)، ج ١، ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

(٣٧) في أواخر آب/ أغسطس ١٩٥٨ وصل نايف حواتمة إلى بغداد، وكانت قيادة الحركة قد كلفته بالذهاب إلى العراق لتولي قيادة العمل هناك، وفي أوائل عام ١٩٥٩، وصل عمر فاضل، من أعضاء قيادة العمل في لبنان، ليساعد حواتمة في مسؤولياته الجديدة، ولعمر فاضل تجربته النضالية في لبنان والأردن وأيام الحرب الأهلية في صيف ١٩٥٨.

(٣٨) الهندي والنصراوي، محرران، المصدر نفسه، ص ٢٣٩.

التنظيمي فيها بالتغلغل في أوساط ضباط الجيش بعد إعادة النظر بموقف سابق للشباب القومي، قوامه: الامتناع عن تنظيم العسكريين. وقد بقي هذا الموقف السلبي نافذاً حتى قيام الوحدة بين مصر وسوريا بتلك السرعة غير المتوقعة مما جعل قيادة التنظيم تعدل عن نظرتها السلبية بعدم التعامل مع القطاع العسكري. لذلك وبالتالي بدأ الاتصال بضباط من ذوي الاتجاه الوحدوي، مع تولي باسل الكبيسي مسؤولية هذه العلاقة[٣٩].

ويمكن القول إن حركة القوميين العرب قد صممت تنظيماً خلال تطورها القومي التقليدي في الخمسينيات، بشكل يكون فيه جهازها حديدياً محكم الإغلاق والتماسك، وتحكمه أنظمة الطاعة والسرية. ومن هنا كانت القيادة تدمر هذا الجهاز أكثر مما تقوده، وهذا ما ينسجم مع صورته كجهاز إداري تنفيذي يعمل كآذان وكسواعد إدارية تنفيذية، لرأس مفكر وحيد هو القيادة، حيث إن قوام كل الحركة لا يقوم على المؤتمرات بل على القيادة، وبمجرد انهيار هذه القيادة فإن الحركة تنهار وتصبح مرشحة لأن تكون حركات، وهو ما أخذت تشهده حركة القوميين العرب بعد الانفصال[٤٠].

وانطلاقاً من الفهم المتخلف والمبتور للنضال، والفصل بين النضال السياسي والنضال الاجتماعي، كان من الطبيعي أن تتخبط الحركة في ممارسة شعاراتها في الوحدة والتحرر والثأر بخطأ انزلقت معه إلى ارتكاب أخطاء سياسية تاريخية، ومن ذلك اندفاعها إلى ممارسة سياسية وحدودية رومانسية تميزت بالإلحاح اللفظي الشديد على الوحدة، حتى لو كانت هذه المرحلة شكلية تتعارض مع طبيعة الوحدة الحقيقية. لذلك كله ظلت الحركة تراوح مكانها طيلة فترة الخمسينيات ولم تتمكن من التعامل مع الواقع العربي، واكتشاف محركاته. وحين حاولت الحركة في الستينيات أن تتبنى الماركسية كأداة للتحليل وللتغيير، فإنها أوقعت نفسها في إشكالية جديدة أفقدتها ما بقي لها من جماهير وأنصار، وكان نصيبها الغياب الفعلي عن ساحة العمل القومي[٤١]. وكانت صحيفة **الوحدة** الناطقة بلسان حال حركة القوميين العرب والصادرة في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٨، قد دعت وبالخط العريض إلى الوحدة

(٣٩) محمد جمال باروت، **حركة القوميين العرب: النشأة ـ التطور ـ المصائر** (دمشق: المركز العربي للدراسات الاستراتيجية والعسكرية، ١٩٩٧)، ص ٨٣.

(٤٠) إبراهيم خليل العلاف، **تاريخ الفكر القومي العربي: منذ البواكير الأولى لنشوء الأمة العربية حتى عصر القائد صدام حسين** (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠١)، ص ١٩٢.

(٤١) **الوحدة**، ٥/ ١٠/ ١٩٨٥.

الفورية بين العراق والجمهورية العربية المتحدة، حيث حددت الصحيفة بأن طريق الوحدة الفورية التامة مع نواة الوحدة العربية المتمثلة بالجمهورية العربية المتحدة هو التجسيد العملي لطريق الحركة. ومن هنا رفضت الصحيفة الدعوة إلى الاتحاد الفدرالي، إذ رأت فيه نموذجاً مشوهاً للوحدة وتجسيداً مبطناً للتجزئة، ورأت الحركة في طرحه أنه مجرد تكتيك مقابل لهدف الوحدة بهدف امتصاص نقمة الشعب العربي في العراق ضد التجزئة والإقليمية[٤٢]. وخلال المساعي المبذولة لإحياء جبهة الاتحاد الوطني والتي نوهنا عنها في الصفحات السابقة، فقد تم الاتفاق على إصدار ميثاق عمل يحل محل الميثاق السابق للجبهة. وأقر الميثاق الجديد والذي صدر في ١٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٨ بأن العراق جزء من الأمة العربية، وركز على إيجاد صيغ ارتباط ما بين العراق والجمهورية العربية المتحدة من جهة، وعلى صياغة استقلال العراق والسير في نهج تحرري من جهة أخرى. إلا أن حركة القوميين العرب رفضت صيغ الميثاق الجديد، كونه يشكل تسويفاً لهدف الوحدة العربية. ومهما يكن من أمر فإن أفكار خالد بكداش الأمين العام للحزب الشيوعي السوري، والتي طرحها على شكل برنامج سياسي في ١٤ كانون الأول/ديسمبر ١٩٥٨ كانت قد عجلت بوأد الميثاق بين الأطراف المتحالفة وانهيار الجبهة[٤٣]. وقد ركز برنامج خالد بكداش على استبدال الوحدة الاندماجية القائمة فعلاً (باتحاد فدرالي)[٤٤]، ففي الثامن من تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٥٨ عاد بكداش إلى دمشق بعد أن غادرها، بعد قيام الوحدة بخمسة أيام ومعه مشروع مقترح نورد منه خمس نقاط أساسية وهي:

١ ـ إيجاد مجلس نيابي مستقل وحكومة مستقلة لكل من سوريا ومصر.

٢ ـ ضمان الحريات العامة.

٣ ـ النقطة السادسة وتنص على حماية الاقتصاد والصناعة في سوريا بفتح أسواق جديدة وتنفيذ الاتفاقية الاقتصادية التي أبرمت بين سوريا والاتحاد السوفياتي.

٤ ـ النقطة السابعة وتوجب إيجاد توازن في العلاقات التجارية بين الإقليمين، فالقاهرة جعلت من سوريا منطقة زراعية واختصت مصر بالتصنيع.

(٤٢) إبراهيم الجبوري، **سنوات من تاريخ العراق، النشاط السياسي المشترك لحزبي الاستقلال والوطني الديمقراطي في العراق ١٩٥٢ ـ ١٩٥٩** (بغداد: المكتبة العالمية، [د. ت.])، ص ٣٨٩.

(٤٣) باروت، **حركة القوميين العرب: النشأة ـ التطور ـ المصائر**، ص ١٢٤.

(٤٤) سامي عصاصة، **أسرار الانفصال: مصر... سوريا** (القاهرة: دار الشعب، ١٩٨٩)، ص ١٧٢.

٥ ـ النقطة العاشرة وتنص على وجوب حماية أجر العامل السوري من تهديد منافسة العامل المصري[٤٥].

انعكس ذلك المشروع على ساحة الصراع في العراق، حيث قام الشيوعيون بالترويج لمشروع بكداش وأفكاره، واشتد الصراع من جديد ما بين القوى القومية والقوة الإقليمية المتمثلة بالحزب الشيوعي. وكان هجوم الشيوعيين على احتفال أقيم في سفارة الجمهورية المتحدة بمناسبة الذكرى الأولى للوحدة قد أجج الصراع على طريق العنف السياسي. وكذلك فإن صحيفة **اتحاد الشعب** كانت تستعدي عبد الكريم قاسم، على القوى القومية، والعناصر الوطنية باعتبارها عناصر رجعية متآمرة وأصبحت مهرجانات أنصار السلام التي أقامها الحزب الشيوعي في النجف والديوانية وديالى وبقية مدن العراق استعراضاً إرهابياً لقوى الحزب الشيوعي وتحدياً واستفزازاً للقوى القومية، وتخويفاً للجماهير الفقيرة والكادحة[٤٦].

وفي ظل هذه الأجواء المحمومة من الصراع كانت مهمة نايف حواتمة الذي أرسلته قيادة الحركة للعمل في العراق صعبة ومعقدة من البداية. فقد وصل إلى بغداد والمد الشيوعي في حالة اتساع بعد دعم عبد الكريم قاسم وأجهزة الدولة ومؤسساتها، وخاصة الجيش والإعلام والأمن ومحكمة المهداوي، خاصة بعد أحداث الموصل الدموية، حيث تعرض العديد من ناشطي الحركة للملاحقة والاعتقال، وتعرض بعضهم لما هو أسوأ بعد حركة الشواف، وكان من أولى إجراءات أجهزة الأمن اعتقالها العديد من الطلاب العرب، غير العراقيين وغير الشيوعيين، وحققت مع الكثيرين، وقامت هذه الأجهزة بطرد عدد غير قليل من أولئك الطلاب العرب[٤٧]. وخلال هذه الفترة الصعبة تمكنت القيادة المركزية، من رفد العمل التنظيمي بعنصرين قياديين، هما عبد الحليم حريبي (لبنان) وإبراهيم قبعة (فلسطين) لمساندة قيادة الإقليم التي تولاها نايف حواتمة، وكان يساعده عمر فاضل فيما كان الكبيسي والجبوري[٤٨] وهيكل في السجن.

(٤٥) عبد الكريم فرحان، **حصار الثورة (مذكرات): تجربة السلطة في العراق** (لندن: دار البراق، ١٩٩٤)، ص ١٢٤.

(٤٦) الهندي والنصراوي، محرران، **حركة القوميين العرب: نشأتها وتطورها عبر وثائقها ١٩٥١ ـ ١٩٦٨: الكتاب الأول، ١٩٥١ ـ ١٩٦١**، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

(٤٧) من بين الذي طردوا بين أعضاء الحركة خارج العراق: عنان القدومي ومحمد الشويكي (أبو معروف) وعبد المجيد كنعان وسعيد كمال وعبد القادر العمد وأسامة حمو، وأحمد العتمة وعمر حمو، إلا أن قرار الطرد لم ينفذ بحق الآخرين أسامة وعمر حمو لأنهما كانا من أسرة حصلت على الجنسية العراقية وقد التحق الطلاب المبعدون بجامعتي القاهرة والإسكندرية.

(٤٨) أحيل باسل الكبيسي بقرار من الحاكم العسكري العام على المجلس العسكري الثاني بتاريخ ٣٠/ =

وتزايد الشعور في الأوساط القومية بوجوب اتخاذ خطوات جادة للوقوف بوجه نظام قاسم والحزب الشيوعي. وخلال اللقاءات السرية التي كانت تجري بين القوى القومية طُرح موضوع ترتيب عملية قتل عبد الكريم قاسم في حزيران/ يونيو ١٩٥٩ تنفذها عناصر من الحركة والبعث. وفيما كانت المباحثات تتقدم وقعت أحداث كركوك الدموية، في منتصف تموز/ يوليو ١٩٥٩، وبعد عودة لعبة التوازن بين القوى السياسية المتصارعة، اتخذ قاسم خطوات لتحجيم الحزب الشيوعي. وهذا الإجراء دفع بعض المشاركين في اللقاءات القومية السرية إلى الدعوة بالتريث بأمل اشتداد الخلاف في المعسكر المعادي، ولكن إعدام الطبقجلي ورفاقه في ٢٠/ ٩/ ١٩٥٩ دفع قيادة حزب البعث لتنفرد بترتيب عملية اغتيال عبد الكريم قاسم في ٧/ ١٠/ ١٩٥٩[٤٩].

لقد تركت محاولة اغتيال قاسم صداها الواسع في العراق وخارجه، ففي العراق تم الاتفاق بين القوى القومية على إقامة الجبهة القومية والتي سنتحدث عنها في الصفحات القادمة.

وفي هذه الفترة من تاريخ الحركة استمر نايف حواتمة مسؤولاً يعاونه الكبيسي وعمر فاضل وحريبي وقبعة في قيادة إقليم العراق، حيث تحقق تقدم كبير وملحوظ في عملية بناء التنظيم للحركة خلال هذه المرحلة[٥٠].

لقد كتب كثيرون ومن زوايا مختلفة في أوضاع العراق بعد قيام ثورة ١٤ تموز/ يوليو ١٩٥٨. ومما لا شك فيه أن مشكلة القيادات العسكرية لثورات الاستقلال

٤/ ١٩٥٩ وحكم عليه بالحبس الشديد لمدة سنة واحدة، وكان الكبيسي يهاجم عبد الكريم قاسم بعبارات نابية وقام بأعمال سيئة ضد الزعيم، وكان في أثناء ذلك يدافع عن عبد السلام عارف، وقد أحدث ضجة واسعة داخل وخارج ديوان وزارة الخارجية، ورغم حساسية المركز الذي يشغله المتهم باسل كسكرتير المكتب الخاص لوزير الخارجية، بيد أن المسؤولين بمن فيهم وزير الخارجية ووكيل الوزارة لم يتخذا الإجراءات القانونية ضد المتهم حيث أجيز المتهم بالسفر خارج العراق مع تحذير مسؤولي الوزارة بعدم السماح للمتهم الكبيسي المعروف باتجاهه المعادي للجمهورية، وفي هذا الظرف الدقيق. وقد أجاب وكيل وزارة الخارجية بأن سفر باسل خارج العراق بعلم وموافقة الوزير وكان عمر الكبيسي حينذاك (٢٦ سنة). هذا وقد عثر في حوزته على بعض المقالات والأخبار والآراء السياسية لأشخاص واتجاهات مخربة ودعايات كاذبة وكذلك عثر لديه على هوية من قبل مديرية الاستخبارات العسكرية، وعلى بطاقة دخول دائمة لمحاضر جلسات المحكمة العسكرية (محكمة المهداوي) وللمزيد من التفاصيل، انظر: «المجلس العرفي العسكري الثاني، الملف رقم ١١٤٢،» دار الكتب والوثائق، الوثائق المرقمة ٣٦ ـ ٣٧، ص ٩٨ ـ ٩٩.

(٤٩) الهندي والنصراوي، محرران، **حركة القوميين العرب: نشأتها وتطورها عبر وثائقها ١٩٥١ ـ ١٩٦٨: الكتاب الأول، ١٩٥١ ـ ١٩٦١**، ص ٤٤.

(٥٠) المصدر نفسه، ص ٤٤ ـ ٤٥.

والتحرر هي إحدى معضلات ومشكلات العالم الثالث، إذ إن تخلف هذه القيادات بداية تبوئها السلطة، يهيئ المناخ الحافل بالاستفزاز والاضطراب، وخلق الأجواء المحمومة. وينعكس ذلك أول ما ينعكس على الساحة الداخلية، مما يؤول بالتالي إلى التصدع والانشقاق. وفي ظل الأجواء التي أحاطت بثورة ١٤ تموز/يوليو كانت حركة القوميين العرب إحدى الفئات القومية التي واجهت تلك التيارات منذ البداية، إلا أن حضورها الجماهيري المحدود قد عتم دورها في بداية الثورة. وكانت الحركة في تلك الفترة مع الوحدة والجمهورية العربية المتحدة، على أساس الدمج حتى وإن لم يكن عدد أعضائها ضخماً حتى الآن، إلا أنها بدأت تنال رضا العفويين من الناس[٥١]، وفضلاً عن ذلك فإن هاني الهندي، والذي أرسلته القيادة القومية للحركة ـ وهو أحد قادتها الكفوئين من ذوي الخبرة في العراق ـ كان قد سمح لقيادة إقليم العراق بالعمل في صفوف الجيش. ويعتبر باسل الكبيسي هذا الأمر أهم خطوة اتخذها مبعوث القيادة القومية، إذ لم يعد القوميون العرب يحجمون عن تجنيد أعضائهم في القوات المسلحة، بل أخذوا يعتمدون بصورة متزايدة على ضباطهم من أجل القيام بالتغيير المطلوب في الحكومة، بينما كان الغرض كما يبدو تحقيق التوازن مع الأحزاب الأخرى، حيث إن حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب الشيوعي قد سبقا حركة القوميين العرب في إعداد تنظيماتهما العسكرية الخاصة بهما، ولكي لا تكون ـ أي الحركة ـ بعيدة عن أي محاولة انقلابية ضد النظام القائم آنذاك[٥٢].

وانصب نشاط الحركة الفكري في هذه الفترة على القيام بحملة عملية عنيفة على أعمال الشيوعيين في الموصل وكركوك والحي وباقي مدن العراق. وهاجمت **الوحدة** في نشرتها السرية نشاط الحزب الشيوعي، واتهمته بالعمل ضد مبادئ القومية العربية والوحدة، وقامت بنشر عدد من الدراسات التي ركزت على الوحدة، كما أن الجمهورية العربية المتحدة التي كانت تشن حملة إذاعية وصحفية مركزة ضد الشيوعية أبدت اهتماماً متزايداً بنشر بعض هذه الدراسات[٥٣].

ومن خلال الدراسة والبحث، يتضح أن نشاط حركة القوميين العرب خلال عامي ١٩٥٨ و١٩٥٩ انصب على بناء وتوسيع بنيتها التنظيمية، والتركيز على قضية الوحدة والنضال ضد الشيوعيين المحليين، وبذل المساعي للتحالف مع القوى القومية من أجل إسقاط السلطة التي كانت قائمة آنذاك.

(٥١) محمد باقر شري، **العراق الثائر** (بيروت: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٣)، ص ١١١.

(٥٢) عزيز جبر شيال، «دور حزب البعث العربي الاشتراكي في الحركة الوطنية في القطر العراقي ١٩٥٨ ـ ١٩٦٣،» (رسالة ماجيستير، كلية القانون والسياسة، بغداد، ١٩٨٠)، ص ١٤٥ ـ ١٤٦.

(٥٣) الزبيدي، **ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق**، ص ٥١١.

أولاً: دور الجبهة القومية وإسهام حركة القوميين العرب فيها

كانت ثورة ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨ حدثاً قومياً ضخماً، ومرحلة أساسية من مراحل تصاعد النمو القومي التحرري الذي انطلق لتحقيق انتصارات على الاستعمار والتخلف الاجتماعي والاقتصادي في الوطن العربي كافة. وكان مقدراً لثورة ١٤ تموز/يوليو في العراق أن تؤدي رسالتها وتواصل نجاحها لو لم يقع التعثر وممارسة الأوضاع الشاذة التي نجمت عن انحراف النهج السليم بهدف إبعاد العراق عن الركب العربي، والحيلولة دون ممارسة دوره القيادي وإسهامه في حركة التحرر العربي وذلك عن طريق تفتيت وحدة قواه الوطنية، والإيغال في الابتعاد عن الحياة الديمقراطية، والتنكر لأبسط مبادئ الثورة. وإزاء ما أصاب الثورة من تلك الانحرافات، فقد رأى حزب البعث العربي الاشتراكي أن المحافظة على الثورة ومبادئها لا يمكن أن تتحقق إلا بتنازل الشيوعيين عن خطة الاستيلاء على الحكم، ومحاربة الاتجاه القومي في البلاد وفكرة الوحدة العربية، وإزالة الجو الإرهابي وإيقاف حملة الدعاية المغرضة، ولصق التهم الكاذبة، واحترام الاتجاهات السياسية للفصائل الوطنية الأخرى، والتعايش السلمي معها، بجبهة وطنية تعمل يداً واحدة لتحقيق مبادئ الثورة الأصيلة، والكف عن فرض الاتجاهات الخاصة عليها، ودعم الأقوال بالأعمال التي تدل عليها[٥٤]. لقد كانت هناك خطيئة كبرى ارتكبت على أرض العراق، في تلك الفترة تتحمل مسؤوليتها قوى سياسية يفترض فيها أنها تمتلك الوعي الوطني والقومي والإخلاص وحسن التقدير مع القدرة على قراءة الواقع وتحليله، واستشراف المستقبل. وبالتالي علينا أن ندرك ـ ولو كنا متأخرين كثيراً ـ أننا مشينا جميعاً إلى الفخ الذي أعده لنا أعداؤنا بعد أن أغرقنا أنفسنا في الدم الوطني والقومي منذ أواخر الخمسينيات من القرن العشرين ولغاية يومنا هذا. ولقد كان الجذر هو ذلك الهوس السياسي والعاطفة الطائشة والعداء المجنون الذي تبادلته القوى السياسية المختلفة، وخاصة المعسكرين القومي والشيوعي، فكانت محصلة ذلك كله أن تحطمت قوانا كلنا، وأوصلنا أنفسنا إلى الهزائم المتبادلة، لينتصر أعداؤنا فتحقق لهم الكثير مما أرادوا[٥٥].

وعلى أي حال، فإن ما جرى من محاولات لإحياء جبهة الاتحاد الوطني،

(٥٤) حزب البعث العربي الاشتراكي، **نضال البعث: القطر العراقي، ١٩٥٨ ـ ١٩٦٣، من ثورة الرابع عشر من تموز إلى ثورة الرابع عشر من رمضان**، ص ٢٣.

(٥٥) الهندي والنصراوي، محرران، **حركة القوميين العرب: نشأتها وتطورها عبر وثائقها ١٩٥١ ـ ١٩٦٨: الكتاب الأول، ١٩٥١ ـ ١٩٦١**، ص ٢٤٥.

وممارسة نشاطاتها كان شكلياً. فالميثاق الذي تم الاتفاق عليه في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٨ قد نسف بعد أيام قلائل من التوقيع عليه. أما بصدد الاحتفال الذي جرى في ساحة الكشافة في ٢٧ كانون الثاني/ يناير ١٩٥٩ بمناسبة ذكرى وثبة كانون الثاني/ يناير عام ١٩٤٨(٥٦)، والذي دعت إليه جبهة الاتحاد الوطني، فكان احتفالاً شكلياً لم يتعد إلقاء كلمات لممثلي الأحزاب الخمسة المؤتلفة في الجبهة، وجاءت حركة الموصل لتئد جبهة الاتحاد الوطني بشكل نهائي تماماً، مما أدى بعد ذلك إلى محاربة الأحزاب والقوى القومية المشاركة، واعتقال قادتها ومؤيديها(٥٧). وسارت الأحداث بعد ذلك إلى احتدام الصراع واستعاره بين القوى القومية والاتجاهات الإقليمية.

وكانت محصلة ذلك الصراع توجيه ضربة قوية لدعاة القومية العربية، وانتصاراً للأفكار الإقليمية. وفي حومة هذا التناحر والصراع، كان حزب البعث العربي الاشتراكي يجد أن اجتذاب فئة أو أكثر إلى التعاون سيفك الحصار المضروب حوله، ويفتح آفاقاً جديدة لم تنفتح أمامه من قبل. وبرر الحزب قيام الجبهة القومية في أن الجماهير القومية التي تعارض الحكم القائم وفصائله ليست بالضرورة منضوية في حزب دون آخر لاندفاعها بشعور قومي عاطفي، وأنها لا تجد الجو الملائم للعمل لتشتت القوى القومية وتفرقها، وأنها تأخذ على الفئات القومية وخاصة الحزب، هذا التفرق، ولكسر الطوق المحيط بالحزب وعدم فسح المجال للعناصر القومية المستقلة في إحداث تكتلات قومية جديدة مما يزيد من بعثرة القوى القومية، وأن بين الفئات القومية عناصر خيرة وذات دوافع نبيلة حتى عندما تزج في مخاصمتنا، وأن نشر شعارات الحزب في الوسط القومي سيخدم القضية القومية. ولا شك أن المعركة

(٥٦) حضر الاحتفال ممثلون عن الأحزاب بالإضافة إلى جماهير غفيرة، وألقى السيد عبد الستار الدوري كلمة حزب البعث العربي الاشتراكي أكد فيها على ضرورة وحدة الصف الوطني، كما ألقى زكي حافظ كلمة حزب الاستقلال، وعبد القادر اسماعيل البستاني كلمة الحزب الشيوعي، وخدوري كلمة الحزب الوطني الديمقراطي، وإبراهيم أحمد كلمة الحزب الديمقراطي الكردستاني والشاعر محمد مهدي الجواهري كلمة المستقلين الديمقراطيين، أكدوا فيها جميعهم على صيانة الجمهورية وإقامة الديمقراطية في البلاد، ويذكر السيد علي صالح السعدي نائب أمين سر القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي، أن اجتماع ساحة الكشافة كان اجتماعاً شكلياً بحتاً ولم يتم فيه بحث أية أمور جوهرية مهمة، وذلك لأن الصراع بين القوى والأحزاب القومية من جهة، والقوى والأحزاب الإقليمية من جهة أخرى، قد وصل إلى درجة لم يكن بالمستطاع تلافيه، وأن كل حزب أخذ يحشد أعضاءه وأنصاره لخوض المعركة، كما أن القوى والأحزاب القومية، كانت ترى أن ثورة ١٤ تموز/ يوليو قد انحرفت عن مبادئها وأهدافها القومية لذلك كان العمل يجري من أجل إصلاح الأوضاع السياسية في البلاد، وعن طريق عمل عسكري جماعي للتخلص من الحكم القائم آنذاك.

(٥٧) الزبيدي، **ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق**، ص ٤٦٥ ـ ٤٧٢.

القادمة أكبر من أن يفيها الحزب حقها لوحده(٥٨).

وكان التوافق السياسي ما بين حزب البعث العربي الاشتراكي وحركة القوميين العرب تاماً حتى أواخر عام ١٩٥٩، حين انسحب الوزراء البعثيون من حكومة الجمهورية العربية المتحدة وأجهزتها. وكان مصدر هذا التوافق هو الترابط السياسي بين البعثيين والحركيين مع الجمهورية العربية المتحدة، وكان جمهورها هو الجمهور الناصري بدرجة أساسية. وبالنسبة إلى تشكيل الجبهة القومية، فإن المبادرة من الناحية العملية هي مبادرة حزب البعث الذي دعا في أيار/ مايو ١٩٦٠ القوى القومية إلى التحالف في جبهة قومية لإسقاط حكم عبد الكريم قاسم ومقاومة الشيوعيين. وكان طرفا الجبهة الأساسيان هما حزب البعث والحركة بسبب إصرار حزب البعث على استبعاد ما كان يصفه بالتكتلات القومية المشبوهة(٥٩). في حين كانت السلطة قد أصدرت أمراً من مدير الأمن العام لاتخاذ ما يلزم لمراقبة الوضع وجمع المعلومات الصحيحة حول التحرك الذي تقوم به عناصر من حزب البعث العربي الاشتراكي، والمسؤولون عن حركة القوميين العرب وعن الحزب العربي الاشتراكي، والتي تجري بينهم حالياً مفاوضات واتصالات لغرض تكوين جبهة موحدة ولأهداف مؤقتة يطلق عليها اسم «الجبهة القومية الموحدة»، غايتها العمل بصورة سرية لضم العراق إلى الجمهورية العربية المتحدة بشتى الوسائل. وإن المسؤولين عن حزب البعث العربي الاشتراكي، وعن حركة القوميين العرب قد اتفقوا في ما بينهم مبدئياً، أما بالنسبة إلى الفئة الثالثة (العربي الاشتراكي) فلم يجر بعد التوصل معها إلى اتفاق نهائي. وفي حالة توصل الفرقاء المعنيون إلى الاتفاق النهائي، سيصدر بيان سري مشترك بهذا الشأن وبعكسه سيجري تبليغ منتسبي الأحزاب بصورة شفهية. وأهاب أمر مدير الأمن العام منتسبيه باليقظة وجمع المعلومات بصورة صحيحة وسريعة بهذا الصدد(٦٠). ومهما يكن من أمر فقد تم الاتفاق على إقامة جبهة قومية أطرافها الرئيسية حزب البعث العربي الاشتراكي، وحركة القوميين العرب وحزب الاستقلال. واقتصر معظم نشاط الجبهة على إصدار بيانات سياسية، وبقي النشاط التنظيمي لكل فئة هو الأصل. وواصلت الحركة والبعث العمل لتنظيم ضباط من

(٥٨) حزب البعث العربي الاشتراكي، **نضال البعث: القطر العراقي، ١٩٥٨ ـ ١٩٦٣، من ثورة الرابع عشر من تموز إلى ثورة الرابع عشر من رمضان**، ص ٦٦ ـ ٦٧.

(٥٩) باروت، **حركة القوميين العرب: النشأة ـ التطور ـ المصائر**، ص ٢٨.

(٦٠) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ٢٢/ ٣٢، كتاب مدير أمن الحلة السري ذي الرقم ٢٢٧٢، الصادر في ١٧/ ١٢/ ١٩٦٠.

الجيش لإيجاد جهاز عسكري قادر على إسقاط الحكم[٦١].

وقد مثل حركة القوميين العرب في حوار وبناء الجبهة القومية الائتلافية نايف حواتمة وباسل الكبيسي وحامد الجبوري[٦٢]. في حين يذكر سلام أحمد: «إن الإخوان المسلمين قد شاركوا في ائتلاف الجبهة القومية وكان حضورهم في بداية تشكيل الجبهة دائماً عن طريق ممثلهم. أما الممثل الرسمي للحركة في الجبهة فكان حامد الجبوري، وعن حزب الاستقلال صديق شنشل، وعن حزب البعث فكان على ما أذكر، تحسين معلة»[٦٣]، أما طالب شبيب فيشير في مذكراته إلى الجبهة القومية والتي سميت «بالتجمع القومي» والذي فرض حزب البعث العربي الاشتراكي نفسه فيها كقوة مواجهة تتميز عن بقية القوى القومية بالحماس والانضباط التنظيمي والسياسي الشديد، في حين أخذت الأوضاع تميل تدريجياً نحو المواجهة المصيرية خصوصاً بعد أن سيطر على القوميين والبعثيين شعور بعدم وجود مكان لهم في تلك المنافسة، وانحازت السلطة فيها إلى جانب التيار الشيوعي المعارض للوحدة وللسياسة القومية في العراق، ولذلك لجأ حزب البعث إلى سياسة تجميع القوى، فنجح في إقناع الأطراف القومية الأخرى بتأسيس التجمع القومي. وبصفتي عضواً و(الكلام لشبيب) في القيادة القطرية، كلفني فؤاد الركابي تمثيل حزب البعث فيه، وكان يحضر اجتماعات ذلك التجمع أي (الجبهة القومية) كل من محمد صديق شنشل عن حزب الاستقلال وهشام الشاوي عن الرابطة القومية وحامد الجبوري عن حركة القوميين العرب، وطالب شبيب عن حزب البعث وشكري صالح زكي عن المحامين والدكتور عزت مصطفى عن الأطباء، والدكتور أحمد عبد الستار الجواري عن الأساتذة والمعلمين، وناجي طالب عن الضباط القوميين المستقلين، وعدنان الراوي يحضر أحياناً عن الرابطة القومية، وهناك آخرون لا أتذكر أسماءهم. وقد عقد التجمع ثلاثة اجتماعات بكامل أعضائه وبعد تزايد ضغط وإرهاب السلطة بدأ عدد المشاركين في اجتماعات التجمع القومي يتناقص تدريجياً لعدم وجود المكان الآمن، وعدم استعداد ممثلي الحركات المشاركة في الجبهة للمغامرة، وأستطيع القول إن ذلك التجمع انتهى عملياً بعد نشأته بأشهر، واقتصرت أعماله على لقاءات مختصرة وثنائية[٦٤].

(٦١) الهندي والنصراوي، محرران، **حركة القوميين العرب: نشأتها وتطورها عبر وثائقها ١٩٥١ - ٩٦٨: الكتاب الأول، ١٩٥١ - ١٩٦١**، ص ٢٤٤.

(٦٢) رسالة السيد نايف حواتمة للباحث بتاريخ ٢٦/٩/٢٠٠١، ص ١٦.

(٦٣) مقابلة شخصية مع سلام أحمد، بتاريخ ٣/٢/٢٠٠٢.

(٦٤) علي كريم سعيد، **عراق ٨ شباط ١٩٦٣ من حوار المفاهيم إلى حوار الدم: مراجعات في ذاكرة طالب الشبيب** (بيروت: دار الكنوز الأدبية، ١٩٩٩)، ص ٢٣ ـ ٢٤.

وقد أصدرت الجبهة القومية[٦٥] (التجمع القومي) أول بيان لها تحت عنوان: «بيان من الجبهة القومية إلى شعبنا في العراق» ورد فيه أن القوى القومية التقدمية في العراق تقف صفاً واحداً في جبهة قومية لتؤكد عزم شعبنا المقدام على مواصلة الكفاح لتحقيق أهدافه وأمانيه وستعمل على تكتيل جميع القوى القومية التي تشترك معها بالإيمان والإخلاص في العمل، لتحقيق النظام الجمهوري وإنهاء الحكم الفردي ومعالجة الأوضاع الاقتصادية المتردية، والنضال ضد الاستعمار والصهيونية والرجعية، لتحرير فلسطين وتبني الثورات العربية التحررية في الجزائر وعمان والجنوب العربي، والالتزام بسياسة الحياد الإيجابي وعدم الانحياز، وتحقيق وحدة العراق مع العربية المتحدة بالأسلوب الذي يقره الشعب، وتأييد الحقوق المشروعة للقوميات الأخرى في نطاق الوحدة الوطنية وتعتبر المواطنين سواسية في الحقوق والواجبات[٦٦]. وأصدرت الجبهة القومية بياناً آخر تحت عنوان: «يا أبناء شعبنا الجبار»[٦٧] أدانت فيه الحكم الفردي المعادي للشعب، وأمانيه القومية، والاستهانة بحقوقه ومطاليبه العادلة الملحة. وأشاد بيان الجبهة القومية بالانتفاضة الشعبية التي قادها السواق من أجل تحقيق مطلب مشروع في إلغاء ضريبة البنزين. وأفاد البيان أن شعبنا الذي تعود على البذل والتضحية ما كان ليضيق ذرعاً بتحمل زيادة رسم البنزين

(٦٥) عثرت دوريات آخر الليل على كارتونات ملصقة على جدران في أزقة الكرخ المختلفة كتب فيها العبارات التالية: «جماهير الشعب مدعوة للالتفاف حول الجبهة القومية» و«الجبهة القومية تقودنا نحو تحقيق أهداف أمتنا العربية» وحسب تقرير أمن الكرخ المرقم ٢٢/ ٤ والمؤرخ في ٢٢/٤/١٩٦١ أن البحث مستمر لمعرفة الأشخاص الذين قاموا بخطها وتعليقها.

(٦٦) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ٢٢/ ٣٢، اللجنة العليا للجبهة القومية، آذار/مارس ١٩٦١.

(٦٧) وكانت المطالب التي تضمنها بيان الجبهة القومية هي: ١. إعادة النظر في رسم البنزين وإلغاء الزيادة المفروضة. ٢. إطلاق سراح الموقوفين والمعتقلين. ٣. إجراء تحقيق ومعاقبة المتسببين في إطلاق النار. ٤. تعويض ذوي الشهداء الذين خروا صرعى برصاص الغدر. ٥. معالجة الغلاء الفاحش. ٦. إطلاق الحريات الديمقراطية للشعب وإنهاء عهد الأحكام العرفية وحماية التنظيم النقابي. ٧. الكف عن حجز أموال المواطنين لأتفه الأسباب. ٨. وضع حد لاستمرار ملاحقة القوميين الذين تعرضوا باستمرار للاضطهاد وإعادة النظر في أمر من فصل منهم من الوظائف لأسباب سياسية. ٩. اتخاذ موقف حازم من شركات النفط ووضع حد لاستهتارها والمبادرة إلى تأميم حصة فرنسا من نفط العراق. ١٠. إنهاء القطيعة بين العراق والجمهورية العربية المتحدة التي أدت إلى توقف التبادل التجاري والاقتصادي بينهما، مما ألحق بالمواطنين في العراق خاصة أضراراً جسمية. ١١. انتهاج سياسة عربية قومية سلمية، ولا سيما بتوثيق عرى التعاون الجدي المخلص في جميع الميادين بين العراق والجمهورية العربية المتحدة، تمهيداً لتحقيق الوحدة بينهما. ١٢. وضع حد للتذبذب في السياسة الخارجية وانتهاج سياسة الحياد الإيجابي وعدم الانحياز والتعاون الجدي مع الدول الآسيوية والأفريقية، ولا سيما المحايدة منها.

لو أنه كان مطمئناً إلى مجمل سياسة الحكم. وتساءل البيان هل هناك ما يدعو لشيء من الاطمئنان والحكم القائم ما فتىء يتآمر بشكل سافر وصريح على حركة القومية العربية على نحو لا يخدم إلا الاستعمار والصهيونية والرجعية أعداء شعبنا ومصاصي دمائه، وأوضح البيان أن شعبنا مصمم كما دلت الأحداث الأخيرة على انتزاع حقوقه وتحقيق أهدافه القومية مهما غلت التضحية، وبرغم كل وسائل الإرهاب والقهر، فإرادة سبعة ملايين ومن ورائهم العشرات من الملايين في وطننا العربي الكبير لهي أقوى وأبقى من إرادة الطغاة. وإن جماهير شعبنا التي أرادت من انتفاضتها الأخيرة أن تعبر عن استنكارها لسياسة الحكومة الراهنة المطبوعة بطابع الاستهانة بالشعب ومصالحه الحيوية وحرياته وكرامته، إذ تعلن تلك الانتفاضة كجزء من كفاحها من أجل أهدافها القومية الكبرى.

وبمناسبة ذكرى دخول قوات الاحتلال الصهيوني إلى فلسطين أصدرت الجبهة القومية بياناً تحت عنوان «بيان إلى جماهير الشعب» جاء فيه: في مثل هذا اليوم من عام ١٩٤٨ دخلت قوات سبع دول عربية فلسطين، لتشهد الفصل الأخير من مؤامرة استمرت نحو ثلاثين سنة بين الاستعمار والصهيونية من جهة، وبين بعض الملوك والحكام العرب من جهة أخرى، ولو كان هؤلاء على شيء من تقدير مسؤولياتهم لما عملوا على الاحتفاظ بالتجزئة التي فرضها الاستعمار على وطننا العربي لتنفيذ تلك المؤامرة الدنيئة التي تسببت في خلق «إسرائيل» ومد سلطانها الوحشي (من النيل إلى الفرات). هذا هو الشعار الذي ما زالت «إسرائيل» تحتفظ به وتعمل على تحقيقه، واستطرد البيان: «إن الاستعمار حين لا يجد في أي بلد عربي سبيلاً للتسلط عليه عن طريق حكامه، لا يتردد لحظة في الإقدام على العدوان المسلح السافر كما فعل بعدوانه الثلاثي على مصر، وعلى القومية العربية عام ١٩٥٦. وبقدر ما أبدت جماهير شعبنا من استعداد لقبول ذلك التحدي، وأظهرت من تضامن في البذل والفداء للانتصار عليه، أبدى معظم الحاكمين العرب تخاذلاً أمامه ورغبة في استرضاء الاستعمار بإطالة أمد التجزئة رغم ما بدا من خطرها سواء بإقامة إسرائيل عام ١٩٤٨، أو بمساهمتها في العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦. وأوجب البيان أن تحقيق الوحدة العربية هي الأساس الرصين لنهضة أمتنا القومية الحقيقية القادرة على حل مشكلة فلسطين. ولا بد من المبادرة إلى توحيد الجهود وتنسيقها لمجابهة مشاريع[68]

(٦٨) وجاء في بنود البيان الذي أصدرته الجبهة القومية لمجابهة مشاريع «اسرائيل»: ١ ـ إحكام الحصار الاقتصادي حول «إسرائيل» ومنع التهريب لصالحها ومراقبة شبكات التجسس لها. ٢ ـ العمل من أجل منع تحويل نهر الأردن بكل الوسائل بما فيها استعمال القوة. ٣ ـ حمل الحكومات العربية على توحيد موقفها من منع «اسرائيل» من استعمال المياه العربية لمرور سفنها في خليج العقبة. ٤ ـ إفساح المجال للشعب أن يحكم =

إسرائيل العدوانية. واختتم البيان بأن إمعان معظم الحكومات العربية في تجاهل جميع العبر والدروس، والتي أوجدتها نكبة فلسطين، لن تزيد شعبنا إلا إيماناً بضرورة التخلص من تعدد الكيانات الهزيلة، ولو كره المنحرفون المتخاذلون[69].

وبمناسبة الذكرى الثانية لاستشهاد قادة حركة الشواف، وتحت عنوان «لتكن ذكرى شهدائنا خير حافز من أجل تصفية الحكم العسكري الفردي الدكتاتوري»، أصدرت الجبهة القومية بياناً جاء فيه: في العشرين من هذا الشهر تطل علينا الذكرى الثانية لاستشهاد الأبطال ناظم الطبقجلي ورفعت الحاج سري وفاضل الشكرة ورفاقهم الأبرار، وبذكراهم المجيدة هذه تتجدد في نفوس ملايين وملايين من جماهير أمتنا العربية ذكريات رائعة لرواد التضحية والفداء الذين كتبوا لقضية شعبهم بدمائهم وأرواحهم سجل تاريخ حركة تحررنا العربي عبر عشرات من السنين منذ تفتح الوعي القومي إلى يومنا هذا. ففي ٢١ آب/أغسطس ١٩١٥ تسلقت أعواد مشانق جمال باشا السفاح الكوكبة الأولى من أبطال دعوة مناهضة الحكم التركي الاستعماري وسياسة التتريك. ومنذ ٦ أيار/مايو ١٩١٦ حين تم إعدام قافلة ثانية في بيروت وثالثة في دمشق من قادة اليقظة العربية وثوارها المناضلين بوجه الاستبداد التركي وأجهزته القمعية، ومنذ ١٦ أيلول/سبتمبر ١٩٣٢ حين ارتكبت بوحشية سلطات الاستعماريين الإيطاليين في ليبيا جريمة إعدام المجاهد العربي عمر المختار. وإلى ٣٠ أيار/مايو ١٩٣٩ حين اغتالت ببشاعة قوى الاستعمار الفرنسي في سوريا الثائر الحر أحمد مريود، وعلقت جثته في ساحة المرجة بدمشق، وحتى الفترة المظلمة بين عامي ١٩٤٢ و١٩٤٥ حين نفذت حكومة الخيانة أوامر أسيادها الإنكليز فأعدمت صلاح الدين الصباغ ورفاقه، وحتى تاريخ ٢٠ أيلول/سبتمبر ١٩٥٩ حين امتدت يد الانحراف والاستعمار والشيوعيين إلى صفوف الحركة الوطنية والضباط الأحرار لتنتزع منهم الطبقجلي ورفاقه، ليتلقوا بشجاعة وبسالة في ساحة أم الطبول رصاص الغدر والخيانة والانحطاط. وواصل البيان قوله: تطل علينا الذكرى الثانية (يوم الشهداء) في ٢٠ أيلول/سبتمبر ومستقبل البشرية ينساق بسرعة مروعة نحو الدمار والخراب، نتيجة تدهور الموقف العالمي إزاء التسابق الجنوني في إعادة التجارب

= نفسه بنفسه ليقرر وحدة وطنه من المحيط إلى الخليج. ٥ ـ إطلاق الحرية لشعب فلسطين لتنظيم نفسه ومساهمته في التخطيط للمرحلة القادمة، ووضع قضية فلسطين في مستواها الرفيع الذي لا يسمح مطلقاً بزجها في المشاحنات بين الحكومات العربية، والعمل على تعبئة الرأي العام لتفهم قضية فلسطين، والانتصار لها، وممارسة كل ضغط ممكن على الحكومات الأجنبية التي تساند «إسرائيل».

(٦٩) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ٢٢/ ٣٢، اللجنة العليا للجبهة القومية، آذار/مارس ١٩٦١.

النووية، كما يتعرض الوطن العربي في الوقت نفسه لأخطار التآمر الاستعماري الصهيوني، وتآمر القوى الرجعية والإقطاعية على عموم الحركة القومية التقدمية، كما يتعاظم باستمرار الاتجاه نحو العسكرية الفردية الدكتاتورية، ويتعرض التنظيم الحزبي والنقابي والمهني على امتداد ساحة معركتنا القومية إلى شتى صنوف المحاربة والتضييق والتزوير. وفي هذا الوقت بالذات تقف الجبهة القومية[70]، الممثلة الحقيقية للقوى القومية في العراق تدعو كل جماهير الشعب وفئاته لأن تعلن مشاركتها الاجتماعية للتعبير عن إرادتها تجاه شهدائنا الأحرار، وتجاه نقمتها الصارخة على الحكم العسكري الفردي الدكتاتوري المعادي للشعب، ولإقامة حكم شعبي عربي ديمقراطي[71].

ومن المفيد أن نذكر الإجراءات القمعية للسلطات الحاكمة آنذاك، على أثر توزيع بيان الجبهة القومية في بغداد وبعض مدن العراق. ففي يوم ١٩/٩/١٩٦١ ألقت سلطات الأمن القبض على حميد علي عمر وفائز إبراهيم ودريد عبد الرحمن الخياط، وعلي جبوري، لقيامهم بتوزيع نشرات الجبهة القومية في منطقة الأعظمية، بعنوان «لتكن ذكرى شهدائنا حافزاً من أجل تصفية الحكم العسكري الفردي الدكتاتوري»[72].

وقد أمر الحاكم العسكري العام بإحالتهم إلى المجلس العسكري الثاني، بموجب المادة رقم ١٥ وبدلالة المادة رقم ٣/١٤ من مرسوم الإدارة العراقية، وكذلك تم توزيع تلك المناشير في كربلاء[73]، وذلك بموجب كتاب متصرف لواء كربلاء إلى الحاكم العسكري العام والمرقم س/ ١١٧٤ والمؤرخ في ٢١/٩/

(٧٠) تعميم مدير الشرطة العام بكتابة المرقم س ت ١٦٠٩، والمؤرخ في ٢٤/٩/١٩٦١ حول عثور عناصر الشرطة أثناء القيام بواجباتها الدورية ليلة ١٩ ـ ٢٠/٩/١٩٦١. على المناشير الصادرة من الجبهة القومية وهي ملصقة على جدران وواجهات أحياء الكرخ وبعنوان «لتكن ذكرى شهدائنا خير حافز من أجل تصفية الحكم العسكري الفردي الدكتاتوري» حيث تم رفع تلك الملصقات واتخاذ الإجراءات القانونية بحقهم.

(٧١) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ٢٢/٣٢، اللجنة العليا للجبهة القومية، آذار/مارس ١٩٦١.

(٧٢) عثر بحوزة المتهم فائز إبراهيم على عشر نشرات، وبحوزة المتهم دريد عبد الرحمن على خمس عشرة نشرة وبحوزة المتهم حميد علي عمر على ثلاث عشرة نشرة.

(٧٣) تم القبض على كل من محمد مهدي (قيقو) وفاخر ومحمد ولدي الشيخ محسن، وباقر مولوي وفاضل رشيد سباح وصالح حسن حلاوي وحسن محمد علي الكرعاوي، وبنتيجة التحري لدور المومأ إليهم ثم العثور في دار صالح حاج حسين الحلاوي على اثني عشر كتاباً منها: **مؤامرة حول مياه نهر الأردن والعروبة بين دعاتها ومعارضيها ونشرة الفكرة القومية ودفاع العروبة ومعنى الحياد الإيجابي والحزب الشيوعي الفرنسي وقضية الجزائر والتربية القومية ورواد القومية العربية وحول الوحدة الثقافية العربية**.

١٩٦١[74]. ولم تقتصر نشاطات الجبهة القومية على ما يدور ضد العسكر القومي العربي في العراق حصراً، فقد أبدت الجبهة تعاطفاً مع قضايا القوميات المتآخية ضمن الوحدة الوطنية، ومن ذلك قضية الشعب الكردي، حين أصدرت بياناً حول الاقتتال المسلح في شمال العراق وتحت عنوان «بيان حول التطورات الأخيرة بين العرب والأكراد» حيث حمل البيان الحزب الشيوعي والسلطة مسؤولية افتعال الأجواء العدائية بين العرب والأكراد. وكان الحزب الشيوعي مدفوعاً بعدائه للحركة القومية وانتهازيته السياسية، إذ عمد إلى تشويه موقف حركة القومية العربية عند الأكراد بإثارته المخاوف والشكوك من أي نصر تحرزه الحركة القومية العربية، وإن استناد الحزب الشيوعي على أسس عنصرية كفرعه المسمى «فرع الحزب الشيوعي لكردستان» يؤكد النظرة الانعزالية ويجسد مخطط التفرقة الذي يدعمه الاستعمار. وأهاب البيان بقادة الحركة الكردية أن تتفهم الروابط المصيرية التي تجمع بين العرب والأكراد، وما تستر الحكم على هذه الأحداث، وحجبه خطورة الموقف في شمال العراق على الشعب، إلا دليل على مسؤولية السلطة في التمهيد لها وجر وبالها على البلاد. وحذر بيان الجبهة القومية العناصر الكردية المخلصة من الانسياق وراء دعاة التجزئة والانفصال، والسير وراء قيادات مشبوهة، وناشدها أن تدرك جيداً أن تحقيق الأماني القومية للجماهير العربية والكردية رهين بتصفية الاستعمار والحكم الرجعي الدكتاتوري عن طريق وحدة النضال الشعبي[75]. وأدانت الجبهة القومية في بيان لها تحت عنوان «بيان إلى جماهير الشعب»[76] السياسة المالية المنافية لمصالح الشعب، وفندت الجبهة في بيانها أن الزيادة المفروضة على البنزين ودهون السيارات ستولد زيادات مقابلة على أسعار جميع المواد الاستهلاكية، وأن الحكومة لو كانت مخلصة للشعب وللكادحين من أبناء الشعب لما لجأت إلى هذه الوسيلة. وكان عليها اتباع مختلف السبل الأخرى للوصول إلى غرضها كفرض الضرائب المباشرة على الأثرياء، وذوي الدخول العالية. وعندما أعلن الشعب إضرابه العام لم يكن يفكر مطلقاً باللجوء إلى أساليب العنف، ولكن الحكومة حاولت بمختلف الأساليب أن تجد المبرر

(٧٤) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ٢٢/٣٢، اللجنة العليا للجبهة القومية، آذار/مارس ١٩٦١.

(٧٥) المصدر نفسه.

(٧٦) شوهد الطالب قيس عبد الحميد العمري في الإعدادية المركزية في الصف الخامس شعبة (د) يلصق نشرات بعنوان «بيان إلى جماهير الشعب» في الموصل، وقد اعترف أن هذه النشرات أعطيت له من قبل الطالب (نزار) أحد طلاب الصف الثالث في الكلية الطبية، وذلك حسب كتاب مدير أمن لواء الموصل إلى متصرف اللواء المرقم ٤٢ والمؤرخ في ٢١/٣/١٩٦٢.

لضرب الشعب برصاصها الغادر. وأهاب البيان بجماهير الشعب أن تسلح باليقظة والوعي والحذر، وأن قضية الشعب معرضة للخطر، وأن يكونوا جميعاً عيوناً ساهرة لرصد تحركات الأعداء، ولقطع الطريق عليهم، واختتمت الجبهة بيانها بالمجد والخلود للشهداء الأبرار، والنصر لقضية الشعب العادلة[(٧٧)]. وفي ما يتعلق بالأحداث الداخلية، فقد دعت الجبهة القومية في بياناتها لمعالجة الانحرافات التي صاحبت ثورة ١٤ تموز/يوليو منذ قيامها. وتحت عنوان «حول الدستور الدائم للانتخابات» أصدرت الجبهة القومية بياناً أوضحت فيه أن الجبهة القومية العاملة على تحقيق أهداف الأمة العربية، والمدعومة بقوة الجماهير المؤمنة بهذه الأهداف، والتي انبثقت لتعبر عما يختلج في ضمير هذه الجماهير في العراق ضد الدكتاتورية العسكرية القائمة والتسلط الفردي على مقدرات الشعب تؤمن بأن الشعب هو وحدة مصدر السلطات، وأن له وحده صلاحية انتخاب مجلس يمثله ليعتبر الدستور الدائم بعد إعداده من قبل لجنة يؤلفها المجلس نفسه. ورأى البيان أن كل أسلوب آخر بتسخير لجنة تؤلف في ظل الحكم الدكتاتوري القائم إنما هو تعبير عن الإمعان في التآمر على حقوق الشعب، ليضفي شكلاً من الشرعية على الدكتاتورية القائمة. وناشدت الجبهة في بيانها جميع المواطنين المخلصين للأهداف القومية بتوحيد الصف لإحباط كل مؤامرة تحول دون ممارسة الشعب لحقه في إعداد الدستور وتشريعه عن طريق مجلس ينتخبه الشعب بحرية[(٧٨)]. وكان نشاط الجبهة القومية واسعاً وملحوظاً بإسهاماتها في المعارك القومية وما يدور في الساحة العربية. وكان ذلك النشاط يشكل ضغطاً على السلطة إضافة إلى أن ذلك النشاط يعطي مؤشراً على قدرة الجبهة على توجيه جماهيرها القومية إلى ما تخطط له وتهدف إليه بغض النظر عن ميول تلك الجماهير وانتماءاتها الحزبية. وكانت قضية فلسطين والجزائر وعمان والجنوب العربي أهم المحاور القومية التي كانت تستثير نشاطات الجبهة في الشارع العراقي. ففي معركة الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي قامت الجبهة بالتجمعات والتظاهرات داخل وخارج الكليات والمعاهد والمدارس. ففي كلية الآداب قام الطلبة القوميون والبعثيون في يوم ١٩٦١/١١/١ بالاجتماع باسم الجبهة القومية في نادي الكلية، حيث ألقيت الكلمات من قبل بعض الطلبة حيوا فيها الشعب الجزائري[(٧٩)] منددين بالاستعمار

(٧٧) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الجبهة القومية، ١٩٦٢.

(٧٨) المصدر نفسه.

(٧٩) حين وقف الطالب مؤيد ممثل الجبهة القومية وألقى كلمة حيا فيها الشعب الجزائري ونضاله ضد الاستعمار الفرنسي، وكانت الهتافات التي رددت في الاحتفال هي: ١ ـ تحيا الجمهورية الجزائرية ٢ ـ تحيا الجزائر عربية. ٣ ـ المجد والخلود لشهداء الجزائر. ٤ ـ نطالب بإطلاق سراح بن بلة ورفقائه.

الفرنسي[(٨٠)]. كما عقد اجتماع للطلبة داخل بناية نادي كلية الطب ألقى خلاله ممثل الجبهة القومية الطالب عبد الهادي كلمة ندد فيها بالاستعمار الفرنسي، وحيا نضال الشعب الجزائري في سبيل حريته واستقلاله. أما في كلية التربية فقد اجتمع الطلبة وألقى ممثل الجبهة القومية الطالب عبد الحفيظ محمد كلمة أشاد فيها بشجاعة الشعب الجزائري، وكان عريف الحفل الطالب محمد كبة من طلاب الصف الرابع، وقد هتف الحاضرون بالمطالبة بتأميم حصة فرنسا في النفط والهتاف بحياة الجزائر[(٨١)]. وخارج أماكن الدراسة أخذ كافة طلبة الكليات والمعاهد العليا يغادرون كلياتهم ومعاهدهم، وكذلك المدارس ومنها الغربية المتوسطة وثانوية الحريري للبنات وثانوية الرشيد للبنات، حيث تجمعوا قرب كلية التحرير في باب المعظم، وبلغ عددهم حوالى الستة آلاف طالب وطالبة وانطلقت جموعهم، وهم يحملون الأعلام الجزائرية متجهين نحو شارع الكفاح، فشارع الأمين ثم شارع الرشيد حتى ساحة التحرير، وهم يهتفون بالهتافات التالية:

- عاش الشعب العربي الثائر نحرر أرض الجزائر
- هذه جزائرنا حرة عربية موت موت ديغول ما تصير فرنسية
- الجزائر صارت حرة يا ديغول اطلع برة

أما الشعارات التي كانت تحملها يافطات المتظاهرين فهي:

- نستنكر محاولات الاستعمار الفرنسي لتقسيم الجزائر.
- نطالب بإطلاق سراح بن بلة ورفاقه.
- نطالب بتأميم حصة فرنسا من النفط.
- نطالب بمقاطعة فرنسا اقتصادياً وثقافياً.
- الموت للاستعمار الفرنسي والنصر للشعب الجزائري البطل.

وعند وصول المتظاهرين ساحة التحرير تلا عليهم أحد الطلاب المقررات التالية:

١ ـ ناضلوا مع الجبهة القومية.

٢ ـ نطالب بإطلاق سراح بن بلة ورفاقه.

(٨٠) ملف ٢/٢٣، كتاب مديرية أمن بغداد ٨٧ والمؤرخ في ١٩٦١/١١/١.

(٨١) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الجبهة القومية، ١٩٦٢.

٣ ـ نطالب بتأميم حصة فرنسا من النفط.

٤ ـ نطالب بمقاطعة فرنسا اقتصادياً وسياسياً وثقافياً.

وكان المتظاهرون[٨٢] يجيبون عن كل فقرة من هذه المقررات بكلمة موافقون. وكذلك قام طلاب متوسطة الجعيفر للبنين ومتوسطة الجعيفر للبنات ومتوسطة الحكمة للبنات وثانويتي الكرخ للبنين والبنات بمظاهرة باتجاه جسر الشهداء رافعين العلمين العراقي والجزائري، تتقدمهم يافطة كتب عليها ـ لن يقف الكفاح العربي في الجزائر حتى يتم النصر وكانت جموع التظاهرة تهتف أثناء المسيرة:

ـ ثورة الجزائر ثورة قومية.

ـ اطلع برة يا ديغول الجزائر عربية.

ـ جنودنا جنودنا للجزائر أرسلونا[٨٣].

ويتضح مما تقدم معالم الصورة لنشاط الجبهة القومية بشكل موجز، وكانت إسهامات حركة القوميين العرب في قيام الجبهة ونشاطاتها واضحة من خلال الشعارات والبيانات السياسية والاقتصادية التي كانت تطرحها الجبهة في الساحة العراقية.

لقد شكلت حركة القوميين العرب حضوراً مميزاً في المناسبات الوطنية والقومية، وفي العلاقة مع قوى التيار القومي من خلال انبثاق الجبهة القومية. وكان

(٨٢) ومن مطالب الجبهة القومية التي ألقيت في ساحة التحرير:
ـ نطالب الحكومة العراقية بتأميم حصة فرنسا من نفط العراق وإعطائها للجزائر.
ـ نطالب الحكومات العربية بالضغط على دول الأطلسي والدول الأخرى التي تساند فرنسا بإعطاء الجزائر حقها في الاستقلال.
ـ نطالب بعدم تجزئة الصحراء الجزائرية عن الأرض الجزائرية من قبل فرنسا.
ـ نؤيد ما جاء في بيان يوسف بن خده في التفاوض مع فرنسا على أساس الاستقلال التام.
ـ نطالب بإيقاف التفجير النووي والذري.
ـ نطالب هيئة الأمم المتحدة بالتدخل الفعلي في الجزائر، وإيقاف حملة البطش والقتل بأبناء الشعب الجزائري.
وكانت اليافطات التي رفعت بالتظاهرة تحمل العبارات الآتية:
ـ أمموا حصة فرنسا من نفط العراق العربي.
ـ الجبهة القومية تطالب بإطلاق سراح بن بلة ورفقائه من السجناء الأحرار.
ـ انتصار الجزائر انتصار الجبهة القومية.
ـ الجبهة القومية تستنكر المتفجرات الهيدروجينية.
ـ الجبهة القومية تستنكر المؤامرات الوحشية ضد إخواننا الجزائريين المقيمين في فرنسا.

(٨٣) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الجبهة القومية، ١٩٦٢.

لشباب الحركة مع شباب الأحزاب والتيارات القومية دور في محاصرة التيار السياسي المعادي للاتجاه القومي والذي تزعمه الحزب الشيوعي آنذاك[٨٤]. وكانت حركة القوميين العرب تعد توجهات الجبهة القومية مبدأ من مبادئها النضالية أكثر من كونها ارتباطاً عرضياً طارئاً. واستناداً إلى هذا الإيمان وهذه القناعة، نادت حركة القوميين العرب بضرورة العمل جدياً لالتقاء القوى القومية وترجمة شعار الجبهة القومية بكل وسيلة ممكنة سواء في صحافتها وأدبياتها، أو في سلوكها ومواقفها العملية وفي كل ساحة يمتد إليها عملها[٨٥]، إلا أن عوامل نجاح الجبهة القومية الائتلافية كما يرى الاستاذ نايف حواتمة، لم تكن ناضجة ولم تتمكن من بلورة برنامج القواسم المشتركة لإخراج ثورة ١٤ تموز/يوليو من عنق الزجاجة الذى وصلت له وحل قضايا الثورة الوطنية وقضايا الديمقراطية والتحولات الاجتماعية الطبقية وتحرير الثورة النفطية... الخ، والقضايا القومية العالقة، بين العراق والجمهورية العربية المتحدة، والتحالفات الإقليمية والدولية. واستقبل الشارع العراقي بكل تياراته القومية إعلان الجبهة بحماس كبير، بين صفوف الشعب وضباط الجيش، ولكن الآمال تراجعت بسرعة، وراوحت الجبهة في حدود البيانات السياسية. ومرة أخرى طغت التعارضات في الصف القومي العريض على التناقضات الرئيسية مع دكتاتورية السلطة المتمثلة بعبد الكريم قاسم، وتحالفاته المتنقلة بين اتجاه إيديولوجي وسياسي، واتجاه آخر، وتفككت الجبهة القومية تحت ضغط المشروع السياسي الخاص للأحزاب المؤتلفة والسباق بينهما على كسب ضباط الاتجاه القومي المستقلين، ونشاط كل حزب في تنظيم الضباط في صفه. وجاء الانفصال في أيلول/سبتمبر ١٩٦١ ليضع النهاية المؤلمة للجبهة القومية التي تآكلت، وانفجر الخلاف حول الانفصال[٨٦].

أما أمير الحلو فيرى أن سبب الخلاف بين حزب البعث والحركة وانهيار الجبهة القومية يعود إلى موقف حزب البعث من عبد الناصر وطريقة إدارته للحكم في الإقليم السوري، خصوصاً بعد أن ظهر الخلاف إلى العلن وباتت أدبيات ومنشورات الحزب تنتقد عبد الناصر وحكمه، وقد ترافق ذلك مع انشقاق فؤاد الركابي عن الحزب في العراق وعبد الله الريماوي في الأردن[٨٧]. وعلى أي حال فقد انسحبت

(٨٤) مقابلة شخصية مع نوري نجم المرسومي، بتاريخ ٢٧/٣/٢٠٠١.

(٨٥)القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، رقم الإضبارة ٢٢/١١، بيان حركة القوميين العرب، تموز/يوليو ١٩٦١.

(٨٦) رسالة من السيد نايف حواتمة للباحث، بتاريخ ٢٦/٩/٢٠٠١، ص ١٥ ـ ١٦.

(٨٧) مقابلة شخصية مع أمير الحلو بتاريخ ٦/١١/٢٠٠٠.

حركة القوميين العرب من الجبهة القومية في العراق، وكانت رغبة مصرية أكثر مما كانت قراراً حركياً، وقد بادرت قيادة قطر العراق لحزب البعث إلى إصدار بيان يدين الانفصال بحدة، ويحمل عنوان «لترتفع عالياً راية الجمهورية العربية المتحدة ولتقبر مؤامرات الانفصاليين عملاء الاستعمار والرجعية»، حيث تخطت بشكل حازم موقف القيادة القومية العاجز والمرتبك من الانفصال، والمتمثل في البيان الصادر في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦١ والذي كان مبرراً للانفصال أكثر منه داعية للوحدة[٨٨].

لقد أصيب حزب البعث العربي الاشتراكي بصدمة اثر انسحاب الحركة من الجبهة القومية، على رغم إدانته الواضحة المباشرة دون أي تلكؤ للانفصال، فقد وصف الحزب في بيان أصدره في أوائل تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦١ موقف الحركيين بأنه استغلال انتهازي للأحداث، واتهمت قيادة البعث قيادة الحركة دون قواعدها، بأنها أصبحت جزءاً من الحاشية التي ساهمت في خلق ظروف نكسة الوحدة، ووصفتها بـ«الأداة الملحقة»[٨٩]. وهكذا تم انهيار الجبهة القومية بانشقاق اللجنة القومية العليا للضباط الأحرار[٩٠] التي كانت تشكل الذراع العسكري للجبهة إلى جنتين: قومية (ناصرية)، تربطها روابط خاصة بحركة القوميين العرب، وبعثية تابعة للمكتب العسكري لحزب البعث، وتم الطلاق ما بين اللجنتين وفق اتفاق ضمني يقضي بدعم كل طرف للطرف الآخر حال قيامه بعمل مستقل ما ضد قاسم[٩١]. وخلال البحث والاستقصاء يبدو أن التصدع وعوامل الضعف والفرقة قد أصابت الجبهة القومية قبل جريمة الانفصال في أيلول/سبتمبر عام ١٩٦١. وإزاء تأزم العلاقات بين عدد من قوى المعسكر القومي داخل العراق، وفي داخل بعض هذه القوى نفسها، وحيال التأزم في علاقات بعض القوى القومية، فقد رأت حركة القوميين العرب أن تتخلص تلك القوى القومية المخلصة من التحفظات التي تشكل عاملاً يعرقل توسيع الجمهورية العربية المتحدة، أو يوهن العمل الجدي الدائب لضم

(٨٨) باروت، **حركة القوميين العرب: النشأة ـ التطور ـ المصائر**، ص ١٥٨.

(٨٩) المصدر نفسه، ص ١٥٨.

(٩٠) بعد مشاورات ومداولات وحوار طويل بين الضباط القوميين، وبصرف النظر عن انتمائهم الحزبي، تم الاتفاق على تأليف اللجنة القومية العليا للضباط الأحرار من: العقيد أحمد حسن البكر، العقيد الركن عبد الكريم فرحان، المقدم الركن خالد حسن فريد، المقدم الركن عبد الستار عبد اللطيف، المقدم الركن صبحي عبد الحميد، المقدم الركن صالح مهدي عماش، المقدم الركن جاسم كاظم العزاوي، المقدم الركن إبراهيم جاسم التكريتي، المقدم الركن خالد مكي الهاشمي، وقد عقدت اللجنة اجتماعها الأول في دار صبحي عبد الحميد في الوزيرية، وقد اختير هذا البيت لتوسطه وقربه وسهولة الاهتداء إليه.

(٩١) باروت، المصدر نفسه، ص ١٥٩.

الأقطار العربية المتحررة إليها، وأن على تلك القوى المنضوية تحت ظل الجبهة القومية أن تعي أن من الطبيعي أن يرافق تجربة الوحدة التي أدت إلى قيام الجمهورية العربية المتحدة ظهور بعض الأخطاء، وكذلك ينبغي توفير علاقة من التفاعل بين القوى عن طريق تبادل وجهات النظر، في جو من الحرية لإيجاد جبهة قومية فعالة تمارس مسؤوليتها الجدية في خوض المعركة العربية وتوجيهها[٩٢].

وبمناسبة الذكرى الثالثة لثورة ١٤ تموز/يوليو الثالثة أصدرت حركة القوميين العرب بياناً أشارت فيه إلى وتائر الخلافات المتصاعدة داخل المعسكر القومي وقد ألقت المسؤوليات على كافة القوى القومية التقدمية، والتي تشكل الجبهة القومية، وأن أولى هذه المسؤوليات وأهمها هي ضرورة وضع قضية الوحدة بين العراق والجمهورية العربية المتحدة، وثاني هذه المسؤوليات معالجة التأزم القائم بين بعض القوى القومية، وتهيئة الجو السليم بين القوى القومية في ظل مخطط قومي وحدوي، وكذلك تشديد الكفاح ضد الحكم القائم في العراق، وكشف مناوراته وشعاراته، ووفق هذه الخطوط تواصل الحركة النضال واضعة يدها بيد كل العناصر القومية المخلصة[٩٣]. إلا أن عامل الانفصال قد كشف النيات لدى أطراف الجبهة مما فجر الصراع الكامن داخلها. فقد أدانت القيادة التنفيذية المركزية لحركة القوميين العرب موقف حزب البعث بعد انفصال الإقليم الشمالي عن الجمهورية العربية المتحدة، إذ أوضحت أن حزب البعث لم يحمل الانفصال، كونه يشكل صدمة قومية، بقدر ما يحمل الرئيس عبد الناصر مسؤولية الأخطاء التي أدت إلى الانفصال وجاء في إدانه قيادة الحركة أن حزب البعث يضع الديمقراطية أمراً مشروطاً لإعادة الجمهورية العربية المتحدة، وأن يقدم تحديداً أو مضموناً للديمقراطية المقصودة، كذلك فإن حزب البعث لم يشجب عملية الانفصال قدر شجبه واستنكاره للوجوه والرموز الانفصالية التي أتى بها الانفصال[٩٤]. ويبدو أن هناك خلافات خفية كانت بين الحركة وحزب البعث قد فجرها الانفصال، إلا أن هناك رأياً أورده الزبيدي مفاده أن تأزم العلاقات داخل المعسكر القومي، كان بسبب مطالبة عبد الكريم قاسم بالكويت، حيث إن بعض

(٩٢) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، تعميم داخلي للأعضاء، تموز/يوليو ١٩٦١، ص ٤ ـ ٩.

(٩٣) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، بيان حركة القوميين العرب في ذكرى ثورة ١٤ تموز/يوليو ١٩٦١.

(٩٤) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، لجنة الإدارة المركزية، تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦١.

أطراف الجبهة اعتبرها خطوة وحدوية، بينما أطراف أخرى عارضتها. ونتيجة لذلك وبعد مرور عدة أشهر على قيام الجبهة القومية قررت حركة القوميين العرب الانسحاب من الجبهة، والعمل بشكل انفرادي من أجل تحقيق أهدافها المرحلية بإسقاط حكم قاسم وقيام الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة[٩٥]. وهكذا انعكس هذا السبب أو ذاك على تحديد موقف حركة القوميين العرب من الجهة القومية مما أدى إلى انهيار الجبهة القومية، بعد ردح قليل من الزمن على قيامها.

ثانياً: اتساع تنظيمات الحركة للفترة من أوائل عام ١٩٥٩ حتى قيام ثورة ١٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٣

إن رسوخ بنيان التجزئة العربية ليس نتيجة للاستعمار أو للدولة القطرية أو للأقليات الطائفية والعرقية فحسب، بل إن رسوخ هذا البنيان ساهم فيه بشكل فعّال انعدام الديمقراطية، وغياب الحريات العامة والتمثيل الشعبي الصحيح. كذلك ساهمت في هذا الأمر مجموعة من العوامل منها ما يتعلق بمضمون الخطاب الوحدوي الذي أهمل الوسائل التطبيقية وغلب عليه الطابع التبشيري والأيديولوجي الذي أسس منطق الدمج والإلحاق بعيداً عن منهجية التكامل والتفاعل. ويبدو للباحث أن الخطاب الوحدوي المتعلق بحركة القوميين العرب ينطبق على ما جاء في رأي حليم بركات حول الساحة العراقية، إذ غلب على ذلك الخطاب الطابع التبشيري، بهدف الدمج والإلحاق بعيداً عن منهجية التكامل والتفاعل[٩٦].

لقد أكد الخطاب الوحدوي للحركة على الانضمام للوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة حتى تتكامل في وحدة شاملة، وأوضح الخطاب: إن أي اتجاه وأي منطلق وأية عملية توحيد تتم اليوم خارج نطاقها وتبرر لنفسها أن تبقى معزولة عنها إنما هي بالحتمية عملية مغرضة مفضوحة ليس الهدف منها إلا محاربة الوحدة، وتكريس التجزئة، وتثبيت شرعية الكيانات الزائفة، والسيادة الإقليمية المصطنعة. وهذا هو بالضبط ما يعمل له الاستعمار والشعوبية والشيوعية من الرجوع بالنضال القومي الوحدوي إلى صيغ وحدوية شكلية مانعة كالتضامن والتعاون والتنسيق والاتحادات الواهية. وإن أخطر ما يمكن أن يصيب قضيتنا القومية هو أن يصبح تحقيق الوحدة فيها مجال نقاش، وأن يكون شرط بقائها في

(٩٥) الزبيدي، **ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق**، ص ٥١٢.

(٩٦) حليم بركات، **المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي**، ط ٤ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩١)، ص ٥١.

مستوى الأمور التي يمكن أن تكون فيها وجهات نظر متعددة. إن مجرد محاولة طرح موضوع الوحدة من هذه الزاوية هو بحد ذاته انحراف قومي خطير ليس الهدف منه إلا بلبلة فكرة الوحدة في أذهان المواطنين[٩٧].

لقد ركزت أدبيات حركة القوميين العرب، خلال هذه الفترة، على متابعة طروحاتها القديمة حول قضيتي الوحدة العربية والقومية. وكان أغلب ذلك من خلال المعارك السياسية العنيفة التي خاضتها الحركة ضد القوى المخالفة لها، وأبرزها الشيوعية المحلية مضافاً إليها بعض المصطلحات في الاشتراكية والديمقراطية والحياد الإيجابي[٩٨].

وبهذا الصدد أصدرت الحركة عدة دراسات عبرت فيها عن سلوكها السياسي ونهجها الأيديولوجي، ومن هذه الدراسات «العراق وأعداء الوحدة»[٩٩] و«لنتحد جميعاً لتحطيم الخطر الشيوعي»[١٠٠] و«أيها الشيوعيون أين إيمانكم بالاتحاد الفدرالي؟»[١٠١] و«الحياد الإيجابي ومعركتنا القومية»[١٠٢]. إضافة إلى بعض الدراسات

(٩٧) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ١١/٢٢، الوحدة ثورة ومسؤولية، منشورات حركة القوميين العرب، شباط/فبراير ١٩٥٩.

(٩٨) سهير سلطي التل، **حركة القوميين العرب وانعطافاتها الفكرية**، سلسلة الثقافة القومية؛ ٣١ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٦)، ص ١٣٠ ـ ١٣١.

(٩٩) وتشير هذه الدراسة إلى الوسائل التي لجأ إليها الشيوعيون من أجل تغذية الشعور الانفصالي في العراق وأولى هذه الوسائل محاولة إيجاد العداء بين الأكراد والقومية العربية. وثانيها محاولة تفسير كل هجوم تشنه الفئات القومية العربية داخل العراق وخارجه، على سياسة الشيوعيين بأنه هجوم على العراق كثورة، وشعب، وجيش، وكل ذلك لإيجاد النفور بين الشعب في العراق والجمهورية العربية المتحدة، وهي حيلة قديمة لجأ إليها نوري السعيد عندما كان يحاول أن يجعل من هجوم العرب الأحرار على حلف بغداد وسياسة الاستعمار هجوماً على العراق.

(١٠٠) حيث أهابت هذه الدراسة بالمواطنين القوميين القيام بمهمة عزل الشيوعيين وأعوان الاستعمار وجميع المتنكرين لعروبة هذه الأمة، هذا وأوكلت الدراسة هذه المهمة إلى الحركات القومية المخلصة وكذلك جعلت مهمة المفكرين والكتاب العرب أن يفضحوا حقيقة الشيوعيين وحقيقة الشعارات البراقة الكاذبة التي يتسترون وراءها.

(١٠١) وتتضمن هذه الدراسة الرد على الكراس الذي أصدره الحزب الشيوعي العراقي والذي كان تحت عنوان «في سبيل الاتحاد الفدرالي صيانة مكاسب الثورة وتعزيز جمهوريتنا العراقية» حيث أوضحت الدراسة أن هدف الشيوعيين من وراء طرح شعار الاتحاد الفدرالي خلق بلبلة في صفوف الشعب حول شعار الوحدة، فهم لو طرحوا في تلك الفترة شعار الانفصال والمحافظة على الكيان العراقي لانفصلوا هم عن الجماهير ولانكشف موقفهم صراحة لجميع فئات الشعب، ولكن الدعوة للاتحاد الفدرالي لها مفعول آخر، فالاتحاد الفدرالي هو خطوة نحو الوحدة، والفارق بين الشعارين يبدو بسيطاً لرجل الشارع.

(١٠٢) حيث أدانت الحركة في هذه الدراسة خطاب خروتشوف الذي ألقاه في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر الواحد والعشرين للحزب الشيوعي السوفياتي في ٣١ كانون الثاني/ يناير ١٩٥٩ والذي هاجم فيه=

والكتب مثل **مع القومية العربية ومصر وسوريا... جمهورية واحدة وإسرائيل فكرة... حركة... دولة ومعركة الحرية في الأردن وسنة من كفاح الأردن** ومن هذا المنهل الفكري انطلقت حركة القوميين العرب في إعادة بناء تنظيمها.

ففي أواخر كانون الثاني/ يناير عام ١٩٥٩ زار هاني الهندي العراق واستمرت الزيارة حتى أواخر شباط/ فبراير، أي قبل حركة الشواف بأسبوعين تقريباً. وتمت في هذه الزيارة إعادة نظر كاملة في الجانب التنظيمي، إذ وضع مخطط أو برنامج جديد في قيادة التنظيم، واستبعد عدد من القياديين، وتم وضع برنامج جديد في قيادة التنظيم لرفع مستوى الكادر للنهوض بعمل الحركة في العراق بهدف السعي لنشر أفكارها. وحدث ذلك بعد اعتقال عناصر قيادية تم استدراجها من قبل عناصر متعاونة مع الأمن، لذا فقد تركز الاهتمام على وجوب رفع المستوى الفكري لأعضاء التنظيم، وذلك لأن بروز الشيوعيين على ساحة العراق شكل تحدياً للمعسكر القومي على ساحة النشاط الفكري والسياسي والتنظيمي[١٠٣]. وفي هذه الفترة كان نايف حواتمة مسؤولاً عن قيادة إقليم العراق يعاونه باسل الكبيسي وعمر فاضل وعبد الحليم الحريبي، وكان التوجه التنظيمي الجديد في بغداد قد أخذ طريقة مباشرة على يد حواتمه، ومن خلال العراقيين في جامعة بغداد. كذلك تم في هذه الحقبة بناء تنظيم، جديد لأول مرة في النجف، والحلة وكربلاء، بانضمام عبد الإله النصراوي وأمير الحلو وسمير الحلو، وبعدها انطلق وتوسع التنظيم في هذه المدن الثلاث بقطاعات اجتماعية متنوعة من أبناء الطبقة المتوسطة، وفي ما بعد في صفوف الفلاحين. وفي شباط/ فبراير ١٩٥٩ انتقل حواتمة إلى الموصل عن طريق خلية في بغداد لها أقرباء في الموصل، ومن هنا بدأ بناء أول خلية لحركة القوميين العرب في الموصل واتسعت الخلية بعد إقامة حواتمة سراً في الموصل، حيث تم بناء منظمة حزبية فاعلة من أبرز قادتها حسين العمري وعبد الباري طالب، كما تم بناء خلية عسكرية لها صلة بتنظيم الضباط الأحرار القوميين (بعثيون، قوميون، مستقلون) يعملون للإطاحة بالسلطة والخروج من عنق الزجاجة التي انحشرت فيه ثورة ١٤ تموز/ يوليو في مجمل الصراع بين قاسم وحلفائه الشيوعيين، وبين كل التيارات

= موقف الجمهورية العربية المتحدة من الشيوعيين العرب، وكذلك في ربيع ذلك العام عندما صرح رداً على مهاجمة الرئيس جمال عبد الناصر للشيوعيين في العراق قائلاً: «إن عبد الناصر يتكلم بلغة شبيهة بلغة الاستعماريين!» وأوضحت الدراسة أن حيادنا هو حياد تجاه صراع المعسكرين، ولكنه ليس أبداً حياداً تجاه المواقف الخاطئة لأي منها سواء بالنسبة إلى قضايانا القومية أو بالنسبة إلى سياستها المصلحية في العالم عامة.

(١٠٣) رسالة للباحث من الاستاذ هاني الهندي بتاريخ ٢٠ شباط/ فبراير ٢٠٠١، ص ٦.

القومية في المجتمع والجيش[١٠٤]. وكان توجه القوميين العرب من الشباب للانخراط في سلك الجيش هو محصلة أو نتيجة لزيارة هاني الهندي للعراق. وقد بدأ عبد الناصر بنفسه يستقبل وفوداً قيادية من الحركة ويناقشها حول النضال القومي العربي، في حين بدأت صحيفة **الوحدة** التي شارك الهندي في إصدارها حملة ضد الشيوعية في العراق، حيث هاجمت مواقف الشيوعيين من القومية العربية والوحدة. كذلك صدرت عدة دراسات حول العروبة، ولم تكن الجمهورية العربية المتحدة بعيدة عن الاهتمام والاستفادة من هذا كله. وقد ظهر العدد الأول من مجلة **الحرية** في ٤ كانون الثاني/ يناير ١٩٦٠ مؤيداً لمواقف الحركة من الصراعات القائمة في العراق معلناً أننا أيديولوجياً نعلنها حرباً على كل القوى المعادية لحركتنا القومية، سواء كانوا موالين للشرق أو للغرب، اليمين أو اليسار. والجدير بالذكر أنه على الرغم من أن حركة القوميين العرب حركة وحدوية، إلا أنها كانت ضد أية تجمعات وحدوية خارج نطاق العربية المتحدة. وقد أصدرت اللجنة المركزية للحركة برنامجاً سياسياً عام ١٩٥٩ طالب بالنضال ضد الشيوعيين المحليين والرجعيين في الوطن العربي، ودعم فكرة الحياد الإيجابي ومساندة الثورة الجزائرية ودعم الجمهورية العربية المتحدة داخلياً وخارجياً[١٠٥]. وفي حزيران/ يونيو عام ١٩٥٩ أصدرت الحركة قراراً يتعلق باسم الحركة، وكان ذلك الإجراء قد تم ضمن المراجعة التنظيمية لقيادة الحركة حيث تقرر الإبقاء على تسمية حركة القوميين العرب بعد اقتراح من قبل الأعضاء على أحد الخيارات التالية:

١ - الإبقاء على تسمية الحركة باسم حركة القوميين العرب.

٢ - تبني اسم جديد وهو حركة القوميين العرب الاشتراكيين.

٣ - اقتراح أي تسمية جديدة[١٠٦].

خلال هذه الفترة كان الصراع يزداد سعيراً بين المعسكرين القومي والشيوعي وخصوصاً بعد أحداث حركة الموصل. وكانت لهذه الأحداث آثارها الكبيرة، وتوترت العلاقات بين العربية المتحدة والعراق، وكذلك بين المتحدة والاتحاد

(١٠٤) رسالة خطية للباحث من نايف حواتمة بتاريخ ٦ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١، ص ١٣ - ١٤.

(١٠٥) غالي شكري، «ربع قرن من التحدي، حركة القوميين العرب من مجموعة إرهابية إلى حزب اشتراكي،» **البلاغ**، العدد ٨٦ (آب/ أغسطس ١٩٧٣)، ص ٣٠.

(١٠٦) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ٢٢/١١، الوحدة ثورة ومسؤولية، منشورات حركة القوميين العرب، شباط/ فبراير ١٩٥٩.

السوفياتي، وتبادلت هذه الأطراف حملة اتهامات سياسية وإعلامية استمرت أسابيع عديدة. وأما النزاع الأكثر خطورة بكثير، والأكثر واقعية، فقد جرى على أرض العراق، بحيث أدى هذا النزاع إلى الإساءة إلى الأحزاب الشيوعية العربية خارج العراق، وإنهاء دورها بالمعنى العملي. وأكثر من ذلك فإن هذا النزاع عمل بوضوح إلى جانب المصالح التي عارضها الطرفان، إذ إنه سهل كثيراً مهمة الدبلوماسية الإمبريالية البريطانية التي خشيت انعكاس مضامين أمة عربية موحدة على المصالح النفطية. وفي خضم هذه الأحداث تعرض العديد من نشطاء الحركة للملاحقة والاعتقال وتعرض بعضهم لما هو أسوأ بعد حركة الشواف[107].

لقد رأت حركة القوميين العرب في إعدام ضباط حركة الشواف جزءاً من مؤامرة لتصفية الحركة القومية في العراق، وإخضاعها لحكم فردي انفصالي يسير في خط العداء لحركة القومية العربية، وإن سفك دماء الضباط القوميين يحقق للسلطة ما أرادت وما أراده العملاء والرجعيون والشيوعيون، حيث حسب هؤلاء أن سفك الدماء الطاهرة يمكن أن يقتل الروح القومية الثائرة في نفوس ضباط وجنود جيش العراق الباسل الذي كان دائماً قلعة شامخة من قلاع القومية العربية. ولكن هؤلاء لم يحسبوا أن إعدام الضباط القوميين هو إعدام للحكم نفسه، إذ لم تكن حملات الإعدام تلك وما رافقها وأعقبها من إرهاب وحشي لتخيف الشعب العراقي العظيم، أو لتحمله على ترك ساحة الكفاح من أجل أهداف القومية العربية، وإن إعدام الشباب الأبطال لم يكن إلا ليذكي لهيب الكفاح الشعبي، وليعمق ويرسخ إيمان الشعب بالوحدة العربية ويزيد من تصميمه على تحقيقها سواء طال الطريق أم قصر[108].

وعلى مستوى العلاقات العراقية ـ المصرية، والمصرية ـ السوفياتية فقد اتهمت الحكومة العراقية حكومة الجمهورية العربية المتحدة بأنها وراء انتفاضة الموصل، فاشتدت الحملات الإعلامية المتبادلة بين الطرفين، واتخذت السلطات العراقية إجراءات ضد الجمهورية العربية المتحدة، حيث طردت الحكومة العراقية في ٩ آذار/مارس ١٩٥٩ تسعة من موظفي سفارتها في بغداد، وأغلقت وكالة أنباء الشرق الأوسط، كما أصدرت الحكومة العراقية قراراً بإبعاد الملحق العسكري العربي خلال اثنتي عشرة

(١٠٧) الهندي والنصراوي، محرران، **حركة القوميين العرب: نشأتها وتطورها عبر وثائقها ١٩٥١ ـ ١٩٦٨: الكتاب الأول، ١٩٥١ ـ ١٩٦١**، ص ٢٤١ ـ ٢٤٢.

(١٠٨) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، بيان حركة القوميين العرب تحت عنوان: «الخلود لشهدائنا الأبطال والمجد لشعبنا وجيشنا الباسل والموت للمجرم السفاح،» أيلول/سبتمبر ١٩٦٠.

ساعة على أن لا يخرج منتسبو السفارة من البوابة الرئيسية، وأن الحكومة العراقية غير مسؤولة عن حياتهم[109].

ومن جانب آخر فقد شنت الجمهورية العربية المتحدة هجوماً إعلامياً واسعاً ضد العراق، وسمحت للاجئين السياسيين العراقيين بالتحدث عبر إذاعاتها، كصوت العرب، فكانوا يهاجمون في أحاديثهم النظام والحزب الشيوعي العراقي. وقدم فائق السامرائي سفير العراق في القاهرة وقتذاك، استقالته من منصبه احتجاجاً على سياسة قاسم، وذلك في ٢٦ آذار/مارس ١٩٥٩، وجاء في كتاب الاستقالة «فأنا أريد أن أكون سفيراً لحكومة تحترم نفسها ويحترمها العالم لا سفيراً لعصابة حمراء، لذلك فقد تقدمت اليوم باستقالتي»[110]. وقد انعكس ذلك التوتر في العلاقات العراقية ـ المصرية على العلاقات المصرية ـ السوفياتية. فقد اتهم خروتشوف عبد الناصر بتدبير الاضطرابات داخل العراق وحذره من أن الاتحاد السوفياتي لا يستطع أن يتجاهل ما يحدث في هذا البلد، وأنه انزعج من تصرفات الرئيس عبد الناصر الأخيرة المعادية للشيوعيين، وأنه أي عبد الناصر يستخدم ألفاظ الاستعماريين وذلك في ١٦/٣/١٩٥٩ أثناء احتفالات عقد اتفاق التعاون الاقتصادي والتكتيكي بين الاتحاد السوفياتي والعراق[111].

وبهذا الصدد يذكر انتوني ناتنك في كتابه **ناصر**: «أن عبد الناصر سواء عرف أو لم يعرف بأسرار حركة الشواف، فالأمر الذي لا شك فيه أن أخبار الانقلاب المحتمل كانت قد تسربت إلى الناس على قدر ما شعر عبد الحميد السراج بضمان النجاح على قدر ما ضعفت السرية، وقلت إجراءات الأمان»، ويستطرد الكاتب أيضاً بأن عبد الناصر عاتب السراج على تدبيره للانقلاب ولكن لم يكن أمامه خيار، فالتورط قد حصل والهجوم خير وسيلة للدفاع[112]. أما صحيفة **الثورة** العراقية المقربة من عبد الكريم قاسم، فقد حملت الشيوعيين مسؤولية تردي العلاقات بين العراق والعربية المتحدة إذ أفصحت الصحيفة عن رأيها بأن الشيوعيين أدوا أسوأ دور في تردي تلك العلاقات وتفتيتها، لأنهم احتلوا مع سلطاتهم المتنفذة مكان الهاشميين

(١٠٩) أحمد حمروش، **قصة ثورة ٢٣ يوليو**، ٥ ج (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٤ ـ ١٩٧٨)، ج ٣: **عبد الناصر والعرب**، ص ١٦٤.

(١١٠) إنعام الجندي، **إلى أين يسير الشيوعيون بالعراق؟... : دراسة سياسية مركزة عن وضع العراق السياسي وتسلط الشيوعيين عليه**، الكتاب العربي؛ ٣ (بيروت: دار النشر العربية، ١٩٥٩)، ص ١٣٤.

(١١١) جان وولف، **يقظة العالم العربي**، ترجمة لجنة من الأساتذة (بيروت: المكتب التجاري، ١٩٦٠)، ص ١٢٦.

(١١٢) حمروش، **قصة ثورة ٢٣ يوليو**، ج ٣: **عبد الناصر والعرب**، ص ١٦٢ ـ ١٦٣.

في محاربة حركة القومية العربية الثورية وعبد الناصر[113]. وفي حين لاقت السياسة الداخلية للجمهورية العربية المتحدة تأييد حركة القوميين العرب، لاقت سياستها العربية والخارجية تأييداً أكبر.

وبالإمكان اعتبار أواخر الخمسينيات ذروة قوة القوميين العرب، إذ تمكنوا أثناءها من الاعتماد على مساعدة العربية المتحدة في مواجهتهم لحكم قاسم المدعوم من قبل الشيوعيين في العراق، وبفضل جهود العقيد عبد الحميد السراج، لم يفتقر القوميون العرب إلى السلاح اللازم في هذا الصراع الملتهب. وعلاوة على ذلك أصبح الإقليم الشمالي (سوريا) ملاذاً وقاعدة تدريب لأعضاء الحركة الوافدين من الأقطار العربية المجاورة[114].

وبالإضافة إلى ذلك فقد اتخذت الحركة خطوة لم يسبق لها مثيل في تاريخها، وهي العمل مع العسكريين، وقد أدى ذلك إلى توريطها في سلسلة من الانقلابات الفاشلة. وفي حين فشل فرع الحركة في العراق في الاستفادة من العسكريين لتحقيق التغيرات الثورية الموجودة، استفادت القيادة القومية للحركة من هذه العلاقة الخاصة بعسكريي العراق في ما بعد، لكسب ود الرئيس جمال عبد الناصر[115]. ومهما يكن من أمر فبعد محاولة اغتيال قاسم من قبل حزب البعث العربي الاشتراكي في السابع من تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٥٩ أي بعد ثلاثة أسابيع من ذلك الفجر الدامي في ٢٠ أيلول/ سبتمبر الذي صب الزيت على آخر نقطة في النار، باعدام الدفعة الثانية من الضباط المتهمين بحركة الشواف وعددهم ١٣ ضابطاً في ميدان أم الطبول، وطبقاً لما أعلمنا به أحد أعضاء القيادة التي اتخذت قرار عملية القتل، فإنه قد تم إعلام الحركة بالعملية، حيث تم اعتقال ١٢٠ متهماً من البعثيين والحركيين بعد فشل العملية، وكان على رأس المعتقلين من الحركيين باسل الكبيسي عضو قيادة إقليم العراق[116]. ويذكر أمير الحلو أنه تم إرسال مجموعة من أعضاء الحركة إلى سوريا عام ١٩٥٩ للتدريب والإعداد لعملية اغتيال عبد الكريم قاسم، وقد تهيأت المجموعة لذلك ولكن حزب البعث العربي الاشتراكي أقدم على المحاولة قبل ذلك. وقد أشار السيد إياد سعيد ثابت عضو قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي آنذاك في أحد كتبه أن

---

(١١٣) **الثورة** (العراق)، ١/ ٣/ ١٩٦١.

(١١٤) باسل الكبيسي، **حركة القوميين العرب**، ترجمة نادرة الخضيري الكبيسي، ط ٤ (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٥)، ص ١٠٢.

(١١٥) المصدر نفسه، ص ١٥٣.

(١١٦) باروت، **حركة القوميين العرب: النشأة ـ التطور ـ المصائر**، ص ١٢٧.

تنسيقاً بين البعث والحركة كان قائماً لعملية الاغتيال، ولكنهما افترقا بعد ذلك وقام كل منهما بالتخطيط بمفرده. ويضيف الحلو عن المحاولات الأخرى قائلاً: «إن السيد نايف حواتمة قد جاءني بشكل مستعجل مساء أحد أيام الشتاء عام ١٩٦٢ وكنت عضواً في شعبة الكرخ للحركة، وطلب مني وضع الجهاز الحزبي تحت الإنذار وتهيئة بعض قطع السلاح المخبأة لدى بعض الأعضاء والأصدقاء، ثم جلس معي في داري ولم ننم حتى الصباح، وعند الساعة المحددة لافتتاح إذاعة بغداد في الصباح الباكر قام حواتمة بفتح جهاز الراديو، وبعد أن استمع إلى إشارة الافتتاح التقليدية وبدء البرامج المعتادة، طلب مني رفع الإنذار وغادر داري غاضباً وليست لدي معلومات عما كان سيحدث أو ماذا حدث بعد ذلك، بحكم وضعي التنظيمي»[117]. وعلى أثر عملية محاولة القتل من قبل حزب البعث تولت الحركة إمساك زمام المبادرة، فنسقت مع اللواء الركن عبد العزيز العقيلي، (كتلة الموصل العسكرية) الذي كانت دعوته أكثر من إمكانياته، مما اضطرها للتنسيق مع كتلة الضباط القوميين (كتلة صبحي عبد الحميد) التي أعادت بناء تنظيمها بعد إعدام رفعت الحاج سري ورفاقه[118]. واتسمت هذه الفترة بنشاط واسع للحركة، خاصة بعد أن جرى تعزيز القيادة المحلية بشكل مؤثر، من قبل قيادة الحركة (المركز)، فقد التحق بالقيادة سلام أحمد بعد أن أنهى دراسته في الجامعة الأميركية في بيروت (علوم سياسية) حيث تفرغ للعمل التنظيمي، وتسلم مسؤوليات قيادية مهمة منها: مسؤولية الموصل، إضافة إلى السيد نايف حواتمة الذي استلم مسؤوليات تنظيمية متعددة في بغداد والموصل والفرات الأوسط. وعلى الرغم من وجوده غير القانوني في العراق[119]، فقد كان يشارك أعضاء الحركة في الجلوس في مقاهيهم ومناطقهم الشعبية، كما قاد عدة تظاهرات بنفسه، ولم يتوان عن قيادة الجماهير للهتاف وترديد الأناشيد القومية بلهجة غير عراقية، وكذلك التحق بقيادة الإقليم عمر فاضل الذي تسلم مسؤوليات تنظيمية في الكرخ والنجف، وجرى في هذه الفترة تعزيز القيادات الوسطية بعناصر كفؤة وديناميكية، ومنهم عبد الحليم حريبي (لبنان) وابراهيم قبعة

---

(١١٧) انظر محاضرة أمير الحلو، «حركة القوميين العرب في العراق ١٩٥٨ ـ ١٩٦٦،» في عمان بتاريخ ٧ تموز/ يوليو ١٩٩٦، ص ٧ ـ ٩.

(١١٨) باروت، المصدر نفسه، ص ١٢٧.

(١١٩) تم كبس الدار المرقمة ١٢/ ١٣ في منطقة الوزيرية، والتي تعود إلى مالكها المحامي توفيق صالح، حيث اتخذ وكراً حزبياً لجماعة القوميين العرب. وقد عثر بداخلها على المتهم الهارب نايف مزيد حواتمة (أردني الجنسية) ومسؤول بارز للجماعة المذكورة في العراق، حيث تم القبض عليه، وتم العثور على الكثير من المستمسكات الحزبية المهمة.

(فلسطين)، فعملوا مع القيادات الوسطية العراقية التي امتدت وتوسعت تنظيماتها، ومنهم كامل الجزائري وكاظم كلو ومحمد علي الرماحي وعبد الأمير الوكيل وبشير الراوي وزهير العطية وغازي القصاب، وكانت غالبية القيادات العراقية الجديدة وتنظيماتها قد جاءت من أوساط شعبية خلافاً للحلقات الأولى التي مثلت أبناء العوائل العراقية الراقية والثرية[١٢٠].

وكانت الحركة قد استخدمت في نشاطها أوكاراً سرية في بغداد وخارجها، ومن تلك الأوكار الوكر الواقع في راغبة خاتون حيث كان عمر فاضل عبد الحليم حريبي يزاولان نشاطهما فيه، وكذلك الوكر الواقع في مدينة الكاظمية، والذي كان من الأوكار المهمة وتدار فيه أغلب الاجتماعات وتمارس فيه الطباعة. وكان سلام أحمد وحامد الجبوري هما المسؤولين عن هذا الوكر، والذي انتقل بعد الانفصال السوري إلى الأعظمية. أما وكر الوزيرية فقد كان مسؤولاً عنه نايف حواتمة وعبد الإله النصراوي. وكان للحركة وكر آخر يقع في المنصور وكان المسؤول عنه حامد الجبوري[١٢١] وأخوه عدّاي. وكان بعض النوادي الرياضية كنادي الأعظمية مراكز نشاط للحركة، وكان لباسل الكبيسي دور كبير في ذلك حيث استقطب بعض المثقفين وأبناء العوائل المعروفة والعسكريين. وقد أقدمت الحركة على إنشاء النادي الثقافي العربي في الأعظمية حيث أخذ يرتاده العديد من المثقفين وأساتذة الجامعات وجرى تنظيم سلسلة من المحاضرات والندوات والأفلام السينمائية[١٢٢].

وكان نشاط الحركة في دائرة النشاط العلني قد رافقه اعتقالات عديدة في صفوف منتسبيها، فقد أصدرت الحركة بياناً بعنوان «حول محاكمة يسرى سعيد ثابت ورفقائه الأحرار»[١٢٣].

---

(١٢٠) انظر محاضرة الحلو، «حركة القوميين العرب في العراق ١٩٥٨ ـ ١٩٦٦،» ص ٤.

(١٢١) أحال الحاكم العسكري العام بكتابه س/ ٤/ ٢٢٦٦ في ٣/ ١٠/ ١٩٦٠ الخاصة بالمتهمين حامد علوان الجبوري ورشيد سعيد التكريتي وعبد الحسين محمد الربيعي وعلي الشغاتي (وهادي وحيدر مجهول اسم أبويهما)، حيث اتخذوا المشتمل المرقم ٣/٢ في المنصور وكراً للاجتماعات الحزبية السرية وتوزيع النشرات ذات المساس بأمن الجمهورية. وعند إجراء التحري في الوكر المذكور ضبطت فيه مبرزات ومستمسكات حزبية ومنها رسالة خطية مؤرخة في ٢٠/ ٤/ ١٩٦٠ صادرة من عبد الحسين محمد الربيعي إلى الحركة القومية، ورسالة خطية حزبية مؤرخة في ١٧/ ٤/ ١٩٦٠ صادرة من علي الشغاتي إلى المسؤول باسم العروبة وكراسات وصحف سرية.

(١٢٢) الحلو، المصدر نفسه، ص ٩.

(١٢٣) أثناء قيام ضباط أمن القطار السريع من بغداد إلى البصرة بتفتيش المسافرين، عثر بحوزة المدعو عبد القادر أحمد علي القصاب من ركاب العربة رقم (٦٣) على عدد من المبرزات الحزبية ومن بينها (٢٢) نشرة مطبوعة بالرونيو من منشورات حركة القوميين العرب، وهي بعنوان «حول محاكمة يسري سعيد ثابت» وقد تم تسفيره إلى مديرية الأمن العامة وتحت حراسة مشددة.

وأصدرت الحركة بياناً، آخر تحت عنوان «لتكن ذكرى تأسيس الجيش العراقي جيش العروبة الباسل حافزاً لمواصلة الكفاح لتحرير عراقنا الحبيب من حكم الطاغية والعصابات العميلة الحمراء»[١٢٤]. وكانت بغداد حينذاك منطقة إرهاب لكل قومي وخصوصاً البعثيين حيث ترتفع الشعارات الشيوعية المطالبة بالسحل والإعدام. وأصبحت الاجتماعات الحزبية مخاطرة كبيرة، وتوزيع المنشور السياسي يجلب تهمة شنيعة للقارئ والموزع، ويستطيع كل من عاش تلك المرحلة أن يتصور الحالة النفسية المتوترة التي سادت الشارع السياسي العراقي حينذاك. وقد لعبت منظمات صيانة الجمهورية التي أسسها الحزب الشيوعي كمنظمات أنصار السلام، والشبيبة الديمقراطية، والمقاومة الشعبية دوراً في تصعيد التوتر والخوف من السند القانوني لرد اعتداءات الشيوعيين عليهم. وكان التلفزيون العراقي منبراً ضد كل شأن قومي وبعثي، بل يغذي ويحرض على الإرهاب[١٢٥]. وعلى الرغم من هذه الأجواء فقد استمرت الحركة في مواكبة نشاطها السري والعلني واحتجاجاً على الحكومة الإيرانية وشاه إيران بمناسبة اعترافها بـ«إسرائيل» بدأت صباح يوم ٢٨/ ٧/ ١٩٦٠ تجمعات من القوميين العرب في كازينو الوطن الواقعة في منطقة الجعيفر قرب دار توفيق المختار، وهم يرفعون عدة يافطات تحمل عناوين مختلفة منها: «القوميون العرب يستنكرون مؤامرة الشاه على عروبة فلسطين» و«اعتراف الشاه بإسرائيل مؤامرة الاستعمار والصهيونية على القومية العربية» و«نطالب بمقاطعة إيران سياسياً وثقافياً»[١٢٦].

---

(١٢٤) تم العثور على ٩٤٣٠ منشوراً لحركة القوميين العرب في دار المعلم حامد حلمي الجصاني في مدينة كربلاء، وعلى ٢٣٩ منشوراً بحوزة غني باقر كشكول بالاشتراك مع مير محمد مير علي لغرض إيصال قسم منها إلى النجف. وللمزيد من التفاصيل انظر: القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، إضبارة رقم ٢٢/ ١١ التقرير النهائي للقضية المرقمة ١١، ١٢/ ١٩٦١ وفي ١٨/ ٩/ ١٩٦٠ تم العثور في الكاظمية على رونيو وقطع سلاح ومنشورات لنشرات حزبية صادرة عن حركة القوميين العرب، كما تم في ٢٢/ ٩/ ١٩٦٠ إلقاء القبض في مدينة السلام على كل من صلاح عبد الهادي ونعمان ثابت وبحيازتهما نشرات صادرة عن حركة القوميين العرب.

(١٢٥) سعيد، **عراق ٨ شباط ١٩٦٣ من حوار المفاهيم إلى حوار الدم: مراجعات في ذاكرة طالب الشبيب**، ص ٢٥.

(١٢٦) ومن الشعارات التي حملتها يافطات التظاهرة. (نؤيد موقف الجمهورية العربية المتحدة الحازم ضد حكومة إيران العميلة) و(اغلقوا سفاراتنا في طهران واطردوا ممثل الشاه) و(فلسطين عربية رغم مؤامرات الاستعمار وعبيده). ومن الهتافات التي تم ترديدها في التظاهرة (فلسطين للعرب شيلوا سفارتكم) و(يا بهلوي يا جبان يا عميل الأمريكان) و(أرض العرب للعرب ما نريد جيرتكم). وأوضح التقرير المرفوع من قبل مديرية أمن منطقة بغداد أن أغلب المتظاهرين ليسوا من سكان منطقة الجعيفر، وأوضح التقرير بأن الأشخاص الذين تم التعرف عليهم في التظاهرة هم شاكر محمود ومحمد حميد المصطاف وصبحي حمادي الناصري وعبد جياد وهاشم أبو ذيب ومنذر الحاج عبد الواحد وعبد أحمد الريشان.

حيث نظمت تظاهرة واسعة في شارع موسى الكاظم فساحة الشهداء فشارع النصر فشارع المتحف المؤدي إلى الصالحية. ثم توجه المتظاهرون نحو شارع المنصور متجهين صوب السفارة الإيرانية مرددين الهتافات ومنها «فلسطين عربية فلتسقط الصهيونية» و«فلسطين عربية فلتسقط الشيوعية» و«عائدون عائدون يا بهلوي يا مجنون» و«كل العرب ما تريدكم شيلوا سفارتكم»، وكان رجال الأمن والشرطة المحلية والانضباط العسكرية يرافقون المتظاهرين فترة مسار التظاهرة وأمام السفارة الإيرانية[١٢٧].

وحول التعسف الذي مورس من قبل السلطة ضد طلاب الموصل أصدرت حركة القوميين العرب بياناً تحت عنوان «الحرية لطلبة الموصل، وليسقط حكم عبد الكريم قاسم الاستبدادي ولنقف جميعاً مع طلبة الموصل في نضالها ضد حكم الطغاة»، وأدان البيان الممارسات السلطوية التعسفية بإبعاد واعتقالات واسعة، ضد العناصر القومية، وذلك على أثر تظاهرة قومية قام بها طلاب الموصل تعبيراً عن مشاعرهم القومية في مناسبة الذكرى الأليمة لتقسيم فلسطين. وأوضح البيان أن أبلغ مظاهر التعبير عن هذا الاستنكار والاحتجاج على تلك الاجراءات الاستبدادية هو الإضراب الذي أعلنه طلاب الموصل والحملة الشعبية التي قاموا بها من أجل إطلاق سراح إخوانهم وإعادة المبعدين منهم إلى أهلهم وذويهم. وأهاب بيان الحركة الطلابية بالطلاب على أن ينطلقوا دائماً في طليعة الكفاح من أجل القضاء على أعداء الشعب وعلى رأسهم الحكم الاستبدادي القائم[١٢٨]. وعلى أثر القرار الصادر عن مجلس الوزراء المرقم ١٧ والصادر في ٢٢ آذار/مارس ١٩٦١، والخاص برفع أسعار البنزين إلى ١٢٠ فلساً أي زيادة ٢٠ فلساً للغالون الواحد، ورفع أسعار دهان السيارات والمكائن كإجراء اقتصادي بررته السلطة آنذاك[١٢٩]، فقد امتعضت الأوساط القومية والوطنية لتلك الزيادة وسادت الاحتجاجات والتظاهرات المنددة بذلك القرار.

لقد كان إضراب البنزين في ٢٧ آذار/مارس ١٩٦١ أهم الفعاليات التي قادتها الجماهير العمالية بالتلاحم مع فئات الشعب الأخرى، وكان ذلك فرصة لاستثمار القوى القومية تلك الزيادة حيث أفلحت القوى القومية في تحويل إضراب سائقي سيارات الأجرة والنقل إلى انتفاضة شعبية عارمة مناهضة للسلطة، ليعبروا عن

(١٢٧) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، اضبارة رقم ٢٤٩، الصادرة في ٢٨ تموز/يوليو ١٩٦٠.

(١٢٨) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، اضبارة رقم ٢٢/١١، بيان حركة القوميين العرب، لجنة الطلبة، ١٨ كانون الثاني/يناير ١٩٦١.

(١٢٩) دار الكتب والوثائق، مقررات مجلس الوزراء، اضبارة رقم ١٨، ٢٢ آذار/مارس ١٩٦١.

صلتهم الوثيقة بمختلف فئات الشعب، فخرجت التظاهرات التي ردد فيها المتظاهرون شعارات معادية للسلطة ومنها: «شيلو زيادتكم ما نريد حكومتكم» و«جيش وشعب ما يريد زمرة حكومية». ولجأت السلطة إلى استخدام شتى أنواع القسوة والعنف، بما في ذلك استخدام الرصاص في تفريق المتظاهرين، فيما زج بمئات آخرين في السجون. وسوغت التقارير الأمنية مبالغة قوات الجيش والشرطة في استعمال صلاحيتها بسبب التعب والإرهاق اللذين كابدتهما جراء الأعمال السلبية للمضربين[١٣٠]. وكانت لجنة إضراب أصحاب وسواق السيارات ومساعديهم قد أصدرت بياناً قالت فيه: «غير خاف على أحد ما نعلنه نحن أصحاب السيارات والسواق ومساعديهم من مصاعب العيش، فنحن كسائر أبناء الشعب من ذوي الدخل المحدود، ولقد كنا نأمل من الحكومة أن تبادر إلى التخفيف من أوضاعنا ومساعدتنا، إلا أننا بدلاً من ذلك فوجئنا بقرار السلطات برفع أسعار البنزين إلى ١٢٠ فلساً أي بزيادة ٢٠ فلساً مرة واحدة، ورفع أسعار دهان البنزين والمكائن، لهذا فقد أعلنا إضرابنا العادل يجمعنا هدف واحد وهو المطالبة بإعادة سعر البنزين ودهون المكائن إلى ما كان عليه سابقاً، وإننا نعلم جيداً أن نجاحنا في تحقيق مطلبنا هو استمرارنا في إضرابنا والمحافظة على شموله»[١٣١].

يذكر أمير الحلو أن مساهمة حركة القوميين العرب في إضراب البنزين في آذار/مارس ١٩٦١ كان واسعاً، وخصوصاً في منطقة الكرخ التي كان فيها التنظيم قوياً، إذ قام عدد من أعضائها بالتظاهرات وإغلاق الشوارع أمام السيارات العسكرية، حيث اصطدمت مع قوات الشرطة والجيش، الأمر الذي أدى إلى اعتقال عدد من أعضائها وأنصارها[١٣٢]. ويمكن القول ومن دون تردد إن حركة القوميين العرب قد أسهمت في إضراب البنزين بشكل مميز من خلال تبنيها إصدار البيانات والتظاهرات الخاصة بها، رغم أن الثقل في التوجه كان لحزب البعث العربي الاشتراكي فقد اشتركت جماهير الحركة في أغلب النشاطات والمستلزمات التي كانت تتطلبها المرحلة لإنجاح الإضراب المذكور. ففي منطقة الكرخ جرى صدام واسع مع الشرطة وعناصر الجيش، وتعرض بعض الشباب إلى الاعتقال والملاحقة[١٣٣].

(١٣٠) سلمان، «التطورات السياسية الداخلية في العراق ٨ شباط ـ ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣،» ص ٦٨.

(١٣١) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ٢/٣٣، وثيقة رقم ١٤، آذار/مارس ١٩٦٤.

(١٣٢) مقابلة شخصية مع أمير الحلو بتاريخ ٢٠ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٠.

(١٣٣) يتضح من التقرير المرفوع من قبل وكيل متصرف لواء الموصل أنه تم العثور على نشرات=

أما قيادة حزب البعث فقد اقتنعت من جانبها بأن العسكريين القوميين والبعثيين سيستمرون في ترددهم وتشتتهم السياسي إذا لم تبادر بوضع خطة إسقاط النظام وتنفيذها. وقد أكدت نجاحاتنا في إقامة التجمع القومي كغطاء سياسي وفي قيادة إضراب السيارات وتعطيل حركة المرور ومن ثم تعطيل الدراسة، رغم اعتقال العشرات من البعثيين ومؤيديهم[(١٣٤)]. وفي الذكرى الثانية لشهداء انتفاضة الموصل أصدرت حركة القوميين العرب بياناً تحت عنوان «في ذكرى شهداء ٢٠ أيلول/ سبتمبر»[(١٣٥)] أدانت فيه القوى المعادية للقومية العربية من استعمارية ورجعية وانتهازية وشيوعية، والتي انحرفت بثورة تموز/يوليو وأعادت العراق إلى العهد السعيدي - عهد العزلة والإنغلاق عن دنيا العروبة، واستذكر البيان تجربة ثورتي ١٩٤١ و١٩٥٨ الدليل الذي أنار للشعب طريقه في النضال القومي لتحرير العراق من كل حكم معاد لعروبته ولمساره القومي التاريخي نحو الوحدة العربية الشاملة، وما الإجماع الشعبي الرائع على تصفية حكم عبد الكريم قاسم وجميع ركائزه من رجعيين وشيوعيين وانتهازيين، والذي يتجلى بانتفاضة آذار/مارس الجبارة إلا مثالاً بارزاً على هذه الإرادة الشعبية العارمة وعلى التصميم الواعي لدى جماهير الشعب بمواصلة كفاحه الوحدوي التحرري لتحقيق أهداف ثورة ١٤ تموز/يوليو[(١٣٦)]. وعلى أثر جريمة الانفصال السوري والأحداث التي جرت في سوريا[(١٣٧)]، أصدرت

= وشعارات وزعت من قبل القوميين العرب وكانت تلك الشعارات تحرض على مساندة إضراب سواق السيارات ومنها: (ساندوا إضراب سواق السيارات) و(ساندوا إضراب سواق السيارات تعزيزاً للكفاح القومي التقدمي وإحباط للمؤامرات الرجعية والاستعمارية) و(عصابات قاسم تهرب أموال الشعب، والشعب يدفع العوض) و(ناضلوا زيادة الضرائب).

(١٣٤) سعيد، **عراق ٨ شباط ١٩٦٣ من حوار المفاهيم إلى حوار الدم: مراجعات في ذاكرة طالب الشبيب**، ص ٣٣ - ٤٧.

(١٣٥) يوضح التقرير النهائي للقضية المرقمة ٣١/ ١٩٦١ أمن النجف أنه بتاريخ ٢٠/٩/ ١٩٦١ تم العثور على منشورات في الساحة الكائنة أمام ثانوية النجف، وبعد تشديد المراقبة والتحري شوهد في منطقة الجديدة وفي حديقة الجمهورية شخصين قد جلسا القرفصاء ومنشغلان بشيء ما في أيديهما وهما محتاطان للأمر، مما جلب انتباه مفارزنا، وعند اكتشافهما لاذا بالفرار تاركين ما بحوزتهما ويظهر أن ما رمياه عبارة عن ١٢ منشوراً لبيان حركة القوميين العرب في ذكرى شهداء ٢٠ أيلول/ سبتمبر وتم القبض على أحدهما وهو معطي جبر وللمزيد من التفاصيل انظر: القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، اضبارة رقم ٢٢/ ١١ التقرير المرقم ٢٩٩٧ - ٤؛ والمؤرخ في ١/ ١٠/ ١٩٦١.

(١٣٦) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، إضبارة رقم ٢٢/ ١١، بيان حركة القوميين العرب الصادر في ٢٠ أيلول/ سبتمبر ١٩٦٢.

(١٣٧) يشير التقرير المرفوع من معاونية أمن كربلاء س/ ٥٦٦ إلى متصرف لواء كربلاء أنه بتاريخ ٩/ ١٠/ ١٩٦١ أعلمنا معاون أمن الناصرية تلفونياً بأن خفر القطار ألقوا القبض على محمد علي مجيد من أهالي =

حركة القوميين العرب تعميماً أوضحت فيه بعض الجوانب التي أدت إلى تلك الفاجعة القومية، حيث ألقت الضوء في تعميمها على تحليل الحدث، وقد أشار التعميم إلى الأعداء الداخليين وإلى بعض ممارسات الحكم التي ولدت النقمة في صفوف الجيش الأول والوضع الشعبي العام وما أثارته قرارات تموز/يوليو الاشتراكية لدى الأعداء التقليديين للوحدة داخل سوريا وخارجها، فضلاً عن سياسة عبد الحميد السراج (الرسمية) بحيث كانت محصلة ذلك تلك الكارثة[(١٣٨)]. وسنوضح في الصفحات القادمة موقف حركة القوميين العرب من الوحدة والانفصال.

وشهدت بداية العام الدراسي ١٩٦٢ - ١٩٦٣ نشاطاً ملحوظاً للإضراب العارم لطلبة العراق، مما عرض مئات الطلبة إلى الاعتقال. وقد مهد ذلك لقيام الإضراب الطلابي الكبير، إذ بعد تزايد معاناة الشعب العراقي بمختلف فئاته من تدهور الأوضاع الاقتصادية والسياسية، وتصاعد أساليب الإرهاب وحملات المطاردة والاعتقال التي شنتها أجهزة السلطة، قاد الاتحاد الوطني لطلبة العراق الإضراب الكبير في نهاية عام ١٩٦٢[(١٣٩)].

وكان لحركة القوميين العرب دور مهم وفعال في إضراب الطلبة الذي قاده حزب البعث العربي الاشتراكي بعد أن دعت اللجنة الاتحادية في الثانوية الشرقية إليه في١٧ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٦٢، فقد شكلت حركة القوميين العرب حضوراً بارزاً في إضراب الطلبة في جامعة بغداد والثانويات، حيث تألفت لجان مشتركة بين طلبة البعث والحركة، رغم اندلاع الإضراب الطلابي الذي كان بمبادرة من شباب البعث، لكن الحركة قدمت له الدعم الكامل حيث كانت متابعة أعضائها يومياً، فأصدرت البيانات وطبعت الشعارات الداعية إلى استمرار الإضراب حتى يتم إطلاق سراح المعتقلين من الطلاب، والحد من انتهاك السلطات لحرمات الجامعات

= الناصرية وبحوزته رسالة خصوصية مرسلة من كربلاء بتوقيع عزيز محمد الكلكاوي، معنونة إلى أخيه جاسم محمد الكلكاوي (زوج شقيقة حامل الرسالة) في الناصرية، وصاحب مطبعة أهل البيت في كربلاء والذي هرب من كربلاء عن طريق النجف والديوانية إلى الناصرية ليلة الخميس الماضي بعد كبس دار المعلم حامد حلمي الجصاني ومير محمد مير علي أبو طبيخ وعثرنا على (١٠١٩٦) نشرة لحركة القوميين العرب حول التطورات الأخيرة في سوريا. للمزيد من التفاصيل انظر: القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، اضبارة رقم ٢٢/ ١١ صورة كتاب معاونية أمن كربلاء س/ ٥٦٦ - ١١/ ١٠/ ١٩٦١.

(١٣٨) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، اضبارة رقم ٢٢/ ١١، تعميم حول الانفصال، حركة القوميين العرب، لجنة الإدارة، تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٦١.

(١٣٩) سلمان، «التطورات السياسية الداخلية في العراق ٨ شباط - ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣،» ص ٧٦ - ٧٧.

والمدارس، وهكذا وفي جميع المناسبات نجد للحركة حضوراً واضحاً. وقلما تمر مناسبة وطنية أو قومية إلا وللحركة موقف منها من خلال بياناتها أو فعالياتها العامة كالتظاهرات والاحتفالات، ولا سيما في المدارس والكليات[١٤٠]. أما موقف الحزب الشيوعي من الإضراب فكان سلبياً بحيث أصدر بياناً بعد حوالى أسبوعين من الإضراب اعتبر الإضراب ردة رجعية وحركة استعمارية الهدف منها الانقضاض على الحكم القائم آنذاك. وكان سلام عادل سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي متحمساً لإفشال الإضراب إذ كان يصدر تعليماته إلى أعضاء حزبه من مكان ما في الوزيرية. وفي تلك الفترة كان الشيوعيون يحذرون عبد الكريم قاسم من وجود مؤامرة ضده مطالبين منه الاحتراز والشدة في مراقبة أعداء الجمهورية[١٤١] بعد إعلان حزب البعث العربي الاشتراكي الإضراب في جميع المدارس من خلال حادثة بسيطة وقعت في إحداها، حيث أخذ الموقف يتصاعد من خلال المواجهات بين الطلبة وقوات الانضباط العسكري خصوصاً بعد اعتصام مجموعة من الطلبة البعثيين في مقر جامعة بغداد[١٤٢]. وقد ساند القوميون البعثيين في إضرابهم، في حين وقف الشيوعيون ضده، وكان من الواضح أن للإضراب أهدافه الأخرى غير المعلنة وفي مقدمتها: خلق أزمة حادة للنظام والعمل على إضعافه، بعد أن فقد الكثير من رصيده لدى جميع الأطراف، واستثمار هذا الجو المتوتر لتوجيه ضربة إلى النظام، وكان الجميع يعرفون هذا الهدف، لذلك أقدم عبد الكريم قاسم على اعتقال قياديين عسكريين ومدنيين من البعثيين، ومنهم المقدم الركن صالح مهدي عماش وعلي صالح السعدي عضوا القيادة القطرية، وكانت مساهمة القوميين في الإضراب فاعلة ولكن بدون هدف واضح لدى الأعضاء سوى معارضة النظام[١٤٣].

(١٤٠) مقابلة شخصية مع نوري نجم المرسومي بتاريخ ٢٧ آذار/مارس ٢٠٠١.

(١٤١) الجندي، **إلى أين يسير الشيوعيون بالعراق؟...: دراسة سياسية مركزة عن وضع العراق السياسي وتسلط الشيوعيين عليه**، ص ١٢٧.

(١٤٢) يشير أمر الإحالة الصادر من الحاكم العسكري العام إلى المجلس العرفي العسكري الأول لمحاكمة الطلاب وفق القضية الخاصة باعتصام الطلاب في مبنى الأمانة العامة لجامعة بغداد، والبالغ عددهم ستة وثمانين طالباً، وبموجب مواد قانونية مختلفة ٣١/ ٥٤ ـ ٥٥ من قانون العقوبات البغدادي، والمادة ٨٤٤ من مرسوم الإدارة العرفية بدلالة المادتين ٢٤٤ و٣١٩، ومن هؤلاء المتهمين مالك يوسف المطلبي ومعز كاظم الخطيب ورحيم سليمان وحقي اسماعيل خير الله وزكي يحيى جابر وناصر عبد الجبار عبد الحميد وكامل طه الويس ومهدي فهمي عبد الرحمن وعبد الرزاق عبد الحافظ وهشام عمران الشيخلي وخلف حسن عويد ومحمود عبد الجبار الكعبي ومعن خليل العمر ونزار أحمد العلي.

(١٤٣) انظر محاضرة الحلو، «حركة القوميين العرب في العراق ١٩٥٨ ـ ١٩٦٦،» ص ١٣.

يذكر نايف حواتمة: «كنت مشبوحاً (مصلوباً) لشهور في زنزانة منفردة في سجن الأمن العام المركزي في بغداد، بعدها نقلت إلى سجن بغداد المركزي (بجوار وزارة الدفاع) وكان معي هناك صالح مهدي عماش وعلي صالح السعدي والعشرات الذين تسلموا القيادة في شباط/فبراير ١٩٦٣، وكان السباق على إزاحة دكتاتورية قاسم بين مجموعتنا القومية العسكرية، وبين المجموعات البعثية وقد قارب أيامه الأخيرة وقد بدأ العد التنازلي لمن يفوز بالسباق. وقد مضى على اعتقالي شهوراً متنقلاً بين سجن الأمن العام وسجن بغداد، والعراق يموج بالشائعات الانقلابية واضطرابات الطلبة»[١٤٤]. ومن هنا يبدو للباحث أن التنسيق في النشاط وليس في مفاصل التنظيم بين حزب البعث العربي الاشتراكي وحركة القوميين العرب، كان قائماً من أجل إسقاط النظام.

وفي صباح يوم ٢٧/ ٣/ ١٩٦٢ حصل إضراب عام شامل في كافة كليات ومعاهد جامعة بغداد، إذ قامت الفئات القومية على اختلاف ميولها واتجاهاتها بحجة تخليد ذكرى الذين قتلوا في حوادث إضراب ارتفاع أسعار البنزين، وكان لحركة القوميين العرب حضور مميز خلال الخطب وإلقاء الكلمات ونشر الشعارات في ساحات ونوادي الكليات والمعاهد[١٤٥]. وكان الإضراب يأخذ مداه ويواصل نشاطه، ففي يوم ٢٥/ ١٢/ ١٩٦٢ تجمع طلاب ثانوية الأعظمية ودار المعلمين الابتدائية ومتوسطة المثنى، ومن مختلف الفئات القومية من سوح أماكنهم الدراسية منادين بسقوط الحكم العسكري الدكتاتوري الفردي، ومطالبين بإرجاع المنقولين منهم، ومنددين، بالفصل الكيفي للطلاب من قبل السلطة. وألقى الطالب غسان أحمد الجبوري كلمة حث فيها الطلاب على مواصلة الإضراب، وتطرق إلى إضراب طلاب الإعدادية الشرقية والمسبب له وإرغام الحكومة على إطلاق سراح الهيئة التدريسية للثانوية المذكورة، وإرجاع الطلبة المفصولين. وكان الطلبة يهتفون بالقومية

(١٤٤) **نايف حواتمة يتحدث**، إعداد وحوار عماد نداف (بيروت: دار المناهل؛ دمشق: دار الكتاب، [د. ت.])، ص ٤٩.

(١٤٥) يشير كتاب وزارة الداخلية مديرية الأمن العامة، المرفوع إلى الحاكم العسكري العام الخاص بحوادث الكليات أنه تم يوم ٢٧/ ٣/ ١٩٦٢ إجراء إضراب عام وتوزيع نشرات وبيانات بحجة تخليد ذكرى الذين قتلوا في حوادث الشعب التي وقعت في العام الماضي، وقد قام بعض الطلاب القوميين ومنهم ثامر الناصري ورياض الياور بالتصدر في الهتافات التي نادت بسقوط الحكم العسكري الفردي الدكتاتوري ثم علقا يافطات كتب عليها العبارات التالية: (بوحدة العمل الشعبي نسحق الرجعية والعملاء) القوميون العرب، و(الخلود لشهداء ٢٧ آذار/مارس والموت للحكام الخونة) القوميون العرب، و(عاش نضال عمالنا العرب من أجل الوحدة والاشتراكية) القوميون العرب، و(انتفاضة آذار دعوى للعمل لإسقاط الحكم الفردي) القوميون العرب.

العربية[١٤٦] وكانت وسائل التعبير عن الإضراب تتعدى أماكن الدراسة في الكليات والمعاهد والثانويات، وكانت جماهير الطلاب تجوب الشوارع العراقية في بغداد وخارجها. ففي يوم ٢٢/١/١٩٦٣ تجمع عدد من الطلاب فجأة، في محلة الدوريين بجانب الكرخ وساروا بمظاهرة سريعة الخطى وهم يحملون يافطات كتب عليها «مطالب الشعب إطلاق سلاح الطلبة» و«إضراب الطلاب يسنده الشعب كله» وغيرها من الشعارات مرددين هتافات منها «هذي مطالب الشعب إرهابكم ما يفيدكم»، وتوجهوا إلى ساحة الشهداء ومنها إلى شارع الإمام موسى الكاظم حتى منطقة التكارتة والجعيفر[١٤٧].

وعلى ضوء ما تقدم، ومن خلال الدراسة والاستقصاء البحثي بجانبيهما المكتبي والوثائقي يتضح لنا التوافق والتنسيق بين حزب البعث العربي الاشتراكي وحركة القوميين العرب بعد قيام ثورة ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨، وخاصة بعد حركة الشواف في آذار/مارس ١٩٥٩، رغم بعض الخلافات التي شابت تلك العلاقة. واستمر ذلك التعاون حتى قيام ثورة ٨ شباط / فبراير١٩٦٣.

وكانت حركة القوميين العرب في مختلف الوجوه أهم منافس حزبي وسياسي لحزب البعث داخل المعسكر القومي عشية ثورة ٨ شباط/فبراير، فقد توسعت خلايا الحركة من سبعة وعشرين عضواً ـ ويؤكد هذا العدد أغلب المصادر الحركية عشية ثورة ١٤ تموز/يوليو ـ إلى أكثر من ٥٠٠٠ عضو خلية عشية ثورة شباط/فبراير وتعادل كفاءة عضو الخلية في الحركة من الناحية التنظيمية المفترضة كفاءة العضو العامل (عضو الفرقة) في البعث. ولم تقل نوعية التماسك التنظيمي للحركة عن تماسك البعث في العراق إبان الصراع ضد قاسم[١٤٨]. ومن هنا شكلت الحركة عشية شباط/فبراير ١٩٦٣ قوة يحسب حسابها، إذ كانت تنظيماتها منتشرة في كافة أنحاء القطر. وكانت أبرز معاقلها في بغداد والموصل والفرات الأوسط. ففي بغداد مثلاً كان الطابع العام للرصافة بما فيها الأعظمية بعثياً، في حين كان الطابع العام

---

(١٤٦) يفيد التقرير المرفوع من مديرية الأمن العامة إلى الحاكم العسكري العام أن الطلاب الذين حرضوا على هذا التجمع هم ماجد محمود الإمام وسعيد حمادي المشهداني وهاني محمد سعيد وقصي عبد الحميد وزكي عبد الحميد وعبد الودود رؤوف السامرائي وعبد الله عباس التكريتي وعادل عبد الله الدوري ومحمد رجب السامرائي وفراس حمودي وعدنان علي حسين وصبحي محمود حسين.

(١٤٧) كتاب مديرية شرطة لواء بغداد، القلم السري والذي يشير إلى إجراء التحقيقات المختصة مع المقبوض عليهم من قبل معاونية أمن الجعيفر وهم قيس نعمة حنون وسيد هاشم جبر وزامل محمد صالح وعدنان مهدي.

(١٤٨) باروت، **حركة القوميين العرب: النشأة ـ التطور ـ المصائر**، ص ١٨٧ ـ ١٨٨.

للكرخ حركياً، وهكذا فإن إسنادها للثورة لا غبار عليه، حتى وإن كانت لا تعلم بساعة الصفر. وهذا ما سنوضحه في موقف الحركة من ثورة شباط/ فبراير ١٩٦٣.

ثالثاً: موقف حركة القوميين العرب من ثورة ٨ شباط/ فبراير ١٩٦٣

يعرف الموقف (Attitude) بأنه استعداد عقلي وعصبي صقلته التجربة وله تأثير مباشر وفعال في ردود فعل لدى الفرد على المواضيع أو الوضعيات التي تعرض عليه. والموقف يختلف عن الاتجاه (Trend) حيث يتسم الموقف بكونه سلوكاً حركياً نحو عمل شيء معين، ويتصف بالتنظيم والديناميكية، في حين أن الاتجاه هو ميل أو انعطاف نحو القيام بعمل شيء معين[١٤٩].

وتصنف المواقف إلى صنفين هما:

١ ـ مواقف طبيعية وتتعلق بعناصر غير بشرية.

٢ ـ مواقف اجتماعية وتتعلق بأوضاع ومشاكل اجتماعية وثقافية.

وتعد المواقف السياسية نوعاً من أنواع المواقف الاجتماعية التي يتخذها الفرد أو الجماعة إزاء أوضاع سياسية، وتتكون هذه المواقف نتيجة عوامل ثلاثة هي: التجارب، وتأثير العوامل الاجتماعية، وتأثير الخواص الشخصية[١٥٠]. ومن هذا المفهوم للمواقف فإن الأحزاب والحركات السياسية العراقية كانت تتأثر بهذه العوامل مجتمعة أو بأحدها حسب تأثيره. ويتضح مما تقدم أن الأحزاب والحركات السياسية في العراق ومنها حركة القوميين العرب قد تأثرت بصورة خاصة بالتجارب والعوامل الاجتماعية في اتخاذ المواقف إزاء القضايا والتطورات السياسية.

إن وقوف الشعب العراقي بمنظماته السياسية وجماهيره الشعبية ضد عقد التحالفات كان قد أثمر نتاجه عندما أفشل عقد معاهدة بورتسموث عام ١٩٤٨، وبقي يعارض مثل تلك التكتلات والتحالفات حتى قيام حلف بغداد عام ١٩٥٥. ومن الجدير بالذكر أن مشاريع استعمارية أخرى كانت قد ظهرت في ما بعد الخمسينيات، وحملت أسماء مختلفة ولكنها كانت وجهين لعملة واحدة[١٥١]. وانطلاقاً من هذه المفاهيم تعددت المواقف وتباينت وجهات النظر في تقويم ثورة ٨

---

(١٤٩) صادق الأسود، **علم الاجتماع السياسي** (بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٩٧٣)، ص ٢٨٧.

(١٥٠) المصدر نفسه، ص ٢٨٧ ـ ٣١٤.

(١٥١) عادل غفوري خليل، **أحزاب المعارضة العلنية في العراق ١٩٤٦ ـ ١٩٥٤** (بغداد: المكتبة العالمية، ١٩٨٤)، ص ١٧٧ ـ ١٧٨.

شباط/ فبراير. ومهما تعددت الآراء في تقويمها فإن الحقيقة التي لا لبس فيها أن الثورة التي قادها حزب البعث العربي الاشتراكي والتي سرعان ما ساندتها القوى القومية صبيحة الثامن من شباط/ فبراير ١٩٦٣، ثورة جريئة، وتتسم بالشجاعة والإقدام، ولسنا الآن بصدد تقويم الثورة بقدر إيضاح مواقف بعض القوى السياسية من الثورة. وما يهمنا في ذلك موقف حركة القوميين العرب من الثورة.

قبل التطرق إلى موقف الحركة من ثورة ٨ شباط/ فبراير ١٩٦٣ لا بد لنا أن نذكر أن هناك عدة محاولات قد تمت دراستها من قبل قيادة حزب البعث[١٥٢]. وكذلك الحال بالنسبة إلى الحركة، فقد خطط حزب البعث العربي الاشتراكي لوحده لأغلب المحاولات للتخلص من عبد الكريم قاسم[١٥٣]، وكذلك سعى الحزب لاستثمار الإمكانيات كافة للتخلص من قاسم. فقد جرت الاتصالات في الربع الأخير من عام ١٩٦٢ بين المقدم الركن صالح مهدي عماش، والمقدم الركن عبد الستار عبد اللطيف، ممثلين عن الحزب مع المقدم جابر حسن حداد وهو أحد الضباط القوميين للزحف على بغداد، إذ كان يشارك في التمرينات السنوية لقسم من كتائب الدبابات، في منطقة الحصوة (قرب الفلوجة) إلا أن المحاولة لم تنفذ لعدم ضمان نجاحها[١٥٤].

ويذكر طالب شبيب أنه في أجواء التحضير لثورة ٨ شباط/ فبراير «جاءني محمد صديق شنشل وسيطاً، ورجاني أن أخبر قيادة الحزب بترشيح ثلاثة وزراء بعثيين وسيعينهم عبد الكريم قاسم فوراً، فأجبناه: يا أستاذ صديق إن هذا الاقتراح لم يحصل إلا تحت ضغط إضراب الطلبة المحرج للحكومة، ثم ان بياناتنا وصحافتنا

---

(١٥٢) المصدر نفسه، ص ٨٤ ـ ٨٥.

(١٥٣) كانت المحاولة التي جرى التخطيط للقيام بها في أوائل تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٨، وتقضي بقيام ٢٦ ضباطاً من منتسبي وزارة الدفاع، ومن ضمنهم الرائد صالح مهدي عماش، باعتقال عبد الكريم قاسم وقيام قطاعات الفرقتين الأولى والثانية بالتأييد، إلا أن المحاولة كشفت وتم اعتقال عماش واثنين من المنفذين وهم الملازم الأول محمود فرج والملازم شهاب أحمد، كما جرى التخطيط للقيام بالعديد من المحاولات، إلا أنها لم تنفذ لأسباب إنسانية أو فنية أو أمنية، ومنها المحاولة التي خطط فيها لإسقاط طائرة عبد الكريم قاسم في أثناء طيرانه لافتتاح مشروع سد درندخان في ٢٣ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦١. ومحاولة إحراق طائرته في الجو عند توجهه لمقابلة الرئيس السوري ناظم القدسي في منطقة الرطبة بتاريخ ١٤ آذار/ مارس ١٩٦٢. أو عند هبوط الطائرة في منطقة إتش ثري (H 3) كما جرت محاولة القضاء عليه في أثناء قيامه بافتتاح معمل التعليب في كربلاء، ومعمل الأحذية في مدينة الكوفة بتاريخ ١٦ ـ ١٧ تموز/ يوليو ١٩٦٢.

(١٥٤) سلمان «التطورات السياسية الداخلية في العراق ٨ شباط ـ ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣،» ص ٨١ ـ ٨٣.

الحزبية السرية تدعو بشكل متواصل الى إسقاط حكومة قاسم، فكيف تطلب أن ندخل الوزارة ونحن على أبواب ثورة؟ كنا نثق تماماً بإرادتنا على إزاحة عبد الكريم قاسم وكان يهمنا جداً أن لا نتعاون مع أية جهة قومية، خوفاً من تمييع الحركة ومن حرماننا من مساندة القوميين عند إعلان الثورة، فقد كنا في معركة مصيرية ولا بديل عن الذهاب إلى الصراع حتى نهايته»[١٥٥].

أما بالنسبة إلى محاولات حركة القوميين العرب، فإن أغلب المصادر الحركية والقومية تؤكد على عدم إقدام الحركة أو التفكير بالقيام بحركة انقلابية سوى المحاولة التي سعت فيها للتنسيق مع الضباط القوميين من أجل الإطاحة بالنظام.

في صيف عام ١٩٦٢ تم الاتفاق بين قيادة الحركة والضباط القوميين المستقلين والأنصار لحركة القوميين العرب، أمثال الطيار عارف عبد الرزاق، والضباط عبد الكريم فرحان، وصبحي عبد الحميد، وعبد الهادي الراوي، ومحمد مجيد، وهادي خماس، وجاسم العزاوي، وفاروق صبري، وكذلك مبدر الويس وآخرين، على غير موعد وكان الاتفاق الأخير على موعد مع عيد الفطر في ٢٢ ـ ٢٣ شباط/ فبراير ١٩٦٣. وتم إعداد المجموعة الفدائية للتخلص من عبد الكريم قاسم بإطلاق النار عليه في عيد الفطر أثناء زيارته التقليدية لنادي الضباط في هذه المناسبة. ووضع نايف حواتمة المشروع السياسي والاجتماعي والوطني والقومي للانقلاب الموعود[١٥٦] حتى لا يبقى في حدود عملية انقلابية تستبدل أشخاصاً بأشخاص، وعلى أمل تحويل العملية الانقلابية إلى ثورة سياسية واجتماعية تستأنف مسار ثورة ١٤ تموز/ يوليو وعلى الانقلاب الجديد التحول إلى ثورة جديدة تنجز مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية بآفاق تقدمية اشتراكية وديمقراطية ووحدوية قومية، مع الجمهورية العربية المتحدة[١٥٧].

أما سلام أحمد فيذكر أن المحاولة التي تبنتها حركة القوميين للاطاحة بنظام عبد

---

(١٥٥) سعيد، **عراق ٨ شباط ١٩٦٣ من حوار المفاهيم إلى حوار الدم: مراجعات في ذاكرة طالب الشبيب**، ص ٤٨.

(١٥٦) المشروع السياسي والاجتماعي كتبه حواتمة بخط يده، وهذا ما تم العثور عليه عندما تم اعتقاله في عام ١٩٦٢، ووقع المشروع بيد مديرية الأمن العام بعد الاعتقال، وخضع حواتمة للتحقيق والتعذيب ووضع في زنزانة منفردة وخضع لفحص الخطوط، ومن حسن الحظ أن حواتمة كان يكتب باليدين اليمنى واليسرى مع فارق بين الخطين ناجم عن الممارسة أكثر بيد عن أخرى، وكان هذا المنقذ من تثبيت خط المشروع عليه وما ترتب على هذا من نتائج. وللمزيد من التفاصيل، انظر: رسالة خطية للباحث من نايف حواتمة بتاريخ ٦/٩/٢٠٠١، ص ١٧.

(١٥٧) رسالة خطية للباحث من نايف حواتمة بتاريخ ٦/٩/٢٠٠١، ص ١٧ ـ ١٨.

الكريم قاسم هي قيام كتيبة الهندسة المسؤولة عن سلامة عبد الكريم قاسم وأمنه في أي احتفال أو مناسبة بمهاجمته. وكان ترتيب المحاولة قد تم مع أحد عناصر الحركة، وهو الملازم الأول مشعل عواد المساري، مع ضابط آخر اسمه حامد عبد الصالح إضافة إلى بعض الجنود المنظمين. أما تنفيذ تفاصيل الخطة فيتم في النادي العسكري وفي أول أيام عيد الفطر، وذلك عند تقديم التهاني للزعيم من قبل الضباط بمناسبة حلول العيد، حيث تم حجز الجنود المنتظمين في بيت الملازم أول مشعل[(١٥٨)]، وإلباس ملابسهم لشباب من الحركة (زمرة التنفيذ) أمثال عزيز كشمولة (طالب في الكلية العسكرية) وطارق كشمولة وزغلول كشمولة، إضافة إلى بعض العناصر الأخرى، إلا أن إخبار صالح مهدي عماش بتفاصيل المحاولة وتوقيف تنفيذها عجلا في قيام ثورة ٨ شباط/ فبراير عام ١٩٦٣[(١٥٩)].

أما صبحي عبد الحميد فيذكر «أن حركة القوميين العرب كانت تتعاون معنا (أي الكتلة القومية) والتي تسمى تقليدياً كتلة صبحي عبد الحميد، حيث اتصلت بنا قيادة الحركة وأخبرتنا بأنها على استعداد لتقديم زمرة لاغتيال عبد الكريم قاسم أثناء تلقيه تهاني الضباط في النادي العسكري، وذلك في عيد الفطر، وقد تم الاتفاق بعد قبول العرض، إلا أن حزب البعث العربي الاشتراكي قد سبقنا وقام بالثورة صبيحة الرابع عشر من رمضان أي قبل العيد[(١٦٠)]. وبعد فترة من إعلان ثورة ٨ شباط/ فبراير علمنا أن تعليمات مركزية من ميشيل عفلق في دمشق وصلت إلى قيادة البعث العراقية للتسريع بالثورة، قبل وقوع محاولة أخرى قادمة». وفي ما بعد أشار إلى هذا بوضوح عضو القيادة القطرية العراقية هاني الفكيكي، كما أكده أكرم الحوراني في مذكراته[(١٦١)].

إن إقدام حزب البعث العربي الاشتراكي على الثورة في وضح النهار خطوة جزئية واستباق وقطع طريق على العملية الإنقلابية لحركة القوميين العرب وحلفائها من الضباط المستقلين في عيد الفطر ٢٢/ ٢٣ شباط/ فبراير، أي أن الفارق الزمني خمسة عشر يوماً فقط، وما يترتب على هذا من تطورات وتحولات وفق مشروع كل

---

(١٥٨) يذكر الاستاذ سلام أحمد أن الملازم أول مشعل كان يستقدم أغلب جنود الكتيبة إلى بيته بين الفينة والفينة الأخرى، وإقامة الولائم المتواضعة إليهم ولغايات تنظيمية ولحسابات حزبية بحتة لتقوية أواصر الود بين الضابط المذكور وجنوده من ناحية، وليكونوا أداة طوعية لتنفيذ مثل هذه المهام من ناحية أخرى.

(١٥٩) مقابلة شخصية مع سلام أحمد بتاريخ ٣ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠١.

(١٦٠) مقابلة شخصية مع صبحي عبد الحميد بتاريخ ٦ شباط/ فبراير ٢٠٠١.

(١٦١) **نايف حواتمة يتحدث**، ص ١٩.

فريق، ويشير عبد الكريم فرحان (حصاد الثورة) بأن البعث سبق انقلاب الضباط القوميين المستقلين وحركة القوميين العرب بخمسة عشر يوماً فقط، وأن التنسيق بين الضباط القوميين وحركة القوميين العرب قام به نايف حواتمة وباسل الكبيسي[(١٦٢)].

وهكذا يتضح للباحث بشكل جلي أن هدف البعث وحركة القوميين العرب واحد وهو إسقاط النظام. ومهما يكن من أمر فقد قامت ثورة ٨ شباط/ فبراير ١٩٦٣ والتي قادها حزب البعث وبإسناد كافة القوى القومية والوحدوية في العراق، والتي التفت حولها ساعة إعلان بيانها الأول، وفي مقدمة تلك القوى حركة القوميين العرب.

وبصدد موقف الحركة من ثورة ٨ شباط/ فبراير يذكر أمير الحلو أنه بعد نصف ساعة تقريباً من إذاعة بيان الثورة من الإذاعة «جاءني الشهيد باسل الكبيسي إلى منطقة الكرخ حيث كنت مسؤولاً عنها، وطلب مني إخراج جميع الأسلحة التي لدينا وأشرف بنفسه على إخراجها حيث تم توزيعها على الأعضاء، ثم اتجهنا إلى مراكز الشرطة وقمنا بالاستيلاء على الأسلحة الموجودة فيها ووزعناها كذلك على الأعضاء الأنصار، وذهبنا إلى ساحة الشهداء التي تمر بها الدبابات والقوات العسكرية المتجهة إلى وزارة الدفاع». ومهما كانت فائدة ذلك أو أهميته على مجرى الأمور، فإنه دليل تأييد وإسناد[(١٦٣)]. وكانت الحركة في تلك الفترة تحتفظ بكامل تنظيمها المدني والعسكري ولم تكن العلاقة مع البعث ودية، ولكنها ليست عدائية أيضاً، إذ سادها الحذر بسبب العلاقة السابقة، وانعكاس العلاقة بين البعث وعبد الناصر على ذلك. وبعد أن سمحت قيادة البعث بإصدار الصحف اليومية من قبل القوى القومية أصدرت الحركة الصحيفة اليومية باسم **الوحدة**، حيث تولى الشهيد باسل الكبيسي رئاسة تحريرها وقد رافق إصدارها طرح شعارات الوحدة بشكل متباين من قبل البعث من جهة، والقوميين من جهة أخرى[(١٦٤)]. وسوف يتم التطرق وتفصيل ذلك

---

(١٦٢) المصدر نفسه، ص ١٩.

(١٦٣) كان الإسناد العسكري من جانب القوميين العسكريين مؤثراً جداً، فقد قام عشرة ضباط بارزين وفاعلين بإذاعة بيان في الساعة الواحدة ظهراً في ٨ شباط/ فبراير عن طريق الإذاعة يؤيدون فيه الثورة ويساندونها. وكان من بينهم صبحي عبد الحميد وعبد الكريم فرحان، وصدرت قرارات من المجلس الوطني لقيادة الثورة، بتعيين عدد من الضباط القوميين في مراكز حساسة وهم: عبد الكريم فرحان آمراً لموقع بغداد وعبد الهادي الراوي آمر لمعسكر الرشيد ومحمد مجيد مديراً للخطط العسكرية كما كلف المجلس هادي خماس ومحمد مجيد بالمساهمة في الهجوم على وزارة الدفاع كما أن اللواء الثامن في الحبانية، تحرك بأفواجه الثلاثة بقيادة ضباط قوميين ودخل بغداد لتعزيز وإسناد الثورة.

(١٦٤) انظر محاضرة الحلو، «حركة القوميين العرب في العراق ١٩٥٨ ـ ١٩٦٦،» ص ١٤ ـ ١٥.

في موضوع موقف الحركة من الوحدة الثلاثية.

أما حواتمة فيذكر أنه في صباح ٨ شباط/فبراير «وكنت مشبوحاً على شجرة في باحة مديرية الأمن العام، فصرخت فوراً بالسجان لإطلاق يدي وفعلاً ارتبك وفعل ذلك ثم انتقلت إلى القاووش المشترك، فوجدت علي صالح السعدي وبعثيين وشيوعيين ومن الحزب الديمقراطي الكردستاني، وفي المقدمة حبيب كريم عضو المكتب السياسي ودار الحوار بيني وبين علي صالح السعدي: لمن الانقلاب؟ وكل منا يقول إن الانقلاب للآخر». فحواتمة في تلك اللحظة يعلم أن الموعد ٢٢/٢٣ شباط/فبراير ١٩٦٣ وعليه تشكك بإمكانية تقديمه دون يقين، وعليه أشار أن الانقلاب للبعث وعلي صالح السعدي في ذهنه موعد آخر، ولذلك لم يكن على يقين من أمر الانقلاب، ولذا حاور أن الانقلاب لحركة القوميين العرب وحلفائها من الضباط القوميين المستقلين. وجاءت التعليمات بإطلاق حرية كل القوميين (بعث، حركة، قوميون، مستقلون) ويستطرد حواتمة بالقول فيذكر أن مساء يوم إعدام عبد الكريم قاسم كان حواتمة والكبيسي في مبنى الإذاعة العراقية في بغداد، «وسلاحنا بيدنا وفي الجوار تجري محاكمة خاطفة لقاسم برئاسة رئيس الجمهورية الجديد عبد السلام عارف»[165].

لقد ركز حزب البعث سلطته في العراق في هيئة سرية حملت اسم المجلس الوطني لقيادة الثورة، واضطلعت هذه الهيئة بمهام سلطة تشريعية تسن القوانين وتتابع تنفيذها. وكانت نمطاً من أنماط الشرعية الثورية التي راجت وقتها حينذاك في العالم الثالث. وكان المجلس الوطني لقيادة الثورة في العراق بعثياً برمته باستثناء عبد السلام عارف وعبد الغني الراوي (١٦ بعثياً من أصل ١٨)، وكانت حكومة أحمد حسن البكر حكومة بعثية. وقد استمد الوزراء القوميون المستقلون في حركة البكر أهميتهم من استثمار فريق البكر لهم في صراعه مع فريق السعدي، في حين توافق هؤلاء الوزراء مع هذا الاستثمار انطلاقاً من قربهم من القوى القومية المقصاة عن الحكم بالارتباط ما بين ذلك وبين عدائهم لسلطة السعدي الحزبية والميليشياتية، وبذلك حدث توافق في ما بينهم وبين فريق البكر[166].

وعلى الرغم من إمساك حزب البعث بقبضة السلطة، فإن حركة القوميين العرب بقيت تلوح بتأييدها للثورة. وتحت عنوان «الثورة... وقضية الديمقراطية»

(١٦٥) رسالة خطية للباحث من نايف حواتمة بتاريخ ٦/٩/٢٠٠١، ص ١٨ - ١٩.

(١٦٦) باروت، **حركة القوميين العرب: النشأة - التطور - المصائر**، ص ١٨٩.

أشادت صحيفة **الوحدة** الناطقة بلسان حال حركة القوميين العرب بالثورة، وأكدت في مقالتها أن ثورة ٨ شباط/فبراير دحرت الصيغة الديمقراطية المزيفة التي تستر بها حكم قاسم الدكتاتوري، عندما أقام واجهات تنظيمية مزيفة استهدفت تخريب الحركة العمالية والفلاحية والمهنية، وتضليل الجماهير بما تتقيأ به هذه الواجهات من سموم رجعية. وطرحت الثورة صيغة ديمقراطية ذات مدلولات قومية تقدمية، حيث يكمن السلاح الذي به تصون الثورة ذاتها وتضمن سلامة اتجاهها، فالصيغة الديمقراطية الثورية في رأي الصحيفة هي التي تقطع الطريق على القوى الرجعية الاستعمارية والقوى الشعوبية والشيوعية لتمكين الحركات القومية المنظمة من حماية دورها الكامل في توجيه الجماهير ضمن خط وحدوي اشتراكي منظم يدفع بها نحو ضرب طوق فولاذي على أعداء الثورة، مما يمكن جماهير شعبنا من ممارسة حقها، وللمرة الأولى في تاريخ العراق الحديث، في عملية صنع مستقبلها ومراقبة مسيرة الثورة، واقفة بالمرصاد لكل حملات الردة مهما كان مصدرها[167].

وواصلت حركة القوميين العرب تعميق موقفها الإيجابي المساند لثورة ٨ شباط/فبراير من خلال صحيفتها **الوحدة**، وتحت عنوان «المهمة الآنية للحركة الشعبية الثورية» وأوضحت الصحيفة في مقالتها الافتتاحية أن قوى الاستعمار والرجعية الداخلية والعربية قد ظنت أن حملة الضغط التي يقودها المعسكر الشرقي على جمهوريتنا كفيلة بتحويل أنظار الجيش والشعب عن تحركاتهم السوداء، فراحت عواصم الرجعية في عمان والرياض ودمشق، تلملم صفوفها بينما راح الاستعمار البريطاني، يحيط الشيوخ والأمراء بحملة من الضغط والتخويف مستهدفاً من ورائها إنزال قواته المسلحة لتعسكر في الخليج وتحولها إلى قاعدة عسكرية، فيتم ضرب طوق رجعي استعماري حول العراق يمكّن الاستعمار من إسناد التآمر الرجعي الداخلي والعربي، عندما تحين الفرصة المناسبة. واستطردت المقالة الافتتاحية للصحيفة أن إحباط المخطط الرجعي الاستعماري لن يتم إلا بتوفر الفهم الثوري لدى الحركات الشعبية المنظمة لطبيعة المرحلة الصعبة التي تجتازها ثورتنا وتوحيد قواها نظرياً وعملياً، وأن مهمة توفير المناخ الديمقراطي الكفيل بتأسيس الجبهة الوحدوية الشعبية على قواعد صلبة يقع في رأي الصحيفة على عاتق القوى العقائدية المنظمة وفي طليعتها حركة القوميين العرب وحزب البعث العربي الاشتراكي، لأن هذه القوى - وكما جاء في المقالة - هي التي تحملت عبء النضال ضد الدكتاتورية والشعوبية، وهيأت المناخ الخصب شعبياً وعسكرياً لنجاح العمل

(١٦٧) **الوحدة**، ٦/٣/١٩٦٣.

الثوري صبيحة الثامن من شباط/ فبراير[١٦٨].

وواصلت الحركة موقفها في إسناد الثورة ودعمها أمام التحديات والمشكلات التي تعتري طريقها، ومن تلك المشكلات القضية الكردية، حيث اتسم موقف الحركة بالدعم والإسناد لنهج الثورة في معالجة تلك المشكلة. وتحت عنوان «الثورة والقضية الكردية» أفصحت صحيفة **الوحدة** في مقالتها الافتتاحية عن موقف الحركة حيال تلك المشكلة، وقالت إن التأزم الذي لا مبرر له، والذي يخيم في سماء العلاقات بين العرب والأكراد أصبح من الضرورة وضع حد له، وإحلال علاقات إيجابية تنسجم ومجرى الأخوة التاريخية التي رافقت حياة العرب والأكراد على مر العصور. وإن التأزم القائم لم يكن أبداً من صنع الجماهير سواء أكانت عربية أم كردية. وأردفت الصحيفة في مقالتها أن ثورة ٨ شباط/فبراير ثورة ديمقراطية تقدمية جاءت تتويجاً لنضال الجماهير العربية الكردية، هذا النضال الموجه ضد جميع القوى المعادية لأماني الشعب وضد الإقطاعية والانتهازية والإمبريالية التي امتصت كدح العرب والأكراد، وعملت باطلاً على تأزيم العلاقات الأخوية بينهم خدمة لمصالحها، محاولة التستر على عدوانها لتصوير هذا التأزيم وكأنه معركة بين القومية العربية والأكراد. وواصلت الصحيفة مقالتها قائلة إن ثورة الثامن من شباط/فبراير فتحت الباب على مصراعيه للقاء أخوي أصيل لوضع حل ديمقراطي يضمن إزالة التأزم القائم والذي لا مصلحة للجماهير العربية والكردية فيه. وإن الخطوة الأولى لمثل هذا اللقاء، في رأي الصحيفة، تبدأ في التقاء جميع أطراف الحركة القومية التقدمية في العراق عربية أو كردية لدحر كل محاولات الاستعمار من الشيوعيين والرجعيين للدس بين العرب والأكراد. وأكدت الصحيفة أن مثل هذه الخطورة لا تعني بالطبع عزل بحث القضية عن مجمل أطراف حركة النضال العربي بل إن بحثها بين أطراف الحركة القومية التقدمية في العراق يعتبر خطوة أساسية لطرح القضية على صعيد قومي عربي عام يسهم في الوصول إلى الحل الإيجابي المنشود[١٦٩].

وتحت عنوان «الثورة ترفض الاحتكار السياسي» كتبت صحيفة **الوحدة** مشيرة في البداية إلى نص من منهاج المجلس الوطني، والذي يؤكد أن من مهام الثورة الشعبية الديمقراطية في العراق مهام جسيمة لا يمكن أن تحققها فئة أو طبقة اجتماعية معينة مهما كانت إمكانياتها. وانطلاقاً من هذه الإشارة وهذا التأكيد نبهت حركة القوميين العرب الثورة من الضياع والإجهاض والانحراف التي أصابت أكثر من ثورة عربية،

(١٦٨) المصدر نفسه.

(١٦٩) **الوحدة**، ٧/٣/١٩٦٣.

وانتزعت منها كل محتواها التقدمي والديمقراطي لتحيلها إلى جثة هامدة تتكالب عليها القوى المعادية وترجع بقارب التاريخ إلى الوراء لتعيد التسلط الرجعي الاستعماري إلى بلد الثورة. ففي تاريخ النضال العربي الحديث أجهض الحكم الوطني في الأردن وأجهضت ثورة ١٤ تموز/يوليو ولحقت بها ثورة الوحدة التي أجهضها الانفصال، وهكذا عاد الظلام يلف وجه المنطقة في أعقاب سلسلة من انتصارات لم تثبت طويلاً. ولكي نحمي الثورة من مصير أسود يخططه لها أعداؤها من استعماريين ورجعيين وشيوعيين علينا أن نستفيد من تجاربنا الثورية ونضع أصابعنا على دروس وتجارب الماضي لتكون ذخيرة حية لثورتنا تستفيد منها في إرساء حياتنا الجديدة على أرض صلبة تضمن لها الديمومة والتطور عبر الخط الوحدوي الديمقراطي الاشتراكي. وأكدت الصحيفة أن تحقيق مهمات الثورة يكمن في وضع صيغة عملية تعتمد جميع القوى القومية المنظمة دونما امتياز لفئة على أخرى، لتتمكن الثورة من شق طريقها وتحقيق الظفر على جميع أعدائها في الداخل والخارج[١٧٠]. ويبدو للباحث أن مقالة صحيفة **الوحدة** لسان حالة حركة القوميين العرب تحذير واضح لسلطة شباط من الانسياق وراء الأفق الحزبي الضيق، والانفراد بالسلطة بمعزل عن القوى العربية القومية الأخرى، وفي مقدمتها حركة القوميين العرب.

وفي مقالة تحت عنوان «حتى لا يفرقنا الطوفان» حذرت صحيفة **الوحدة**، وهو ما يعكس كما أسلفنا الموقف الحقيقي لحركة القوميين العرب، من الحملات التعبيرية السلبية حيث تتصدر الكثير من المجالات لتضيع قضية الشعب التي هي قضية الوحدة الاشتراكية. وأوضحت الصحيفة في تحذيرها أنه شاع في قاموس السياسة هذه الأيام سيل من الألفاظ تنشر بلا مسؤولية ولا وعي مخلص. فكل من خالف مصادر هذا السيل رأياً، وصم فوراً وبدون تردد بالسطحية والعاطفية والذيلية... الخ من التعابير السوقية لتضييع القضية وإلجام الآخرين عن إبداء آرائهم وقبل أية عملية تصحيح متبادلة بين أطراف الحركة القومية التقديمة في العراق. وفندت الصحيفة أساليب الانتهازيين الذين يحاولون اليوم التسلق فوق الأسوار لتنخر في جسم الثورة وفي جسم الشعب، وتطعن أقدس أهدافه تحت ستار رجم الآخرين بالعاطفية والسطحية وهم أبرز أبطالها[١٧١]. ويبدو مما تقدم أن موقف حركة القوميين العرب من ثورة ٨ شباط / فبراير ١٩٦٣ كان موقفاً بناء وجريئاً وحريصاً

(١٧٠) **الوحدة**، ١٢/٣/١٩٦٣.

(١٧١) **الوحدة**، ٢٥/٣/١٩٦٣.

على نهجها الوطني القومي، وبخاصة خلال الأشهر الأولى للثورة.

رابعاً: الحركة تخطط للقضاء على سلطة البعث (حركة أيار/ مايو ١٩٦٣)

تعد ثورتا شباط/ فبراير وآذار/ مارس في العراق وسوريا انعطافاً مهماً في تاريخ حركة الثورة العربية ببعديهما القومي والوحدوي، حيث كانتا استجابة رائدة لآمال الجماهير العربية، وتجسيداً حياً لإرادة الشعب العربي في العراق وسوريا وتطلعه للوحدة كرد فعل حقيقي لكارثة الانفصال الذي وقع في أيلول/ سبتمبر ١٩٦١. إلا أن ثورتي شباط/ فبراير وآذار/ مارس اللتين فجرهما حزب البعث كانتا بحاجة إلى استراتيجية عملية ووضوح نظري لتطوير الواقع العربي على ضوء معطيات التجربة والممارسة، لأن الثورة وأية ثورة هي التزام قاس بين السلوك والمبدأ. ومن هذا المنطلق فإن حركة القوميين العرب في العراق بدأت تتخبط بين السلوك الذي مارسه بعض قياديي حزب البعث وبين المبادئ والأهداف التي حملها البعث عندما فجر ثورتيه في بغداد ودمشق. وعندما تصاعدت وتائر ذلك التخبط تحول إلى خلافات أدت إلى تردي العلاقات بين البعث والحركة، وتوتر العلاقة بين حزب البعث والحركة بسبب تعطيل صحيفة **الوحدة**، وإغلاق المركز الثقافي العربي إضافة إلى حملة الاعتقالات الواسعة التي جرت في صفوف أعضاء الحركة ومؤيديها أثناء مباحثات الوحدة بسبب التظاهرات التي قامت بشكل عفوي لتأييد الوحدة. وزاد ذلك التردي في العلاقة اعتقال نايف حواتمة، وتسفيره خارج العراق. وفي بداية الشهر الرابع من عام ١٩٦٣ أبلغ سلام أحمد القيادة بأن التنظيم العسكري للحركة وبعض الكتل العسكرية المتحالفة معه متوجسة من الأوضاع. وقد بدأ البعث بإحالة البعض على التقاعد ونقل الآخرين إلى الشمال بعد تجدد الحركات العسكرية ضد الأكراد، وهناك خشية من فقدانهم لقوتهم فضلاً عن التطورات السياسية بعد فشل مباحثات الوحدة في القاهرة وبدء حملة إعلامية مبطنة ضد عبد الناصر ونظامه وأنصاره في القطرين... الخ وإنهم يريدون التخطيط للقيام بانقلاب عسكري.. وقد كرر هذا الطلب في جميع اجتماعات القيادة وعند عرض الموضوع على المركز لم يكن هناك تحبيذ لهذه الفكرة[١٧٢]. ومنذ شهر نيسان/ أبريل بدأت حركة القوميين العرب بالتخطيط لقلب النظام، وتولى سلام أحمد مهمة الاتصال ببعض العناصر القومية في الجيش عن طريق المكتب العسكري للحركة، والذي كان أبرز أعضائه

(١٧٢) انظر محاضرة الحلو، «حركة القوميين العرب في العراق ١٩٥٨ - ١٩٦٦،» ص ١٨ - ١٩.

الرائد مزهر جواد الزبيدي والرائد الركن إبراهيم إسماعيل العاني والنقيب شهاب أحمد الأعظمي، وعلى الرغم من أن القيادة المركزية للحركة لم تحبذ فكرة المحاولة إلا أن سلام أحمد تمكن من إقناعها بدعوى المخاطر التي تهدد بتصفية تنظيمات الحركة من جهة، والأشواط الكثيرة التي قطعها العسكريون بالتخطيط والإعداد للمحاولة من جهة أخرى. وباشرت قيادة الحركة ببحث الأمور السياسية الداخلية والخارجية في حالة تنفيذ المحاولة ونجاحها، إلا أن المحاولة اكتشفت قبل تحديد تنفيذها[١٧٣].

أما سلام أحمد فيذكر: «إنه بعد تردي العلاقات بين سلطة شباط/ فبراير وحركة القوميين العرب نتيجة حملات الملاحقة والاضطهاد التي واجهتها الحركة التقيت مع ميشل عفلق في فندق الأمباسدور وتم تذكيره بالنادي الثقافي العربي في بيروت، وحيث كنت عضو هيئة إدارية في النادي وكان عفلق يلقي محاضرات ثقافية، كان اللقاء معه ودياً وكان متفهماً للأمور وإلى أبعد الحدود، وبعد أن استعرضت له الأحداث والتجاوزات على القوميين، امتعض وأخبرني بضرورة الاتصال بصالح مهدي عماش وعلي صالح السعدي وحازم جواد، وجرى ترتيب لقائي مع صالح مهدي عماش حيث اتسم اللقاء بالحدة والانفعال، من قبل عماش، حيث استنكر وجود الحركة أو عدم وجودها، وأجبته بأن الدول تصرف الملايين لتأسيس المؤسسات الإعلامية والصحفية من أجل كسب مواطن عادي باعتباري أحد خريجي العلوم السياسية وأنت تستنكر وجود الحركة المتعاونة والمتفانية مع الحزب بهذه الطريقة..! أما اللقاء مع علي صالح السعدي فلم يتحقق بسبب إخباري من قبل السكرتير بأن فترة المقابلة يجب ألا تتعدى الخمس دقائق فقط، فرفضت تلك المقابلة ولم أستطع أيضاً مقابلة حازم جواد، وتكشفت الحملة على أعضاء الحركة من مطاردات تحت حجج لا تمت للواقع بشيء حيث نشرت إحدى الصحف أن الحركة قد أصدرت بياناً معادياً للحكومة، وأردنا تكذيب الخبر إلا أن سلطة شباط/ فبراير رفضت نشر التكذيب، ومن الدلالات الأخرى أن غسان كنفاني كان قد كتب خاطرة ساخرة غير مقصودة وقد فسرت سلباً ضد السلطة، فتم اعتقال باسل الكبيسي، وتم التوصل إلى قناعة بأن القضاء على الحركة سيكون نصيبها»[١٧٤]. ومن جانب آخر فقد قال ميشيل عفلق في اجتماع مغلق خلال دورة حزبية عقدت عام ١٩٦٤ مشيراً إلى القيادة القطرية في العراق بعد الثورة - أي ثورة شباط/ فبراير - «بدأت أشعر بالقلق من

(١٧٣) سلمان، «التطورات السياسية الداخلية في العراق ٨ شباط - ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣،» ص ٢٦٠ - ٢٦١.

(١٧٤) مقابلة مع سلام أحمد بتاريخ ٣ آذار/ مارس ٢٠٠١.

فرديتهم وطريقتهم الطائشة في تصريف الأمور واكتشفت أنهم ليسوا من عيار قيادة بلد وشعب، بل إنهم يصلحون لظروف النضال السلبي». وعلى الرغم من أن عوامل سببية أعمق كانت فاعلة، فقد كانت بقايا حزب الاستقلال والناصريين عموماً والحركيين ضمناً والحزب العربي الاشتراكي الحديث التأسيس قد أصبحوا كلهم معادين للنظام البعثي. وكان الحركيون قد أخذوا يحتجون منذ مدة على حرمان المنظمات القومية التقدمية من حركة العمل. وفي نيسان/ أبريل تحدثت مجلة **الحرية** الناطقة باسمهم في بيروت عن صدامات دامية وقعت في الموصل والكرخ وأماكن أخرى، بين أتباعهم وأفراد الحرس القومي، وفي ٢٥ أيار/مايو صدر عن مجلس قيادة الثورة بيان يتهم الحركيين والرجعيين والأذناب والإنتهازيين وعناصر حاقدة أخرى بتدبير مؤامرة سوداء ضد الدولة وهي تهمة وصفها الحركيون فوراً بأنها زائفة كلياً ومجرد محاولة لتغطية خطة مدبرة لتصفية العناصر الوحدوية التقدمية المعروفة بصمودها ونضالها القومي داخل الجيش وخارجه[١٧٥]. وفي نيسان/ أبريل كان البعثيون منقسمين على أنفسهم حول موقفهم من إقامة جبهة قومية، حيث وقف حازم جواد بتأييد من طالب شبيب إلى جانب إقامة جبهة سياسية مع قوميين آخرين. ولكن علي صالح السعدي تمسك بخط متصلب تجاه ذلك، وقد تزايد نفوذه بفضل إمساكه لآلية الحزب بقبضة قوية وسيطرته على نظام الشرطة والاستخبارات، ولكنه بدا للعديد من أعضاء مجلس قيادة الثورة متهوراً في قراراته ومتطرفاً في أقواله، وغير مبال بمشاعر الآخرين وآرائهم. وفي حزيران/ يونيو وصل النزاع ذروته حول الحرس القومي الذي كان السعدي قد حول رعايته له وكل طاقاته[١٧٦]. ويذكر طالب شبيب: «إننا لم نكن وحدنا نشتكي من السعدي بل اشتكى منه عضو القيادة محسن الشيخ راضي وحمدي عبد المجيد، فضلاً عن أعضاء في القيادة القومية عند زيارتهم للعراق، فقد تصرفنا بعدم التصرف كمعارضة بل كرجال دولة، والابتعاد جهد الإمكان عن المنتديات الصاخبة وبدلاً من أن يلتزم السعدي بذلك تجاوز في إهاناته حدود البعث إلى ممثلي الفئات السياسية الأخرى، لا سيما القوميين الذين اتهمهم بالجبن في الوقت الذي كنا فيه نبذل جهوداً لجمعهم حولنا في إطار سياسي أوسع من إطار الحزب، مثلما كنا قد جمعناهم بنجاح في فترة سابقة قبل الثورة في التجمع القومي الذي ضم حزب البعث وحزب الاستقلال وحركة القوميين العرب وغيرهم. لكن السعدي لم يحسب للقوميين حساباً ولم يعطهم اعتباراً، واعتقد بعدم إمكانياتهم

(١٧٥) بطاطو، **العراق**، ج ٢: **الحزب الشيوعي العراقي**، ص ٣٢١ ـ ٣٢٥.

(١٧٦) المصدر نفسه، ص ٣٢٩.

على منافسة البعث»[١٧٧]. لقد كان القوميون بشكل عام يضغطون من أجل تشكيل جبهة قومية وبحكم الالتزام الشكلي بما تضمنه ميثاق ١٧ نيسان/ أبريل، فإن السعدي وافق على الاتصالات بشأن هذه الجبهة إلا أنه أصر على استبعاد حركة القوميين العرب، وتولى تنسيق ذلك الشخصية القومية والمعروفة فائق السامرائي حيث انتهى التنسيق إلى قرار الإعلان عن تشكيل هذه الجبهة في ٢٧ أيار/مايو، وإثر سقوط حكومة البيطار في سوريا وإقصاء السعدي من الداخلية في حكومة البكر إلى الإرشاد، وفي حدود ١٨ أيار/مايو أي قبل كشف السعدي عن المؤامرة الحركية بأسبوع على الأقل وصفت الحركة البعث بأنه يتحدث عن الوحدة ويمارس سياسة الانفصال. وفي سياق هذا الجو المشحون كان الجميع يترقبون ما سيقوله عبد الناصر بشأن مصر حول ميثاق ١٧ نيسان/ أبريل في خطابه في ٢٠ أيار/مايو بمناسبة عودة بعض الوحدات المصرية من اليمن، إلا أن عبد الناصر لم يعلن سقوط الميثاق بل اكتفى باتهام البعث ضمناً بالتلاعب بـ«الأهداف الكبرى»، ووصف ذلك بأنه ليس تورطاً سياسياً أو حزبياً، بل إساءة إلى شرف التضحيات. وقبل ثمانٍ وأربعين ساعة من إعلان بيان تشكيل الجبهة القومية في العراق أعلن علي صالح السعدي يوم ٢٥ أيار/مايو ١٩٦٣ عن كشف مؤامرة سوداء ضد الثورة أعدت لها فئات[١٧٨]. ربطت مصيرها بالثورة في يومها الأول ثم ارتدت عليها بعد نجاحها[١٧٩]. وعلى ضوء ما تقدم يبدو أن الانغلاق في وجه الفئات القومية بشكل عام والحركة بشكل خاص سمة اتصف بها الجناح المتنفذ داخل السلطة في العراق بعد ثورة ٨ شباط/فبراير ١٩٦٣. ولم يتمكن علي السعدي من فهم صيغة تطور الوضع السياسي في العراق، لجهله للوسائل التي يمكن بواسطتها تحقيق النصر والأهداف المرسومة لثورة ٨ شباط/فبراير. إن انتصار الثورة تحقق من دون شك بقيادة حزب البعث وبتضحية أعضائه وشجاعتهم، إلا أن ذلك الانتصار تحقق كذلك بتعاون الجماعات القومية الأخرى مع الحزب، إذ لولا تعاون الضباط القوميين والمستقلين مع الضباط رفاق الحزب لما كان ممكناً أن تحقق الثورة انتصارها على عبد الكريم قاسم. غير أن بعض

(١٧٧) سعيد، **عراق ٨ شباط ١٩٦٣ من حوار المفاهيم إلى حوار الدم: مراجعات في ذاكرة طالب الشبيب**، ص ١٤٢ ـ ١٤٣.

(١٧٨) حدد السعدي الفئات المتآمرة بـ حركة القوميين العرب وسلام أحمد والحزب العربي الاشتراكي، عبد الرزاق شبيب والرابطة القومية، هشام الشاوي وجماعة العهد الملكي محمد مشحن الحردان وطالب السهيل، وأضاف السعدي إليهم فؤاد الركابي وإياد سعيد ثابت، ووصف السعدي سلام أحمد عضو قيادة إقليم العراق بأنه رأس الحركة وضابط اتصالها.

(١٧٩) باروت، **حركة القوميين العرب: النشأة ـ التطور ـ المصائر**، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

قادة الحزب قد غضوا النظر، وتنكروا لهذه الحقيقة من أجل مطامحهم المبالغ فيها وانشغالهم بأمور فكرية جانبية تحت مفاهيم متطرفة حيث بدأوا باتخاذ مواقف معادية تجاه كل الفئات القومية متجاهلين تأثير هذا النهج في ضباط الجيش العراقي، والذي أصبح بعض رجاله يتعاونون بطريقة أو بأخرى مع تلك الفئات كحركة القوميين العرب وغيرها من القوى التي فقدت تأييدها وإسنادها من السلطة. وعلى أي حال فقد أعلن المجلس الوطني لقيادة الثورة بياناً مساء يوم ٢٥ أيار/مايو ١٩٦٣ أوضح فيه اكتشاف مؤامرة قامت بها عناصر من الزمر الذيلية المعزولة عن الشعب كالحركيين والذيليين والرجعيين وكل الزمر الحاقدة. ووصف البيان المؤامرة بأنها مؤامرة سوداء تبنتها واضطلعت بمهمتها كل الزمر الحاقدة على الشعب[١٨٠]. ومن جانب الحركة فقد اجتمعت قيادتها الإقليمية في العراق بشكل سريع لدراسة الأوضاع وتقرر اختفاء سلام أحمد بأية وسيلة لأن بيانات السلطة تركز عليه. وبعد أيام معدودة جرى اعتقال سلام أحمد وأمير الحلو وغادر وليد قزيها العراق وبقي عبد الإله النصراوي وهاشم علي محسن. ومن ثم تم الإعلان عن تشكيل محكمة خاصة لمحاكمة المتآمرين، ولكن المحكمة لم تنعقد بالرغم من انتهاء التحقيق وإحالة الأوراق إليها وإنما جرى التحقيق معهم من قبل عدد من المسؤولين وفي مقدمتهم محسن الشيخ راضي وهاني الفكيكي عضوا القيادة القطرية إضافة إلى القاضيين شامل الشيخلي وقيس المختار. ويذكر البعض أن الرئيس اليمني عبد الله السلال قد نقل رغبة الرئيس عبد الناصر إلى السلطة في العراق بعدم إيقاع العقاب بالقوميين خلال زيارته للعراق في آب/أغسطس ١٩٦٣، وبالفعل تم إطلاق سراح أعداد كبيرة من المعتقلين المدنيين والعسكريين، وبقي في السجن سلام أحمد وأمير الحلو وبعض العسكريين حتى تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٣. أما عن وضع قيادة الإقليم لتلك الفترة، فقد غادر عبد الإله النصراوي العراق، وبقي هاشم علي محسن لذلك قامت قيادة الحركة (المركز) بتعزيز قيادة إقليم العراق إذ عاد إلى العراق د. غسان العطية وجرى إدخال عناصر قيادية من الكويت وهم سليمان العسكري والمحامي علي رضوان والنقابي العمالي عبد العال ناصر والفلسطيني عزام كنعان، حيث تشكلت القيادة منهم. وفي أواخر شهر أيلول/سبتمبر ١٩٦٣ جرى اعتقال جميع المذكورين عدا غسان عطية الذي هرب خلال اعتقاله. وعادت الاعتقالات من جديد لأعضاء الحركة من المدنيين، ويظهر أن وساطة حصلت لإطلاق سراح الكويتيين الذين عادوا بعد فترة[١٨١]. أما سلام أحمد

(١٨٠) **الجماهير**، ٢٦/٥/١٩٦٣.

(١٨١) مقابلة شخصية مع أمير الحلو بتاريخ ٦ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٠.

فيذكر أنه تم الإعداد للقيام بالحركة الانقلابية بالتعاون مع بعض الضباط القوميين. وكان أبرز الحركيين العسكريين المكلفين بالمهمات الزعيم الركن عبد المنعم المصرف والعقيد المتقاعد صالح عبد المجيد السامرائي والرئيس الأول الركن مزهر حامد عبد الصالح والعسكري النشط مشعل عواد الساري. وكان دوري مسؤولاً عن التنظيم العسكري وكان رد الفعل بالنسبة إلى السلطة عنيفاً وقاسياً وبدون تفهم. وكان من بين الموقوفين[١٨٢]: «عدنان الشطب وعبد الحسين الربيعي وجواد الدوش وأمير الحلو وعبد الهادي الراوي وجابر حسن حداد وصالح عبد المجيد السامرائي وكنت في زنزانة لوحدي»[١٨٣]. وفضلاً عما تقدم فقد حرص علي صالح السعدي نائب رئيس الوزراء ووزير الإرشاد على نفي الإشاعات القائلة بأن المؤامرة ناصرية مؤكدين على أن الحركيين كانوا على رأس المؤامرة التي ضمت أيضاً عناصر رجعية وإقطاعية معروفة. أما فرض الإقامة الجبرية على محمد صديق شنشل وعبد الرزاق شبيب فذلك لورود اسميهما في اعترافات المتهمين وكونهما مرشحين في وزارة المؤامرة. وأضاف السعدي أن عدد المعتقلين لا يتجاوز الخمسين ولم يجر تسريح الضباط واعتقال المئات منهم مثلما روجت تلك الإشاعات. وأكد السعدي حرص الثورة على تمسكها بميثاق الوحدة الثلاثية. وأدلى الدكتور مسارع الراوي وزير الدولة لشؤون الوحدة الاتحادية، أن ما حدث هو أمر داخلي بحت لا يؤثر في سير الوحدة، بل على العكس سيجعل الوحدة تسير في طريقها الشعبي السليم[١٨٤].

وعن حقيقة المؤامرة التي نفتها حركة القوميين العرب كلياً، فقد كانت خطة فعلية أعدتها قيادة الإقليم بموافقة قيادة الحركة، وذلك من خلال اعتراف المتهمين. واعتمدت هذه الخطة عسكرياً على التنظيم الحركي في الجيش وعلى كتلة العميد عبد الهادي الراوي والمقدم جابر حسن حداد القومية. وبعبارة أدق فإن التنسيق والتعاون بين المكتب العسكري لحركة القوميين العرب وبين كتلة «الراوي ـ حداد» القومية كان تعاوناً مرحلياً في تلك الفترة وليس تعاوناً وتنسيقاً دائمين. ولم يكن لبقية الضباط

(١٨٢) في مطلع آذار/مارس ١٩٦٣ تم اعتقال نايف حواتمة على يد رفاق الأمس من عناصر حزب البعث والتي كانت مع حواتمة في سجون مديرية الأمن العام وسجن بغداد المركزي، إبان نظام عبد الكريم قاسم، وبعد قرار إبعاد نايف حواتمة خارج العراق، تدخل عبد الناصر لإطلاق حرية حواتمة واستعداد مصر لاستقباله، وكذلك تدخل ميشيل عفلق كي لا يتم ابعاد حواتمة إلى الأردن وعليه حكم بالإعدام بعد انقلاب نيسان ١٩٥٧ وكان له من العمر ١٩ سنة. وفي أواسط آذار/مارس ١٩٦٣ تم إبعاد حواتمة إلى مصر، وبعدها انتقل إلى لبنان. وذلك في رسالة للباحث من الاستاذ نايف حواتمة بتاريخ ٦/٩/٢٠٠١.

(١٨٣) مقابلة شخصية مع سلام أحمد بتاريخ ٣ كانون الثاني/يناير ٢٠٠١.

(١٨٤) سلمان، «التطورات السياسية الداخلية في العراق ٨ شباط ـ ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣،» ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤.

القوميين والمحسوبين على عبد الناصر دور فيها، فكتلة صبحي عبد الحميد مثلاً كانت ضمن مفاصل السلطة، وتسيطر على مراكز عسكرية حساسة. وصبحي عبد الحميد نفسه كان مسؤولاً عن الخطط والحركات العسكرية في الجيش العراقي، إلا أنه لم يعلم بالحركة الانقلابية وليس له أي دور أو اسم فيها[١٨٥]. وهكذا قطعت الخطة شوطاً أساسياً بتشكيل حكومة قومية يترأسها محمد مهدي كبة (حزب الاستقلال) ويضطلع فيها العميد عبد الهادي الراوي بوزارة الدفاع وسلام أحمد بوزارة الخارجية، إلا أن الخطة تسربت إلى أجهزة السعدي قبل تنفيذها بسبب مفاتحة الرئيس الأول الركن إبراهيم إسماعيل العاني لأحد الضباط غير الحركيين بها، بهدف كسبه، فوشى هذا الأخير بما عرفه. وفي ضوء ذلك تمت الاعتقالات والإعلان عن المؤامرة التي كانت خطة ولم تدخل حيز التنفيذ. أما مشروع الجبهة القومية المحك الأساسي لتطبيق ميثاق ١٧ نيسان/أبريل فقد تم وأده تماماً، وأصبحت الكلمة الأخيرة للمنازلة في الميدان بين رفاق الأمس[١٨٦].

لقد ترك يوم ٢٦ أيار/مايو ١٩٦٣ (يوم الكشف عن المؤامرة) كثيراً من التصورات والأفكار حول مسؤولية وأسباب ذلك الحدث الذي مس الفئات القومية بشكل عام في العراق وحركة القوميين العرب بشكل خاص. فقد تعددت الآراء وتباينت المصادر في أسباب ذلك الحدث وتقويمه، فقد أكدت تصريحات عدد من كبار المسؤولين في مجلس قيادة الثورة وحزب البعث إدانتهم للمؤامرة وأهدافها، ففي تصريح لوكالة الأنباء العراقية أدلى به أحمد حسن البكر رئيس الوزراء أن الهدف من المؤامرة كان محاولة لئيمة الهدف منها نسف ميثاق الوحدة الثلاثية والمنبثق عن إرادة الشعب العربي في ١٧ نيسان/أبريل، وأضاف أن مدبري هذه المؤامرة هم من العناصر الرجعية الحاقدة على الوحدة نفسها التي نذرنا أنفسنا لتحقيقها. وفند البكر في تصريحه أن المتآمرين والرجعيين حاولوا إعطاء صفة مؤامرتهم طابعاً قومياً وتقدمياً في محاولة لتمرير مخططهم الدامي والانتهازي[١٨٧]. أما الدكتور مسارع الراوي وزير الدولة لشؤون الوحدة الاتحادية فيعزي السبب إلى الإفلاس السياسي الذي اتسمت به زمرة عناصر المؤامرة حيث انكشفوا على حقيقتهم بأنهم أعداء الشعب وأعداء الوحدة. وأضاف أن الحكومة الثورية خطت خطوة عملية إيجابية نحو تحقيق الوحدة بالتوقيع على ميثاق الوحدة الاتحادية في ١٧ نيسان/أبريل والذي سيكون الخميرة

(١٨٥) مقابلة مع صبحي عبد الحميد بتاريخ ٥ شباط/فبراير ٢٠٠١.

(١٨٦) باروت، **حركة القوميين العرب: النشأة ـ التطور ـ المصائر**، ص ٢٠٧.

(١٨٧) **الجماهير**، ١/٥/١٩٦٣.

الصالحة للوحدة العربية الشاملة[١٨٨]. وهنا يجهل الباحث ما يقصده مسارع الراوي في أن ميثاق ١٧ نيسان/أبريل سيكون الخميرة الصالحة للوحدة العربية الشاملة.. وفي برقية وجهها مقدم الجو منذر الونداوي القائد العام للحرس القومي إلى المجلس الوطني أوضح فيها أن الإجراءات الثورية من إطلاق حرية التنظيم الديمقراطي للمنظمات المهنية والنقابية والاستناد في أسلوب الحكم على جماهير الكادحين والعمال والعسكريين الثوريين والاقتصاديين الوطنين قد أرعبت الزمرة المتآمرة الخائنة وجعلتها تحاول هذه المحاولة الهزيلة. وأن شعبنا الذي تمرس في أساليب النضال الثوري الجماهيري لا تنطلي عليه مثل هذه المؤامرات، وسيبقى الحرس القومي دوماً وراء مجلسه الوطني لحماية الثورة[١٨٩]. أما صحيفة **الجماهير** الناطقة بلسان حزب البعث العربي الاشتراكي، فقد أدانت في مقالاتها المؤامرة والمتآمرين. وتحت عنوان «لن يتخلى العمال والفلاحون والجنود والضباط والكسبة والفقراء والكادحون عن ثورتهم الشعبية التقدمية»، أوضحت فيه موقفها من المؤامرة، وجاء فيه أن المؤامرة السوداء الغادرة هي ذروة المخططات التآمرية التي تعرضت لها الثورة منذ قيامها، وإن العناصر المخربة من حركيين وانتهازيين ورجعيين وحاقدين وعملاء استعمار كانت دائماً منعزلة عن معارك العرب النضالية والتي عملت دوماً على تخريب الحركة القومية الثورية. واختتمت الصحيفة مقالتها بالقول إنه بتصفية هذه الزمر المتآمرة تكون الثورة قد قضت على عقبة كأداء كانت تعرقل طريقها إذ انطلقت إلى أرض رحبة من العمل الثوري المستمر لبناء مجتمع الوحدة والحرية والاشتراكية[١٩٠]. وفي مقالة لاحقة كتبت **الجماهير** وتحت عنوان «الشعب الذي صنع ثورة رمضان والوحدة الثلاثية، لن يرضخ لزمر الحركيين والانتهازيين والذيليين والرجعيين التافهة» أدانت فيه المؤامرة موضحة أن الشعب امتلك مصيره ورسم خطوة حياته وسمى طلائعه وأنه لا يمكن أن يرضخ لزمر الحركيين والانتهازيين والذيليين وسيسحق كل من يفكر في التآمر على الثورة... وليكن المتآمرون الذين انكشفوا بالأمس عبرة لجميع الحاقدين والانتهازيين والطامعين[١٩١]. وهنا نشير إلى النعوت التي كانت تطلقها سلطة شباط/فبراير على مناضلي الحركة كالذيليين والانتهازيين حيث تشكل هذه المسميات السوقية عبئاً غير أخلاقي على مفردات الأدب السياسي. ونشرت صحيفة **الجماهير** على صدر صفحتها الأولى مقالة بقلم طارق عزيز رداً على ما زعمته بعض وسائل الإعلام

(١٨٨) **الجماهير**، ٢٩/٥/١٩٦٣.

(١٨٩) **الجماهير**، ٢٦/٥/١٩٦٣.

(١٩٠) المصدر نفسه.

(١٩١) **الجماهير**، ٢٧/٥/١٩٦٣.

والأقلام المصرية والتي كان أبرزها ما تطرق إليه محمد حسنين هيكل في أمور ولّدت في رأي كاتب المقالة انعكاسات سلبية على مسار الوحدة والعلاقات العربية كونها تشكل ركناً مهماً من أركان الإعلام المصري. وتحت عنوان «المصلحة من يبرر التآمر على بغداد ودمشق حتى لا تضيع الحقائق في متاهات التزوير» عبرت المقالة عن مناقشة لكاتب المقالة مع هيكل أوضح فيها عدة أمور ومنها أن حزب البعث في كل مكان لم يعلن لأحد بأنه مشتبك في معركة حياة أو موت مع الناصرية، بل إنه في الواقع أقرب حزب في الوطن العربي كله إلى عبد الناصر وشعاراته ونظامه، وأن ما استهدفه هيكل هو تبرير التآمر على بغداد ودمشق لكي يحاول كل من هب ودب الانقضاض عليهما من غير أي اعتبار للدرس القاسي الذي تلقاه أعداء الثورتين[١٩٢]. أما باسل الكبيسي فيرى أن عدم تشكيل الجبهة القومية وإخفاق حزب البعث في الالتزام بتنفيذ اتفاقية الوحدة بخصوص الجبهة أديا إلى تبعثر الفئات القومية في العراق، مما حدا الرئيس عبد الناصر على المناداة بقيام الحركة العربية الواحدة وتنصله من ميثاق الوحدة خلال الخطاب الذي ألقاه في ٢٣ تموز/يوليو ١٩٦٣ بمناسبة أعياد الثورة، وفي ذلك إشارة واضحة من الكبيسي عن ظروف وأسباب المحاولة الانقلابية.

ويفند سلام أحمد الظروف التي أحاطت بتلك الفترة فيذكر أن إلقاء ظلال الشك على كل فئة وكل جماعة خارج السلطة يؤدي بالتأكيد إلى العنف والعدوانية، وأن بعض عناصر السلطة في العراق بعد ثورة الثامن من شباط/فبراير حاولت سلخ الحكم في العراق عن كل القوى القومية الوحدوية دون استثناء. وكان محصلة ذلك أن وصل الحكم مرة واحدة إلى مواجهة مع القوى القومية والمستقلة وتلك المرتبطة بالقاهرة بوشائج الناصرية، مما أدى إلى إهمال حقيقي للقوى السياسية في العراق. وبدل أن يتخذ بعض قادة الحزب المتحمسين للثورية واليسارية سياسة تضم عناصر قومية ومستقلة مدنية كانت أم عسكرية وغير معادية للثورة، فإنهم ساروا في اتجاه ضم هؤلاء في صف واحد مع أعداء الحزب. وهكذا تمهد الطريق لسحب الحزب خارج السلطة لإنهاء تجربته الثورية. وقد بدأ هذا النهج أثناء مباحثات الوحدة، فبينما كانت التظاهرات والتجمعات تموج الشوارع والساحات لتعبر عن مشاعرها التأييدية لرسل الوحدة بشكل عفوي كانت سلطة شباط/فبراير تجابه ذلك بالعنف والقسرية. واستمرت هذه الحالة حتى ترجم ذلك النهج الانسلاخ من الالتزام بتشكيل الجبهة القومية والذي كان يشكل بنداً رئيسياً من بنود ميثاق ١٧ نيسان/أبريل، بل قبل

(١٩٢) الجماهير، ١١/٨/١٩٦٣.

الميثاق المذكور عند إعلانه من قبل مجلس قيادة الثورة، وذلك في ١٥ آذار/مارس ١٩٦٣ كمنهاج مرحلي، والذي تضمن إقامة جبهة من المنظمات القومية والتقدمية. وكانت موافقة حزب البعث في مباحثات القاهرة على تشكيل هذه الجبهة قد زودت حركة القوميين العرب وكل القوى القومية بأساس شرعي للمطالبة بتشكيل هذه الجبهة، وكان طموح الحركة أن يكون مبدأ التكافؤ والتوازن في تمثيل الأطراف على أساس القيادة الجماعية، وبعد تلاشي هذا الطموح بدأت مفترقات الطرق تأخذ مداها في التطورات السياسية[١٩٣]. ويستدل مما أدلى به المتحدث إشارة واضحة عن الأسباب التي أدت إلى تردي العلاقة بين حزب البعث والحركة، وكانت حصيلة تلك المحاولة الانقلابية موضوع البحث في حين يرى أمير الحلو أن هناك أسباباً أدت إلى قيام حركة أيار/مايو ١٩٦٣ وأهمها: تزايد الخلافات وكذلك تصفية الضباط القوميين من الجيش ونقل بعضهم إلى مناطق نائية أو مراكز عادية وإغلاق صحيفة **الوحدة** والاعتداء على رئيس تحريرها باسل الكبيسي مع حملات الاعتقالات المستمرة ضد كوادر الحركة وأنصارها، فضلاً عن عدم وجود أي اتجاه لدى البعث للتعاون مع القوى القومية في العراق، حيث أدى ذلك إلى ضغط التنظيم العسكري على القيادة للقيام بالحركة قبل تصفيته كلياً من الجيش. ويضيف الحلو في تقويمه لتلك المحاولة الانقلابية بأنها لم تكن صحيحة، ليس من حيث التنفيذ فقط وإنما في تقييم المرحلة التي تعقبها فيما لو نجحت تلك المحاولة. فالقيادة الإقليمية لم تكن قادرة على استلام الحكم وتحقيق الانسجام مع القوى القومية الأخرى، كما أن العسكريين لم يكونوا بسبب تركيبتهم الفكرية وطبيعة علاقتهم مع الحركة قادرين على الاستمرار في التعاون والخضوع لأوامر القيادة. وقد لمست ذلك وتيقنت منه خلال معايشتي لهم فترة السجن معهم. وكان يمكن أن يدخلوا في صراعات شديدة بينهم ومع القيادة[١٩٤].

وهكذا يبدو أن الجروح التي تتركها الصراعات وما تؤدي تلك الصراعات من حساسيات وجرح مشاعر، وخاصة عندما تستفحل بسبب شحن تلك الحساسيات بالبغض والاستخفاف بمشاعر الطرف المقابل وكرامته، ما يؤدي إلى ضياع الأهداف المشتركة وفقدان ما هو أساسي وصميمي تحت ركام التشنج والابتعاد عن المنطق بحيث تجعل الحالة أسيرة الانفعالات والغرائز ويؤدي ذلك إلى الوصول بالعلاقات للإساءة إلى الذات أولاً، وإلى الطرف الآخر ثانياً، ولعل هذا ما حدث لثورة ٨

(١٩٣) مقابلة مع سلام أحمد بتاريخ ٣/١/٢٠٠١.
(١٩٤) مقابلة شخصية مع أمير الحلو بتاريخ ٦/١١/٢٠٠٠.

شباط/ فبراير، ووضع العراقيل أمام تحقيق أهدافها.

ومهما يكن من أمر، فإن سلطة شباط/فبراير قد أجهدت أداتها الثورية وهي عناصر حزب البعث في مهمات السلطة، ولم تبحث السلطة جدياً في تكوين أداة قادرة على النهوض بمهمات السلطة والدولة دون إرهاق الجهاز الحزبي وجماهيره بمفردات تلك المهام. وكان يفترض أن يكون حزب البعث صمام الأمان للثورة دون زجه في التفاصيل لكي يأخذ دوره القيادي للجماهير، فضلاً عن أن قيادة السلطة والجماهير تستوجب أركاناً مهمة، وفي طليعتها استيعاب مستلزمات للمرحلة والمستقبل والكفاءة في الأداء ووضوح الرؤية والقصد، ناهيك عن استحواذ بعض الضباط على السلطة، والذين لم يؤمنوا بالتحزب ولم يدركوا أسس العمل الجماعي، مما عجل في تعثر الثورة. وهذا ما أكدته الأحداث في تقصير عمر الثورة.

خامساً: قيام الاتحاد الاشتراكي العربي وعلاقته بالحركة (١٩٦٤ ـ ١٩٦٦)

من الثوابت التي لا تقبل أدنى عوامل التشكيك أن ثورة ٢٣ تموز/ يوليو ١٩٥٢ بقيادة الرئيس عبد الناصر قد أسهمت بشكل فعال في إنهاء عهد الاستعمار في المنطقة العربية، سواء كان ذلك الإسهام مباشراً أو غير مباشر، وخاطبت الدول العظمى مخاطبة الند للند، فرفضت الأحلاف العسكرية وأممت قناة السويس، وصمدت بوجه العدوان الثلاثي، وساهمت في دعم حركات التحرر العربي، ومنها المساعدة على اندحار بريطانيا وفرنسا في عدن والجزائر وسوريا والعراق. وكانت هذه الجوانب الإيجابية لسياسة عبد الناصر العربية لا تخلو من جوانب سلبية، وذلك لأنها ـ أي الناصرية ـ قد انتهجت منهج التجربة والخطأ.

وإننا في هذا البحث لسنا بصدد تقويم التجربة الناصرية بقدر ما نود الإشارة إلى أن ثورة ٢٣ تموز/ يوليو وما مارسه الرئيس عبد الناصر من صياغات نظرية وتنظيمات سياسية هو تعبير عن واقع معين هو واقع المجتمع العربي بمشاكله وقضاياه، وما صاحب ذلك من تطورات داخلية وقومية ودولية، ثم بروز الاتحاد الاشتراكي كواحد من التصورات التي تبناها الرئيس عبد الناصر كبديل للاتحاد القومي.

وما كادت ثورة تموز/ يوليو تحسم الصراع مع أعدائها الطبقيين من البرجوازية الكبيرة والوسطى في بداية الستينيات حتى برز صراع جديد بين القوى الملتفة حول قيادة عبد الناصر والساعية إلى تعميق الثورة وبين العناصر المترددة التي أرادت الاكتفاء بما تم من إنجازات ثورية تعبيراً عن تطلعاتها إلى وراثة نفوذ الطبقات

المخلوعة. ولكن الحديث عن طبيعة الاتحاد الاشتراكي ودوره لا يكتمل بالطبع إلا بتجديد الإطار السياسي العام الذي يعمل من خلاله هذا التنظيم، أي البناء الديمقراطي الذي يعتبر التنظيم السياسي بمثابة حجر الأساس فيه[١٩٥]. ولقد خطت ثورة ٢٣ تموز/ يوليو خطوات كبيرة نحو تحرير الفلاحين والعمال (١٩٥٢ ـ ١٩٦١) وعزلت أعداء الشعب (١٩٦٣ ـ ١٩٦٤) واستعملت كل الأساليب التي خطرت على بالها لإخراج الشعب من سلبيته بالتعليم والثقافة والإعلام والتنظيم (هيئة التحرير، والاتحاد القومي، والاتحاد الاشتراكي). وأقرت للشعب المنظم بسلطات دستورية محدودة في دستور عام ١٩٥٦، وبسلطة السيادة في دستور عام ١٩٦٤. ولكن البيروقراطية (الرسمية) المتحالفة مع الرأسمالية الطفيلية اغتصبت تلك المؤسسات الشعبية، وسيطرت عليها وسخرتها لمصالحها فأصبحت كل منها منذ نشأتها وحتى نهايتها أداة تابعة للسلطة التنفيذية. وكان خلل هذا الجانب من المشكلة يقتضي رفع يد الحكومة عن الاتحاد الاشتراكي العربي واستقلاله عن السلطة التنفيذية ليستطيع أن يباشر حقوقه السيادية على كل الشعب[١٩٦]. ففي الرابع من تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦١ أعلن الرئيس عبد الناصر قراره بإعادة تنظيم الاتحاد القومي، وإقامة لجنة تحضيرية للمؤتمر القومي للقوى الشعبية. وكانت مهمة هذه اللجنة التي تألفت من ٢٥٠ عضواً تحديد التمثيل الاجتماعي والاقتصادي والمهني الواجب أن يكون موجوداً داخل المؤتمر القومي واختيار أعضائه. وفي جلسة المؤتمر القومي في السابع عشر من كانون الثاني/ يناير ١٩٦٢ وأثناء جلسته الأولى قدم الرئيس عبد الناصر مسودة العمل الوطني الذي ينص على (تكوين مجالس شعبية منتخبة تكون لها السلطة على مؤسسات الدولة التنفيذية) واستبدال الاتحاد القومي بالاتحاد الاشتراكي العربي، وأكد **الميثاق** على ثلاثة أهداف هي: الحرية، والاشتراكية، والوحدة، وضم الاتحاد الاشتراكي مختلف التيارات السياسية التي حاولت الاستقلال بعملها وإعتماد الطرق البيروقراطية المتبعة في جهاز الدولة، كما طغت عليه الصراعات العقائدية. وكان جمال عبد الناصر رئيس الاتحاد الاشتراكي قد عمل على نقل تجربة الاتحاد الاشتراكي من مصر إلى الأقطار العربية، ومنها العراق[١٩٧].

---

(١٩٥) عصمت سيف الدولة [وآخرون]، **عبد الناصر وما بعد**، إشراف أنيس صايغ، كتاب قضايا عربية (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠)، ص ١٦٨ ـ ١٦٩.

(١٩٦) عصمت سيف الدولة، **هل كان عبد الناصر ديكتاتوراً؟** (بيروت: دار المسيرة، ١٩٧٧)، ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠.

(١٩٧) حنان عبد الكريم خضير الألوسي، «تجربة الاتحاد الاشتراكي العربي في العراق عام ١٩٦٤،» (أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، قسم التاريخ، بغداد، ١٩٧٧)، ص ١ ـ ٢.

وفي ١٤ تموز/يوليو ١٩٦٤ أعلن عبد السلام عارف عن قيام «الاتحاد الاشتراكي العربي» على غرار الاتحاد الاشتراكي الذي أقامه الرئيس عبد الناصر في مصر. وقد أصدر الاتحاد ميثاقاً وطنياً كان إلى حد كبير نسخة مشابهة للميثاق الوطني المصري. وقد تلقاه ببرود واضح الكثير من زعماء الأحزاب والتنظيمات السياسية في العراق باعتباره الحزب الوحيد في البلاد، بيد أن الشبان الذين عرفوا بتأييدهم لنموذج الاشتراكية التي كانت تطبق في مصر وحدهم الذين أيدوا الاتحاد وأقدموا على حل تنظيماتهم السياسية والدخول إلى الاتحاد[(١٩٨)]. وبهذا الصدد يذكر أمير الحلو: أن إسهام حركة القوميين العرب في الاتحاد كان تحت ضغط الظروف التي أعقبت حركة ١٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٣، وضغط القاهرة لقيام تنظيم في العراق على غرار الاتحاد الاشتراكي العربي في مصر. ولم يكن لدى الحركة أي أمل في الاتحاد الاشتراكي، وهي لا تؤمن بالتنظيم الواحد، ولكن ظروف العلاقة مع عبد الناصر حتمت الانضمام إلى الاتحاد، وكانت تتوقع أن يعرقل عبد السلام عارف عمل الاتحاد الاشتراكي لعدم إيمانه بالتنظيم ورغبته بالانفراد في الحكم، لذلك بقي تنظيم الحركة قائماً ولم يتم حله وتفرغ كل من أمير الحلو وغسان العطية وخلف صوفي الدليمي وإبراهيم الرائب لقيادة التنظيم خارج الاتحاد الاشتراكي العربي، في حين قررت قيادة الحركة إشراك عدد من أعضاء قيادة إقليم العراق للاشتراك في الاتحاد الاشتراكي، وهم: سلام أحمد وعبد الإله النصراوي وهاشم علي محسن[(١٩٩)]، أما السيد صبحي عبد الحميد، فيذكر أنه في أواخر كانون الثاني/يناير عام ١٩٦٤ عقد الرئيس عبد السلام عارف بعد العودة من القاهرة[(٢٠٠)] اجتماعاً بحضور طاهر يحيى رئيس الوزراء وعبد الكريم فرحان وزير الإرشاد وصبحي عبد الحميد وزير

(١٩٨) جعفر عباس حميدي وإبراهيم خليل أحمد، **تاريخ العراق المعاصر** ([الموصل]: جامعة الموصل، ١٩٨٩)، ص ٣٣٢.

(١٩٩) مقابلة مع أمير الحلو بتاريخ ١٩ آذار/مارس ٢٠٠١.

(٢٠٠) اثناء انعقاد مؤتمر القمة العربي في كانون الثاني/يناير ١٩٦٤ في القاهرة، وعلى هامش المؤتمر، تم الإتفاق بين عبد الناصر وعبد السلام عارف باتجاه تشكيل الحركة العربية الواحدة، وفي العراق تشكلت لجنة تحضيرية مؤلفة من ١٣ عضواً وتحددت وظيفتها بإعداد مشروع القانون الأساسي لـ (الحركة العربية الواحدة) وميثاقها ونظامها الداخلي استغرق عمل اللجنة الفرعية المكلفة بذلك حوالى أكثر من شهر (من شباط/فبراير إلى ٩ نيسان/أبريل ١٩٦٤) وأقرت الميثاق. والذي اشتمل على ستة أبواب في وحدة الثورة العربية وفي القومية والوحدة العربية، وفي الاشتراكية العربية وفي الحرية والديمقراطية وفي الحقل الدولي والشؤون القطرية. وهاجم الرئيس عارف فوراً الميثاق المقترح ووصفه بأنه ميثاق علماني، وفي الوقت نفسه الذي تكشف فيه أنه كان قد كلف في إطار مناوراته المعهودة بشكل جانبي لجنة من بعض أساتذة الجامعة لإعداد ميثاق مواز للميثاق الذي تعده اللجنة التحضيرية عرف باسم «ميثاق الدكاترة».

الخارجية، كما عقدت اجتماعات عدة حضر بعضها عارف عبد الرزاق قائد القوة الجوية، وناقشنا خلالها كيفية البدء في إعداد وتنظيم الاتحاد الاشتراكي ثم اشترك معنا في الاجتماعات السيدان عبد الكريم هاني وزير العمل وشامل السامرائي وزير الوحدة، وكان محور النقاش يدور على من نعتمد في التنظيم؟ على المستقلين وحدهم؟ أم على الحزبيين وحدهم؟ أم على اشتراك المستقلين والحزبيين في التنظيم؟ وبعد نقاش طويل توصلنا إلى أن يعتمد التنظيم على المستقلين والحزبيين معاً. لأن ترك الحزبيين خارج التنظيم لا يخدم المصلحة الوطنية، وإن إهمالهم سيدفعهم إلى صفوف المعارضة وبذلك نخسر نخبة جيدة من الشباب القومي. وتقرر الاتصال بجماعات حزب الاستقلال والحزب العربي الاشتراكي وحركة القوميين العرب والوحدويين الاشتراكيين وجماعة فؤاد الركابي والرابطة القومية، وكلف الرئيس عبد السلام عارف كلاً من عبد الكريم فرحان وعبد الكريم هاني وشامل السامرائي وصبحي عبد الحميد بوضع خطة المفاتحة والتنظيم. وبالنسبة إلى حركة القوميين العرب فقد كان إياد سعيد ثابت رئيس حركة الوحدويين الاشتراكيين هو حلقة الوصل للاتصال بالحركة، وفي نهاية المطاف تم تشكيل هيئة تحضيرية واجبها كتابة ميثاق التنظيم حيث تألفت الهيئة من عبد الكريم فرحان وشامل السامرائي وصبحي عبد الحميد وعبد العزيز الدوري وفؤاد الركابي وغربي الحاج أحمد وعبد الهادي الراوي وعبد الستار علي الحسين وإياد سعيد ثابت وهشام الشاوي وسلام أحمد وعبد اللطيف الكمالي وعبد الكريم هاني، وبعد فترة انسحب ممثل حزب الاستقلال عبد الستار علي الحسين، وانضم إليها أحمد الحبوبي وعبد الإله النصراوي، وقررت الهيئة دعوة ألف مواطن لحضور مؤتمر إعلان التنظيم ومناقشة بنود الميثاق، وتقرر أن يحضر ضمن الألف مواطن ٨٠ عضواً من كل حركة أو حزب. ولما كنا نعرف أن أهم أهداف السلطة في العراق تحقيق الوحدة مع العربية المتحدة قررنا الاسترشاد بميثاق وتنظيم الاتحاد الاشتراكي المصري ليسهل دمج التنظيمين بسهولة عند قيام دولة الوحدة[(٢٠١)]. وتحدث سلام أحمد عن هذه المرحلة قائلاً: «كان حل حركة القوميين العرب أمراً مرفوضاً بالنسبة لقيادة إقليم العراق، ولكن أمر القيادة التنفيذية للحركة بضرورة حل تنظيمات الحركة وضعنا أمام أمر لا بد من تنفيذه. ورغم استبعادي وتعليق عضويتي بعد ١٨ تشرين عن قيادة إقليم العراق، بسبب فشلي وتحميلي

(٢٠١) مقابلة مع صبحي عبد الحميد بتاريخ ١٥ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠١، وانظر أيضاً: حوار مع السيد صبحي عبد الحميد أجراه عصام فاهم العامري في: **مجلة الخليج العربي**، (شباط/فبراير ٢٠٠٠)، ص ١٤.

مسؤولية ما حدث قبل ١٨ تشرين الثاني/نوفمبر فقد صدر أمر بتكليفي رئيساً لتحرير صحيفة **الثورة العربية** الناطقة بلسان الاتحاد الاشتراكي، دون رغبتي لاعتقادي بأن الاتحاد كان مؤسسة حزبية فاشلة لا يتفق فيها المؤسسون سوى على الشموليات والمواقف العامة على صعيد المستوى الفكري، أما على المستوى التنظيمي فكان الاتحاد تجميعاً كمياً دون نوعي لكل من ادعى القومية والوحدة بدون تنظيم أو ترتيب أو تحديد مسؤوليات والخ»[٢٠٢]. أما أمير الحلو فيذكر أن عضوية الاتحاد الاشتراكي كانت تشترط حل التنظيمات الحزبية والانضمام إلى الاتحاد بموجب ذلك، ولذا فقد اتخذت الحركة قراراً بتكليف سلام أحمد[٢٠٣] وعبد الإله النصراوي وهاشم علي محسن بتمثيل الحركة في الاتحاد وقيام بقية أعضاء القيادة بتسليم التنظيم الحزبي الذي بقي على وضعه السابق، ولم نجد صعوبة في هذه الازدواجية. ويمكن القول بأن بقاء الحركة على تنظيماتها بالرغم من انتمائها إلى الاتحاد الاشتراكي كان خطوة حكيمة ومدروسة، مما جعل الحركة تمارس نشاطاتها التنظيمية والجماهيرية بشكل اعتيادي، كما أنها حافظت على وجودها وفعالياتها بعد تجميد الاتحاد الاشتراكي العربي واصطدام التنظيمات القومية مع عبد السلام عارف بعد انهيار الاتحاد المذكور[٢٠٤]، ومهما يكن من أمر فقد انعقد المؤتمر التأسيسي للاتحاد الاشتراكي في ١٤ تموز/يوليو ١٩٦٤، وانبثقت عن المؤتمر أربع لجان هي: لجنة الثورة العربية، والوحدة العربية، ولجنة النظام الأساسي ولجنة الاشتراكية والديمقراطية واللجنة السياسية وضمت كل لجنة ما بين ٢٠٠ إلى ٣٠٠ عضو، وقاطع المؤتمر كل من الرابطة القومية (هشام الشاوي) وكتلة العميد عبد الهادي الراوي. وكانت المنظمات التي حلت نفسها وأعلنت اندماجها في الاتحاد الاشتراكي وهي حركة القوميين العرب والحزب العربي الاشتراكي والوحدويون الاشتراكيون الديمقراطيون (فؤاد الركابي) وحركة الوحدويين الاشتراكيين (إياد سعيد ثابت) وخلال فترة وجيزة ابتعدت عن الاتحاد الاشتراكي حركة الوحدويين الاشتراكيين والحزب العربي الاشتراكي، فأصبح الهيكل التنظيمي

(٢٠٢) مقابلة مع سلام أحمد بتاريخ ٣ كانون الثاني/يناير ٢٠٠١.

(٢٠٣) بعد أحداث ١٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٣ كانت الحركة قد اتخذت قراراً بتعليق عضوية سلام أحمد وأمير الحلو في القيادة حتى حضور محكمة الحركة من المركز (بيروت)، وكانت مؤلفة من السيد نايف حواتمة وعمر فاضل ومحمد مصطفى بيضون، حيث حققت معهما حول ظروف وملابسات اعتقالهما السابق. وعند عودتهما صدر قرار من المركز بإعادة عضويتهما إلى القيادة علماً أن سلام أحمد كان خلال فترة التعليق يمارس نشاطه كممثل للحركة في العلاقات مع الأحزاب، القومية الأخرى والتحضير للاتحاد الاشتراكي، كما مارس أمير الحلو نشاطات فكرية وكتابية، وقد انضم إلى قيادة الإقليم بفترات متلاحقة السادة الدكتور غسان العطية والدكتور صبحي عودة (فلسطين) والدكتور خلف صوفي استاذ جامعي.

(٢٠٤) انظر محاضرة الحلو، «حركة القوميين العرب في العراق ١٩٥٨ ـ ١٩٦٦،» ص ١٨ ـ ١٩.

للاتحاد مقتصراً على كتلة الضباط القوميين وحركة القوميين العرب والمثقفين القوميين المستقلين أمثال: أديب الجادر ود. خير الدين حسيب، ويضاف إلى هؤلاء بعض العارفيين الذين يدينون بالولاء لعبد السلام عارف، وسبق لهم أن أعدوا الميثاق الذي أراده عبد السلام عارف. وخلال فترة قصيرة تولى سلام أحمد رئاسة تحرير صحيفة **الثورة العربية** الناطقة بلسان الاتحاد[٢٠٥]. وبغية تحقيق التجانس ما بين الاقتصادين العراقي والمصري[٢٠٦]، فقد صدرت في اليوم نفسه الذي بدأت فيه أعمال المؤتمر العام التأسيسي للاتحاد الاشتراكي العربي في العراق أي يوم ١٤ تموز/يوليو ١٩٦٤ وتم بضربة واحدة تأميم كل المصارف وشركات التأمين، واثنتين وثلاثين مؤسسة صناعية وتجارية كبيرة وعهد إلى المؤسسة الاقتصادية والمؤسسة العامة للمصارف اللتين يترأسهما خير الدين حسيب إدارة التأميمات ومراقبتها[٢٠٧].

إن البيان التاريخي الذي أعلن قبل انعقاد المؤتمر الأول للاتحاد الاشتراكي المتضمن إقدام القوى الثورية في العراق على الانضمام إلى الاتحاد الاشتراكي يعد أكبر نصر للحركة العربية الواحدة لأنه يعد تجسيداً واقعياً لإدراك القوى الوحدوية في الإقليم العراقي لمهامها التاريخية وحقيقة واقعها وتلمس طريقها السليم لإقرار دولة الوحدة وبناء مجتمعها الاشتراكي. ولا بد لنا ونحن نبحث عن الحزبية والتحرب في هذا الظرف الذي انبثقت فيه الحركة العربية الواحدة وولد فيها الاتحاد الاشتراكي العربي في العراق من أن نبث البيان الصادر عن حركة القوميين العرب والحزب العربي الاشتراكي وحركة الوحدويين الاشتراكيين الديمقراطيين الإقليم العراقي وكذلك بيان المكتب التنفيذي للرابطة القومية لما تضمنه هذا البيان من استعراض ثوري وتخطي مرحلة الحزبية وكياناتها كلها[٢٠٨].

وكان الجناح الناصري في سلطة عارف مؤلفاً من التحالف الوثيق بين كتلة

(٢٠٥) باروت، **حركة القوميين العرب: النشأة ـ التطور ـ المصائر**، ص ٢٤٥.

(٢٠٦) عهد بشكل سري إلى فريق من الخبراء الاقتصاديين برئاسة الدكتور خير الدين حسيب محافظ البنك المركزي العراقي بإعداد مشروع القرارات الاشتراكية. وكان حسيب يشدد في إطار تلك النظرية على أن الاشتراكية هي الحل الوحيد لمعضلة التنمية في العراق ولتحقيق العدالة الاجتماعية. والواقع أن حسيب بذل جهداً خاصاً كي ينتزع من عبد السلام عارف الموافقة على المشروع الذي كان ترجمة عملية لمفهوم الناصرية عن الاشتراكية، ولا أدل على وضوح الوظيفة السياسية القومية لمشروع حسيب من أن قراراته قد صدرت مع ميلاد الاتحاد الاشتراكي العربي في العراق.

(٢٠٧) باروت، المصدر نفسه، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦.

(٢٠٨) المؤسسة القومية، **الاتحاد الاشتراكي العربي طريقنا للوحدة** (بغداد: المؤسسة، ١٩٦٤)، ص ٧١.

الضباط القوميين القوية والمتنفذة (كتلة صبحي عبد الحميد) وحركة القوميين العرب والمثقفين القوميين الناصريين أمثال أديب جادر وخير الدين حسيب، في حين أن القوى والشخصيات القومية التي شاركت في التحضير للاتحاد الاشتراكي أو في تأسيسه سرعان ما انتقلت إلى الجناح العارفي في سياق التناقض العارفي القومي أمثال: أحمد الحبوبي (ممثل العربي الاشتراكي) والعميد عبد الهادي الراوي وشامل السامرائي. وقام هؤلاء بضغوطات هائلة على عارف وعلى الأرجح بالتنسيق معه لإلغاء المؤسسة الاقتصادية، مما دفع د. خير الدين حسيب إزاء الحملة الضارية التي شنت عليه إلى الاستقالة من رئاسة المؤسسة الاقتصادية ثم إلى احتدام أزمة البزاز - حسيب التي لعب فيها القومي التقليدي شكري صالح زكي دوراً بارزاً، وهي الأزمة ما بين حكومة د. عبد الرحمن البزاز وبين ما أسمته حركة القوميين العرب بالجناح الناصري اليساري[٢٠٩]، وكان حسيب مناصراً لهذا الجناح الأخير في مواجهة العارفيين[٢١٠].

ومن جانب آخر فقد أحدث التزامن ما بين قيام الاتحاد الاشتراكي العربي والقرارات الاشتراكية موقفاً جديداً في الحزب الشيوعي العراقي خلال عام ١٩٦٤ وكان خط حزيران/ يونيو - آب/ أغسطس الذي يمثل جناحاً جديداً للشيوعيين قد أظهر تقييماً جديداً للناصرية. وتضمن هذا الخط بشكل أو بآخر التخلي عن سياسة الاستيلاء على السلطة في ما إذا كان ممكناً للعراق أن يتطور على أساس ظاهرة التطور الاشتراكي كمحتوى تقدمي للوحدة العربية. وأعلنت إحدى منشورات الحزب الشيوعي موقفاً جديداً من الاتحاد الاشتراكي العربي يقوم على التسلل إلى الاتحاد على مستوى جماهيري والنضال الايديولوجي من داخله باتجاه الاشتراكية[٢١١]. مما دفع

(٢٠٩) لقد وصف المؤتمر القومي لحركة القوميين العرب لعام ١٩٦٥ الجناح الذي تزعمه خير الدين حسيب بأنه الجناح الناصري اليساري في سلطة بغداد، واعتبر المؤتمر الآنف الذكر أن هذا الجناح هو المرتكز الأساس لبناء الحركة الاشتراكية العربية الواحدة في العراق، وتشكلت من هذا الجناح عملياً الحركة الاشتراكية العربية عام ١٩٦٥ قبل أن تنقسم بعد نكسة حزيران/ يونيو عام ١٩٦٧ إلى تنظيمين يحملان الاسم نفسه، أحدهما يقوده عبد الإله النصراوي، وثانيهما يقوده خير الدين حسيب. وللمزيد من التفاصيل انظر: القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، اضبارة رقم ٢٢/ ١١، وانظر كذلك مقابلة شخصية مع أمير الحلو بتاريخ ١٩/ ٣/ ٢٠٠٣.

(٢١٠) باروت، **حركة القوميين العرب: النشأة - التطور - المصائر**، ص ٢٤٨.

(٢١١) وبدأت صحف الشيوعيين وبياناتهم تتودد إلى الحكم العارفي، ورحب الحزب الشيوعي بإيقاف القتال في الشمال وأيد قيام الاتحاد الاشتراكي. وأصدرت لجنة تنظيم الخراج نشرة داخلية في ٢٠ حزيران/ يونيو ١٩٦٤ أوضحت فيها أن سياسة الحكم القائم في العراق سياسة وطنية معادية للاستعمار، وأنه حكم تقف على رأسه عناصر قومية معادية للاستعمار، ورحب الحزب الشيوعي بما أسماه بالإجراءات التاريخية =

القاعدة الشيوعية التي استنكرت الخط إلى وصفه بالتوجه نحو جماعة حاكمة أيديها ملطخة بدماء الحزب والشعب، والاتجاه لتذويب التنظيم الشيوعي في الاتحاد الاشتراكي العارفي. وفي هذا السياق اعتبر عزيز الحاج أن باقر الموسوي قد كان من أبرز أقطاب الخط التحريفي لعام ١٩٦٤، خط التبعية الدكتاتورية لعارف[٢١٢]. وكذلك فإنه خلال مناقشة ميثاق الاتحاد حاول بعض المتحزبين الذين انسحبت أحزابهم من الهيئة إثارة الجدل والمشاكل لا على بنود الميثاق، بل بسبب الاعتراض على بعض أعضاء الهيئة، واتهموا أحد أعضائها بإنه كان يعمل في حلف بغداد، وغيرها من المسائل غير الموضوعية، وكان هذا البعض يردد كالببغاء «لا قومية بدون قوميين، ولا اشتراكية بدون اشتراكيين» وكان الذين كتبوا الميثاق كلهم من خيرة القوميين والاشتراكيين. وعندما أعلن الرئيس عبد السلام عارف في المؤتمر عن تسمية التنظيم باسم الاتحاد الاشتراكي العربي أثار هذا الاختيار الإخوان في الجمهورية العربية المتحدة حيث كانوا لا يحبذون إطلاق إسم تنظيمهم على التنظيم العراقي، وبعد انتهاء المؤتمر تم تسمية رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء ومن تبقى من أعضاء في الهيئة التحضيرية أعضاء في اللجنة التنفيذية بدون انتخاب، وانتخب ثلاثة أعضاء جدد لتكملة العدد المتفق عليه، ففاز بالعضوية د. خير الدين حسيب ود. أحمد مطلوب والسيد هاشم علي محسن، وتم انتخاب عبد الكريم فرحان أميناً عاماً للاتحاد والسيد فؤاد الركابي نائباً للأمين العام، وكانت الجلسات تعقد أسبوعياً أو كلما دعت الحاجة. وخلال سنة بلغ عدد المنتسبين للاتحاد ٧٠ ألف منتسب[٢١٣].

لقد عانت اللجنة التحضيرية للاتحاد الكثير من المصاعب بسبب الحساسية والشكوك خلال فترة صعبة وطويلة حفلت بالمساومات والمناورات والتهديد بالانسحاب بعد تسرب أنباء عن تأليف لجنة أخرى من قبل رئيس الجمهورية لوضع ميثاق آخر ضمت الدكاترة أحمد مطلوب وياسين خليل وإبراهيم عبد الله وآخرين من أساتذة الجامعة ومهاجمة رئيس الجمهورية للميثاق المقترح ووصفه بأنه ميثاق علماني. وعند انعقاد المؤتمر ساد القاعة هرج وصخب بسبب المشادات والهتافات الاستفزازية وتبادل الاتهامات، وكان بعض الحاضرين مسلحاً بالمسدسات، مما دفع صبحي عبد

= المهمة، والتي أقدمت على اتخاذها الحكومة العراقية بقرار التأميم، وامتدح الحزب الشيوعي الاتحاد الاشتراكي وقال: «ان الحزب الشيوعي العراقي يحيي ويسند الحكومة والاتحاد الاشتراكي»، وللمزيد من التفاصيل انظر: سمير عبد الكريم، **أضواء على الحركة الشيوعية في العراق**، قدم له صلاح محمد، ٢ مج (بيروت: دار المرصاد، ١٩٦٣ - ١٩٦٨)، ص ١٩ - ٢١.

(٢١٢) باروت، المصدر نفسه، ص ٢٤٧.

(٢١٣) انظر الحوار مع صبحي عبد الحميد في: **مجلة الخليج العربي**، ص ١٥.

الحميد أحد أعضاء اللجنة التنفيذية إلى دعوة عبد الرزاق شبيب رئيس الحزب العربي الاشتراكي إلى المنصة للتدخل في إعادة النظام إلى القاعة بعد أن اتضح أن أعضاء حزبه هم مصدر الشغب والضجيج. وجاء معاون الشرطة حسين المختار راجياً الموافقة على إخراج المشاغبين بالقوة، إلا أن طلبه قد رفض مما يدل بأن الفوضى مقصودة، وأن الأمر قد دبر بليل لإظهار قوة الأحزاب والتنظيمات. وقد حدثت مشادات كثيرة داخل أعضاء اللجان، ومنها التي وقعت بين د. خير الدين حسيب ود. عبد العال الصكبان، كما تعرضت أمانة الاتحاد لحملة ظالمة خلال فترة انعقاد المؤتمر العام التي جاوزت العشرة أيام، ولكن الإنصاف والأمانة يدعوان إلى الإشادة بموقف حركة القوميين العرب حيث التزم أعضاؤها بجميع قرارات اللجنة التنفيذية وعملوا بإخلاص وصدق لبناء الاتحاد الاشتراكي وبخاصة سلام أحمد وعبد الإله النصراوي وهاشم علي محسن[٢١٤]. وكانت مجموعات قومية صغيرة أخفقت في الحصول على مراكز مرموقة في الاتحاد الاشتراكي قد قامت على أثرها بشن حملة ضد الاتحاد الاشتراكي. وأثمرت تلك الحملة برواجها في أوساط الفلاحين بسبب انحياز رئيس الاتحاد العام إبراهيم الشلال إلى جانب عبد السلام عارف، فهو من أبناء عشيرة زوبع أو عشيرة الجميلات. وانعكست ثمار تلك الحملة على بعض ضباط الجيش، ففي إحدى اجتماعات المجلس الوطني لقيادة الثورة وعند ترشيح أسماء من أعضاء الاتحاد الاشتراكي للتعيين في وزارة المواصلات، رفض الاقتراح من قبل العقيد الركن محمد مجيد بدعوى أن هؤلاء من القوميين العرب، وكانت مناقشات اللجنة التنفيذية تجري بصراحة وحرية، إلا أن بعض الجلسات كانت تعقد في القصر الجمهوري وبحضور رئيس الجمهورية على الرغم من عدم ارتياحه لمناقشات وآراء عبد الإله النصراوي وسلام أحمد[٢١٥].

أما صحيفة **الثورة العربية** الناطقة بلسان حال الاتحاد الاشتراكي العربي في العراق فقد صدر العدد الأول منها في ١٤ تموز/يوليو ١٩٦٤ حيث تصدرت الصفحة الأولى منها عناوين مختلفة منها «بيان هام للمنظمات القومية» و«المنظمات تحل نفسها وتعلن تأييدها للاتحاد الاشتراكي العربي» و«الاشتراكية العربية والديمقراطية بقلم السيد عبد السلام عارف رئيس الاتحاد الاشتراكي». ومن العناوين البارزة لصحيفة **الثورة** بيان تحت عنوان «انضمام القوى الثورية للاتحاد الاشتراكي العربي» جاء فيه: لقد شهدت ساحة الوطن العربي منذ أمد بعيد تحركاً ثورياً اتخذ

(٢١٤) فرحان، **حصار الثورة (مذكرات): تجربة السلطة في العراق**، ص ١٣٩ ـ ١٤٠.

(٢١٥) المصدر نفسه، ص ١٤٢.

صوراً وأشكالاً شتى ومر بمراحل صاعدة، وأن الثورة العربية ثورة شعب تحرك لإسقاط القوى المعادية لقضيته ومصالحه، وإن المعركة العربية التي تزداد حدة وعنفاً يوماً بعد يوم تستوعب كل يوم طاقات أكثر فأكثر وقواعد شعبية أوسع فأوسع، وأن الوعي العربي الاشتراكي قد سجل هو الآخر بحكم ظروف المعركة وتطورها ارتفاعاً كبيراً في مستواه. ودعا البيان إلى رص الصفوف الثورية في تنظيم شعبي جديد ليتسنى للثورة العربية الاشتراكية أن تنطلق نحو أهداف الشعب في الحرية والاشتراكية والوحدة. وقد وقع البيان كل من حركة القوميين العرب والحزب العربي الاشتراكي وحركة الوحدويين الاشتراكيين وحركة الوحدويين الاشتراكيين الديمقراطيين[٢١٦].

وتحت عنوان «قرارات ١٤ تموز/يوليو وحتمية الحل الاشتراكي» أوضحت صحيفة **الثورة** العربية في مقالتها الافتتاحية موقفها من القرارات الاشتراكية حيث جاء فيه: لم تكن القرارات الاشتراكية التي انبثقت مع فجر الذكرى السادسة لثورة ١٤ تموز/يوليو وليدة نزوة عارضة أملتها اعتبارات الكسب السياسي، وإنما كانت هذه القرارات الحاسمة في أبسط وأوضح معانيها تعبيراً عن حتمية الحل الاشتراكي للقضايا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتي يجابهها العراق. وجاء في مقالة الصحيفة: «إنه للمرة الأولى في تاريخ هذا البلد تتمكن السلطة الوطنية من التصرف بحرية ضمن إدراك آفاق النمو الثوري الحقيقية والنزول عن أحكامها». واستطردت المقالة قولها: إن هذه القرارات تكسب السلطة الوطنية في العراق مضمونها الاجتماعي القائم على أساس الالتزام بمصالح قوى الشعب العاملة وبالحل الاشتراكي كطريق للتحول الثوري. ونوهت المقالة أنها لا بد من إدراك حقيقة أساسية وهي أن قرارات ١٤ تموز/يوليو الاشتراكية ليست مجرد إجراءات اقتصادية بسيطة بل هي تحول اجتماعي وسياسي ولا بد من أن تخوض معركته السلطة الوطنية وقوى الشعب العاملة وأن مسؤولية الاتحاد الاشتراكي هي الاضطلاع بجدارة ووعي كي يكون مصدر الحماية الأساسي للنمو الثوري المتجدد[٢١٧]. وتحت عنوان «نحو تنظيم شعبي» أوضح عبد الكريم فرحان الأمين العام للاتحاد الاشتراكي «أن قيام الاتحاد الاشتراكي العربي في العراق هو حصيلة تجربة طويلة عاشتها الجماهير العربية في العراق، وسيكون مستوعباً لكل القوى القومية والطلائع التقدمية وأن الأيام التاريخية التي نعيشها اليوم سوف تكون مقدمة لنهوض جماهير العراق بمسؤولياتها

(٢١٦) **الثورة العربية** (بغداد)، ١٤/٧/١٩٦٤.

(٢١٧) **الثورة العربية**، ١٥/٧/١٩٦٤.

الثورية لتجاوز أوضاع التشتت التي عاشتها القوى القومية في العراق. وأشار الأمين العام إلى أن الاتحاد الاشتراكي سيكون الخطوة الأولى في طريق تحقيق الحركة العربية الواحدة»[٢١٨]. وفي مقالة للصحيفة تحت عنوان «لماذا فشلت الأحزاب» فندت فيه قيام الاتحاد الاشتراكي العربي بأنه ضرورة تاريخية أملتها ظروف النضال العربي، بعد أن عجزت التنظيمات الشعبية قبله عن التجاوب مع متطلبات المعركة العربية، وأوضحت المقالة أن الضرورة التاريخية تأتي في الواقع من كون الاتحاد الاشتراكي العربي يشكل نمطاً أعلى في التنظيم والعمل الشعبي. أما إذا لم يتمكن من القفز إلى قمة الهرم متخطياً كل الأنماط التنظيمية الأخرى فإنه سيكون بالتأكيد تكراراً مملاً لتجارب حزبية فاشلة سرعان ما تتلاشى وتذوب في زحمة الأحداث وقساوة النضال. واستطردت المقالة في قولها: إن كثيراً من أسباب فشل الأحزاب يعود إلى الغموض الفكري وانعدام النظرية المتكاملة، وإلى ضعف الأجهزة الحزبية وانعدام التنظيم الثوري. وخلصت المقالة في الختام إلى القول بأننا نريد اتحاداً اشتراكياً ذا تنظيم أفضل وجهازاً شعبياً أمثل، وأن يبنى على أسس تصونه من الإنزلاق وتقيه من كل تلك الأمراض التي وقع فيها هذا الحزب أو ذاك[٢١٩].

وبصدد النظام الأساسي للاتحاد الاشتراكي نشرت صحيفة **الثورة العربية** تباعاً الأبواب التي اشتملها ذلك النظام[٢٢٠]. وعن شعار الحركة العربية الواحدة نشرت صحيفة **الثورة العربية** مقالة تحت عنوان «وحدة الاتحاد الاشتراكي والمسؤوليات التي

---

(٢١٨) المصدر نفسه.

(٢١٩) **الثورة العربية**، ١٨/ ٧/ ١٩٦٤.

(٢٢٠) حيث اشتمل الباب **الأول** على وحدة الثورة العربية، والتاريخ النضالي الطويل للأمة العربية، وخصص الباب **الثاني** لموضوع جذور النضال العربي في العراق، وما عانته الحركة الوطنية من نضال قاس ضد أنواع التسلط والهيمنة الأجنبية على أرض العراق، أما الباب **الثالث** فقد تفرد في القومية والوحدة العربية وأوضح فيه أن القومية العربية لم تعد بحاجة إلى أن تثبت حقيقة وجودها، فقد برزت واضحة وتجاوزت حدود التشكيك، وأنها اليوم راسخة البنيان وعميقة الجذور وواضحة المعالم. وأشار الباب **الرابع** في مضمونه إلى موضوع الاشتراكية العربية موضحاً أن طبيعة الإسلام وروحه وجوهره قوة دافعة حافزة للتقدم الإنساني وهو لا يقبل بأي حال من الأحوال أن يرث الإنسان الفقر والجهل والمرض، ولا ترتضي قيمه الروحية السامية أن تحتكر قلة قليلة من البشر رغد الحياة ونعيمها على حساب بؤس الآخرين وشقائهم. أما الباب **الخامس** فقد أشار إلى الحرية والديمقراطية حيث أوضح أن النضال العربي قد تجاوز مرحلته السياسية إلى مرحلته الاجتماعية وبذلك غدت الحرية في مفهومه الجديد حرية سياسية مرتبطة بالمحتوى الاجتماعي. أما الحقل الدولي والقطري فقد أشار إليهما الباب **السادس** حيث أوضح أن إيماننا بالسلام نابع من إيماننا المطلق بالحياة التي نريد بناءها، وأن خطرين مباشرين يهددان الجنس البشري، هو خطر الحرب الذرية المدمرة، وخطر الصدام المحتم بين التخلف والتقدم. للمزيد من التفاصيل انظر: **الثورة العربية** ١٥ ـ ١٧/ ٧/ ١٩٦٤.

تمليها على القوى الثورية» جاء فيها: «إن شعار الحركة العربية الواحدة دخل اليوم ومع توحيد التنظيمين الشعبيين في العراق والجمهورية العربية المتحدة مرحلة التطبيق، وبدأت نواة هذه الحركة الثورية المنشودة تتكون لتشكيل حجر الأساس الذي سيرتفع فوقه صرح الحركة العربية الاشتراكية موحدة الفكر والتنظيم في أرجاء الوطن العربي. وأهابت المقالة بالقوى القومية والثورية بالاستجابة الثورية الواعية لمتطلبات المرحلة الجديدة، والضرورات التاريخية التي تطرحها في ميدان العمل العربي الثوري[٢٢١].

وبعد مرور سنة وثلاثة أشهر من تأسيس الاتحاد الاشتراكي بدأت صحيفة **الثورة العربية** تدين بشكل أو بآخر السلطة العارفية خلال مقالاتها الافتتاحية والأعمدة الثابتة للصحيفة، فتحت عنوان «حول الاتحاد الاشتراكي» وفي عمود الصحيفة الثابت (المسؤولية)، حذرت الصحيفة من تسلل بعض العناصر التي لا تؤمن بالاشتراكية والوحدة إلى قيادات الاتحاد الاشتراكي، إذ لا يمكن أن تتسلل مثل هذه العناصر إلى قيادات الاتحاد لتحاول نسفه من الداخل كما نسفت الاتحاد القومي في مصر[٢٢٢]. بل إن مهمة تعيين القوى التي لا تتجاوب مع أهداف الاتحاد وطبيعته وأسسه لكي تحمي هذه التجربة من الفشل أو من أن تكون أداة لنكسة انفصالية جديدة يقوم بها من لا يؤمن بأهدافنا ولا يرتبط بحركتنا القومية الاشتراكية الوحدوية، بأدنى صلة أو نسب[٢٢٣]. وضمن نفس العمود (المسؤولية) وتحت عنوان «ضرورة دعم الاتحاد الاشتراكي» ابدت الصحيفة فيه أسفها الشديد، على بعض الكتل التي دخلت الاتحاد، وأشار كاتب العمود إلى بعض الانتهازيين الذين حاولوا التسلط وحب الظهور باسم الثورية والوحدوية مما مهد إلى ظهور التناقضات بشكل سافر داخل تنظيم الاتحاد، ولذلك أصبح الاتحاد ضعيفاً مشلولاً، وأصبح من المحتم

---

(٢٢١) **الثورة العربية**، ٢٤/ ٩/ ١٩٦٤.

(٢٢٢) لقد استطاع الإقطاعيون والرجعيون التسلل إلى تنظيمات الاتحاد القومي وتشكيلات المجالس المحلية المنبثقة منه حتى وصلوا إلى المراكز الرئيسية وطغوا على مَن اختارهم الشعب من ممثليه الحقيقيين، والسبب أن هؤلاء احترفوا النفاق وأساليب التقرب ولديهم من الامكانيات المادية والخبرة الماضية في الاحتراف السياسي ما مكنهم من ذلك وكانوا يجيدون العون بدعوى التسامح والوحدة الوطنية فكان نفاقهم يحمل المسؤولين فلا يبعدونهم عن المراكز التي وصلوا إليها وكانوا يدسون على المخلصين ليخلوا السبيل لأنفسهم وكان تسلل الإقطاعيين إلى الأجهزة القيادية يرسم خريطة واضحة تؤشر أن ٨٠ بالمئة من ممثلي القرى في مجالس المحافظات من الإقطاعيين. وللمزيد من التفاصيل انظر: محمود متولي، **الاتحاد الاشتراكي العربي وعاء الديمقراطية** (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٤)، ص ١٢٥.

(٢٢٣) **الثورة العربية**، ٤/ ١٠/ ١٩٦٥.

أن يعاد الاهتمام بهذا التنظيم الشعبي لإصلاح ما حدث له من ضعف ووهن[٢٢٤].

وتحت عنوان «حول الاتحاد الاشتراكي» سخرت الصحيفة في مقالتها الافتتاحية من التصريحات المتعددة للمسؤولين حول الخطوات التي قررت الحكومة القيام بها لاعادة تنظيم الاتحاد الاشتراكي، وإقامته على أسس قوية رصينة، وتساءلت الصحيفة في مقالتها عن مدى الفترة التي سيعاد فيها تنظيم الاتحاد الاشتراكي. وأوضحت في تساؤلها عن انعكاس التساؤلات الكثيرة، التي ما زالت تعيش في أذهان الشعب والعناصر القومية دون أن تجد لها جواباً[٢٢٥].

ومن خلال التتبع وفي نظرة واقعية وموضوعية لوضع الاتحاد الاشتراكي العربي في العراق، من حيث واقعه وحقيقة مولده وممارسته، فإنه يتجلى لنا بكل وضوح أن هذا التنظيم لم يحقق ما كان يطمح إليه الشعب من أهداف، وأن كل ما حققه أو ما أريد أن يحققه، هو انحسار المد القومي الوحدوي في العراق وتجميد القوى القومية المشاركة في بنائه، وتسويف فكرة الوحدة على الرغم من التصريحات الوحدوية والدعائية من قبل السلطة تحت مظلة الوحدة المدروسة.

وعلى أي حال فإن حركة القوميين العرب قد أدت دوراً مهماً داخل الاتحاد الاشتراكي وخارجه. ومما تجدر ملاحظته أن الحركة قد شاركت في الاتحاد الاشتراكي لتوظيف السلطة لصالح أهداف تنظيمها، والذي لم يحل نفسه إلا بشكل رمزي.

إن بقاء الحركة على تنظيماتها بالرغم من انتمائها إلى الاتحاد الاشتراكي كان خطوة حكيمة ومدروسة، مما جعل الحركة تمارس نشاطاتها التنظيمية والجماهيرية بشكل اعتيادي، كما أنها حافظت على وجودها وفعاليتها بعد تجميد الاتحاد الاشتراكي العربي واصطدام التنظيمات القومية مع عبد السلام عارف بعد انهيار الاتحاد الاشتراكي، وكان تولي هاشم علي محسن للجهاز العمالي الحزبي ورئاسته للاتحاد العام لعمال العراق أثره في سيطرة الحركة على نقابات العمال وفتح المجال أمام هاشم محسن لتوجيه الانتقادات المباشرة إلى عبد السلام عارف وتصرفاته من خلال صحيفة **وعي العمال** مع بيان الفعاليات الجماهيرية التي كان يقوم الاتحاد بها[٢٢٦]. وكان ذلك يثير عبد السلام

(٢٢٤) **الثورة العربية**، ٨/ ١٠/ ١٩٦٥.

(٢٢٥) **الثورة العربية**، ١٢/ ١٢/ ١٩٦٥.

(٢٢٦) وقف هاشم علي محسن خطيباً في آخر المؤتمرات المهمة للعمال وبحضور رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء، وهاجم السلطة لأنها لم تلب مطالب العمال وتهتم بشؤونهم فأغضب كلامه الرئيسين. وكنت جالساً معهما، ولم أستطع أن أدافع عن الخطيب. وأثرت هذه النقطة في اجتماع وقلت: «يبدو أن التنظيم هو حزب معارض وليس حزب السلطة. وللمزيد من التفاصيل انظر: مقابلة شخصية مع صبحي عبد الحميد بتاريخ ١٥ شباط/ فبراير ٢٠٠١.

عارف كثيراً ويزيد من كرهه للحركة ولممثليها في الاتحاد الاشتراكي، فأخذ يهاجمها في اجتماعاته الرسمية ومجالسه الخاصة، كما أن سلام أحمد رئيس تحرير جريدة **الثورة العربية** اليومية لم يكن منسجماً مع سياسة عبد السلام وتصرفاته وطموحاته الخاصة في السيطرة التامة على مقاليد الأمور[٢٢٧].

ويذكر صبحي عبد الحميد أنه على الرغم من أن الاتحاد الاشتراكي العربي كان تنظيم الدولة ورئيسه هو رئيس الدولة إلا أن البعض من أعضاء الاتحاد يخرج على سياسة الدولة ويتصرف ضدها مثل ما حدث في البحرين عندما قامت حركة القوميين العرب بتنظيم التظاهرات ضد السلطة، وقامت أجهزة الإعلام العراقية وخاصة الإذاعة بتشجيع المتظاهرين وتحريضهم ضد السلطة، مما أثار غضب السلطات البحرينية لاعتقادها أن الحكومة العراقية وراء هذه التظاهرات والحملات الإذاعية. وحقيقة الأمر أن أعضاء حركة القوميين العرب هم الذين سخروا السيد عبد اللطيف الكمالي مدير الإذاعة والتلفزيون وصحيفة **الثورة العربية**، التي كان سلام أحمد يرأس تحريرها لشن هذه الحملة[٢٢٨] أما سلام أحمد فيذكر: «أنه تم اعتقالي زمن عبد السلام عارف لمرتين[٢٢٩]، وأنا عضو لجنة تنفيذية في الاتحاد الاشتراكي العربي، وكانت صحيفة **الثورة العربية** منبراً مهماً نوضح فيه ومن خلاله ما يجيش من خواطر وأفكار»، ففي إحدى المرات تم نشر مقالة انتقادية تخص عبد السلام عارف بالذات، في صحيفة **الثورة العربية** فاستدعانا الرئيس لبحث موضوع عاجل بخصوص إجراء بحق رئيس التحرير، فعقدنا اجتماعاً مصغراً قبل حضور الرئيس مؤلفاً من فؤاد

(٢٢٧) انظر محاضرة الحلو، «حركة القوميين العرب في العراق ١٩٥٨ ـ ١٩٦٦،» ص ١٩.

(٢٢٨) مقابلة شخصية مع صبحي عبد الحميد بتاريخ ٢٢ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠١.

(٢٢٩) الأولى منها بسبب التعليق على قول الرئيس جمال عبد الناصر: إن عبد السلام عارف رمز القومية العربية في العراق وفي حينها كتبنا مقالة أشرنا فيها أن القومية العربية ليست فاتيكاناً ليكون لها بابا، أما المرة الثانية، ففي انعقاد مؤتمر الأدباء العرب في بغداد عام ١٩٦٥ قام شاعر نجفي بإلقاء قصيدة تضمنت بيتين هما:

ويصان ذاك لأنه من معشر	ويضام ذاك لأنه لا يركع
ويداً تكبل وهي مما يفتدى	ويداً تقبل وهي ما تقطع

وعندما جاء الشاعر إلى مقطع ويداً تقبل وهي ماتقطع أشار بيده إلى يد عبد السلام عارف. وعند انتهاء الشاعر من إلقاء قصيدته خرج عبد السلام عارف غاضباً مغادراً قاعة الحفل. وفي اليوم الثاني تم نشر القصيدة بكاملها على الصفحة الأولى من **الثورة العربية** بحروف بارزة لهذين البيتين، ولم يمضِ وقت طويل حتى جاء رجال الأمن واقتادوني مخفوراً إلى مركز الشرطة الواقع في المربعة في شارع الرشيد ببغداد، انظر: مقابلة شخصية مع سلام أحمد بتاريخ ٣/ ١/ ٢٠٠٢.

الركابي وعبد اللطيف الكمالي وعبد الإله النصراوي وسلام أحمد، حيث تقرر في الاجتماع أن يكون الموقف قوياً وأن ما جاء في المقالة هو ليس رأي رئيس التحرير ليعاقب وحده وإنما هو رأي اللجنة التنفيذية كلها. وتم الاتفاق على استبعاد سلام أحمد صاحب الشأن وعبد الإله النصراوي عن الكلام، حتى لا يفسر بأن الموقف حركي. واقترح غربي الحاج أحمد أن يكون هو المتكلم، إلا أن فؤاد الركابي قاطعه قائلاً: أستاذ غربي إن هذه قضية حساسة جداً وقد يكون وراءها السجن، ولذا فإني أقترح أن أكون أنا المتكلم أو عبد اللطيف الكمالي، إلا أن غربي أصر على أن يكون هو المتكلم قائلاً إن مصيري ليس أفضل من مصيركم وإني أشارككم السراء والضراء. وذهبنا إلى الاجتماع على هذا الأساس وبدأ الاجتماع بهجوم على سلام أحمد من قبل عبد السلام عارف[230]، وبعد كلام غربي الحاج أحمد التوفيقي أعقبه فؤاد الركابي بأن سلام أحمد لم يخطئ وأن موقفه صحيح، وأنه يمثلنا. وعاد الكمالي ليعزز ما طرحه الركابي بشكل أقوى، ثم أيد ذلك كل من عبد الكريم فرحان وصبحي عبد الحميد وذلك في الاجتماع الموسع الذي حضره كذلك شامل السامرائي. وبقي عبد السلام وحيداً في موقفه، فما كان منه إلا أن قال «وصلت كفخة البنزين»، ويقصد وصلت الأوامر من عبد الناصر لتؤيد سلام أحمد[231]، وهكذا ازداد البغض والكراهية بين الرئيس عبد السلام عارف وحركة القوميين العرب. ومما زاد الطين بلة استقالة عبد الكريم فرحان ومن بعده الوزراء الخمسة في ٤ تموز/ يوليو ١٩٦٥، وجميعهم من كوادر الاتحاد الاشتراكي العربي. ومن هنا أخذ دور الاتحاد في التلاشي، ولم يعد عارف في نظر التحالف القومي أكثر من دكتاتور فردي وضابط مغامر يسعى لتثبيت حكمه الشخصي[232]. أما علاقة القوميين العرب بالناصرية فقط ظلت الحركة خلال عامي ١٩٦٤ و١٩٦٥ على اتصال وثيق بالرئيس عبد الناصر، في وقت بدأ فيه ممكناً توحيد كافة المجموعات الناصرية على الصعيد الإقليمي. وقد طرحت الحركة على عبد الناصر فكرة وضع برنامج طموح يهدف إلى خلق حركة عربية اشتراكية جديدة، تعتمد على الطبقة العاملة، وعلى فكر اشتراكي

---

(٢٣٠) عندما أنهى الرئيس عارف كلمته طأطأ الأستاذ غربي الحاج أحمد رأسه مفضلاً السكوت واستمر السكون في ذلك الجو المتوتر فما كان من عبد الإله النصراوي إلا أن ركل غربي بركلة قوية جعلته ينتفض من مكانه فالتفت إلى النصراوي مستغرباً وأجابه الأخير: «يا أخي ما تحكي وتخلصنا». فاعتدل الأستاذ غربي في مكانه وتنحنح وقال: «سيادة الرئيس سلام أحمد أخوك الصغير وقد أخطأ فسامحه هذه المرة، وإن عاد تكرارها سوف نكون جميعاً ضده».

(٢٣١) مقابلة شخصية مع سلام أحمد بتاريخ ٣/ ١/ ٢٠٠٢.

(٢٣٢) بطاطو، **العراق**، ص ٣٤٦.

واضح وعلى تنظيم موحد. وعلى الرغم من تقبل عبد الناصر للفكرة إلا أن زكريا محيي الدين - ساعده الأيمن - وأعضاء آخرين من حوله لم يتعاطفوا مع الفكرة، كما كان قادة الحركة علاوة على ذلك بعيدين عن الواقع بسبب توقعهم النجاح لهذا المشروع. فالناصرية خارج الجمهورية العربية المتحدة كانت تياراً سياسياً ولم تكن حزباً، واندماج الحركة بالناصرية خارج الجمهورية العربية المتحدة يعني بالتالي حل تنظيماتهم والعمل كوكلاء لشبكة المخابرات، أو في أفضل الأحوال وضع هذه التنظيمات في يد المخابرات المصرية (الرسمية). وكان هذا بالفعل تفسير الأجهزة البيروقراطية الناصرية للصفقة الجديدة مع حركة القوميين العرب[233].

ولا بد هنا من الإشارة إلى أنه بالرغم من محافظة حركة القوميين العرب على أفكارها وتصوراتها فإنها قامت بمواجهة مخلصة كل الإخلاص لماضي نضالها أمام وجدانها الثوري. فبالرغم من علاقات الحركة والتي لم تتسم بالحميمية إجمالاً مع النظام العارفي، إلا أنها أرادت أن تستحوذ على جدلية الواقع بفعالية التوجيه الذي تملكه بإمكانيات وعيها، إذ بقيت باستمرار على مسافة قريبة من فهمها لوجهة نظرها بالذات، رغم اتسام ساحة العمل العراقي بالتعثر والمد والجزر، حيث رأت الحركة أن سياق التحقيق الثوري عبارة عن علاقات تكوينية تقبل بالتعارض والتفاعل والتطوير والتعديل والتجديد... إنها أشياء مطلوبة ومشروعة.

إن مرحلة التحالف مع النظام العارفي أضاءت مشكلات التوافق والاختلاف في مراحل انتقالية حساسة، وقد أثبت ذلك التعاون والتنسيق بين الحركة والنظام العارفي وبشكل نقدي أن هوية الثورة القومية ليست تزكية تعفي من النهوض بالمسؤوليات التاريخية. ولذا فقد اتسمت حركة القوميين العرب في تلك المرحلة بالانسجام التام بين الأهداف التي تبنتها وبين الأدوات المؤهلة لترجمة تلك الأهداف. ولو تخلت الحركة عن هذا الانسجام لبقيت الحركة حبيسة التنظير، أو أن تتحول إلى ساحة تناحر بين طموحاتها وبين نهجها الواقعي. وعندما تخفق الحركة في الارتقاء إلى مستوى أهدافها فإنها تكون قد تخلت عن دورها التاريخي وموقعها القيادي. وسيكون مفيداً إذا ذكرنا أن الانفتاح والتعاون مع النظام العارفي قد أدى إلى صدور القرارات الاشتراكية في تموز/ يوليو ١٩٦٤ وذلك **بتأثير وضغط الدكتور خير الدين حسيب** على عبد السلام عارف بإسناد حركة القوميين العرب، مما أضفى على النظام هوية تقدمية وثورية وفق السياق الاشتراكي وتأثيره لحل معضلة التنمية في العراق ولتحقيق

---

(٢٣٣) الكبيسي، **حركة القوميين العرب**، ص ١١١.

العدالة الاجتماعية. ونتيجة لهذه الخطوة، إضافة إلى نهج الانفتاح والحوار الذي مارسته الحركة مع القوى السياسية، فقد حدث انتقال واسع من شيوعيي العراق إلى الضفة القومية وذلك عام ١٩٦٤، أي بعد صدور القرارات الاشتراكية وتأميم المصارف وبعض الشركات، إذ أخذت صحف الشيوعيين وبياناتهم بالإشادة بسياسة النظام واصفة إياها بالوطنية والمعادية للاستعمار. وبارك الحزب الشيوعي العراقي الممثل باللجنة المركزية (المنظمة الأم)، إيقاف القتال في الشمال، والسير نحو الحل السلمي للقضية الكردية. وعلى الصعيد القومي فقد أدى التعاون والتنسيق بين حركة القوميين العرب وبعض الشخصيات القومية أمثال ناجي طالب وأديب الجادر وشامل السامرائي وأحمد الحبوبي إلى التقارب مع الجمهورية العربية المتحدة والسير نحو خطوات وحدوية سياسية وعسكرية، كاتفاقية ٢٦ أيار/مايو ١٩٦٥ الخاصة بإعلان القيادة السياسية الموحدة بين العراق والجمهورية العربية المتحدة، إضافة إلى بعض الإنجازات التي تمت كمحصلة لذلك التعاون بين حركة القوميين العرب والنظام العارفي، وعلى مختلف الصعد.

وعلى أي حال وبعد انهيار الاتحاد الاشتراكي، جرى اتفاق بين المستقلين من اللجنة التنفيذية وعناصر أخرى من ممثلي الفئات القومية على إنشاء حركة سرية معارضة للسلطة باسم الحركة الاشتراكية العربية وذلك في أوائل شهر آب/أغسطس ١٩٦٥. وقد مثل حركة القوميين العرب في لجنتها التنفيذية ثلاثة من قيادتها وهم: سلام أحمد وعبد الإله النصراوي وهاشم علي محسن، وضمت الحركة الاشتراكية العربية أكثر العناصر التي كانت تعمل في الاتحاد الاشتراكي[٢٣٤] وبهذا الصدد يذكر صبحي عبد الحميد أنه نتيجة لانهيار الاتحاد الاشتراكي، فقد اتصل بي خير الدين حسيب وأديب الجادر في أواخر شهر تموز/يوليو ١٩٦٥ وعرضا تشكيل حركة جديدة بدلاً من الاتحاد الاشتراكي يكون عملها سرياً ومعارضاً للسلطة. بعد رفضي للفكرة في البداية، جاءني سلام أحمد وخالد علي الصالح وبعد إلحاح أقنعاني بالفكرة. وتم عقد أول اجتماع في دار أديب الجادر في المنصور وذلك أوائل شهر آب/أغسطس عام ١٩٦٥ وبعد نقاش استمر ساعات طويلة تم تثبيت الغاية من التنظيم وأهدافه، ومبادئه واسمه حيث اقترح خير الدين حسيب تسميته بالحركة الاشتراكية العربية، فوافقنا جميعاً على الاسم لأنه مشابه لاسم الاتحاد الاشتراكي العربي، وتبين بعد فترة أن هذا كان اسماً لحركة سرية أسسها خير الدين حسيب وأديب الجادر وخالد علي الصالح في أواخر سنة ١٩٦٣. وبعد ذلك جرى انتخاب

(٢٣٤) انظر محاضرة الحلو، «حركة القوميين العرب في العراق ١٩٥٨ - ١٩٦٦،» ص ٢٠.

الهيئة التنفيذية، ففاز بالتصويت السري صبحي عبد الحميد، وأديب الجادر وخير الدين حسيب، وفؤاد الركابي، وعبد الكريم فرحان، وخالد علي الصالح، وعبد الستار علي الحسين، وسلام أحمد، وهاشم علي محسن، وعبد الإله النصراوي.
وقامت حركة ١٥ أيلول/سبتمبر سنة ١٩٦٥ الفاشلة التي قادها عارف عبد الرزاق (رئيس الوزراء آنذاك)، إذ تم فرض الإقامة الإجبارية عليّ وعلى عبد الكريم فرحان من قبل الرئيس عبد السلام عارف[٢٣٥]، وبعد فشل حركة عارف عبد الرزاق وتعيين عبد الرحمن البزاز أول رئيس وزراء مدني منذ سقوط الملكية، فانتشر في البلاد شعور واسع النطاق بأن الوقت قد حان لإنهاء الحكم العسكري. وقوبل عهد البزاز بتأييد رجال الأعمال بسبب تخفيف الإجراءات التي سيطرت الدولة بموجبها على جميع وسائل الإنتاج أو النشاطات الاقتصادية، من جهة ولأن الاتفاق مع الملا مصطفى البرزاني لإنهاء القضية الكردية كان مرضياً للأكراد والعرب على السواء من جهة ثانية[٢٣٦]. وبهذا الصدد يرى محمد رضا الشبيبي الشخصية الوطنية المعروفة أن الابتعاد عن الأسلوب الديمقراطي يكمن وراء فشل الاتحاد الاشتراكي. وأشارت المذكرة التي رفعها الشبيبي إلى السيد عبد الرحمن البزاز رئيس الوزراء إلى أن الهدف الأساس من تكوين الاتحاد الاشتراكي في العراق هو ضم النقابات ومختلف الفئات السياسية العاملة إليه، لكن هذه المنظمة لم يحالفها التوفيق على الرغم من إسناد السلطة لها مادياً ومعنوياً، وذلك لتنازع الأهواء السياسية، إضافة إلى أنها قامت على مبدأ احتكار العمل السياسي. وقد تضمنت المذكرة نقداً للسياسة الاقتصادية إثر تطبيق قرارات تموز/يوليو الاشتراكية ١٩٦٤، حيث أصبحت أوضاع العراق المالية والاقتصادية تتسم بالتخبط والارتباك، مما أدى إلى زيادة البطالة وقلة الإنتاج، إضافة إلى تهريب رؤوس الأموال الوطنية، وخلق العجز في الموازنة الاقتصادية للبلاد[٢٣٧].

ومهما يكن من أمر فقد قاطعت حركة القوميين العرب البزاز على الرغم من محاولته الاتصال بها لتطبيع العلاقات. أما الحزب الشيوعي فقد أدان حكومة البزاز، ووصفها بأنها نابعة من إرادة رجل واحد ومن نفوذ الشخصيات الموالية للإنكليز والاحتكارات النفطية. أما بالنسبة إلى الجانب العسكري فقد ادى إخفاق انقلاب ١٥ أيلول/سبتمبر الذي قاده عارف عبد الرزاق إلى تصدع التحالف القومي في الجيش،

(٢٣٥) انظر: صبحي عبد الحميد، في مجلة الخليج، ص ٨.

(٢٣٦) مجيد خدوري، **العراق الاشتراكي** (بيروت: الدار المتحدة للنشر، ١٩٨٥)، ص ٣١ - ٣٢.

(٢٣٧) محمد رضا الشبيبي، «مذكرة مرفوعة إلى السيد عبد الرحمن البزاز رئيس مجلس الوزراء،» بغداد، ٢٨ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٥، ص ٢ - ٤.

فصدرت نشرات سرية تتهم الضباط القوميين بالهرب والجبن والافتقار إلى مؤهلات القيادة، وفقد الضباط الشباب ثقتهم بقيادة تنظيم الضباط القوميين. وكان من الطبيعي أن تنصب النقمة على عارف عبد الرزاق بشكل خاص الذي أثيرت أسئلة شك وارتياب كثيرة حول عدوله عن متابعة الانقلاب وفق الخطة المقررة. ومن هنا اجتمع ستة ضباط حركيين شباب على رأسهم الملازم الأول الحركي حامد عبد الصالح واتهموا قيادة انقلاب ١٥ أيلول/ سبتمبر بالتقصير والخيانة وعدم الشعور بالمسؤولية، وطرحوا تنظيماً جديداً مستقلاً، ورفضوا الانضواء تحت القيادة الجديدة المؤلفة من فاروق صبري ورشيد محسن والمستقلة عن قيادة عارف عبد الرزاق - وصبحي عبد الحميد. وكان التنظيم العسكري الحركي مؤلفاً من حوالى مائة ضابط أغلبهم من الضباط الصغار الذين وقع عليهم عبء المهمات الخاصة في انقلاب ١٥ أيلول/ سبتمبر[٢٣٨].

وبعد مصرع عبد السلام عارف في نيسان/ أبريل ١٩٦٦ في حادث طائرة هليكوبتر، خلفه أخوه الأكبر عبد الرحمن عارف الذي لم يكن يتمتع بحنكة أخيه وهيبته، وجاء ارتقاؤه إلى الرئاسة لكونه أخ الرئيس الراحل، ولأنه الشخص الوحيد الذي اتفق عليه مرشحو الجيش المتنافسون. ونتيجة لذلك استأنف العسكريون الذين كان عبد السلام عارف قد كبح جماحهم، فتحركت إحدى الفئات العسكرية الناصرية برئاسة العميد عارف عبد الرزاق (للمرة الثانية) للإطاحة بنظام عارف الثاني بالقوة في ٣٠ حزيران/ يونيو ١٩٦٦، ولكن هذه المحاولة هزمت وأحبطت بسرعة. وفي الوقت نفسه أخذ العسكريون يمارسون ضغطاً على عارف لإقالة البزاز، فتأثرت العلاقات بين رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء بعد اجتماعه بعارف، وكان اجتماعاً عاصفاً استقال على أثره البزاز في آب/ أغسطس ١٩٦٦، وبقيت السلطة في أيدي العسكريين. وقد ظهرت أيضاً التكتلات في الجيش، وتبادلت الأيدي الزعامة، وخلف البزاز في رئاسة الوزراء الزعيم الركن ناجي طالب[٢٣٩].

أما صحيفة **الثورة العربية** صحيفة الاتحاد الاشتراكي فقد تحولت بعد تولي البزاز رئاسة الوزراء إلى صحيفة رسمية اتسم نهجها بالتبعية الواضحة للسلطة.

وتحت عنوان «بناء الاتحاد الاشتراكي» دعت الصحيفة في مقالتها الافتتاحية إلى

(٢٣٨) باروت، **حركة القوميين العرب: النشأة ـ التطور ـ المصائر**، ص ١٨٦ ـ ١٨٩.

(٢٣٩) خدوري، **العراق الاشتراكي**، ص ٣٢.

ضرورة الإسراع بإعادة تنظيم وبناء الاتحاد الاشتراكي ليقوم بممارسة مهامه الوطنية والقومية والتاريخية، ويسهم في قيادة المرحلة الحاضرة وتوجيهها، وليكون القاعدة الأساسية التي يستند إليها الحكم. وأدانت الصحيفة في مقالتها الأخطاء السابقة التي رافقت الاتحاد الاشتراكي خلال ممارسته السابقة[٢٤٠]. وتحت عنوان «ما هو مفهوم الاتحاد الاشتراكي» أوضحت الصحيفة في مقالتها الافتتاحية أن الاتحاد الاشتراكي لم يكن تكتلاً يجمع بين أحزاب سياسية... أو هو جبهة تجمع بين الأحزاب والقوى القومية، بل إنه تنظيم سياسي شعبي يضم قوى الشعب العاملة التي تعقد من خلاله تحالفها في إطار الوحدة الوطنية. وقالت الصحيفة إن الذين يفكرون بأن الاتحاد الاشتراكي هو حزب، أو واجهة لحزب أو تكتل سياسي معين، يخطئون في التوصل لمعرفة حقيقة هذا التنظيم. واختتمت المقالة قولها «إنه لا حزبية ولا تكتل سياسياً، ولا جبهة أحزاب بل اتحاد اشتراكي عربي»[٢٤١].

وبعد المحاولة الانقلابية التي قادها عارف عبد الرزاق في ٣٠ حزيران/ يونيو ١٩٦٦ أدانت صحيفة **الثورة العربية** المحاولة وتحت عنوان «المغامرة الطائشة» أشارت في المقالة إلى تصريحات السيد عبد الرحمن البزاز رئيس الوزراء الذي أفصح فيها عن رأيه في أن تلك المغامرة لم تكن تستند إلى أساس قومي، وإنما استندت إلى شعارات براقة فارغة، وأن هؤلاء أبعد ما يكونون عن الوحدة والقومية العربية، بل هم أخطر عليها من أعدائها. وأردف قائلاً: إن فشل هذه المؤامرة وانتهاءها في بحر ساعات قلائل، أكد بما لا يقبل الشك أنها كانت مجرد فقاعة انفجرت ثم انتهت وعاد كل شيء إلى مجراه الطبيعي. وعلقت الصحيفة على تصريحات البزاز أنها كانت تتسم بالوضوح والصراحة، وهكذا هي المغامرات الصبيانية التي لا تستند إلى أية دوافع سياسية أو أساس عقائدي تظل فقيرة وعاجزة وسريعة الانهيار[٢٤٢]، وفي مقالة أخرى وتحت عنوان «القاهرة وبغداد أقوى من الدس والإشاعات» أشادت الصحيفة في مقالتها الافتتاحية بتصريحات د. عبد الرزاق محيي الدين وزير الوحدة حول موقف الرجعية ومحاولاتها المشبوهة من إحداث الوقيعة بين العراق والجمهورية العربية المتحدة مستغلة بذلك أحداث ٣٠ حزيران/ يونيو وجاء في التصريحات، بأن من البديهي أن مؤامرة ٣٠ حزيران/ يونيو هي فرصة ثمينة تستثمرها الرجعية وجميع القوى العميلة في العراق والوطن العربي لوضع إسفين في عرى الوحدة بين القاهرة

(٢٤٠) **الثورة العربية**، ٤/ ٥/ ١٩٦٦.

(٢٤١) **الثورة العربية**، ١٠/ ٥/ ١٩٦٦.

(٢٤٢) **الثورة العربية**، ٣/ ٧/ ١٩٦٦.

وبغداد[٢٤٣]. وتحت عنوان «الاتحاد الاشتراكي والانتخابات» أشارت الصحيفة في مقالتها الافتتاحية إلى تصريحات البزاز خلال مؤتمره الصحافي الذي عقده مع وفد الصحافيين العرب، عن إعادة تنظيم الاتحاد الاشتراكي، على أسس جديدة ليكون هذا التنظيم تجمعاً قومياً يضم القوى المؤيدة للثورة، وأن قانون الانتخابات يتم مع قانون تنظيم الاتحاد الاشتراكي، وأن المرحلة القادمة للعمل السياسي ينبغي أن توضع على الأساس السليم الثابت الذي يمكنها من تحقيق استقرار الوضع السياسي لبلوغ أهداف الثورة في الحرية والاشتراكية والوحدة[٢٤٤]. وهكذا يتضح بشكل جلي انحراف الصحيفة في توجهاتها السياسية، مما يدل على سحب البساط من النفوذ الذي كانت تتمتع به حركة القوميين العرب في عام ١٩٦٤ وحتى حركة عارف عبد الرزاق في ١٥ أيلول/ سبتمبر عام ١٩٦٥. ومما زاد الطين بلة قيام عارف عبد الرزاق بحركته الثانية في ٣٠ حزيران/ يونيو ١٩٦٦ الأمر الذي جعل موقف الحركة يشكل موقفاً عدائياً للسلطة، حيث زاولت في غضون ذلك نشاطها السري من أجل إسقاط السلطة.

وفي تموز/ يوليو ١٩٦٦ اجتمعت اللجنة التنفيذية لحركة القوميين العرب، ودعت اليسار الناصري إلى تأكيد استقلاله الفكري والسياسي والتنظيمي بغية تجنب هيمنة اليمين عليه. وتطبيقاً لهذه الاستراتيجية الجديدة دعت القيادة التنفيذية القومية للقوميين العرب في العراق إلى الانسحاب من الاتحاد الاشتراكي العربي لتولي قيادة اليسار الناصري. ومما يدعو إلى العجب أن الحركة كانت تعتقد بإمكانية تجاوز الأجهزة البيروقراطية الناصرية دون أن تتأثر علاقتها الودية مع عبد الناصر. وقد أثبتت الأحداث التالية بأنها كانت على خطأ، إذ مع حلول العام ١٩٦٧ كانت الحركة في علاقتها مع عبد الناصر قد تدهورت إلى مستوىً متدن جداً[٢٤٥].

---

(٢٤٣) **الثورة العربية**، ٧/٧/١٩٦٦.

(٢٤٤) **الثورة العربية**، ١٨/٧/١٩٦٦.

(٢٤٥) الكبيسي، **حركة القوميين العرب**، ص ١١٣.

الفصل الرابع

حركة القوميين العرب وقضايا الأمة العربية

لمحة تاريخية

بعد عصر الانحطاط أخذت ملامح المشروع القومي العربي تظهر في أوساط النخبة العربية التي حركت أجيالاً عديدة منذ عصر النهضة. وكانت بذرة هذا المشروع هي الإحساس بالانتماء لأمة عربية واحدة تمتد من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي. وأخذ هذا الإحساس بالانتماء إلى مظاهر ومسميات كثيرة[١]. فحينما هوجمت مصر في العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦، تظاهر عمال النفط السعوديون، وقام السوريون بتفجير أنابيب البترول التي تمر في أراضيهم حاملة النفط إلى الغرب، وتوحد الوطن العربي كله مع مصر في مواجهة العدوان، وكان ذلك بسبب الشعور بالانتماء للأمة العربية، والذي كنا نسميه الشعور القومي. فالقومية العربية في أبسط تعريف لها، هي الشعور بالانتماء إلى كيان جماعي واحد، هي الأمة العربية من المحيط إلى الخليج العربي[٢].

لقد تبلورت الأمة العربية تاريخياً وعلى مدى الأربعة عشر قرناً الأخيرة بفعل الإسلام كدين وحضارة، وبفعل اللغة العربية كأداة خطاب وتواصل، وبفعل الجوار

---

(١) وكان من مظاهره مثلاً أن يعرقل الشوام جيوش السلطان التي أرسلها إلى مصر لتأديب أحمد عرابي. ولم يكن أحمد عرابي يعرف هؤلاء الشوام، ولكنهم فعلوا ذلك بتلقائية وعفوية نتيجة ذلك الإحساس المبهم بالانتماء إلى شيء واحد يجمع المصريين والشوام. وحينما دكت جيوش الاحتلال الفرنسي دمشق بالمدافع بعد الحرب العالمية الأولى، وخديعة الحلفاء، وتقسيمهم المشرق، ونكوصهم بوعودهم للشريف حسين خرجت التظاهرات العربية غاضبة مستنكرة، وكتب شوقي قصيدته الشهيرة عن ملحمة صمود عاصمة الأمويين، وقد تغنت أجيال عربية متعاقبة بأشهر أبياتها: «وللحرية الحمراء باب ـ بكل يد مضرجة يدق». وكان هناك نفس ذلك الإحساس العميق بالانتماء بوحدة المصير، وبأننا كلنا في الهم شرق.

(٢) سعد الدين إبراهيم، **مصر تراجع نفسها** (بيروت: دار المستقبل العربي، ١٩٨٣)، ص ١٩٥ ـ ١٩٦.

الجغرافي والتفاعل الاجتماعي كموحدات للضمير والمصالح، وبفعل التحديات الخارجية من الساسانيين والبيزنطيين مروراً بالصليبيين وإلى الاستعمار الغربي الحديث، حتى الصهيونية التي خلقت وحدة الهموم والمصير، والقومية العربية بهذا المعنى لم يخلقها دور أو جهة معينة، والذي خلقها هو الوجود التاريخي الموضوعي لأمة عربية، وكان المشروع القومي في أقصى طموحه يهدف إلى توحيد الشعب العربي في دولة واحدة، وكان في أدنى درجات طموحاته يهدف إلى خلق التضامن العربي في مواجهة المخاطر الخارجية وعلى رأسها الخطر الصهيوني[٣].

لقد اتسمت مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية بالثورات والانتفاضات العربية ضد السلطات الحاكمة، والتي شكلت أدوات استعمارية في الوطن العربي. وعلى الرغم من اقتصار تلك الثورات والانتفاضات في كل قطر عربي على حدة، إلا أن المشاعر الشعبية في كل قطر من أقطار الوطن العربي كانت تعتبر كل ثورة أو انتفاضة ثورة وانتفاضة لها، حيث كانت تتمثل تلك المشاعر بالتأييد المعنوي وأحياناً التأييد المادي، كالتطوع والتبرع وغيرهما. وبهذا عبر الشعب العربي عن شعوره الوحدوي القومي، رغم الحواجز التي وضعها الاستعمار لتجزئة الوطن العربي، والمتمثلة في الكيانات السياسية المختلفة، إلى كيانات سياسية مختلفة. وفي ظل هذه المرحلة من تاريخ النضال القومي للشعب العربي، برزت حركات سياسية قومية دعت إلى وحدة الأمة العربية، وإلى العمل العربي الموحد المتجرد من النظرة القطرية الضيقة. وكانت حركة القوميين العرب واحدة من هذه الحركات التي برزت إلى واقع العمل السياسي العربي لتمارس دورها في النضال التحرري بهدف التخلص من جميع القيود المفروضة على الشعب العربي. وفي خضم هذا التصور وتطور الأحداث حيال القضايا القومية، كانت لدى حركة القوميين العرب مواقف سياسية واضحة إزاءها ومن هذا القضايا:

أولاً: إعلان الوحدة وقيام الجمهورية العربية المتحدة حتى الانفصال عام ١٩٦١

لقد عاشت مصر وسوريا منذ طرد الملك فاروق عام ١٩٥٢ والشيشكلي عام ١٩٥٤ أحداثاً مهمة ومتلاحقة، وانتهج القطران سياسة عربية وخارجية تكاد تكون واحدة. وكانت السلطة بمصر في يد الرئيس جمال عبد الناصر ووزرائه عملاً بأحكام

(٣) المصدر نفسه، ص ١٩٤ ـ ١٩٥.

دستور سنة ١٩٥٦، وكان مجلس الأمة محدود الصلاحيات. أما في سوريا فقد كانت السلطة الحقيقية بيد الضباط الشباب الذين قادوا عملية طرد الشيشكلي في ربيع ١٩٥٤، ولم يكن البرلمان قادراً على أن يوجه سياسة البلاد، وكان الوضع متشابهاً إلى حد بعيد مع مصر، غير أنه لم يكن متطابقاً معها. وتمثل عدم التطابق في مسألتين: هما الديمقراطية الليبرالية غير المتكاملة في سوريا والممنوعة في مصر، وكذلك توجه الدولة الاقتصادي غير الكامل في مصر والمرغوب به في سوريا. وكان لتباين المواقف والاختلاف حول واقع الديمقراطية والتوجيه الاقتصادي في مصر عن واقعهما في سوريا تأثير واضح في قيام وانفصال الجمهورية العربية المتحدة[٤]. ورغم ذلك فقد خطت وحدة مصر وسوريا عام ١٩٥٨ بالوحدة العربية من مرحلة رفع الشعار إلى مرحلة وضع الشعار موضع التنفيذ، ونقلت التحرر القطري من مرحلته كغاية إلى مرحلة التحرر القطري كوسيلة لتحقيق الوحدة. وفي هذا وذاك عمل ثوري رفع القضيتين بشكل حاسم وفعال إلى مستوى أعلى من المستوى الذي كانتا فيه قبل شباط/فبراير ١٩٥٨. ولم تتم الوحدة المصرية ـ السورية[٥] إلا برغبة صادقة جسدها الشعب السوري وقادته وضباطه وأحزابه[٦]. وكانت الجماهير قد وجدت في الوحدة تحقيقاً لحلم طالما راودها[٧]. وكان لإعلان الوحدة المصرية ـ السورية وقيام الجمهورية العربية المتحدة انعكاساته الواضحة على العديد من الدول العربية. ففي العراق عدّت الأسرة الهاشمية وحكومتها الملكية أن الوحدة بين مصر وسوريا تشكل تهديداً لكيان ونظام العراق. وعلى ضوء ذلك حدد العراق موقفه منها برفض الاعتراف بالجمهورية العربية المتحدة، كما حاولت الحكومة العراقية العمل على تطويق العربية المتحدة وعزلها عن طريق عدم اعتراف الدول العربية والأجنبية بها[٨]. وعلى العكس مما أرادت السلطة الملكية، فقد حققت الوحدة جماهيرية واسعة على الصعيد الشعبي في العراق، فعلى الرغم من التعتيم الإعلامي الذي مارسته الحكومة العراقية لمنع الجماهير من إظهار مشاعرها بهذا الحدث التاريخي فقد انهالت

(٤) عوني فرسخ، **الوحدة في التجربة: دراسة تحليلية لوحدة ١٩٥٨** (بيروت: دار المسيرة، ١٩٨٠)، ص ٥٧ ـ ٥٨.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٢٥.

(٦) رياض طه، **قصة الوحدة والانفصال: تجربة إنسان عربي خلال أحداث ١٩٥٥ ـ ١٩٦١** (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٤)، ص ١٨.

(٧) فرسخ، المصدر نفسه، ص ٩٦.

(٨) سعد مهدي شلاش، «موقف الصحافة العراقية من الوحدة المصرية ـ السورية، شباط ١٩٥٨ ـ أيلول ١٩٦١،» (رسالة ماجيستير غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، بغداد، ١٩٩٨)، ص ٧٢.

على الرئيسين جمال عبد الناصر وشكري القوتلي برقيات التأييد والتبريك بقيام الوحدة، مؤكدة لهما بأن الوحدة المصرية ـ السورية هي اللبنة الأساسية للوحدة العربية الشاملة المرتقبة، وتمنوا لها النصر على الاستعمار وأحلافه أعداء القومية العربية[٩].

وبعد ثورة ١٤ تموز/يوليو عام ١٩٥٨ والتي أطاحت بالحكم الملكي في العراق، تبنى القوميون العرب (الاستقلال، البعث، حركة القوميين العرب، القوميون المستقلون) الدخول في الوحدة مع العربية المتحدة. وكان عبد السلام عارف، أحد ركني الثورة، قد أعلن موقفه المؤيد لفكرة الوحدة، فتبنت العربية المتحدة عبد السلام عارف وألقت عليه الأضواء متجاهلة الركن الثاني للثورة العراقية الزعيم الركن عبد الكريم قاسم[١٠]. ولهذا ظل موقف الزعيم عبد الكريم قاسم نابعاً من رغبته في قيام جمهورية مستقلة تحتفظ بخصوصيتها، وبالتالي فإنه اختار الموقف الذي يتعارض مع كل اندماج مع الجمهورية العربية المتحدة[١١]. وعلى صعيد الأحزاب السياسية، أدى قيام الجمهورية العربية المتحدة إلى بداية مرحلة جديدة في تطور حركة القوميين العرب، فقد رحبت الفئات القومية، ومنها الحركة، بنشوء دولة الوحدة بعد سنوات عديدة من الوجود الإقليمي المنفصل. وعدّت الحركة هذا الحدث بمثابة يقظة عربية ثاقبة وربطت مصيرها بمصير دولة الوحدة الجديدة. وما إن قامت الجمهورية العربية المتحدة ما بين سوريا ومصر في شباط/فبراير ١٩٥٨ حتى رأت فيها حركة القوميين العرب أنها نواة للوحدة العربية الشاملة، وكماشة قوة لمحو «إسرائيل». وأخذت الحركة تعمل كأداة طوعية للجمهورية العربية المتحدة في الوطن العربي[١٢]. وفي بيان أصدرته الحركة تحت عنوان «مصر سوريا جمهورية واحدة» أكدت فيه إلى أن الوحدة العربية في النضال السابق كانت تفتقر إلى مقوماتها النضالية التي تستطيع أن تنقلها من حيز الأمنية العاطفية إلى مستوى الهدف الإرادي الفاعل، وتعطيها قوة المطلب الأساسي المدعوم بقوة شعبية. فالهيئات التي دعت وعملت للوحدة العربية عن إيمان وإخلاص كان نضالها يفتقر إلى القيادة الواعية المجربة التي تعطي دعوة الوحدة حرارة الإيمان العقائدي وتبثها في نفوس الجماهير كهدف

---

(٩) المصدر نفسه، ص ٧٣.

(١٠) سامي عصاصة، **أسرار الانفصال: مصر... سوريا** (القاهرة: دار الشعب، ١٩٨٩)، ص ١٤٧.

(١١) صلاح الدين اسماعيل الشيخلي «العلاقات العراقية ـ المصرية بين عامي ١٩٥٢ ـ ١٩٦١،» (رسالة ماجيستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية القانون والسياسة، ١٩٨٠)، ص ٣٠٨ ـ ٣٠٩.

(١٢) محمد جمال باروت، **حركة القوميين العرب: النشأة ـ التطور ـ المصائر** (دمشق: المركز العربي للدراسات الاستراتيجية والعسكرية، ١٩٩٧)، ص ١١٤ ـ ١١٧.

أساس، وقوة نضالية شعبية دافعة. واتخذ البعض الآخر من الوحدة وسيلة لكسب تأييد الشعب والمتاجرة بعواطفه وأمانيه، فكانت الدعوة تخفت تدريجياً وتتوقف حين يلمس هؤلاء أنها بلغت مستوى من الجدية قد يتجاوز عملياً حدود الكيان. فما أسرع ما كانت عندئذ تتلاشى في غمرة المصالح الفردية الإقليمية. وتابعت الحركة في بيانها القول إن الخطوات الوحدوية المتعددة التي كانت تسير جنباً إلى جنب مع النضال التحرري في مصر وسوريا، إنما كانت في حقيقتها تعبيراً عن تبلور الشعور القومي العربي، وترسيخ الوحدة العربية كهدف أساسي للشعب القومي العربي في هذه المرحلة، وارتباط نضال التحرر بهدف الوحدة. وأردف البيان أن الشعب العربي في مصر وسوريا وفي كل أجزاء الوطن العربي قد عقد العزم على تحقيق الاتحاد بين البلدين المتحررين كخطوة أولى نحو الوحدة العربية الشاملة، لأن إرادة الوحدة هي إرادة الشعب وإرادة الشعب هي إرادة الحياة والبقاء والتقدم وإرادة الحياة والبقاء فوق كل إرادة[١٣]. هذا وقد نظرت حركة القوميين العرب إلى الجمهورية العربية المتحدة على أنها نواة لدولة عربية قومية أوسع قادرة على خلق حياة أفضل للأجيال القادمة، مما جعل أعضاءها أدوات طوعية للجمهورية العربية المتحدة. وخلال مرحلة ما بعد ثورة ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨ انتهجت الحركة في العراق البرنامج الذي وضعته لجنتها التنفيذية عام ١٩٥٩، والذي تضمن التركيز على قضية الوحدة العربية، والصراع ضد الشيوعيين المحليين والقوى الرجعية في الوطن العربي، والتأكيد على سياسة الحياد الإيجابي ودعم الثورة الجزائرية ودعم الجمهورية العربية المتحدة على الصعيدين الداخلي والخارجي[١٤].

ومن أجل تعميق النهج الفكري لتثقيف أعضائها، ولحشد الجماهير العراقية للاندفاع نحو الوحدة بالضغط على حكومة الثورة في العراق، أصدرت حركة القوميين العرب في أيلول/سبتمبر ١٩٥٨ نشرة باسم **الوحدة** تطبع في بغداد وتوزع على التنظيم داخل العراق، وذلك لطرح فكرة الحركة التي تعبر عن النضال من أجل وحدة العراق الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة، كما كانت تفضح ممارسات نظام عبد الكريم قاسم المعادية للوحدة والتيار القومي. وفضلاً عن نشرة **الوحدة** فقد أصدرت الحركة، وكما نوهنا إلى ذلك في صفحات سابقة، بعض الكراسات

---

(١٣) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ١١/٢٢، بيان الشباب القومي العربي، مصر وسوريا جمهورية واحدة، ١٩٥٨.

(١٤) باسل الكبيسي، **حركة القوميين العرب**، ترجمة نادرة الخضيري الكبيسي، ط ٤ (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٥٨)، ص ١٠١ ـ ١٠٦.

والكتب الصغيرة والمنشورات التي أكدت فيها على أهمية الوحدة كخطوة سياسية وقومية.

وفي كراس **الوحدة... طريقنا** الذي صدر في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٨ باسم حركة القوميين العرب ركزت فيه على أولوية قيام دولة تضم مصر وسوريا والعراق في سبيل الوحدة والتحرر والثأر، وقيام مجتمع قومي تقدمي، ورأت الحركة أن الثورة في العراق مطالبة اليوم بالانضمام لنواة الوحدة العربية المتمثلة بالجمهورية العربية المتحدة، وزيادة إمكانياتها وطاقاتها لتكون أقدر على تحمل أعباء مسؤولية المعركة القومية، وأن هذا الفهم لمعنى وأسلوب المساهمة الجدية في معركة التحرر العربي هو الفهم الوحيد الذي ينسجم ومنطق النضال القومي السليم، وأي معنى أو أسلوب آخر إنما يعني انكماش المساهمة في المسؤولية القومية، وتطلعها إلى حدود الإسهامات السطحية. وأكدت الحركة في كراسها أن التجزئة والاستعمار هما العدوان الرئيسيان للأمة العربية، وأنهما كانا المرتكز في خلق «إسرائيل» وتدعيم ركائز الرجعية العربية... وبالتالي فقد كان نداء «الوحدة... فوراً هو المطلب الملح لحماية العراق وثورته»[١٥].

ولم يكن كراس **الوحدة... طريقنا** هو الوحيد الذي صدر في تلك الفترة، بل كانت هناك كراسات عديدة أخرى اتسمت بالنقد الشديد للشيوعيين وتذكيرهم بمشروعهم للاتحاد الفدرالي الذي طرحوه شعاراً ضد الوحدة الفورية، وبتأثير من الشيوعيين السوريين لامتصاص موجة التيار الوحدوي[١٦]. كما شنت الحركة علاوة على ما سبق حملة عنيفة على الأعمال الدموية التي نفذها الشيوعيون في العراق.

وقد هاجم القوميون العرب في نشرتهم السرية **الوحدة** التي ساعد هاني الهندي في إصدارها نشاط الحزب الشيوعي، واتهموه بالعمل ضد مبادئ القومية والوحدة العربية. ولأن قضية الوحدة كانت أهم القضايا المطروحة في ذلك الحين، قامت الحركة بنشر عدد من الدراسات التي ركزت على الوحدة العربية، ومنها «العراق وأعداء الثورة ـ ١٩٥٩» و«الوحدة ثورة ومسؤولية ـ ١٩٥٩»[١٧].

---

(١٥) «الوحدة... طريقنا،» إصدار حركة القوميين العرب، تشرين الأول/أكتوبر ١٩٥٨.

(١٦) هاني الهندي وعبد الإله النصراوي، محرران، **حركة القوميين العرب: نشأتها وتطورها عبر وثائقها، ١٩٥١ ـ ١٩٦٨: الكتاب الأول، ١٩٥١ ـ ١٩٦١**، ٣ ج (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ٢٠٠١ ـ ٢٠٠٣)، ج ١، ص ١٣٨.

(١٧) الكبيسي، **حركة القوميين العرب**، ص ١٠٥.

ومع نهاية عام ١٩٥٩ قامت الحركة بإعادة طبع كتاب **مع القومية العربية**، الذي كان قد طبع لأول مرة في القاهرة عام ١٩٥٧ للحكم دروزة، من قبل الطلبة الكويتيين المبعوثين إلى القاهرة، وعندما أعيد طبعه في العراق، وضع حامد الجبوري كمشارك في تأليفه لأسباب سياسية. وقد تضمن الكتاب الآراء السياسية لحركة القوميين العرب وتوسيع طباعة نشرة **الوحدة** بشكل دوري وسري حيث هاجمت بشدة سياسة قاسم التي عملت على شق السياسة العربية، وطالبت بوحدة العراق مع العربية المتحدة، كما طالبت **الوحدة** بتشكيل جبهة قومية في العراق ضد الخطر الشيوعي، وفتحت الحركة في العراق عام ١٩٦١ المنتدى الثقافي العربي في منطقة الأعظمية ببغداد. وغدا المنتدى مركزاً لتجنيد الطلاب الجامعيين والثانويين، ومكاناً يدعى إليه العديد من الأعضاء البارزين في حركة القوميين العرب لإلقاء المحاضرات التحريضية[١٨].

وقد تشكلت «الجبهة القومية في العراق» في نهاية عام ١٩٥٩ من الأحزاب القومية الثلاثة: حزب البعث العربي الاشتراكي، وحزب الاستقلال، وحركة القوميين العرب وشخصيات قومية سياسية بارزة، وأعلنت عن نفسها في كانون الثاني/يناير ١٩٦٠[١٩].

وفي الوقت ذاته تابعت الحركة اتصالاتها بين العسكريين، إذ استطاعت أن تنشأ لها خلية عسكرية من الضباط القوميين. وقد وجد هذا التوسع التنظيمي في صفوف القوات المسلحة لدى الجمهورية العربية المتحدة اهتماماً متزايداً لنشاطات الحركة، فسارعت إلى احتضان أعضائها بالعمل على تدريب البعض منهم في الإقليم الشمالي ـ سوريا ـ عن طريق التنسيق مع العقيد عبد الحميد السراج مدير المكتب الثاني في سوريا[٢٠].

ومهما يكن من أمر فقد امتازت حركة القوميين العرب في العراق بتشديدها على قضية الوحدة العربية. ومع التحول الذي طرأ على سياسة ثورة ٢٣ تموز/يوليو في مصر وتبنّي جمال عبد الناصر لقضايا النضال القومي التحرري، وضعت الحركة نفسها في خدمة عبد الناصر وتبني سياسته الوحدوية القومية، وتخلت عن نظرتها

---

(١٨) وليد قزيها، **التحول الثوري في العالم العربي: حبش ورفاقه من القومية إلى الماركسية**، ترجمة سليم بركات (القاهرة: الجامعة الأمريكية، دائرة العلوم السياسية، ١٩٧٣)، ص ٣٨.

(١٩) رسالة خطية للباحث من نايف حواتمة.

(٢٠) انظر محاضرة أمير الحلو، «حركة القوميين العرب في العراق ١٩٥٨ ـ ١٩٦٦،» في عمان بتاريخ ٧ تموز/يوليو ١٩٩٦، ص ١٠.

السابقة المركزية وحدة سوريا والعراق والأردن، وأصبحت وحدة مصر وسوريا هي الأساس والمنطلق لأي عمل وحدوي. ورأت حركة القوميين العرب في دولة الوحدة الجديدة تجسيداً للآمال العربية وطموحاتها نحو الوحدة، وعدّت الحركة نفسها جهازاً تابعاً لعبد الناصر وسياسته الوحدوية.

لقد ربطت حركة القوميين العرب نفسها كتنظيم وأيديولوجية بالحركة الناصرية، وأصبحت الناصرية بالنسبة إليها تجسيداً لكل الطموحات العربية، وكل التحولات الثورية في الوطن العربي. واعتبرت الحركة أن الناصرية تمثل النهج الثوري الوحيد المؤهل لقيادة الحركة الثورية العربية، وحركة اليسار العربي. ومن هذا المنطلق استطاعت حركة القوميين العرب في عمليات الكسب الجديد أن تعتمد على اتجاه القوميين بالانضواء تحت لواء تنظيم قومي ناصري، ولذا يمكن القول أن الغالبية العظمى من المنتمين إلى الحركة كانوا ناصريين[٢١]. ويذكر محسن إبراهيم أحد منظري حركة القوميين العرب، أن الحركة امتازت في هذه المرحلة بالتطرف، وهي المرحلة التي سماها إبراهيم «المرحلة القومية»، حيث اتسمت تلك المرحلة بالإلحاح الشديد على قضية الوحدة العربية. ولم تحاول الحركة البحث في قضايا نضالية عربية أخرى، إذ رأت في الوحدة العربية حلاً لجميع مشاكل الأمة العربية. وهذا الإلحاح من الحركة على قضية الوحدة العربية دفعها إلى انتهاج ممارسات سياسية وحدوية رومانطيقية وضبابية، بحيث التصقت بها شعارات مميزة مثل «الوحدة بأي ثمن» و«الوحدة أولاً وآخراً» و«الوحدة طريق التحرير ومفتاح لكل المعضلات التي يواجهها المجتمع العربي...» الخ. هذا التقديس للوحدة وبمضامينه الطبقية والتقدمية المتصلة بمجمل الصراعات التي كانت حركة التحرر الوطني العربي تخوضها ضد تحالف الاستعمار والإقطاع والبرجوازية[٢٢].

أما جورج حبش فيذكر في حواره مع فؤاد مطر إنه بعد قيام الوحدة دخلت حركة القوميين العرب مرحلة جديدة، وهي العمل ضمن الاستراتيجية الناصرية لتحقيق أهداف ما أسميناه في تلك الفترة بـ«القيادة الرسمية للثورة العربية». وقد وقفت الحركة في معسكر الجمهورية العربية المتحدة، واندفعت تقاتل بحماسة في المعارك التي كانت تخوضها ضد أعدائها من الإمبرياليين والصهاينة والقوى الرجعية التي أرعبها تحقيق الوحدة، وبعد ثورة العراق في ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨ بأسابيع زاد

(٢١) المصدر نفسه، ص ٥ - ٦.

(٢٢) محسن إبراهيم، **لماذا...؟ منظمة الاشتراكيين اللبنانيين: حركة القوميين العرب من الفاشية إلى الناصرية: «تحليل ونقد»** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٠)، ص ٢١.

معسكر الخصم، بانضمام الشيوعيين لمحاربة الوحدة، ولذا فقد قاتلت الحركة النظام القاسمي طيلة سنوات حكمه ١٩٥٨ - ١٩٦٣، واحتفظت الحركة في هذه الفترة بتنظيمها السري في العراق وبقية الأقاليم التي نشطت فيها[٢٣].

وعلى أي حال فقد استمر إسناد حركة القوميين العرب في العراق لدولة الوحدة بكل قواها التنظيمية والجماهيرية، وتحت عنوان «اليوم هو يوم الوحدة الخالد... بنضالنا العربي الموحد سنحطم المؤامرات الاستعمارية والانفصالية والصهيونية»، أصدرت الحركة بياناً في ذكرى الوحدة أوضحت فيه أن قوة الجمهورية العربية المتحدة الآن ومناعتها وضخامة الدور الذي تلعبه في الكفاح القومي العربي، كل ذلك لا يرجع فقط إلى قوة هذه الجمهورية المادية والبشرية، بل إلى كون هذه الجمهورية تمثل خطاً آمنت به الجماهير العربية بأسرها، أنه خط الوحدة والتحرر والحياد الإيجابي وعدم الانحياز. هذا على صعيد الكفاح السياسي القومي، أما على صعيد البناء الاجتماعي فإن الجمهورية العربية المتحدة في نهجها نحو التصنيع الوطني الثقيل والخفيف، وتصفية الإقطاع فإنها في رأي الحركة أن العربية المتحدة تمثل أمل العرب في العيش ضمن مجتمع اشتراكي قومي عادل، يتحقق فيه الرفاه والحياة الكريمة. وأضاف البيان أن قيام الوحدة بين مصر وسوريا قد قلب ميزان القوى في هذه المنطقة من العالم، فقامت ثورة لبنان ضد عهد كميل شمعون ثم وصلت الأحداث في نضجها حتى القمة، فكانت ثورة ١٤ تموز/يوليو وتحطمت قلعة الاستعمار والرجعية في الوطن العربي. واختتم البيان قوله عاشت القومية العربية الخالدة... وعاشت الأخوة العربية الكردية... وعاش نضال الشعب العربي في سبيل الوحدة والتحرر والثأر[٢٤]. وأوضحت الحركة في كراس لها تحت عنوان «العراق وأعداء الوحدة» في أن القومية واقع موضوعي تاريخي قائم، وأن الاستقلال القومي هو الأساس الأصلح لتنظيم المجتمع الإنساني. واعتقدت الحركة أن أول أهداف هذا النضال هو وحدة كيان الأمة، واستقلالها القومي ضمن دولة واحدة مستقلة، وأن القوميين العرب حين رفعوا شعار الوحدة، إنما تجاوبوا مع عقيدتهم ومع إرادة الجماهير العربية في العراق التي أطلقت بشعار الوحدة، في الميدان بشكل طبيعي تلقائي صادق، وأن القوميين العرب ما خرجوا قط في نضالهم من أجل

(٢٣) فؤاد مطر، **حكيم الثورة: قصة حياة الدكتور جورج حبش**، ط ٤ (لندن: منشورات هاي لايت، ١٩٨٤)، ص ٦٥ - ٦٦.

(٢٤) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ١١/٢٢، بيان حركة القوميين العرب في الذكرى الأولى لقيام الوحدة الصادر في شباط/فبراير ١٩٥٩.

الوحدة عن الأساليب الشريفة التي تضع حرية الفكر في المكان الأول من منهجها. أما الشيوعيون فهم الذين استخدموا وما زالوا يستخدمون أساليب الضغط والإرهاب من أجل تزوير إرادة شعب العراق وكبت رغباته القومية الحقة[٢٥]. وأشار الكراس إلى أن هناك قوى قومية مخلصة لن تسمح بتنفيذ مخطط الشيوعيين، وستقف حائلاً أمام خطة عزل العراق عن مصيره القومي الطبيعي، فهناك الفئات القومية التي تضم حركة القوميين العرب وحزب البعث العربي الاشتراكي وشباب حزب الاستقلال والرابطة القومية وكل العناصر التي ترى في المجتمع القومي الاشتراكي الصورة التي نريدها للغد المأمول. وهناك جيش العراق الذي يشكل مؤسسة قومية تعتز بتاريخها وتقاليدها النضالية والعسكرية، وأن هذه القوى تؤازرها جماهير الشعب في العراق بعربه وأكراده، والتي لن يقف الإرهاب الشيوعي طويلاً أمامها، لأن فكرة القومية هي فكرة حقة، ولأن المعركة العربية ستظل تسير في طريقها الصاعد لتجعل من القومية العربية صخرة منيعة تتحطم عليها جميع محاولات الاستعمار والشيوعية التخريبية[٢٦].

لقد أخذت الحركة في هذه الفترة بدءاً من عام ١٩٥٩ على وجه التحديد تواجه من داخلها أول تحد إيديولوجي وسياسي لتكوينها القومي التقليدي، وذلك إثر تقرير اللجنة الفكرية التي كان يترأسها محسن إبراهيم عضو القيادة القومية التنفيذية. وكان هذا التقرير في مختلف وجوهه انقلاباً أيديولوجياً وسياسياً طرح إعادة النظر جذرياً ببنية الخطاب القومي التقليدي لـ«الحركة وبمنطلقاته النظرية - السياسية» فطالب باستبدال شعار الثأر بشعار أساسي من نوع تحرير فلسطين، ونقض مطابقة الحركة ما بين اليهودي والصهيوني، ورفض نظرية المرحلتين مؤكداً على التشابك بينهما، وأكد على ضرورة إعادة النظر بمبدأ الوحدة بأي ثمن وجعل الموقف من الوحدة بمضمونها السياسي[٢٧]. ورغم كل التصورات والتنظيرات في هذا الإقليم أو ذاك، فإن حركة القوميين العرب في العراق استمرت في دعمها وتجديد دعواتها للوحدة، فتحت عنوان «بيان حركة القوميين العرب في الذكرى الثالثة لمولد الجمهورية العربية المتحدة» أصدرت بياناً باركت فيه الانتصارات الكبرى إثر قيام وحدة مصر وسوريا ومولد الجمهورية العربية المتحدة، وجاء في البيان أن معركة الوحدة العربية ما زالت في بدايتها تتطلب من شعبنا المزيد من النضال والتضحيات والمزيد من الكفاح المستمر المنظم للسير بعملية التوحيد خطوات جديدة لتوسيع رقعة

(٢٥) «العراق وأعداء الوحدة،» إصدار حركة القوميين العرب، آذار/مارس ١٩٥٩، ص ٢٣ - ٧٣.

(٢٦) المصدر نفسه، ص ٧٨ - ٧٩.

(٢٧) باروت، **حركة القوميين العرب: النشأة - التطور - المصائر،** ص ١٣٦.

نواة الوحدة العربية. ولعل القسط الأكبر من المسؤولية التاريخية تقع اليوم على عاتق شعبنا في العراق بكافة عناصره المخلصة، وأن شعبنا في العراق يدرك بعمق ووضوح أن توحيد العراق مع الجمهورية العربية المتحدة كخطوة جديدة في طريق الوحدة الشاملة سيضع الأمة العربية على أبواب النصر النهائي الحاسم في كافة معاركها، وعلى كافة أعدائها، والنصر لشعبنا العربي وعاشت الجمهورية العربية المتحدة نواة للوحدة الشاملة، والمجد للقومية العربية[٢٨].

وفي الأسبوع الأخير من تموز/يوليو ١٩٦١ وفي عيد الثورة المصرية التاسع، أصدر الرئيس جمال عبد الناصر القرارات الاشتراكية التي تناولت التأميم لعشرات المصانع والمؤسسات الاقتصادية الكبيرة في الإقليمين. وقد هز هذا الإجراء المهم القواعد الاقتصادية للبرجوازية الكبيرة المصرية - السورية، كما سبق لقانون الإصلاح الزراعي أن أسقط مرتكزات الإقطاع في القطرين. وبعد أقل من عشرة أسابيع قامت مجموعة من ضباط الجيش الأول صباح يوم ٢٨ أيلول/سبتمبر بانقلاب عسكري انفصالي، حيث تم فك الوحدة مع مصر وإعلان عودة سوريا لنظامها الجمهوري المستقل، برئاسة مأمون الكزبري المعروف بعلاقته الوثيقة مع الجهات الأنكلو - أمريكية[٢٩]. ففي الساعة الخامسة إلا ربعاً بعد منتصف ليلة ٢٧ - ٢٨ أيلول/سبتمبر ١٩٦١ سمع إطلاق نار في المنطقة التي تقع فيها بناية القيادة العامة للجيش الأول، وكان تبادل إطلاقات مدافع الدبابات والسيارات المصفحة والرشاشات كفيلاً بإيقاظ الشعب السوري. ويشير التقرير الذي أرسله القنصل العام للجمهورية العراقية في دمشق إلى وزارة الخارجية في بغداد بتاريخ ٥ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦١ إلى أنه نقل بتاريخ ١٩ آب/أغسطس ١٩٦١ أي قبل وقوع الانقلاب، ما قاله قنصل الولايات المتحدة الأمريكية عن وجود تمرد في الجيش، وما نقله إليه قنصل الأرجنتين العام في دمشق، وهو صديق للقنصل الأمريكي المستر نايت، وكذلك ما تم من تحاور مع القنصل العام السوفياتي ظهر يوم ٢٦ أيلول/سبتمبر ١٩٦١ أي قبل وقوع الانقلاب بيومين، وما أكده خلال الاجتماع من أن الجيش يكره السراج كرهاً بالغاً. ومن هنا نستطيع أن نفهم أن الأمريكيين والسوفيات والأرجنتينيين والعراقيين كان لديهم علم مسبق بوجود استياء عام في صفوف الجيش

(٢٨) دار الكتب والوثائق، الملف رقم ٢٧٣٢، ١٢/٧، بيان حركة القوميين العرب في العراق في ٢٢ شباط/فبراير ١٩٦١.

(٢٩) الهندي والنصراوي، محرران، **حركة القوميين العرب: نشأتها وتطورها عبر وثائقها، ١٩٥١ - ١٩٦٨: الكتاب الأول، ١٩٥١ - ١٩٦١،** ص ٢١٦.

قد يؤدي في أي لحظة إلى الانقلاب[٣٠]، وتولت حكومة الدكتور مأمون الكزبري التي تألف طاقمها من ممثلي الغرف الصناعية والتجارية والسياسيين القدامى الهندسة الدستورية والقانونية لعملية الانفصال، وبعث الكيان السوري بالدعوة إلى انعقاد مجلس تأسيسي واستفتاء على دستور جديد في الأول من كانون الأول/ ديسمبر عام ١٩٦١، ومنحت هذه الحكومة بقراراتها وقبيل اتخاذها لأي إجراء (انفصالي) مضمون الرد على قوانين تموز/ يوليو ١٩٦١ الاشتراكية، والتي كانوا في مقدمة المتضررين منها[٣١].

إن المؤامرات على الوحدة بدأت منذ يوم ولادتها، فقد كان قيام اتحاد هاشمي بين العراق والأردن يمثل رداً سريعاً على خطوة الوحدة، وبذلوا الأموال من أجل اغتيال الوحدة. فدخلت الأموال خزينة الجمهورية العربية المتحدة، وقدموا الرشوة فانكشف أمرهم ونبذتهم شعوبهم ومدوا أيديهم إلى الغرب وتحالفوا معه فلم يصيبوا مغنماً. وقد أعيتهم الحيل وضاعت منهم الفرص، وفشلت جهودهم وتخبطوا وتعثروا فزاد حنقهم، والجمهورية العربية المتحدة تسير في طريقها، ولم يبق أمام هؤلاء إلا الباب الخفي... لجأوا إليه، ودفعوا الأموال وانهارت أمام إغراءاتهم بعض النفوس الضعيفة التي أغراها الوعد وأذلها المال، فضعفت وقبلت أن تضع يدها في أيدي أعداء العروبة والقومية. واستيقظ الشعب السوري يوم ٢٨ أيلول/ سبتمبر ١٩٦١، فإذا بإذاعته تنقل إليه البيان رقم (١) وكانت مفاجأة البيان رقم ١... أنه يحمل إليهم نبأ انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة، لتعود دولة غير مستقرة تتنازعها التيارات والمطامع والأهواء[٣٢]. وما إن وصلت أخبار الانقلاب العسكري السوري إلى بغداد، وعلمت حركة القوميين العرب بانفصال عُرى الوحدة السورية - المصرية، حتى قامت الحركة بتنظيم تظاهرة واسعة شملت أنصارها والمؤيدين للوحدة العربية، حيث انطلقت من منطقة الكرخ في بغداد بعد سماع خطاب الرئيس جمال عبد الناصر الذي ألقاه بخصوص الانفصال في سوريا، وقد رفعت في تلك التظاهرة الشعارات المنددة بالانفصاليين أعداء الوحدة. حيث سارت إلى جانب الرصافة سالكة شارع الرشيد، ومارة أمام وزارة الدفاع مقر عبد الكريم قاسم، ثم توقفت أمام سفارة الجمهورية العربية المتحدة، فمنطقة الكسرة قرب الأعظمية حيث اصطدمت

(٣٠) شلاش، «موقف الصحافة العراقية من الوحدة المصرية - السورية، شباط ١٩٥٨ - أيلول ١٩٦١،» ص ١٦٩.

(٣١) باروت، **حركة القوميين العرب: النشأة - التطور - المصائر**، ص ١٥٣.

(٣٢) شلاش، المصدر نفسه، ص ١٩٥.

مع قوات الشرطة وتوقفت بالقوة[٣٣].

لقد كانت ثورة عبد الناصر واحدة من الثورات الكبرى في تاريخ مصر والأمة العربية والنهضة العالمية الحديثة، وناصرية عبد الناصر في حركة تطور إنجازاتها الاستراتيجية عظمى، إلا أن أخطارها كبرى وفي المقدمة العداء للحياة الحزبية الوطنية والثورية، وغياب الديمقراطية التقدمية، وتطاول الأذرع المخابراتية والأمنية على البشر وخلايا المجتمع والقفز عن القانون، ورفض احترام مؤسسات المجتمع المدني، فضلاً عن التضاد مع ضرورات تطورها[٣٤]. وقد واجهت حركة القوميين العرب تجربة الوحدة وفشلها بالنقد لقيادة العربية المتحدة وسلطاتها، وذلك إثر الانفصال المقيت في أيلول/ سبتمبر عام ١٩٦١ حيث أصدرت حركة القوميين العرب تعميماً صادراً عن لجنة الإدارة[٣٥] في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٦١ حول الانفصال، عبرت فيه عن وجهة نظرها، وقد جاء فيه: في هذه الظروف الأليمة التي نشهد فيها تحطم أول تجربة للوحدة في تاريخ العرب الحديث، يجب أن ننتشل أنفسنا كحركة عقائدية من جو الأسى العميق الذي خيم على الشعب العربي بأسره، ولنقف أمام هذه الكارثة القومية الكبرى ونحلل أسبابها ونتمثل دروسها ونحدد واجباتها النضالية التاريخية الجديدة[٣٦]. وقد حددت الحركة مسؤولية الانفصال إلى ما قام به الاستعمار والجبهة العربية الرجعية فضلاً عن العوامل الداخلية الأخرى التي جمعها قاسم مشترك هو محاربة الجمهورية العربية المتحدة، كالشيوعيين والقوميين السوريين والسياسيين الانتهازيين الذين أقصت السلطة بعضهم من المسرح السياسي، والرجعية الانتهازية الاقتصادية التي قضى الاتجاه الاشتراكي الواضح لدولة الوحدة على مصالحها الكبيرة في ميدان التملك الفردي. وبعد تحليل مطول للأوضاع التي آلت إليها دولة الوحدة، والتي تم الانفصال على أساسها خلصت الحركة إلى القول: أمام هذه الصورة الكبرى الأساسية يجب أن نقف اليوم لنواجه حملات التهويل والأخطار التي تهدف إلى تشويه صورة الوحدة وطمس كل منجزاتها وتصويرها كسلسلة لا متناهية من الأخطاء، وهذا لا يعني بالطبع أن لا نعترف بالأخطاء في مكانها الصحيح في

(٣٣) انظر محاضرة الحلو، «حركة القوميين العرب في العراق ١٩٥٨ - ١٩٦٦،» ص ٨.

(٣٤) **نايف حواتمة يتحدث**، إعداد وحوار عماد نداف (بيروت: دار المناهل؛ دمشق: دار الكتاب، [د.ت.])، ص ٧٥.

(٣٥) تعد لجنة الإدارة بمثابة مكتب سياسي منبثق عن اللجنة التنفيذية القومية، وتضم المتفرغين الذين يقودون العمل في عموم التنظيم القومي وينفذون قرارات اللجنة التنفيذية.

(٣٦) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ١١/٢٢، القيادة القومية التنفيذية، لجنة الإدارة، تعميم حول الوحدة والانفصال، تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٦١، ص ٤.

ضمن الصورة العامة للجمهورية العربية المتحدة، وأن ننتشل المواطن منها ومن جو التفاصيل الذي يحاول العهد القائم إغراقه، وأن نفرق دوماً بين الوحدة وبين الحكم في دولة الوحدة[٣٧]. لقد حدث الانهيار المفاجئ للوحدة السورية ـ المصرية ومعها انهار واحد من أحلام حركة القوميين العرب الكبرى. ففي عام ١٩٦١ حين حدث الانفصال شعرت الحركة بأولى الضربات العنيفة التي ضربها الاستعمار، ولتجد أنها لم تفقد حلماً استراتيجياً، بل أساساً متيناً من أسس وعيها القومي للعالم والتاريخ والمجتمع، وكانت تؤمن من قبل إيماناً مطلقاً بأن هذا الوعي يملك حلولاً مثالية وحاسمة لأمراض المجتمع العربي، ولكن موقفها تغير فجأة وفي سياق التنافس والتناقض والاحتراب بين الوعي القومي للحركة وبين الوعي الطبقي للشيوعية. وقد لاحظ د. وميض عمر نظمي بحق أن مأساة الانفصال الكبرى عام ١٩٦١ كانت البداية ثم توقفاً للاتجاه نحو الاشتراكية العملية لعدد كبير من الشباب القومي. فهؤلاء اكتشفوا في غمرة الحرب ضد الشيوعية أن الحديث عن تآخي الطبقات أو اللاطبقية لا معنى له في الواقع الملموس[٣٨]. كما كان من نتيجة الانفصال الذي حدث في الوحدة السورية ـ المصرية انهيار الجبهة القومية في العراق تحت ضغط المشروع السياسي الخاص لكل من أحزابها الثلاثة، والسباق على كسب ضباط الاتجاه القومي المستقل[٣٩]. ولا شك في أن الانسحاب من الجبهة القومية جاء نتيجة العلاقات الوثيقة بين الحركة وعبد الناصر. وترتب على هذا الانسحاب انهيار اللجنة القومية العليا للضباط الأحرار وانشقاقها إلى لجنة بعثية ولجنة قومية أو ناصرية متحالفة مع حركة القوميين العرب. وكان نايف حواتمة يمثل الحركة في الجبهة القومية آنذاك[٤٠]. وفي ضوء ما تقدم نرى أن الحركة ظلت محافظة على وضعها العام من حيث التنظيم والأيديولوجية، رغم الخلافات والاجتهادات داخل منظومتها، إلا أن ذلك لم يظهر ويتفجر بشكل واضح وجلي إلا بعد الانفصال عام ١٩٦١.

وهكذا نلاحظ أن حركة القوميين العرب في العراق، وهي كجزء من الحركة القومية العربية، قد رحبت كثيراً بوحدة القطرين السوري والمصري، معتبرة الرئيس عبد الناصر أنموذجاً قومياً لقيادة النضال العربي الوحدوي الذي سوف يؤدي بالنتيجة

(٣٧) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ٢٢/١١، ص ٧ ـ ٨.

(٣٨) فاضل الربيعي، **كبش المحرقة: نموذج لمجتمع القوميين العرب** (بيروت: رياض الريس، ١٩٩٩)، ص ٢٦٠ ـ ٢٦١.

(٣٩) انظر محاضرة الحلو، «حركة القوميين العرب في العراق ١٩٥٨ ـ ١٩٦٦،» ص ٦.

(٤٠) **نايف حواتمة يتحدث**، ص ١٦.

إلى إيجاد الحلول القومية لمسألة إنهاء الصراع مع الكيان الصهيوني، واسترجاع الوطن العربي فلسطين من براثنهم، لكنها قد أغفلت في خضم الأحداث السياسية لهذه الوحدة أن الشعب العربي لم يكن جميع أفراده مهيأين من الناحية الفكرية العملية إلى مثل هذه الوحدة، إذ إن الأقطار العربية خضعت طويلاً للاستعمار بشتى صوره، الأمر الذي ترك لدى الكثيرين من أفراد الشعب العربي سلسلة من التراكمات الفكرية الانعزالية والقطرية والطائفية والتي بدأت بتغذيتها الرجعية العربية التي ما زال قسم منها مرتبطاً بالاستعمار بشكل أو بآخر، ناهيك عن أصحاب المصالح الخاصة من كبار الإقطاعيين والرأسماليين في الوطن العربي، ولذا فقد آلمت كثيراً نكبة الانفصال حركة القوميين العرب، وبدأت بوقفة مطولة في دراسة تجربة الجمهورية العربية المتحدة والنكسة التي أصابت الوحدة ثم الحقائق الفكرية والنضالية التي طرحتها النكسة من أجل المساهمة في تصحيح أوضاع النضال العربي ومتابعة المعركة العربية.

وفي دراسة إجمالية قدمتها حركة القوميين العرب على شكل تقرير أعدته لمؤتمرها القومي العام سنة ١٩٦٢ جاء: «أن الحركة ترى في نكسة الوحدة علاوة كونها موقعاً خسره النضال العربي في معركته الطويلة تعبيراً عن أزمة يعيشها هذا النضال، فلا بد من اكتشاف جوهرها وتحديد خطوطها العميقة حتى تتوصل الحركة العربية إلى رؤية نفسها وتحديد مكانها بمزيد من الوضوح[٤١]. كما أوضح التقرير أن العملية التي طرحها الحكم في الجمهورية العربية لعملية البناء، لم تكن في مستوى استيعاب معطيات الوضع، وبنتيجتها ظهر واضحاً أن تجربة الجمهورية تعاني من أزمة عميقة. ولم تكن قيادة الجمهورية العربية في وضع فكري يمكنها من إدراك حدود الأزمة ومعانيها فضلاً عن التحضير لتلافيها في الأمد البعيد على الأقل... هكذا كانت الإجراءات الاشتراكية الحاسمة في منتصف عام ١٩٦١ قد أحدثت هذه الإجراءات عند اتخاذها دوياً شعبياً رفع من اسم الحكم وأحدث نفيراً فورياً في الجو السياسي السلبي، حتى بدا واضحاً في لحظة الإجراءات الاشتراكية وكأن الأزمة العميقة التي تعانيها الأوضاع قد تقلصت وانكمشت، إلا أنه اتضح بعد مرور وقت قصير على الإجراءات الاشتراكية أن التقلص كان مؤقتاً، وبدأ الوجه السلبي للإجراءات يتعاظم. ويتضح ذلك في أن الحكم باتخاذه تلك الإجراءات الحاسمة دفع الصراع مع الانتهازية والرجعية السياسية إلى أقصى مداه، وبالمقابل لم يكن الحكم يعتمد على قاعدة شعبية منظمة تفهم إجراءاته وتساندها، وتستطيع خوض المعركة في

(٤١) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ٢٢/١١، دراسة إجمالية أعدتها لجنة الإدارة للمؤتمر القومي لحركة القوميين العرب، ١٩٦٢، ص ٢ ـ ٤.

سبيلها. وكان الحكم يحاول تطبيق الاشتراكية دون اشتراكيين ودون شعب اشتراكي ودون قاعدة ثورية اشتراكية منظمة. وكانت القوى الرجعية والانتهازية ذات الإمكانيات الضخمة هي وحدها التي تستطيع التحرك، أما الجماهير الشعبية فكانت مبعثرة إذ ينقصها الوعي وتفتقر إلى التنظيم ولم يكن بينها وبين الحكم وإجراءاته تجاوب فعال»[٤٢].

ومن خلال ذلك التحليل الفكري خلصت حركة القوميين العرب في تقريرها إلى القول: «بإمكاننا الآن أن نقرر بأن النكسة كانت تعبيراً عن أزمة حقيقية وعميقة يعانيها النضال العربي بسبب افتقاده لخط السير الطبيعي المستند إلى تنظيم شعبي عقائدي يستطيع وحده أن يحقق النهضة ويستطيع وحده أن يحمي إنجازاتها»[٤٣].

وفي ذكرى نكبة فلسطين أصدرت حركة القوميين العرب في ١٥ أيار/مايو ١٩٦٢ بياناً تحت عنوان: «بالوحدة العربية نسترد فلسطين» أدانت فيه الكيانات الهزيلة والأنظمة الرجعية، حيث شددت في بيانها على أن المعركة يجب أن تبدأ مع الأنظمة الرجعية والعقلية الانفصالية لتنتهي على أرض فلسطين المقدسة. وانطلاقاً من هذه الحقيقة لا بد من تشديد النضال من أجل الوحدة العربية. وأهاب البيان الفئات الشعبية العربية والفصائل القومية الأخرى أن تتحمل مسؤولياتها كاملة، لأن المعركة معركة مصير أمة ومستقبل شعب ولن يتساهل الشعب مع من يخذله ويتخلى عنه، وأية محاولة، مهما كان مبعثها، تحاول أن تحرف النضال العربي عن طريق الوحدة محاولة لا تخدم إلا الاستعمار والصهيونية، واختتم بيان الحركة قوله بضرورة العمل الجدي والبذل لتنتصر إرادة الشعب في وحدته وتحرره واسترداد الأرض السليبة وبناء النظام الاشتراكي الديمقراطي[٤٤].

ثانياً: ثورة الجزائر

واجه الشعب العربي في المغرب خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر تحديين خطيرين، **الأول** هو الغزو الاستعماري الفرنسي الذي ابتدأ باحتلال الجزائر عام ١٨٣٠م والذي دفع الشعب العربي هناك إلى حمل لواء المقاومة العسكرية

(٤٢) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ٢٢/١١، لجنة الإدارة، ص ٢٦.

(٤٣) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ٢٢/١١، ص ٢٧.

(٤٤) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ٢٢/١١، بيان حركة القوميين العرب الصادر في ١٥ أيار/مايو ١٩٦٢.

والسياسية في آن واحد، أما التحدي **الثاني** فهو المخطط الاستعماري الذي كان يهدف إلى طمس الشخصية العربية، وإنهاء معالمها القومية والروحية المتمثلة بالعروبة والإسلام.

وإزاء ما كان يجري على الساحة العربية في المغرب العربي، وقف الشعب العربي في المشرق مع إخوانه بكل إمكانياته من أجل دعم المسيرة النضالية التي أوجدتها المقاومة السرية والعلنية بوجه الاستعمار الفرنسي ودعم كفاح الشعب العربي هناك.

ومن المفيد التنويه بأن السمة العامة التي اتسمت بها تلك المعركة في المغرب العربي هي «توجه النضال هناك نحو تحرر هذه الأقطار من النفوذ والارتباطات والقواعد الأجنبية، وبالتالي القضاء على الرجعية والانتهازية الحاكمة في ـ تونس والمغرب الأقصى ـ في سبيل استكمال تحررها وبناء مجتمعاتها على أسس شعبية تقدمية تحررية»[٤٥].

إلا أن الطبيعة التي غلبت على ذلك النضال لم تكن بذات المستوى لدى كافة أفراد الشعب العربي المغاربي. ففي الجزائر التي خضعت سنوات طويلة لهيمنة الاستعمار الفرنسي لم توضح الأحزاب والقوى الوطنية الجزائرية الرائدة للجماهير الجزائرية طبيعة صراعها مع الاستعمار، لذلك لم تستغل تلك الأحزاب الظروف المحلية والدولية قبل الحرب العالمية الثانية وأثناءها فتوحد جهودها لتحقيق هدف التحرر، بل استمرت في انقساماتها وفي صراعاتها واثقة بالوعود الفرنسية وبالحلفاء الذين رفعوا شعار حق تقرير المصير للشعوب المستعمرة. واستمرت هذه الأحزاب بهذا النهج الانقسامي بعد الحرب العالمية الثانية فانقسمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على نفسها، وكذلك كل من حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وحركة انتصار الحريات الديمقراطية، والحزب الشيوعي الجزائري.

وشجعت سلطات الاحتلال الفرنسي بدورها هذه الانقسامات حفاظاً على وجودها وهيمنتها، ولم تدرك أن هناك تنظيماً ثورياً برز من أجل التهيئة والإعداد للثورة والكفاح المسلح ضدها، وهو ما يعرف بـ «جبهة التحرير الوطني الجزائرية» التي أعلنت الثورة في الأول من تشرين الأول/أكتوبر عام ١٩٥٤[٤٦].

(٤٥) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ٢٢/١١، تقرير حركة القوميين العرب حول الأوضاع العربية، لجنة الإدارة، ص ١٧ ـ ب.

(٤٦) مجيد حميد يونس الحمداني، «القوى السياسية وأثرها في الجزائر ١٨٣٠ ـ ١٩٥٤،» (أطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية، [بغداد])، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

تعد الثورة الجزائرية من القضايا الرئيسية لنضال الشعب العربي لما لها من خصوصية من الناحية العربية والإسلامية لدى معظم أفراد الشعب العربي والإسلامي، ولارتباط القضية الجزائرية بجميع مناهج الأحزاب القومية في الوطن العربي.

لقد انطلقت الثورة الجزائرية عام ١٩٥٤، ضد الاستعمار الفرنسي لتعلن بدء النضال العسكري المنظم من أجل تحقيق التحرر والاستقلال من الاستعمار البغيض[٤٧]. وقد أعلنت جبهة التحرير الوطني الجزائرية في بيان لها في القاهرة: «بأن الشعب الجزائري متمسك بقضيته الوطنية، وبوحدة المغرب العربي والوحدة العربية»[٤٨].

ومن نافلة القول هنا إن الشعب الجزائري كان مدركاً لحقيقة انتسابه إلى الوطن العربي الإسلامي بحرصه على لغته العربية، ودينه الإسلامي وتاريخه المشترك، ولذا فإنه على الرغم من محاولات فرنسا منذ احتلالها للجزائر عام ١٨٨٣م أن تقيم سداً إعلامياً منيعاً حول الجزائر للحيلولة دون تسرب أخبار الظلم والتعسف الذي تمارسه بحق الشعب العربي الجزائري، وأخبار النضال والجهاد الوطني لطمس الحقائق وإخماد أصوات الإغاثة من دول المشرق العربي[٤٩]، إلا أن الروابط الروحية والقومية بين الجزائر والوطن العربي لم تنقطع. وكان العراقيون يتابعون باهتمام كبير التطورات التي كانت تحدث في الجزائر، إذ أثارت المجازر البشرية التي كان يقوم بها الاستعمار الفرنسي استنكار الوطنيين والقوميين من الأدباء والشعراء والمثقفين العراقيين، ودعوا الحكومات العربية لاتخاذ موقف حازم من هذا الإرهاب الفرنسي[٥٠].

وفي العراق برزت نشاطات القوى الوطنية والقومية في استقبال الوفود الجزائرية، وبث روح الحماس في أوساط الجماهير لنصرة الثورة الجزائرية، كما عملت على جمع التبرعات للثورة الجزائرية، ونشر وتوزيع الإعلانات التي تناشد فيها الشعب العراقي بالتبرع لمساندة الثورة الجزائرية، فضلاً عن مساهمتها في تأليف الكتب للتعريف بالقضية الجزائرية وثورتها[٥١].

---

(٤٧) أزغيري محمد لحسن، «تطورات ثورة التحرير الوطني الجزائرية ١٩٥٦ ـ ١٩٦٢،» (رسالة ماجيستير غير منشورة في التاريخ الحديث، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٣)، ص ٧٥.

(٤٨) **اليقظة**، ١/١٢/١٩٥٤.

(٤٩) خزنان مسعود بن موسى، «العراق والثورة الجزائرية،» (رسالة ماجيستير غير منشورة في التاريخ الحديث، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٣)، ص ٦٦.

(٥٠) **البلاد**، ٩/٤/١٩٥٦.

(٥١) بن موسى، المصدر نفسه، ص ١٨٠ ـ ١٨٣.

نستطيع أن نلاحظ مما سبق ذكره أن القوى الوطنية والحزبية في العراق على الرغم من الأحداث الداخلية والمشكلات المعقدة التي كانت تواجهها مع السلطة الملكية، ومع النظام الجمهوري بعد ثورة ١٤ تموز/يوليو، فإنها قد ساهمت وفق إمكاناتها في توضيح القضية الجزائرية وثورتها داخل العراق، وذلك وفقاً للمبادئ القومية والوطنية التي كانت تنادي بها.

لقد لقيت الثورة الجزائرية دعماً سياسياً وشعبياً واسعاً من مختلف التيارات السياسية الناشطة في العراق على الرغم من أن البعض من تلك الأحزاب كان محظوراً من السلطة الحاكمة، وقد أدى الشباب القومي في حركة القوميين العرب دوراً مهماً في دعم الثورة الجزائرية، وشارك أعضاؤها في الحملات الإعلامية والحفلات والمهرجانات، إضافة إلى جمع الأموال الداعمة للثورة[٥٢]. فضلاً عن ذلك كانت هناك محاولة من بعض القياديين في الحركة للتطوع كأطباء لمعالجة الجرحى الجزائريين، وكان أول المتطوعين أحمد الخطيب، ووديع حداد إلا أن مسؤول مكتب جبهة التحرير الوطني الجزائرية في دمشق عبد الحميد مهري، أكد معتذراً على أن وجود الأطباء في المشرق أفضل للثورة، وأنفع، إذ يستطيع المتطوعون العمل لمنفعة الشعب العربي الجزائري أكثر من وجودهم على الحدود الجزائرية ـ التونسية، أو الجزائرية ـ المغربية، حيث يقيم جيش التحرير الوطني مستشفيات قرب الجزائر وليس داخلها. علاوة على ذلك فإن كشف الفرنسيين لوجود غرباء من خلال لهجاتهم غير الجزائرية يعملون لمساعدة الجزائريين سيثير مشاكل بين فرنسا وجبهة التحرير الوطني الجزائرية[٥٣].

وقد ساعد موقف الأحزاب العراقية الوطنية والقومية في ذلك الوقت على زيادة الدعم الذي كانت تقدمه الحكومة العراقية بعد ثورة ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨ للثورة الجزائرية، إذ استطاعت من خلاله تنفيذ برامجها السياسية المتعلقة بالوقوف قومياً إلى جانب الثورة الجزائرية وفقاً لإمكانياتها المادية والنضالية، فساهمت بتوزيع المنشورات بين المواطنين، ورفع اليافطات المؤيدة للثورة الجزائرية[٥٤]، أو من خلال

---

(٥٢) أجوبة هاني الهندي عن أسئلة الباحث، عمان، ٢٠ شباط/فبراير ٢٠٠١.

(٥٣) المصدر نفسه، ص ٧.

(٥٤) لقد ورد في وثائق المجلس العراقي العسكري الأول في بغداد عام ١٩٦٢ أنه تم القبض على المدعو نوري نجم عبد الله برفقة بعض الشباب وهو يحمل سلماً ولافتتين قد تم تعليقهما في ساحة الشهداء، وهي تحمل العبارات التالية: «انتصار الثورة الجزائرية يدعم حركة النضال العربي ـ القوميون العرب»، و«بالوحدة الوطنية تصون الثورة الجزائرية حريتها واستقلالها ـ القوميون العرب». انظر: «المجلس العرفي العسكري الأول والثامن،» نص كتاب الحاكم العسكري العام المرقم ٤٠٠٩ في ٢٧/١٠/١٩٦٢ في دار الكتاب والوثائق، ملف رقم ١٢٠٥/٦٢، ص ٨.

استغلال التظاهرات الطلابية المؤيدة للقضية الجزائرية، وذلك بانخراطهم في تلك التظاهرات والتغلغل بين المتظاهرين مرددين الشعارات الخاصة بالحركة[٥٥].

ففي الذكرى السابعة لانطلاق الثورة الجزائرية، شهدت بغداد عام ١٩٦١ انطلاق أكثر من مسيرة حاشدة مكونة من جماهير الشعب ومن طلبة الكليات والمدارس الثانوية، حيث تجمعوا في ساحة التحرير وهم يهتفون بهتافات تحيي الجزائر والشعب الجزائري الشقيق ونضاله ضد الاستعمار الفرنسي، مستنكرين الأعمال الوحشية التي تقوم بها فرنسا ضد الشعب العربي الجزائري. وناشد المتظاهرون الحكومة العراقية للمطالبة بإطلاق سراح الزعيم الجزائري أحمد بن بلة ورفاقه[٥٦]. كما ناشد المتظاهرون الدول الحرة باتخاذ موقف حازم يحد من ممارسات فرنسا الوحشية في الجزائر، وطالبوا تلك الدول بالتوسط لدى فرنسا لإعطاء الشعب الجزائري حقه في تقرير مصيره واستقلاله[٥٧].

ومما يشار إليه أن الزعيم الجزائري بن بلة كان قد أعلن الإضراب عن الطعام من معتقله في قصر تروكان في فرنسا احتجاجاً على سوء معاملته كسجين حرب أو سجين سياسي. واستطاع بن بلة أن يحرك ضمير الوطن العربي تجاه فرنسا[٥٨]. ففي العراق كانت المنشورات التي توزعها حركة القوميين العرب من أكثر الوسائل سرعة في نشر المواقف القومية التي تتبناها. وبمناسبة انعقاد مؤتمر وزراء خارجية الدول العربية عام ١٩٦١ وزعت الحركة منشوراً لدعم القضيتين الجزائرية والفلسطينية جاء فيه: «لقد سئم شعبنا التصريحات والخطب والضجيج الكلامي الذي لم يخدم أحداً، فالقرارات الهشة المطاطة لا تعيد فلسطين لنا ولا تحرر الجزائر، بل إن العمل المنتج وحده الذي يريده الشعب العربي»[٥٩].

(٥٥) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، إضبارة رقم ٢٢/١١، الهتافات واليافطات التي رفعها المتظاهرون في الذكرى السابعة لثورة الجزائر بتاريخ ١/١١/١٩٦١.

(٥٦) أحمد بن بلة، نائب وزراء حكومة الجزائر الحرة، رئيس الجمهورية الجزائرية بعد الاستقلال، اختطفته السلطات الفرنسية مع أربعة من زملائه عام ١٩٥٦ بينما كان في ضيافة العاهل المراكشي الراحل محمد الخامس، عندما اعترضت طائرته المسافرة من تونس إلى المغرب المقاتلات الفرنسية وأجبرتها على الهبوط في الجزائر انظر: **الأسبوع العربي**، العدد ١٢٨ (تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦١)، ص ٢٤.

(٥٧) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، إضبارة رقم ٢٢/٣٢، في ١/١١/١٩٦١.

(٥٨) **الأسبوع العربي**، العدد ١٢٨ (تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦١)، ص ٢٤.

(٥٩) انظر النص المنشور الصادر من حركة القوميين العرب في العراق عام ١٩٦١ في: القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ٢٢/١١، وثيقة ٥٤، ص ٦١.

وطالبت الحركة في هذا المنشور بما يخص القضية الجزائرية تنفيذ بضعة مطالب ومنها ما يلي:

١ ـ دعم الثورة بالسلاح ووضع حد لمحاولة بعض الحكومات العربية عرقلة وصوله إلى أرض المعركة.

٢ ـ مقاطعة فرنسا سياسياً واقتصادياً وثقافياً على الفور.

٣ ـ تصفية جميع القواعد العسكرية الفرنسية والأطلسية في المغرب وتونس والسعودية.

٤ ـ تأميم جميع الممتلكات الفرنسية في الوطن العربي وعلى رأسها حصة فرنسا من نفط العراق.

كما ساهمت الحركة من خلال وجودها ضمن الجبهة القومية في العراق بتوزيع المنشورات المعبرة عن تعاطفها التام مع القضية الجزائرية، وذلك بالدعوة إلى المطالبة بالإسناد الفعلي لثورة الجزائر العربية، واستنكارها لمحاولات الاستعمار الفرنسي لتقسيم الجزائر، والمطالبة بإطلاق سراح بن بلة ورفاقه الأبطال والسجناء السياسيين كافة من السجون الفرنسية[٦٠].

وبعد التوصل إلى وقف إطلاق النار في ١٩ آذار/مارس ١٩٦٢ بين جبهة التحرير الوطني الجزائرية وفرنسا[٦١]، أصدرت حركة القوميين العرب تقييماً للحركات القومية في الوطن العربي، حدد منه: الموقف من القضية الجزائرية بقولها إن القضية الأساسية التي يجب أن نسجلها بالنهاية هي مسؤولية الحركات العربية، والشعب العربي عامة باستمرار دعم ثورة الجزائر. والواقع أن دعم ثورة الجزائر في هذه المرحلة السياسية الدقيقة وفيما بعد في مرحلة البناء بكافة صور الدعم سيبقى واجباً رئيسياً يجب ألا تقلل منه أبداً التطورات الأخيرة، وأن المرحلة القادمة تتيح في الواقع مجالاً أوسع لأن يتخذ الدعم العربي مدى إيجابياً واسعاً، وأن يشترك بصورة فعالة في تحقيق إعادة بناء الجزائر[٦٢].

وعلى أي حال فإن النضال الشعبي الجزائري قد حقق عبر نضاله الطويل خطوة

(٦٠) انظر النص المنشور الصادر عن الجبهة القومية في العراق في: القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ٢٢/٣٢.

(٦١) لحسن، «تطورات ثورة التحرير الوطني الجزائرية ١٩٥٦ ـ ١٩٦٢،» ص ٢٦٤.

(٦٢) انظر نص التقرير الصادر عن حركة القوميين العرب، لجنة الإدارة في: القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ٢٢/١١، ص ٢٠ ـ ب.

جديدة نحو زيادة انفتاحه على الفكرة القومية والمعركة العربية، بحيث تقلص نطاق الإقليمية الذي كان يطبع مجرى الأحداث هناك، ولكن بالرغم من التقدم الملحوظ في نمو الاتجاه القومي، إلا أن ظاهرة عدم ارتكاز النضال في الجزائر خاصة، وفي المغرب العربي عموماً، ارتكازاً واضحاً على قاعدة الفكرة القومية العربية، ما زالت ظاهرة قائمة في الصورة العامة للساحة المغربية. فقد تمثلت هذه الخطوة في بعض التبدل الذي ظهر في موقف الحكومة الجزائرية بصدد الاتجاه العربي بعد مجيء حكومة يوسف بن خدة محل حكومة فرحات عباس[٦٣] ولكن هذه الخطوة ظهرت بجلاء في تصريحات وأحاديث السياسيين الجزائريين وخاصة حديث بن بلة والآخرين عن الوحدة العربية والمعركة العربية أثناء زيارتهم للجمهورية العربية المتحدة والعراق بعد إطلاق سراحهم، لأن هذه المعركة تعبر بلا شك عن تزايد نمو الاتجاه العربي القومي وانفتاحه على المعركة العربية بنهضتها وشمولها في ساحة المغرب العربي، الأمر الذي سيزداد تبلوراً في المستقبل. على أن الملاحظة التي يمكن تسجيلها في هذا الصدد هي أن النضال الشعبي في أقطار المغرب العربي لا يتماشى حتى الآن بشكل جلي محدد مع توجهات حركة القومية العربية بأهدافها المتكاملة، وإنه لم يصل بعد إلى المستوى القومي الذي يجعله يعدّ نفسه ملتزماً التزاماً عقائدياً جدياً بهذه الأهداف ومسؤولاً مسؤولية قيادية عن النضال لتحقيقها. ومن هذه الزاوية يمكن القول إن الحركة الشعبية في تلك الأقطار ما زالت بحاجة لتجاوب أكثر التصاقاً وحماساً واندفاعاً نحو الفكرة القومية العربية، حتى تتحول إلى مركز فكري ونضالي رئيس من مراكزها[٦٤].

وتخلص تقرير الحركة بشأن الثورة الجزائرية إلى الوقوف على عدة حقائق أساسية تعد من وجهة نظر حركة القوميين العرب الضمانة الأساسية لانتصار الثورة الجزائرية وبكل أبعادها وهي[٦٥]:

١ - إن إعلان وقف إطلاق النار لا يعني تحقيق استقلال الجزائر، والمرحلة

(٦٣) تألفت أول حكومة جزائرية مؤقتة برئاسة فرحات عباس بتاريخ ١٩ أيلول/سبتمبر ١٩٥٨ وذلك في القاهرة، واستمرت حتى مؤتمر طرابلس الغرب، ليبيا من ٩ - ٢٧ آب/أغسطس ١٩٦١ حيث شكلت حكومة جديدة برئاسة يوسف بن خدة في هذا المؤتمر انظر: عبد الله محمد عبد الله التكريتي، «موقف الصحافة العراقية من الثورة الجزائرية من ١٩٥٤ - ١٩٦٢،» (رسالة ماجيستير في التاريخ المعاصر، معهد التاريخ والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد، ٢٠٠١).

(٦٤) انظر تقرير لجنة الإدارة لحركة القوميين العرب، ص ١٨ - ب.

(٦٥) المصدر نفسه، ص ١٨ - ١٩.

التي ستمر بين وقف إطلاق النار والاستفتاء على وضع الاستقلال موضع التنفيذ مرحلة دقيقة خطيرة قد تحدث فيها احتمالات ومفاجآت متعددة.

٢ - إن انتصار الثورة الجزائرية وإنهاء الاحتلال الاستعماري الفرنسي لا يعنيان أن الكفاح التحرري في الجزائر قد وصل نهاية الطريق، إذ إن هناك مرحلة أخرى لدفع الانتصار التحرري نحو صورته الكاملة، وذلك بتصفية القواعد وجلاء القوات الفرنسية وتحديد المصالح الاقتصادية لفرنسا في الجزائر.

٣ - إعادة بناء الجزائر والتخلص من التركة الاستعمارية الثقيلة.

٤ - الحقيقة الأخيرة والتي تعد من أهم هذه الحقائق هي كيفية التعامل في المرحلة القادمة مع مختلف القوى الجزائرية المنضوية حالياً في جبهة التحرير الوطني الجزائرية.

ثالثاً: اليمن

أدت سياسة العزلة والانغلاق التي حكم بها أئمة اليمن إلى ابتعاد الشعب العربي اليمني عن جميع التطورات التي حصلت في بقية أجزاء الوطن العربي لسنين طويلة، فضلاً عن اتباع هؤلاء الحكام لأساليب تسلطية استبدادية جعلت من أفراد الشعب بعيدين عن الحركة والعيش بسلام، وجعلتهم يعيشون في ظلام الفقر والجهل والتخلف وكأنهم يعيشون في القرون الوسطى[٦٦]. وأدت هذه الحالة إلى تنامي حركة وطنية يمنية تعمل بالخفاء، وتنتمي إلى تيارات وطنية وقومية مستقلة، فضلاً عن الفئات الناشطة التي تأثرت بأفكار المد القومي العربي الاشتراكي، والتي تمثلت بحزب البعث العربي الاشتراكي وحركة القوميين العرب وعدد من الماركسيين[٦٧]. وقد استطاعت تلك الحركة الوطنية القيام بانتفاضات في الأعوام ١٩٤٨، و١٩٥٥، و١٩٦١، إلا أنها لم تحقق النجاح المنشود، الأمر الذي أدى إلى إعدام منفذيها[٦٨].

واستمرت المحاولات اليمنية لإسقاط نظام الإمامة بعد ذلك حتى قامت ثورة ٢٦ أيلول/سبتمبر ١٩٦٢، التي تكللت بالنجاح، وأعلنت إنهاء حكم الأئمة وقيام

(٦٦) سلمان لفتة الزيدي، «أحداث اليمن وموقف جامعة الدول العربية منها ١٩٤٥ - ١٩٦٧،» (أطروحة دكتوراه غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، بغداد، ١٩٩٩)، ص ٢١٣ - ٢١٤.

(٦٧) ذكرى أحمد جمعة الدوري، «موقف العراق من الثورة اليمنية ١٩٦٢ - ١٩٦٨،» (رسالة ماجيستير غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، بغداد، ١٩٩٩)، ص ٤٧.

(٦٨) الزيدي، المصدر نفسه، ص ٢١٤.

الحكم الجمهوري، وكان لمصر دور مشهود في إسناد الحركة الوطنية في اليمن، حيث شمل ذلك الإسناد مختلف الصعد لتتبلور أهمية وحدة النضال اليمني ككل شمالاً وجنوباً من أجل أن تثبت حركة القومية العربية وجودها في هذه الساحة من ساحات النضال العربي[٦٩]. وابتداء من عام ١٩٥٥ أتاحت مصر لقوى المعارضة اليمنية إصدار نشرة معارضة في القاهرة هي صحيفة **صوت اليمن**، وحينذاك أحس إمام اليمن الحاكم بأمر الله أحمد بن يحيى حميد الدين أن رياح المعارضة التي تهب من القاهرة قد أخذت تتردد أصداؤها في كل ركن من الأرض اليمنية. وللحيلولة دون اتساع الخرق وانتشار لهيب المعارضة ضده وبالتالي سقوط عرشه فانه أي (إمام اليمن) وضع القاهرة أمام خيارين لا ثالث لهما، وهما إما أن تكف عن مناوأته وتشجيع المقاومين لسلطانه، أو يربط بلاده بعجلة حلف بغداد الاستعماري[٧٠]. ولأن عبد الناصر كان يقود وقتها حملة هجومية مركزة ومؤثرة ضد الحلف المذكور الذي كان يستهدف تطويق ثورة ٢٣ تموز/يوليو وحصار حركة التحرر الوطني العربية، آثر لهذا السبب القبول بأخف الخيارين. فقد دفع عبد الناصر كلاً من الإمام أحمد والملك سعود إلى عقد ميثاق جدة العسكري الثلاثي الذي أبرم في ٢١ نيسان/أبريل ١٩٥٦، والذي قصد به أن يكون حلفاً مضاداً لحلف بغداد الرجعي وموجهاً بصورة خاصة ضد الاستعمار البريطاني[٧١]. ونظراً لضعف الحركة السياسية المناهضة لحكم ابن حميد الدين، وفقدانها أي برنامج ثوري، وعلى أمل المعاونة في إخراج اليمن من الكهف المظلم الذي أرغمت على البقاء فيه، فإن عبد الناصر لم يتراجع عن قبول طلب الإمام أحمد بانضمام بلاده إلى الوحدة المصرية ـ السورية وإقامة (اتحاد الدول العربية) الذي أعلن قيامه في ٨ آذار/مارس ١٩٥٨، وهما الجمهورية العربية المتحدة والمملكة المتوكلية اليمنية.

---

(٦٩) أحمد يوسف أحمد، **الدور المصري في اليمن ١٩٦٢ ـ ١٩٦٧** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١)، ص ٢٣ ـ ٢٧.

(٧٠) بعد قبول عبد الناصر ذلك الخيار أمر بالكف عن المناوأة العلنية لحكم الإمام وإيقاف الأحاديث السياسية الموجهة ضده من إذاعة صوت العرب وتعطيل صحيفة **صوت اليمن**. في الوقت نفسه أراد أن يجتذب الإمام إلى المحور التحرري، كما أراد أن يشد الملك سعود الذي كانت الصراعات التقليدية الأسرية القديمة بين العرش السعودي والعرش الهاشمي ما تزال تحكم علاقاته ببغداد، وأن يفتح في جو العلاقات العادية مع حكام صنعاء ثغرة في جدار العزل المحكم المضروب حول اليمن، وأن ينفذ من هذه الثغرة إلى رحاب هذا البلد بغية المساعدة على إدخال ولو بعض التحسينات على أوضاعه العامة. للمزيد من التفاصيل، انظر: محمد علي الشهاري، **اليمن، الثورة في الجنوب والانتكاسة في الشمال** (بيروت: دار ابن خلدون، ١٩٧٢)، ص ١٢٨ ـ ١٢٩.

(٧١) المصدر نفسه، ص ١٢٨ ـ ١٢٩.

هذه الخطوة ـ في تصور قيادة العربية المتحدة ـ قد تفتح طريقاً للتطور حتى تدخل اليمن، وقد تخفف من الضغط على العناصر الوطنية في اليمن كما تحدث حينذاك شكري القوتلي في تبريره لقيام هذا الاتحاد[٧٢]. غير أن سلوك الإمام العدائي والسافر كان السبب الظاهر وليس العميق لإعلان القاهرة في ٢٦ كانون الأول/ديسمبر ١٩٦١ إنهاء أعمال اتحاد الدولة العربية. وقد انطلق فك هذا الاتحاد من جانب القاهرة على أساس «أنه لا يوجد في طبيعة أي من الحكومتين ما يجعل قيام مثل هذا الاتحاد أداة سياسية فعالة قادرة على الإسهام في تطوير النضال العربي، وأن تجارب السنوات الماضية أكدت بما لا يقبل مجالاً للشك أن الشعب اليمني لم يستفد من التجربة»[٧٣].

وعقب حل اتحاد الدول العربية بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة المتوكلية اليمنية في ٢٦ كانون الأول/ديسمبر ١٩٦١، وجدت الأطراف الوطنية في شمال اليمن وجنوبه نفسها وجهاً لوجه أمام هذه الخطوة التي لا بد أن تعكس نفسها على الأوضاع في إقليم اليمن، وربما تساعد على تطوير الحركة الوطنية في الشمال والجنوب، فهبت هذه الأطراف الوطنية تحاول مجدداً أن ترتفع بمستواها إلى مستوى الأحداث. وبرز موضوع التكتل الوطني من جديد في المنطقة. وفي هذا الصدد جاء في نشرة الثورة التي تصدرها حركة القوميين العرب في اليمن في عددها الصادر بتاريخ ١ كانون الثاني/يناير ١٩٦٢ الإشادة ببذل مساعٍ لإقامة تشكيل يضم كل العناصر المناضلة، والهدف من هذا التشكيل العمل من أجل تحطيم الرجعية في الشمال وتحطيم الاستعمار في الجنوب على اعتبار أن موقف الجمهورية العربية المتحدة من حكومة اليمن قد تغير وألغي اتحاد الدول العربية، وهذا الموقف الثوري من الجمهورية العربية المتحدة قد أتى ليكون دفعة للعناصر المناضلة أن تتحرك بقوة[٧٤].

وفي أواخر كانون الثاني/يناير ١٩٦٢ تشكلت لجنة في القاهرة من أحرار شمال اليمن وجنوبه لإيجاد تكتل قومي[٧٥] هدفه خوض معركة فاصلة ضد الرجعية

---

(٧٢) محمد حسنين هيكل، «مرحلة الصراحة والوضوح،» **الأهرام**، ٢٩/١٢/١٩٦١.

(٧٣) انظر: **الأهرام**، ٢٧/١/١٩٦١.

(٧٤) قحطان محمد الشعبي، **الاستعمار البريطاني ومعركتنا العربية في جنوب اليمن، عدن والإمارات** (القاهرة: دار النصر، ١٩٦٢)، ص ٢٤٦.

(٧٥) تكونت اللجنة في القاهرة من السادة: أحمد محمد نعمان، محمود محمد الزبيري، قحطان محمد الشعبي، محسن العيني، محمد أمين نعمان، أحمد المعلمي، وحسن السحولي.

في الشمال والاستعمار في الجنوب، ومهمة هذه اللجنة هي دراسة الواقع النضالي في اليمن بشطريه، وإمكانية رفع مستوى النضال إلى مستوى المعركة الحقيقية، وتعبئة طاقات الشعب اليمني وتفجيرها ضمن حركة قومية تتوافر فيها عناصر النجاح الأساسية. ولقد وجدت اللجنة بعد دراستها للمواقف وتقييمها للفئات الوطنية في المنطقة أن الفئات التي تمثل مجتمعة مرتكز الثقل في واقع نضال الشعب اليمني في جنوب اليمن وشماله، هي المؤتمر العمالي وحركة القومين العرب وحزب البعث العربي الاشتراكي والاتحاد اليمني[٧٦]. ومن جانب آخر فإن بعضاً من مجموعة الضباط التي تخرجت في بغداد عام ١٩٣٨، أو التي تخرجت في القاهرة عام ١٩٥٦، أو التي تدربت على يد هؤلاء وأولئك، أو على يد الضباط المصريين والروس في اليمن يشكل القطاع الآخر المستعد والمؤهل والجاهز للإطاحة بالإمامة الرجعية، وذلك بفضل احتكاك أفراده بتيارات النهضة والتقدم في الخارج، أو تفاعلهم مع العناصر العسكرية التي كانت تشرف على تدريبهم، ثم بحكم انتمائهم إلى برجوازية المدينة الصغيرة. وكان العميد عبد الله السلال، والمقدم عبد الله جزيلان يمثلان هذا القطاع من العسكريين، وإن عمل كل منهما ضمن مجموعة خاصة به، وبقي له أسلوبه السياسي المتميز الذي هدته إليه فطنته وتجربته الخاصة[٧٧]. وهكذا انبثقت ثورة ٢٦ أيلول/ سبتمبر ١٩٦٢ وكانت أول ثورة وطنية تشهدها اليمن. ولم تكن تقديرات ثوار اليمن خاطئة، إذ سرعان ما أحدقت بالثورة اليمنية كل قوى التخلف المتراكمة في جزيرة العرب منذ مئات السنين، وكل القوى الاستعمارية والإمبريالية، بغية إغراق من فيها وما فيها في طوفان ساخن من الدم[٧٨].

إن حدث ٢٦ أيلول/ سبتمبر ١٩٦٢ بدأ انقلاباً عسكرياً من أعلى كشأن كثير من الثورات العربية التي بدأت في شكل انقلابات عسكرية، ولكن الشرارة التي انطلقت في ذلك اليوم سرعان ما تحولت إلى حريق ثوري ساد اليمن كلها، كما لم يحدث مع أية ثورة عربية أخرى، باستثناء ثورة ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨ في العراق. فقد انخرطت الجماهير اليمنية، وخاصة في المدن ابتداء من مستعمرة التاج في عدن حتى أعتى حصون الأئمة في صعدة في خضم الكفاح الوطني المسلح لرد جحافل قوى القبلية والإقطاع والرجعية العربية والاستعمار القديم والجديد عن أن تئد هذا الوليد الثوري الذي انبثق من حيث لا تحسب كل هذه القوى، وحيث اندفعت

(٧٦) الشعبي، المصدر نفسه، ص ٢٤٨.

(٧٧) الشهاري، **اليمن، الثورة في الجنوب والانتكاسة في الشمال**، ص ١٣٣.

(٧٨) المصدر نفسه، ص ١٣٥.

لدعمه وحمايته مصر وكل التقدميين في العالم وعلى رأسهم الاتحاد السوفياتي[٧٩].

لقد واجهت الثورة منذ بدايتها تحدياً خطيراً تمثل باندلاع حرب أهلية بين أنصار النظام القديم الذين عرفوا بالملكيين وبين أنصار الثورة (الجمهوريين). واتسعت رقعة الصراع بتدخل العربية السعودية إلى جانب الملكيين، فقدمت لهم الدعم المالي والعسكري، وذلك خوفاً من امتداد تأثيرات الثورة والأفكار القومية الثورية إليها، الأمر الذي دفع بقادة الثورة اليمنية إلى الاستعانة بمصر[٨٠].

إن قيام الثورة في اليمن اعتمد أساساً على مجموعة من الضباط الوطنيين، إلا أنه كان للشباب القومي جهاز تنظيم نشيط، عمل في اليمن الأمامي والمحتل (الشمال والجنوب) منذ أواخر عام ١٩٥٧[٨١]. ففي عام ١٩٥٩ جرى في اليمن الجنوبية بداية تشكيل فرع لحركة القوميين العرب في منطقة الشيخ عثمان في اليمن المحتل، حيث تأسست الخلية الأولى للحركة، وتألفت من المواطنين والطلبة[٨٢]. وكان القياديون آنذاك شباباً من الشمال والجنوب، وكان من بينهم، يحيى الأرياني وسلطان العبسي (من الشمال)، بالإضافة إلى طلبة نشطاء من اليمن المحتل مثل: فيصل عبد اللطيف الشعبي وعلي السلامي وطه مقبل وسالم زين وسلطان عمر أحمد وعبد الحافظ القائد[٨٣].

وعمل فرع الحركة في البدء تحت ستار نادي الشباب الثقافي في عدن ناشراً أفكار الحركة في أوساط المثقفين والطلاب والموظفين والعمال[٨٤]، واستطاعت حركة القوميين العرب أن تجذب إلى صفوفها الشباب الذين يتوقون إلى أسلوب جديد في العمل السري والمركزي المنظم في الكفاح ضد الاستعمار البريطاني[٨٥]، كما

(٧٩) المصدر نفسه، ص ١٤٥.

(٨٠) عبد الرزاق خلف الزيدي، «العلاقات اليمنية ـ السعودية ١٩٣٤ ـ ١٩٧٠،» (أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية (ابن رشد)، جامعة بغداد، ١٩٩٦)، ص ٨٦.

(٨١) أجوبة هاني الهندي عن أسئلة الباحث في ٢٠ شباط/ فبراير ٢٠٠١.

(٨٢) غانم محمد رميض ونضر علي، «دور حركة القوميين العرب في الجنوب اليمني في الحركة الوطنية حتى عام ١٩٦٧،» **مجلة دراسات في التاريخ والآثار** (جمعية المؤرخين والآثاريين في العراق)، السنة ١٩، العدد ١ (٢٠٠)، ص ٤٩.

(٨٣) الهندي والنصراوي، محرران، **حركة القوميين العرب: نشأتها وتطورها عبر وثائقها، ١٩٥١ ـ ١٩٦٨: الكتاب الأول، ١٩٥١ ـ ١٩٦١**، ص ٣٤٣.

(٨٤) فيتالي ناؤومكين، **الجبهة القومية في الكفاح من أجل استقلال اليمن الجنوبية والديمقراطية الوطنية**، ترجمة سليم توما (موسكو: دار التقدم، [د.ت.])، ص ٧٢.

(٨٥) عادل رضا، **تطور مسار الحركة الوطنية في اليمن الديمقراطية** (القاهرة: دار التقدم للطباعة، ١٩٧١)، ص ٢٢٩.

استطاعت الحركة أن تنشئ لها فروعاً في الريف عن طريق الطلبة الدارسين في عدن، إذ وجدت مجالاً خصباً لتنفيذ برامجها الوطنية[٨٦].

وعقدت الحركة مؤتمراً خاصاً باليمن في دمشق في آذار/مارس ١٩٥٩ بحثت فيه الأوضاع فيها، وتم وضع مخطط للعمل المسلح في الجنوب بشكل خاص وأساسي باعتبار أن طرد البريطانيين من اليمن الجنوبي لن يتحقق إلا بالقوة المسلحة[٨٧].

وهكذا أصبحت حركة القوميين العرب مع بداية الستينيات الأكثر قبولاً من شعب الجنوب اليمني المحتل، لإيمان الشعب بأنها هي الوسيلة الجادة المناضلة ضد الوجود البريطاني في المنطقة. وقد عمدت في بداية تكوينها إلى استقطاب الجماهير العربية في اليمن المحتل، وذلك بكشفها كل ألاعيب السيطرة البريطانية للإبقاء على وجودها داخل الجنوب اليمني، والتي تمثلت بالمشروع البريطاني الذي عملت على تحقيقه في تلك المنطقة العربية المحتلة، وهو تكوين الاتحاد الفدرالي لضم المشيخات اليمنية. وقد عارضت حركة القوميين العرب تأسيس الاتحاد الفدرالي[٨٨]، وعدته مؤامرة على حركة التحرر في الوطن العربي وفي العالم لأن ارتباطات هذا النظام المصطنع مع بريطانيا أعطتها الحق في التدخل لحماية الأمن والنظام وتولي شؤون الدفاع، كما أعطت بريطانيا لنفسها الحق بموجب معاهدة عام ١٩٥٩، في استخدام جزء من جيش الاتحاد ومن الحرس الوطني ليعمل خارج الاتحاد تحت قيادة ضابط بريطاني. وهذه الإجراءات تعني ربط المنطقة بالأحلاف الغربية[٨٩].

وشددت الحركة على أن النضال ضد التجزئة في الجنوب هو جزء من المعركة في سبيل الوحدة العربية الشاملة. وعلى هذا أكدت الحركة على قومية المعركة على أساس أن النضال ضد الاستعمار والتجزئة في اليمن الجنوبي يدعم النضال القومي الذي تقوده الأمة العربية في مواجهة أعدائها، كما ترى الحركة ضرورة التأكيد على عملية التوعية بقومية المعركة وعلى الأخطار التي تواجه الأمة العربية من النزعات الانفصالية والطائفية والتيار الشيوعي الذي يشكل في تصور الحركة هو الآخر خطراً

(٨٦) سلطان أحمد عمر، **نظرة في تطور المجتمع اليمني** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٠)، ص ٢٣٣.

(٨٧) الهندي والنصراوي، محرران، **حركة القوميين العرب: نشأتها وتطورها عبر وثائقها، ١٩٥١ - ١٩٦٨: الكتاب الأول، ١٩٥١ - ١٩٦١**، ص ٢٠٦ و٢٤٧.

(٨٨) أحمد عطية المصري، **النجم الأحمر فوق اليمن: تجربة الثورة في اليمن الديمقراطية**، ط ٣ (بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، [د. ت.])، ص ٦١.

(٨٩) شاكر الجوهري، **الصراع في عدن** (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٢)، ص ٣٤.

يعمق التجزئة ويضعف الاتجاه القومي والوحدوي للمعركة[٩٠].

لهذا نظر زعماء الحركة إلى مصر كونها النواة الطبيعية للدولة العربية الموحدة من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي، واعتقدوا أن لها الدور القيادي في حركة التحرر العربية. ولذا أدت صلة الحركة بالحركة الناصرية دوراً حاسماً في نجاحها في المستقبل[٩١]، كما عدت الحركة النضال في سبيل تحرير الجنوب جزءاً من النضال ضد التجزئة على صعيد الأمة، وأنه في ضوء وحدة اليمن الجغرافية، يمكن أن تنتصر الحركة التحررية في الشطر الجنوبي بمساندة من الشطر الشمالي[٩٢].

وعلى أي حال فإن حركة القوميين العرب لم يكن لها دور مباشر في الثورة اليمنية فيما يخص الشطر الشمالي، إلا أنه كانت للعديد من الضباط الثوريين علاقة غير مباشرة ببعض عناصر التنظيم. وقد زادت مشاركة الحركة بعد نجاح ثورة ٢٦ أيلول/سبتمبر ١٩٦٢ في اليمن. فمنذ أواخر هذا العام بدأ يتركز في الجمهورية العربية اليمنية قادة حركة القوميين العرب الذين كانوا يروجون للكفاح المسلح، والوطنيون اليمنيون الجنوبيون وأبناء القبائل وأفراد الجيش النظامي. وبناء على دعوتهم عقد في الرابع والعشرين من شباط/فبراير ١٩٦٣ في دار السعادة بصنعاء مؤتمر للقوى الوطنية حضره أكثر من مائة ممثل للوطنيين المستقلين، وممثلو الضباط الأحرار، وقادة حركة القوميين العرب. وتم التوصل في المؤتمر إلى اتفاق بشأن توحيد جميع القوى الوطنية في جبهة موحدة. واستقر الرأي على تسمية هذه الجبهة بـ «جبهة تحرير الجنوب اليمني المحتل»[٩٣]. لكن هذه الجبهة ما لبثت أن تغيرت إلى تسمية جديدة هي «الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل»، وذلك على أثر الاجتماع الذي عقده الوطنيون في التاسع من آب/أغسطس ١٩٦٣ وتم تشكيل قيادة الجبهة القومية التي تألفت من اثني عشر عضواً، منهم ستة ممثلين لحركة القوميين العرب، وستة ممثلين لقطاع القبائل[٩٤]. وازداد عدد المنضمين إلى الجبهة القومية من

(٩٠) المصري، المصدر نفسه، ص ١١٢.

(٩١) رميض وعلي، «دور حركة القوميين العرب في الجنوب اليمني في الحركة الوطنية حتى عام ١٩٦٧،» ص ٥٠.

(٩٢) إبراهيم خلف العبيدي، **الحركة الوطنية في الجنوب اليمني المحتل ١٩٤٥ - ١٩٦٧** (بغداد: جامعة بغداد، ١٩٧٩)، ص ١٧٠.

(٩٣) رميض وعلي، المصدر نفسه، ص ٥٠.

(٩٤) ناؤومكين، **الجبهة القومية في الكفاح من أجل استقلال اليمن الجنوبية والديمقراطية الوطنية**، ص ٨٤.

التنظيمات الوطنية الأخرى التي تدخل في غالبيتها عناصر من حركة القوميين العرب. وقد عبر الرئيس جمال عبد الناصر عن استعداده لتقديم السلاح لهم، كما أصبحت الجمهورية العربية اليمنية ملاذاً وقاعدة لهم من خلال معسكرات التدريب والإذاعات الموجهة، وتسهيل مهمة الوطنيين بإرسال الأسلحة سراً إليهم[٩٥]. وبذلك ازداد الشباب القومي في اليمن الجنوبي مما سهل لهم قيادة النضال المسلح الذي تكلل في إشعال نار الثورة في منطقة ردفان في ١٤ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٣، والتي استمرت حتى جلاء البريطانيين عن اليمن الجنوبي، وقيام الجمهورية اليمنية الديمقراطية وتولي قيادييها السلطة في عدن[٩٦].

إن القتال في ردفان ليس مجرد رد فعل لخلافات أو نزاعات ذات طابع قبلي بين القبائل وسلطات اتحاد الجنوب والسلطات البريطانية في عدن، بل إن حركة ردفان حركة ذات محتوى وطني تحرري واضح، يتضح على الأقل من خلال البيانات المختلفة الصادرة عن الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل والتي وجهت القوات الوطنية الثائرة في جبال ردفان. ويبدو من خلال بيانات الجبهة المذكورة أن هناك اعتبارات أساسية وحاسمة في تصور الجبهة القومية، ومن هذه الاعتبارات نوع الاستعمار القائم في الجنوب المحتل ونوع الظروف والمصالح التي تتحكم بمواقفه وسلوكه. وهنا لا بدّ قبل كل شيء من التأكيد على حقيقة تبدو واضحة، وهي أن الاستعمار البريطاني يعد الدفاع عن وجوده في الجنوب المحتل دفاعاً عن وجوده في الشرق الأوسط، فالمسألة ليست مسألة منطقة محدودة تنشد التحرر، بل إن هذه المنطقة تشكل الموقع الحاسم والأخير للاستعمار البريطاني. فمن الناحية الاقتصادية فإن الوجود البريطاني في المنطقة واضح الارتباط بالمصالح البترولية في الخليج العربي. ومن الناحية العسكرية فإنه ليس ثمة جدل حول أهمية القاعدة العسكرية في عدن بالنسبة إلى المخطط البريطاني والتحركات البريطانية في الشرق الأوسط وأفريقيا، ولذا لا بد للاستعمار البريطاني من أن ينتهج سياسة شديدة التصلب وشديدة المراوغة في الوقت نفسه لضرب الحركة الوطنية في المنطقة وتطويقها. ولعل الأحداث التي شهدتها المنطقة في الأشهر الماضية وبعد حادثة قنبلة مطار عدن بالذات قد كشفت إلى حد بعيد مدى شراسة الاستعمار البريطاني واستماتته في الدفاع عن

(٩٥) رميض وعلي، المصدر نفسه، ص ٥٠.

(٩٦) أجوبة هاني الهندي عن أسئلة الباحث بتاريخ ٢٠ شباط/فبراير ٢٠٠١، وللمزيد من التفاصيل انظر: عبد القوي مكاوي، **شهادتي للتاريخ... خفايا الغزو الشيوعي لجنوب اليمن** (القاهرة: [د. ن.]، ١٩٧٩)، ص ٣٧.

مواقفه ومصالحه الأساسية في الجنوب المحتل[٩٧].

وفي أيار/مايو ١٩٦٤ أصدرت حركة القوميين العرب في الجنوب اليمني المحتل بياناً حول الزيارة التي قام بها الرئيس جمال عبد الناصر إلى الجمهورية العربية اليمنية، وردود الأفعال من جانب الاستعمار البريطاني في الجنوب المحتل، حيث جاء في البيان: منذ أن وصل القائد العربي جمال عبد الناصر صنعاء، عمدت السلطات البريطانية إلى محاولة إرهاب الشعب، فأمرت طائراتها بالتحليق على مستوى منخفض فوق أسطح المنازل في عدن. وأمرت مراكز الحدود بعدم السماح للمواطنين من التدفق إلى تعز لمقابلة الرئيس العربي. واستطرد البيان: لقد اهتزت بريطانيا من جراء كلمة حق قالها عبد الناصر بأن على بريطانيا أن ترحل من كل أرض عربية، وإذا بها ترفع شكوى بذلك إلى هيئة الأمم المتحدة، ولكن بريطانيا بذلك تكشف نفسها وتفضح مركزها المتداعي تحت وطأة نضال شعبنا في ردفان وعدن وحضرموت، وفي كل شبر من أرض الجنوب المحتل. وتحدث البيان عن خطط بريطانيا في المنطقة بإعطاء الاتحاد والاستقلال عندما تتهيأ الظروف العملية لذلك، وسفه البيان التصريحات، بأن ما يقصده رئيس الوزراء البريطاني هو إعطاء الاتحاد استقلالاً شكلياً يبقي على السلاطين حكاماً ودمى تحركها بريطانيا كيف شاءت. وقال البيان إن قوى الشعب قد اهتدت إلى الطريق السليم وطريق ردفان كرد فعل صحيح لا بديل له لتصفية الاستعمار وإجلائه عن أراضي الجنوب اليمني. ودعا البيان كافة القوى الوطنية إلى اللقاء مع الجبهة القومية لتحرير الجنوب المحتل التي تقودها الثورة المسلحة في جبال ردفان[٩٨].

إن اهتمام الدوائر الرجعية والغربية بالتفاصيل اليمنية إنما يعكس في حقيقته مدى القلق الذي تعيشه هذه الدائرة تجاه قضايا أتت الثورة اليمنية عند قيامها لتفجيرها إلى مداها الكامل، وإن الغرب بغض النظر عن كل مصالحه السياسية والعسكرية في المنطقة العربية يعد مصالحه البترولية المتجمعة في الجزيرة والخليج المحور الذي تدور حوله مواقفه وتصرفاته، ولذلك فإن حساسية الغرب تجاه ما يجري من أحداث في الوطن العربي تتصاعد بشكل مطرد كلما اقتربت هذه الأحداث من مناطق مصالحه، لذلك كان حساساً بشكل غير عادي لقيام حكم وطني في العراق عشية الرابع عشر من تموز/يوليو ١٩٥٨، وما زال حساساً بشكل غير عادي تجاه

(٩٧) انظر: **الحرية** (حركة القوميين العرب، بيروت)، (٤ أيار/مايو ١٩٦٤).

(٩٨) **الحرية**، (١١ أيار/مايو ١٩٦٤).

كافة التحركات الوطنية في إمارات الخليج العربي، وبادر فوراً لمواجهتها والقضاء عليها متبعاً في سبيل ذلك الأساليب الدبلوماسية حيناً، والقمعية حيناً آخر[٩٩].

وفي ١٠ أيلول/سبتمبر ١٩٦٦ أدلى ناطق باسم حركة القوميين العرب برد على ما نقلته وكالة رويتر من عدن وبعض الصحف العربية عن بيان منسوب إلى حركة القوميين العرب في الجنوب المحتل يتضمن هجوماً على الجمهورية العربية المتحدة وسياستها في اليمن، وجاء في رد الحركة على لسان ناطقها المخول: «إن حركة القوميين العرب تؤمن أن جماهير الشعب في عدن قادرة على كشف كل أساليب التزوير البريطاني، وهي ترى في لجوء الاستعمار إلى هذه الأساليب إعلاناً عن فشله في القضاء على ثورة الشعب المسلحة بوسائل الإرهاب والتدمير التي مارسها سنوات طويلة، تؤكد مرة أخرى التحامها بالقوى الوطنية المناضلة ضد الاستعمار في عدن وكل مناطق الجنوب، والتي تستند في نضالها إلى جماهير الشعب في المنطقة وإلى التأييد الجمهورية العربية المتحدة وقيادتها الثورية». واستطرد الناطق بقوله: «إن هذه الأساليب ليست في معناها الحقيقي إلا تعبيراً عن الرعب الذي يعيشه الاستعمار البريطاني بعد أن برزت قوة الثورة في التجاوب بموقف موحد مدعوم من قوى الثورة العربية كلها بقيادة الجمهورية العربية المتحدة ودعمها وتأييدها»[١٠٠].

وفي العراق وقفت حركة القوميين العرب في دعمها للثورة اليمنية انطلاقاً من نهجها القومي الوحدوي الذي كانت تنادي به عبر وسائلها النضالية. وفي الوقت ذاته كان تأييدها نابعاً من ذلك الدعم الذي كان يمثله الرئيس عبد الناصر بوقوفه المؤيد والمساند للثورة اليمنية بكل إمكانياته السياسية والعسكرية والاقتصادية. لذا نرى قيادة الحركة في العراق وأنصارها يؤيدون الثورة اليمنية بكل إمكانياتهم الإعلامية ووسائلهم الحزبية. ففي الرابع من تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٢ خرجت تظاهرة كبيرة اشتركت فيها القوى القومية في العراق ومنها حركة القوميين العرب وأنصارها وذلك في الساعة ١٠,٤٥ من صباح يوم ٤/ ١٠/ ١٩٦٢ منطلقة من منطقة الشروجة في بغداد ومتجهة إلى الباب الشرقي. وكان عدد المتظاهرين يربو على الألف وخمسمائة متظاهر. وكانوا يهتفون «ثورة اليمن ثورة اشتراكية»، و«ابن سعود شل إيدك شعب اليمن ما يريدك» وعند منطقة رأس القرية طلبت الشرطة من المتظاهرين التفرق، إلا أنهم انهالوا عليهم بالضرب بالعصي والحجارة والقناني الفارغة، وقد أصيب كل من معاون المنطقة محمد عزيز ومأمور المركز عبد الوهاب

(٩٩) الحرية (٢١ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٦).

(١٠٠) الحرية (١٥ أيلول/سبتمبر ١٩٦٦).

عبد الرزاق النعيمي، والمفوض سالم حامد ونائب العريف هاشم عبيس[١٠١]. وعن أصداء تلك التظاهرة وما عكسته على الشارع السياسي في بغداد فقد تم رفع تقرير من قبل مدير الأمن العام، الزعيم عبد المجيد جليل إلى الحاكم العسكري العام أوضح فيه أن التظاهرة التي خرجت مؤخراً في بغداد بحجة تأييد الثورة في اليمن هم من مؤيدي عبد الناصر، بالنظر إلى أن سلطات القاهرة أعلنت تأييدها منذ أول يوم الثورة للحكومة اليمنية الجديدة. وأفاد التقرير بأن المثقفين والمحللين يتحدثون بأن عبد الناصر لو كان حقاً ضد الاستعمار فلماذا يقف بجانب الشيوخ العملاء في القضاء العراقي السليب، ويرسل قواته لتقف مع قوات الاستعمار في الكويت؟ ومن جهة أخرى لماذا لا يتدخل عبد الناصر ضد التقتيل الجماعي في روديسيا وشمال أفريقيا والكونغو؟ ولماذا لا يقف في وجه بريطانيا المجرمة التي تقوم بقتل أحرار عمان والجنوب العربي؟ ويرى المخلصون ـ كما ورد في التقرير ـ في سياسة عبد الناصر خطراً على مستقبل الأمة العربية لخدمة الاستعمار ولتثبيت أقدامه بقوة في البلاد العربية[١٠٢]. ومن خلال ذلك يبدو أن قدرة أية حركة سياسية عربية لمدة جذورها في تربة الواقع المحلي العربي رهينة بمدى قدرتها على فهم قضية وحدة العمل العربي كما يفرضها الخط التقدمي العربي، لأن هذا الخط هو الذي يقربها من الجماهير العربية في اليمن من خلال مد الثورة العربية وإنجازاتها الإيجابية لدى مختلف أطرافها، وبالتالي إلى الاقتراب من الجماهير العربية في مسيرتها الشعبية المتقدمة.

وبناء على ذلك أصدرت حركة القوميين العرب في العراق عام ١٩٦٤ منشوراً لتعريف أنصارها بنضال الشباب القومي العربي في اليمن المحتل، قامت فيه بتحليل الثورة الوطنية المسلحة في جنوب اليمن، وقد جاء فيه: «أن النضال المسلح في جنوب اليمن كان في حقيقته درجة أعلى من درجات التناقض القائم بين الشعب والاستعمار البريطاني. ففي بداية الاحتلال اتخذ هذا التناقض شكل الهبات القبلية المنعزلة نتيجة لعدم وجود فهم صحيح لطبيعة الاستعمار لدى رجال القبائل الذين

(١٠١) كذلك أصيب كل من الشرطيين الأولين أحمد شهاب وشريف حسين، ومن أفراد الشرطة كل من هادي إبراهيم القيسي ووفي أوهيب ومحمد سعيد خلف بإصابات متعددة، كما حدثت أضرار في السيارة الأميرية العائدة لهذه المديرية والمرقمة ١٠٧٠ ش، وتم إرسال المصابين من أفراد الشرطة إلى المستشفى، وإرسال السيارة إلى معاونية آليات شرطة بغداد. للمزيد من التفاصيل، انظر: دار الكتب والوثائق، نص الكتاب السري الصادر من مديرية شرطة العبخانة المرقم ١٨٠٢ في ٤، ١٦ و١٨ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٢.

(١٠٢) دار الكتب والوثائق، الكتاب المرقم ٢٤٣٧٨ في ٦، ١٧، و٢٨ تشرين الأول/اكتوبر ١٩٦٢.

كانوا يعدونه كياناً غربياً فقط دون أن ينفذوا إلى طبيعته العميقة، باعتباره ظاهرة اقتصادية وتعدياً على حقوق السيادة الوطنية. وعندما نشأت طبقة البرجوازية العدنية ـ نسبة إلى مدينة عدن ـ تحول هذا التناقض إلى عمل سياسي تمثل في أحزاب تقليدية مثل رابطة أبناء الجنوب العربي، ولكن هذه الأحزاب لم تلبث أن سقطت عندما رأت الحركة السياسية الثورية المتمثلة في حزب الشعب الاشتراكي المرتكز إلى قاعدة العمل النقابي، والذي استهدف وحدة اليمن الطبيعية (شمالاً وجنوباً) كمجال حيوي للنضال ضد الاستعمار وتأسيس الدولة المستقلة الحديثة. ولكن الشروط الموضوعية لانتقال التناقض من هذه المرحلة إلى مرحلة الالتحام بقوى البدو والفلاحين، وبالتالي المجابهة العسكرية للاحتلال لم تكتمل إلا بعد أن سقط النظم الإمامي في اليمن الشمالية وجاء الجيش المصري كسند رئيس للجمهورية الوليدة. وعند هذه النقطة أصبح الوجود البريطاني أكثر شراسة، كما توفر للحركة الوطنية في جنوب اليمن رصيد كبير من الإمكانيات المادية والمعنوية، وأصبحت المواجهة المسلحة للاستعمار ضرورية وممكنة أيضاً[١٠٣]. ومن هنا جاء انبثاق الجبهة القومية لقيادة النضال ضد الاستعمار البريطاني في الجنوب اليمني والتي ساهم فرع حركة القوميين العرب في إنشائها وقيادتها مع بقية الأحزاب والمنظمات القومية والوطنية.

رابعاً: ميثاق ١٧ نيسان/ أبريل ١٩٦٣ (الوحدة الثلاثية)

من الحقائق والوقائع التي أثبتت صحتها الأحداث وأفرزتها التجارب أن سلطتي ٨ شباط/ فبراير في العراق و٨ آذار/ مارس في سوريا عام ١٩٦٣ لم تكونا جادتين قطعاً بالسير نحو هدف الوحدة مع عبد الناصر، إلا أن مراعاة تينك السلطتين لمشاعر وتوجهات قواعد حزبهما والقوى القومية الناصرية دفعتهما لمجاراة ذلك الشعور والأماني المخلصة لدى الجماهير العربية في سوريا والعراق. وقد أثبت ذلك اتساع الممارسات لقادة سلطتي دمشق وبغداد وبشكل واضح وجلي بالتلاعب بالمبادئ والقيم والمراوغة مع الجماهير المؤمنة بالوحدة كهدف، إضافة إلى أن تحرك أولئك القادة صوب القاهرة كان لتبييض وتحسين موقفهم وتبرئة ذممهم من جريمة وعار الانفصال السوري عام ١٩٦١. ولذا فإن أي تنسيق أو هدف وحدوي مع مصر عبد الناصر كان بمثابة ذر الرماد في العيون. وإذا حاولنا تقويم تجربة سلطة البعث في سوريا والعراق خلال مدة حكمهم، فإن أهم سمة مؤلمة لهذه التجربة هي التناقض

---

(١٠٣) القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، الملف رقم ٢٢/ ١١، حركة القوميين العرب، الحديث عن أقسام الحركة العربية الثورية، ص ٨.

الواضح بين الادعاء والتنفيذ.

فبعد ثورة ٨ شباط/ فبراير في العراق عام ١٩٦٣، لم تكن الغاية الأولى نضال حزب البعث لتحقيق الوحدة بأي شكل وأي ثمن، بل أصبحت الغاية تصميم الوحدة بالطريقة المناسبة التي يراها، أي البعث، وأن يستفيد من تجربة الوحدة بكل ظروفها وملابساتها. فبعد ثورة العراق أخذ الحزب زمام المبادرة، وذهب وفد إلى القاهرة ليزيل كل ما كان بين الحزب والجمهورية العربية المتحدة من خلافات[١٠٤]. وبعد شهر من ثورة العراق قامت الثورة في سوريا وذهب ممثلو الحكم في سوريا مع ممثلي الحكم في العراق إلى القاهرة وفي الوقت نفسه وللغرض نفسه. وتتابعت الاجتماعات والرحلات التي تمخض عنها ميثاق القاهرة في ١٧ نيسان/ أبريل ١٩٦٣[١٠٥].

وقبل التطرق إلى ميثاق ١٧ نيسان/ أبريل وموقف الحركة منه، لا بد من إعطاء لمحة سريعة عن المواقف التي سبقت الميثاق. فقد بات واضحاً أن حزب البعث لن يوافق تحت أي ظرف على شعار الوحدة الفورية، انطلاقاً من قرارات مؤتمره القومي الخامس المنعقد في أيار/ مايو ١٩٦٢، حيث وصف المؤتمر الاتجاه المعبر عن شعار

---

(١٠٤) قبل ثورة الثامن من آذار/ مارس في سوريا وعند لقائنا الودي الأول مع جمال عبد الناصر في ٢٢ شباط/ فبراير ١٩٦٣ لم يكن في ذهننا ولا في ذهن عبد الناصر أي مشروع عملي للوحدة مع مصر، ولم تتجاوز أفكارنا حدود علاقات الصداقة والتحالف الطيب مع أقطار عربية معادية للاستعمار كمصر واليمن والجزائر وبقية الحركات التقدمية العربية. وأوضحنا لمضيفنا أن ظروف العراق تتطلب التعددية السياسية والحزبية، وأشياء وجهوداً ووقتاً طويلاً نستطيع خلاله تطوير التفاهم وتقوية العلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة والحركات التقدمية العربية، كاتحاد الشغل العربي وجبهة التحرير الوطني الجزائرية والاتحاد الاشتراكي المصري لإقامة وحدة عربية متينة ومدروسة لا رجعة فيها. وحينذاك كنا قد أدركنا بسرعة قياسية الفارق الكبير بين الشعارات التي كنا نرفعها وبين تنفيذها عملياً على أرض الواقع. وتحدث علي صالح السعدي لوكالة أنباء الشرق الأوسط عن وحدة اتحادية ليست عاطفية وطالب بإنشاء «الدولة العربية المتحدة» وهو لعمري أدنى من الاتحاد الفدرالي أو على الأقل مماثل له. وكان الوفد العراقي إلى مصر برئاسة نائب رئيس الوزراء وأمين سر الحزب علي صالح السعدي ووزير الدفاع صالح مهدي عماش وطالب شبيب وزير الخارجية وعضو القيادتين القطرية والقومية ووفد شعبي من سياسيين ومهنيين ونقابيين مشهورين: كمحمد صديق شنشل وجلال الطالباني وخير الدين حسيب وأديب الجادر وفؤاد عارف. وكان هدف الوفد تقديم التهنئة لذكرى الوحدة وإبداء الشكر لعبد الناصر على موقفه المؤيد للثورة، ولكي نتجاوز الفتور والضباب الذي حصل بيننا بسبب اختلاف التحليل الذي رافق انهيار الوحدة. للمزيد من التفاصيل، انظر: علي كريم سعيد، **عراق ٨ شباط ١٩٦٣ من حوار المفاهيم إلى حوار الدم: مراجعات في ذاكرة طالب الشبيب** (بيروت: دار الكنوز الأدبية، ١٩٩٩)، ص ٢٠٧ ـ ٢٠٩.

(١٠٥) ميشيل عفلق، **في سبيل البعث** (بغداد: دار الحرية للطباعة، [د.ت.])، ج ٤: **البعث والقطر السوري**، ص ٣٦١ ـ ٣٦٢.

الوحدة الفورية بأنه اتجاه عاطفي غير واقعي وسطحي وخال من الوعي[١٠٦]. ومما لا شك فيه أن استيلاء حزب البعث على قبضة السلطة في العراق قد عمق موقفه في هذا الاتجاه. وكان إعلانه بعد ثورة الثامن من شباط/فبراير أن الشعار العملي المرحلي للوحدة قد تغير تغيراً كاملاً، ولم يعد شعار وحدة سوريا ومصر موضوعاً ذا أهمية، فقد تخطته الأحداث وخلفه تطور النضال العربي وراءه. ومن هنا طرح حزب البعث شعار تحقيق وحدة مصروسوريا والعراق، لتلتقي إلى أقصى حد مع الجزائر واليمن لمواجهة شعار وحدة سوريا ومصر أولاً ثم العراق[١٠٧].

أما حركة القوميين العرب فقد عبرت عن مشروعها الوحدوي خلال بيانها الصادر بمناسبة ثورة ٨ آذار/مارس في سوريا ضد حكومة الانفصال، إذ دعت في بيانها إلى إعادة وحدة سوريا ومصر، ليفتح الباب أمام العراق للانضمام إلى تلك الوحدة. وفند بيان الحركة أن أية دعوة للوحدة العربية لا يمكن أن تكون عملاً جاداً واتجاهاً تقدمياً إلا بالتوجه نحو الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة[١٠٨]. وتحت عنوان «بين الوحدة والاتحاد ومشروع حركة القوميين العرب» كتبت صحيفة **الوحدة** مقالة افتتاحية أشادت فيها بشعب سوريا الذي خاض طيلة الثمانية عشر شهراً ضد الانفصال نضالاً مريراً ولإسقاط القوى المعادية التي جاء بها الانفصال وإعادة الجمهورية العربية المتحدة. ثم واصلت الصحيفة مقالتها قائلة إن ثورة شباط/فبراير والثورة التي تلتها في آذار/مارس وضعت جميع القوى الوحدوية الاشتراكية في مصر وسوريا والعراق وجهاً لوجه أمام مسؤولياتها التاريخية لتشييد دولة الوحدة الاشتراكية الديمقراطية. وجاء في المقالة أن حركتنا القومية قد طرحت مشروعاً وحدوياً كاملاً بين الأقاليم الثلاثة، ليستفيد من تجربة الوحدة السابقة ويضع الأسس المادية والموضوعية لدولة وحدوية تستند إلى قواعد ديمقراطية واشتراكية، ونهجاً سليماً لظروف كل إقليم. ولقد جاء المشروع الوحدوي الذي طرحته حركة القوميين العرب ليحدد بوضوح شكل دولة الوحدة الدستوري ومحتواها الاقتصادي والاجتماعي، وليكون أساساً للبحث من جميع الأطراف الوحدوية الاشتراكية لصنع دولة الوحدة وتوفير ضمانات حمايتها وتطويرها ديمقراطياً واشتراكياً[١٠٩].

---

(١٠٦) حزب البعث العربي الاشتراكي، **نضال البعث: القطر العراقي، ١٩٥٨ ـ ١٩٦٣، من ثورة الرابع عشر من تموز إلى ثورة الرابع عشر من رمضان**، ط ٣ (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٦)، ج ٦، ص ٨٥.

(١٠٧) المصدر نفسه، ص ١٣٨ ـ ١٣٩.

(١٠٨) بيان حركة القوميين العرب الصادر في ١٠ آذار/مارس ١٩٦٣ بمناسبة ثورة الثامن من آذار في سوريا.

(١٠٩) **الوحدة**، ٢٠/٣/١٩٦٣.

هذا وقد جرت المحادثات التمهيدية للوحدة الثلاثية في القاهرة من ١٤ آذار/مارس إلى ١٧ آذار/مارس ومن ١٩ آذار/مارس إلى ٢٠ آذار/مارس وتمخض عنها الاتفاق على المحادثات النهائية التي بدأت فعلياً يوم ٧ نيسان/أبريل وانتهت في ١٧ منه بإعلان ما عرف بـ«ميثاق ١٧ نيسان/أبريل». وكان الوفد العراقي مؤلفاً من ستة أعضاء جميعهم من البعث، باستثناء اللواء الإسلامي النزعة محمود شيت خطاب الذي اقترح ضمه إلى الوفد لتفعيل الوحدة. أما الوفد السوري فتألف من ١٧ عضواً عسكرياً ومدنياً، يمثلون الأطراف القومية الأربعة، والمستقلين في سوريا. فما كادت المفاوضات تنتهي ويوقع ميثاق ١٧ نيسان/أبريل حتى جرى تسريح الضباط الناصريين من الجيش، وإذا بميثاق الوحدة ينهار في الأسبوع الذي وُقِّع فيه. أما صلاح الدين البيطار فوجد نفسه حين عودته إلى دمشق أمام تهمة قاتلة هي بيع الحزب لعبد الناصر. وتساقط الميثاق على أيدي القادة الذين وقعوه، فما كاد شهر أيار/مايو ينتهي حتى تعرضت القوى الناصرية في العراق[١١٠] وسوريا إلى ضربة منهجية متكاملة، وضعت البعث في طريق احتكار السلطة[١١١]. وقد ساهمت الحركة مركزياً في مباحثات الوحدة الثلاثية في القاهرة ممثلة بالسيد هاني الهندي عضو القيادة المركزية للحركة ووزير التخطيط بعد ثورة ٨ آذار/مارس في سوريا. ولقد كان الخلاف مع البعث يدور حول دعوة الحركة إلى عودة سوريا إلى الجمهورية العربية المتحدة فوراً، ثم الدخول بمباحثات مع العراق للوحدة، في حين طرح البعث مشروع الوحدة الثلاثية. ومع ذلك ورغم عدم التوصل إلى نتائج إيجابية خلال المباحثات حول بعض الموضوعات كتحديد العاصمة الواحدة والعلم الواحد، انطلقت تظاهرات عفوية في الكرخ تأييداً للوحدة لمجرد إعلانها، ولكن قوات الحرس القومي اطلقت الرصاص عليها وحطمت مقاهي ومقرات الحركة واعتقلت عدداً كبيراً من أعضائها وأنصارها، فكانت تلك الحادثة من الأمور المضافة إلى حالة التردي في العلاقات وفشل الميثاق وعدم تحقيق أية خطوات عملية. واشتدت هذه الخلافات بين الحركة وحزب البعث[١١٢]. وعن دور الحركة في مباحثات الوحدة

---

(١١٠) يوضح التقرير المرفوع من متصرف لواء كربلاء إلى وزارة الداخلية حول قيام تظاهرة في مدينة الكوفة يوم ١٨/٤/١٩٦٣ «من قبل بعض أدعياء القومية مستغلين نبأ إعلان الوحدة الثلاثية دون إذن رسمي» أنه «قد عمدنا إلى إبعاد المتطرفين من هؤلاء إلى سجن (نقرة سلمان) بموجب برقيتنا س/٤٧٤ في ٢٤/٤/١٩٦٣، وقد كان لذلك العمل أثره في عودة الاستقرار والهدوء في قضاءي النجف والكوفة» وللمزيد من التفاصيل انظر: القيادة القومية، مدرسة الإعداد الحزبي، لجنة تاريخ الحزب، إضبارة رقم (١) وثيقة رقم ١٩٨ المرقمة س/٥٩٥ والمؤرخة في ١٩/٥/١٩٦٣.

(١١١) مقابلة شخصية مع أمير الحلو بتاريخ ٩/١١/٢٠٠٠.

(١١٢) المصدر نفسه.

الثلاثية، يذكر هاني الهندي أن دور الحركة في المباحثات كان أقرب إلى المراقبة والملاحظة منه إلى المشاركة، لأن كل الدلائل كانت تؤكد أن لا مجال لعودة مصر للوحدة مع سوريا، وبالتالي فإن الوحدة مع العراق أصعب وأعقد بكثير، بل كانت القناعة راسخة لدى بعض قياديي الحركة أن حزب البعث يريد كسب الوقت ليثبت وضعه في سوريا خاصة بعد تصفية القوى القومية والناصرية للانفراد بالسلطة. وبكلمة أدق، لم يكن هناك شعور بأن المباحثات جدية. وهذا الموقف لم تخفه الحركة عن عبد الناصر. وقد أيد قيادي آخر من الحركة آراء الهندي حيث بين هذا القيادي رأيه بصراحة ووضوح للرئيس المصري بأنه لا جدوى من هذه المباحثات، وأن لدى بعض عناصر حزب البعث مشروعهم الحزبي الخاص. وكان الرأي أن تطرح الأمور على الشعب بحقيقة الوضع، لكن الرئيس عبد الناصر عارض مثل هذا الموقف مؤكداً أن عليه أن يسير في التجربة الجديدة حتى نهايتها. وحذر عبد الناصر هاني الهندي بوصفه عضواً في الوفد السوري من ضرورة أن يقلل من مداخلاته لتجنب استفزاز علي صالح السعدي، خاصة بسبب موقفه الحزبي المتصلب، وبالتالي فإن تقويم الهندي تلك المباحثات القصد منه كسب الوقت، وتمكين قادة البعث آنذاك في سوريا من إتمام السيطرة على الجيش[113]. ولكن علينا أن لا ننسى أن حزب البعث بعد أن سيطر على الحكم في العراق وسوريا بعد ثورتي شباط/ فبراير ـ آذار/ مارس ١٩٦٣ رفض بحث وحدة بين القطرين آنذاك، إن لم تكن القاهرة مشتركة في هذه الوحدة. وأثناء مباحثات الوحدة الثلاثية قال عبد الكريم زهور عضو الوفد السوري إلى الرئيس عبد الناصر «إن طريق الوحدة العربية يجب أن يمر أولاً في القاهرة. . . وكل وحدة عربية لا تمر أولاً في القاهرة إنما هي أسلوب لتكتل قسم من الأمة العربية ضد قسم آخر. فكل طريق لا يمر في القاهرة نعتبره طريقاً خاطئاً، وليس خاطئاً فقط بل طريقاً خطيراً، فقد رفضنا الوحدة مع العراق وسنرفضها، وإن لم يكن في الإمكان إلا هذه الوحدة فسوف أناضل ضدها، وسأناضل جداً لكي يمر طريق الوحدة بدءاً في القاهرة»[114].

أما عن فتور التفكير الوحدوي لدى البعثيين بعد فشل مشروع الوحدة الثلاثية، فمبعثه إصرار الرئيس عبد الناصر على تحقيق شروط تعيد إليه سلطاته في دولة الوحدة الجديدة، وكذلك كثرة التكتلات المتزايدة التي تعرض لها حزب البعث من بعد آذار/ مارس عام ١٩٦٣[115].

---

(١١٣) رسالة الأستاذ هاني الهندي للباحث بتاريخ ٢٠/ ٢/ ٢٠٠١.

(١١٤) **محاضر محادثات الوحدة** (القاهرة: دار الأهرام، ١٩٦٣)، ص ٤٣.

(١١٥) عصاصة، **أسرار الانفصال: مصر. . . سوريا**، ص ٣٦٣.

لقد استمر الجو المخيم على مباحثات الوحدة الثلاثية حتى آخر لحظة[116] حافلاً بالشكوى وعدم الثقة المتبادلة بين عبد الناصر وحزب البعث، ولا سيما مع قيادة الحزب في القطر السوري. وكان من الطبيعي أن يكون لاستمرار هذا الجو تأثير كبير في تمهيد السبيل لإلغاء الاتفاقية عند أول تصرف سلبي من أحد الطرفين تجاه الآخر. ومما تجدر الإشارة إليه أن القيادة القومية للحزب ولم تكن بصورة عامة صاحبة الكلمة الأولى، ولا التأثير الأول في مجرى الأحداث في كل من سوريا والعراق، وكان عبد الناصر متوجساً من تلك الوحدة، وهذا بحد ذاته شكل استعداداً كبيراً لديه لفسخ الاتفاقية عند أول مناسبة يجدها ملائمة لذلك[117]. ومن جانب آخر فلا بد من التنويه عن مشروع تداولته أوساط حزب البعث خلال شهر آذار/ مارس عام ١٩٦٣، وذلك أن السيد علي صالح السعدي نائب رئيس وزراء العراق حمل إلى دمشق مشروعاً للتعاون بين الدول العربية المتحررة، أعلنه في مؤتمر صحافي بحضور رئيس وزراء سوريا صلاح الدين البيطار[118]. وقد حبذ البيطار المشروع المذكور، كما أن طالب شبيب وزير خارجية العراق تولى مهمة عرضه على

---

(١١٦) في الاجتماع الأول للمباحثات بدأ عبد الناصر بالنقد الشديد لحزب البعث على مواقفه السابقة منه ومن وحدة سوريا ومصر، وأن له مشكلة مع الحزب في سوريا وليس في العراق، وقال إنه لا يريد إقامة الوحدة مع حزب البعث السوري، بل مع سوريا «وأنا مليان بالشك وعدم الثقة من البعث السوري». ومما قاله عبد الناصر «مش عايزين ندخل بين المطرقة والسندان» ويقصد صوتين للبعث في سوريا والعراق وصوت لمصر، وندد بألم بشعارات أطلقها البعث ضده كالقول: «بأن عبد الناصر يريد عملاء لا شركاء، وأنه ديكتاتور، وأن الاتحاد القومي للمة». ثم قال مخاطباً صلاح البيطار: «شوف يا أخ صلاح أنتم عندكم عقدة عبد الناصر، وأنا يظهر عندي عقدة من البعث». وللمزيد من التفاصيل، انظر: شبلي العيسمي، **لماذا الوحدة العربية وكيف؟** (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٣)، ج ١، ص ١٢٥ ـ ١٢٦.

(١١٧) المصدر نفسه، ص ١٤٠ ـ ١٤٥.

(١١٨) المشروع الذي عرضه السعدي ينص على:

١. وضع مشروع بيان مشترك بين الشقيقة الكبرى الجمهورية العربية المتحدة ومع الشقيقات الجزائر واليمن وجمهورية سوريا، يخول الجيوش العربية في الدول المتحررة حق التدخل وإنزال الجنود واجتياز حدود أي بلد من البلدان العربية المتحررة الخمسة عند تعرضه لأي عدوان خارجي أو مؤامرات داخلية استعمارية أو رجعية تهدف إلى الإطاحة بالحكم التقدمي في البلدان الخمسة.

٢ ـ تشكيل قيادة عسكرية مشتركة وإلحاق ضباط ارتباط بهذه القيادة يمثلون دوائر الأركان العامة في الجيوش الخمسة، وضع قوات مشتركة تحت إمرة هذه القيادة ويكون من اختصاصات هذه القيادة ووضع سياسة موحدة للتجهيز والتسليح والتدريب وتوحيد الأنظمة والمصطلحات العسكرية.

٣ ـ تشكيل قيادة سياسية عليا للتخطيط السياسي في الدول الخمس. وللمزيد من التفاصيل انظر: أبو خلدون ساطع الحصري، **الإقليمية جذورها وبذورها**، سلسلة التراث القومي. الأعمال القومية لساطع الحصري؛ ١٥ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥)، ص ٦٥ ـ ٦٦.

جمال عبد الناصر في القاهرة، وبما أن علي صالح السعدي وصلاح الدين البيطار وطالب شبيب، كلهم من زعماء حزب البعث، فيمكن القول إن ما جاء في المشروع يدل على موقف حزبي، فهو لا وحدة ولا اتحاد، بل تعاون[١١٩].

ولقد جاءت مقالات محمد حسنين هيكل في صحيفة **الأهرام** خلال فترة المباحثات لتعبر بوضوح عن استمرار الشكوك المتبادلة بين الجانبين. وإن المعاتبة واستعراض الماضي في الجلسات السابقة للإفادة من دروسه لم تفلح في تبديد هذه الشكوك، إن لم نقل إنها عملت على تأجيجها من خلال إعلانها للرأي العام العربي. واعتبار الحزب لها بأنها هدفت للتشهير به ومهاجمته وتحريض الجماهير ضده، بينما عدها عبد الناصر توضيحاً للحقائق ودفاعاً عن نظامه الذي تعرض للغمز من صحيفة **الجماهير** السورية في مقالة بعنوان «ملكيون أكثر من الملك» اعتبر أن كاتبه يشبهه بالملك وليس مجرد قول مأثور يعبر عن صفة التطرف في المواقف عند بعض الأشخاص[١٢٠]. كانت حركتا ٢٥ أيار/مايو في العراق وحركة ١٨ تموز/يوليو في سوريا السبب المباشر في انعدام الثقة بين حزب البعث الاشتراكي وحركة القوميين العرب، وبالتالي فقد أدى هذا السبب إضافة إلى أحداث ١٨ تموز/يوليو في سوريا إلى انسحاب عبد الناصر من ميثاق ١٧ نيسان/أبريل.

لقد أقامت أحداث ١٨ تموز/يوليو جداراً لا يمكن تجاوزه بين الحكم في سوريا وبين عبد الناصر، وتبع ذلك جدار أقوى بين حزب البعث والقوى القومية في سوريا، وأطلقت أحداث ١٨ تموز/يوليو سياسة صلاح جديد المناوئة لسياسة عبد الناصر، حيث حشرت رمز التيار البعثي الوحدوي في زاوية هامشية قاتلة. وفي تلك الفترة أخذ صلاح جديد يهمش دور محمد عمران الذي كان قريباً من التيار البعثي الوحدوي ويخطط لعملية عزله تمهيداً لإسقاطه في إطار صراع مركب، أما الفريق لؤي الأتاسي (مستقل) فلم يعد بإمكانه الاستمرار في العمل، فتقدم باستقالته من رئاسة مجلس قيادة الثورة. وعلى أثر أحداث تموز/يوليو الدامية فإن عبد الناصر من جهته ألقى بنبرة مريرة خطابه الذي عد بمثابة تشييع لميثاق ١٧ نيسان/أبريل وإعلان لموته[١٢١]، إلا أن اندفاعات الجماهير هي التي تدفع بالدول إلى الارتقاء خارج الأسوار القطرية وفوق حجم الإمكانيات الحاصلة. وعندما نادى الرئيس عبد الناصر أثناء خطابه المنوه عنه آنفاً بالحركة العربية الواحدة عام ١٩٦٣، وضع يده على

(١١٩) العيسمي، المصدر نفسه، ص ٦٥.

(١٢٠) المصدر نفسه، ص ١٢٧.

(١٢١) باروت، **حركة القوميين العرب: النشأة ـ التطور ـ المصائر**، ص ٢١٠ ـ ٢١١.

أهمية التنظيم القومي الذي يمثله حزب البعث ـ رغم أنه نادى بهذه الحركة ليضعها في وجه حزب البعث تحت تأثير انفعالات تلك المرحلة من العلاقات السلبية بينه وبين الحزب ـ كان يشعر بوجود فجوة أو حلقة مفقودة بين شخصه كقائد قومي وبين الجماهير العربية في الأقطار الأخرى. وظلت دعوة الرئيس عبد الناصر للحركة العربية الواحدة نداءً معلقاً في الهواء، لأنه أيقن أن مثل هذه الحركة لا يمكن أن تتحقق في السلطة، وفي السلطة القطرية بوجه خاص[١٢٢]. وفي هذا الجو المشتت ولدت أسطورة «أخطاء الوحدة» لتصبح فيما بعد أخطر نظرية تتسلح بالنقاش العقائدي. وقد بررت هذه النظرية المزعومة سلسلة الانتكاسات المتعاقبة والمتزايدة، ابتداء من صميم عهد الوحدة إلى الانفصال إلى عهد التمهيد لقيام الدولة الاتحادية الشاملة. وكانت في كل مرحلة تزداد إصراراً وتغتني بعناصر فكرية وسياسية جديدة، وقد أنعش الانفصال بؤر الرجعية والعمالة ومختلف أمراض الواقع العربي الفاسد. وكان تحقيق الوحدة بين مصر وسوريا من فوق الجسر المقطوع بينهما وبين الأردن، قد لاقى أول عناصر الضعف في نموه وخاصة عندما تحددت تلك الوحدة في صيغة النمو الأفقي السياسي[١٢٣].

إن فشل المحاولات الوحدوية بعد جريمة الانفصال عام ١٩٦١، وعدم قيام الحركة العربية الثورية الواحدة، والتقويم الظالم لتجربة وحدة ١٩٥٨ وقصور الفكر القومي العربي في موضوع الوحدة، وواقع الحركة القومية العربية، إضافة إلى دعايات أعداء الوحدة، كل ذلك تسبب في خلق إقليمية جديدة لا تقل خطراً وخطورة عن الإقليمية التقليدية التي عرفها وطننا في بدء وعيه القومي. ومأساة الإقليمية الجديدة أن معظم فرسانها من طلائع الحركة القومية العربية، ومواقفهم المعادية للوحدة تتخذ لبوس العلمية والثورية حيناً، ولبوس الواقعية والوطنية أحياناً، وتستغل جهل الجماهير واحترامها لماضي أولئك الفرسان، فتعمق الشعور بالتجزئة وهي تهتف للوحدة بأعلى الأصوات[١٢٤].

في أثناء مباحثات الوحدة الثلاثية كتبت صحيفة **الوحدة** مقالة افتتاحية تحت عنوان «حتى لا تضيع الوحدة مرة أخرى»، أوضحت فيه أن الحوار الموضوعي لقضية الوحدة يستطيع توضيح أبعادها الديمقراطية والاشتراكية كما يتمكن من توضيح

(١٢٢) سليمان الفرزلي، «هيكل وبؤس الصراحة،» سلسلة مقالات نشرت في: **الكفاح العربي**.

(١٢٣) مطاع صفدي، **مصير الأيديولوجيات الثورية: الثورة في التجربة** (بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٣)، ص ٤٦١ ـ ٤٦٤.

(١٢٤) فرسخ، **الوحدة في التجربة: دراسة تحليلية لوحدة ١٩٥٨**، ص ٤٣٩ ـ ٤٤٠.

حقيقة أساسية تؤكد أن ميلاد دولة الوحدة لا يعني نهاية المتاعب. وقد أكدت تجربة الوحدة عام ١٩٥٨ هذه الحقيقة، فالشعب في سوريا ومصر نتيجة للتعبئة الوحدوية العاطفية تملكه إحساس وشعور بأن دولة الوحدة ستنقذه من كل متاعبه. ولا شك بأن المسؤول عن هذه الحالة المرضية هي الحركات الشعبية أولاً والسلطات الرسمية ثانياً. وعندما قامت الوحدة ظهر للشعب أن الحقيقة غير ما توقع وحلم به طويلاً، فدولة الوحدة ستزداد أعباؤها فوق أعباء الأوضاع السابقة، لأنها مطالبة بإخراج طموحات الجماهير وآمالها إلى حيز الوجود، وذلك بتصفية رواسب الإقطاع وضرب دكتاتورية رأس المال وإرساء قواعد مجتمع جديد يؤمن الخير والرفاه للجماهير الكادحة. من هنا وجب كما جاء في المقالة بحث قضية الوحدة بحضور الجماهير وفي ظل مراقبتها وتوجيهها لسير مباحثات القاهرة الرسمية عن طريق طرح كل ما يدور في المباحثات على أوسع نطاق شعبي، ليتسنى للحركات الشعبية الإسهام الفعال في مناقشة كل ما يدور، وخلق تيار شعبي وحدوي يمارس دوره في صنع دولة الوحدة وضمان سلامة اتجاهها القومي الاشتراكي الديمقراطي[١٢٥]. وفي عدد آخر من الصحيفة أكدت مقالتها الافتتاحية وجهة نظر حركة القوميين العرب وموقفها إزاء المباحثات التكميلية المقبلة في ٦ نيسان/ أبريل والتي يتطلع إليها شعبنا بشوق ولهفة، وطالبت الصحيفة في مقالتها بالرد الحاسم على نظرية الظروف الموضوعية لكل قطر، وتخطي كل المحاولات التبريرية التي يتستر بها أعداء الوحدة العربية باسم «الموضوعية والعلمية» لتمييع قضية الوحدة وإبعادها عن الوجود. وتحت ذريعة فضح مخططات الرجعية الاستعمارية اتسمت مقالة الصحيفة بالامتعاض ورفض الأشكال الوحدوية المظهرية التي تنادي باتحاد الدول العربية، وأوضحت المقالة أن الحرب التي تقودها الرجعية الاستعمارية على قضية الوحدة تحاول التستر وراء أسلحة فكرية لتبرير موقفها من وراء قواعد فلسفية وآثار إقليمية لنسف قضية الوحدة من الأساس ومنع قيامها وكأننا لا نعيش في عام ١٩٦٣. وطالبت الصحيفة بدولة موحدة بين الأقاليم الثلاثة تذوب فيها الكيانات الانفصالية بكل مظاهرها الداخلية والعربية والدولية في ظل جمهورية عربية واحدة يرفرف عليها علم واحد وتقودها أجهزة وحدوية مركزية تنفيذية وتشريعية في القضايا الخارجية والاقتصادية والثقافية والدفاعية[١٢٦]. أما **الحرية**، المجلة المركزية لحركة القوميين العرب، فقد وصفت ميثاق ١٧ نيسان/ أبريل بعد إعلانه بأنه بيان تاريخي حيث تضمن الأسس والقواعد والمبادئ العامة التي يجري

(١٢٥) **الوحدة**، ٢٢/٣/١٩٦٣.

(١٢٦) **الوحدة**، ٢/٤/١٩٦٣.

العمل بموجبها لتوحيد الأقطار الثلاثة في دولة اتحادية تقوم على أسس اشتراكية وديمقراطية وتعبر عن وحدة حقيقية متينة، وعلى رأس هذه المبادئ والقواعد ما يتعلق بتنظيم العمل السياسي والقومي في ظل الدولة الاتحادية العتيدة. وأكدت الصحيفة في موقفها من ميثاق ١٧ نيسان/ أبريل على ضرورة قيام جبهة تنتظم فيها القوى الثورية وتقود العمل السياسي في الدولة الاتحادية، وأردفت الصحيفة بأن العمل لإقامة جبهة قومية في كل من سوريا والعراق تقود العمل الوحدوي خلال الأشهر الخمسة القادمة مسألة أساسية، وهي لا تقبل التأجيل ولا التسويف. فالجبهة القومية تقود العمل السياسي للدولة، ومن هنا يفترض أن تكون نظرة كافة الأطراف للجبهة في مستوى المهمة الخطيرة والمصيرية التي ينبغي أن تضطلع بها هذه الجبهة والتي يتوقف عليها بالفعل سلامة العمل الثوري في الدولة الاتحادية[١٢٧].

وفي غضون الوقائع الجديدة تكيفت حركة القوميين العرب بسرعة، ونادت بشعار وحدة اتحادية جدية بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق حل محل شعارها السابق وحدة سوريا ومصر أولاً ثم العراق. وكان شعار الوحدة الاتحادية خصوصاً، والوحدة الاتحادية الثلاثية عموماً، شعاراً بعثياً أكثر منه حركياً. ومن هنا فإن موقف الحركة الذي أظهر مرونة تجاه قضية الوحدة وكأنه يستعير شعار البعث وبرنامجه للوحدة الاتحادية وتأييده في ما بعد للوحدة الثلاثية محاولة لإمساك البعث من يديه، والسير معه إلى النهاية. بل يمكن القول إن برنامج الحركة وفي لغته الجديدة هو امتصاص وتحويل لبرنامج البعث بصيغة حركية. على أن هذه اللغة لم يألفها الخطاب القومي التقليدي للحركة، بل هي لغة تبناها فريق مجلة **الحرية** وليس لغة القيادة التقليدية المؤسسة. وتضمن الموقف الجديد للحركة التعبير عن الظروف الخاصة لكل إقليم منعاً لأي تسلط إقليمي[١٢٨]. وفي هذه الفترة بالذات وبعد صدور أوامر اعتقال نايف حواتمة أوائل آذار/ مارس ١٩٦٣ بادر باسل الكبيسي وسلام أحمد إلى تشكيل قيادة موسعة لحركة القوميين العرب حيث تم تصعيد قيادات الصف الثاني إلى القيادة الأولى الموسعة التي ضمت عبد الإله النصراوي وأمير الحلو ووليد قزيها وهاشم علي محسن وجواد دوش وزاهد شفيق بجانب باسل الكبيسي وسلام أحمد، وبعد مغادرة حواتمة العراق وتشكيل القيادة الجديدة الموسعة جمد باسل الكبيسي عضويته في القيادة وغادر إلى كندا لدراسة الدكتوراه[١٢٩]. وفي خضم هذه الأحداث وما رافقها من حملة التضييق على الفئات

(١٢٧) **الحرية**، (٢٢ نيسان/ أبريل ١٩٦٣).

(١٢٨) باروت، **حركة القوميين العرب: النشأة ـ التطور ـ المصائر**، ص ١٩٣ ـ ١٩٤.

(١٢٩) رسالة الاستاذ نايف حواتمة للباحث، ص ٢٢.

القومية، ومنها حركة القوميين العرب، خلال مباحثات الوحدة الثلاثية في القاهرة فقد انتهزت حركة القوميين العرب إعلان حكومة أحمد حسن البكر في ١٥ آذار/ مارس ١٩٦٣ «المنهاج المرحلي» الذي تضمن إقامة جبهة من القوى القومية والتقدمية، وتقدمت الحركة في ١٧ آذار/ مارس ١٩٦٣ بمذكرة احتجاجية إلى المجلس الوطني لقيادة الثورة في العراق طلبت فيها بإيقاف الاضطهاد الذي تتعرض له القوى القومية، والتحام هذه القوى في جبهة قومية. وكانت قد تشكلت لهذا الغرض لجنة لإعداد منهاج الجبهة في شباط/ فبراير ١٩٦٣ على عجل إلا أنه لم يتسن لأحد من قادة البعث في بغداد أن يطلع عليه. وخلال المحادثات التمهيدية للوحدة تشكلت لجنة حكومية بصفة شكلية لمتابعة ما اتفق عليه في المحادثات التمهيدية مع مطالبة الفئات القومية في العراق التقدم باقتراحاتهم حول المشروع العراقي للوحدة الثلاثية. وبلغ من شكلية هذه اللجنة أن عضوها طالب شبيب وزير الخارجية آنذاك لم يحضر أية جلسة من جلساتها، ومن هنا أدركت حركة القوميين العرب مراوغة بعث العراق مع ما كان يمارسه البعث بالارتباط مع ما يحدث في دمشق من استفزازات، فنظمت التظاهرات الطلابية الوحدوية الضخمة للمطالبة بالوحدة مما أدى إلى صدور أوامر رسمية بحظر التظاهرات حظراً تاماً، كما أصدر وزير الإرشاد العراقي في يوم ٢٤ آذار/ مارس ١٩٦٣ تعليماته بعدم الإشارة إلى أية أخبار تتعلق بموضوع الوحدة[١٣٠]. وخلال هذه التطورات كتبت صحيفة **الوحدة** مقالة افتتاحية تحت عنوان «لا وحدة بدون وحدويين ولا ثورة بدون ثوريين» أكدت فيها صراحة على ضرورة إسهام الشعب العراقي في صنع دولة الوحدة المنشودة، وذلك باطلاعه على أدق تفاصيل المباحثات ليواكب مسيرتها وتطوراتها، وتوفير مناخ ثوري قادر على إزاحة كل عقبة قد تعترض سير مباحثات الوحدة. وألحت الصحيفة في مقالتها إلى أن التزامن بالمشاركة الجماهيرية خرج بالقضية إلى الساحة الشعبية بشكل مكثف في القاهرة، كما تشكلت في دمشق لجنة من ممثلي حزب البعث وحركة القوميين العرب والوحدويين الاشتراكيين والجبهة العربية المتحدة لوضع صيغة مشروع وحدوي يمثل إجماع القوى الشعبية الثورية في سوريا على قضية الوحدة شكلاً وموضوعاً. وأردفت الصحيفة في مقالتها بأن جميع المشاريع التي طرحت حتى الآن في بغداد من قبل حركة القوميين العرب وحزب الاستقلال والمنظمات المهنية والكتل السياسية والمستقلين تفتقد إلى مشروع يجمع الأطراف القومية التقدمية جميعاً[١٣١].

(١٣٠) باروت، المصدر نفسه، ص ١٩٤ ـ ١٩٥.

(١٣١) الوحدة، ٢٤/٣/١٩٦٣.

وفي مقالة أخرى لصحيفة **الوحدة** وتحت عنوان «٦ نيسان/ أبريل... والامتحان الرهيب» أشارت الصحيفة في مقالتها الافتتاحية إلى ضرورة اتباع النهج الديمقراطي والتأكيد على التعامل مع الصيغ الثورية التي تتيح المناخ الديمقراطي، والذي تتكافأ فيه القوى الثورية عبر لقاء جبهوي أصيل. وتساءلت الصحيفة عن مدى إفادة حركة النضال العربي من تجاربها السابقة، ومستوى الفهم الديمقراطي للعمل الثوري، واستطردت مقالة الصحيفة المعبرة عن موقف الحركة إزاء الأحداث، إلى أن جماهير شعبنا تتطلع بلهفة إلى الأيام التاريخية المقبلة الحاسمة، حيث تتعرض حركة النضال العربي بمجمل أطرافها الحاكمة والحزبية لامتحان رهيب. وأفصحت الصحيفة في مقالتها عن أن تاريخاً جديداً للأمة العربية في حالة ولادة، وعلى طبيعة المولود تتحدد أبعاد كثيرة لحركة النضال العربي، لتحدد مسيرة النضال الوحدوي واتجاهاته[١٣٢]. ويستشف من مقالة الصحيفة الآنفة الذكر اتسامها بتراجع الحركة في موقفها التأييدي حيال السلطة في العراق والمباحثات السابقة لها. وعلى أي حال فلم تطل كثيراً أيام التعايش بين الحزب والقوى القومية بعد توقيع الوحدة الثلاثية، فقد استقال الوحدويون في سوريا من وزارة البيطار بعد أيام قليلة من عودة الوفدين العراقي والسوري، وبدأ الصراع بين السلطة السياسية والقوى الوحدوية في البلدين[١٣٣].

وهكذا أدى فشل الوحدة الثلاثية إلى زيادة شقة الخلاف بين العربية المتحدة وسلطة البعث في سوريا والعراق، وقد شعرت الحركة بالارتياح عندما دعا الرئيس عبد الناصر في الذكرى الحادية عشرة لثورة ٢٣ تموز/ يوليو إلى إقامة حركة قومية عربية موحدة، تندمج فيها كافة الحركات القومية في الوطن العربي[١٣٤].

خامساً: القضية الفلسطينية والكفاح المسلح

لقد تفجرت الثورة العربية الفلسطينية منذ وعد بلفور في ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٧ وما زالت ألسنتها ملتهبة. وقد اتبعت الثورة طريقاً مشروعاً، فمن حيث الأسس أعلنت بأنها تمارس القوة ضد عصابات جاءت تحتل أرضها، وأنها تواجه بالقوة دولة استعمارية تتحكم برقابها وتفتح أراضيها، لتكون وطناً لشتات من الناس لا صلة لهم بهذا الوطن. واستمرت تعلن عن طبيعتها وشرعية كفاحها منذ

(١٣٢) الوحدة، ١/٤/١٩٦٣.

(١٣٣) رسالة الأستاذ هاني الهندي إلى الباحث، ص ٨ ـ ٩.

(١٣٤) الكبيسي، حركة القوميين العرب، ص ١٠٨ ـ ١٠٩.

يوم انطلاقها، إلا أن بريطانيا ومن معها من دول الاستعمار كانت تصم آذانها وتواصل كيدها في إقامة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين. وارتفعت شعلة المقاومة ونسقت بريطانيا مع «الصهيونية» على استعمال القتال والإرهاب، فارتكبت الهاغانا بقيادة مناحيم بيغن مجزرة دير ياسين في عام ١٩٤٨، وواصلت سلطات الاحتلال مجازرها وإرهابها بمساندة ومشاركة بريطانيا والدول الاستعمارية الأخرى مما صعد لهيب الثورة. وبقيت الساحة الفلسطينية حلبة نزاع بين الشعب الفلسطيني وقوات الاحتلال الصهيوني[١٣٥]. وعلى الرغم من أن برنامج عمل حركة القوميين العرب كان معنوناً بالشعارات القومية العريضة، فقد احتلت القضية الفلسطينية مركز القلب في عمل الحركة ونشاطاتها. فما إن نجح روادها في عقد حلقاتهم السرية الأولى عام ١٩٥١، حتى انصرفوا مباشرة لمعالجة القضية الفلسطينية، وهكذا أعلنوا في العام ١٩٥٢ عن قيام منظمتهم هذه، تحت اسم هيئة مقاومة الصلح مع «إسرائيل» التي أصدرت نشرة أسبوعية أسمتها **الثأر**، وكما تشير هاتان التسميتان، فإن درجة انشغال الحركة بالهموم الفلسطينية كانت على قدر كبير من الوضوح والتركيز. ويمكن القول إنه بالنظر إلى تركز العنصر الفلسطيني في نشأة وبناء الحركة فإن الغايات الفلسطينية الأساسية كانت هي الطاغية على أهدافها ومركز اهتمامها الرئيس والمباشر[١٣٦]. ومما يشار إليه أنه كانت هناك منظمة كتائب الفداء العربي، وكما نوهنا عنها سابقاً بأنها كانت جذراً لحركة القوميين العرب حيث تبنت الحركة مفاهيم تلك المنظمة، والتي فرضت على الشعب العربي أن يفكر في التغيير ورفض أسلوب الاضطرابات والتظاهرات كرد على الأساليب الوحشية التي مارستها «إسرائيل» في طرد الفلسطينيين من ديارهم. وقد أدى ذلك إلى ظهور خليط من الأفكار الثورية التي اعتمدت العداء الشديد «لإسرائيل» وإلى تقديس العنف السياسي، لذا فإن الحركة لم تتوقع أية فائدة من لجان هيئة الأمم المتحدة حيث قاومت المشاريع الاستيطانية بين الصهاينة وعرب فلسطين. وعلى أثر تلك الممارسات نشأت هيئة من الحركة سمت نفسها هيئة مقاومة الصلح مع إسرائيل، وكان هدفها حشد كافة القوى ضد أي حل سلمي مع «إسرائيل»، وقام تشكيلها على اثر المحاولات التي قامت بها وكالة الغوث التابعة للأمم المتحدة وحكومة الولايات المتحدة لتوطين

(١٣٥) عبد الله سلوم السامرائي، **الصهيونية**، سلسلة المكتبة الثقافية (بغداد: نقابة المعلمين، ١٩٨٨)، ص ٥٦.

(١٣٦) عيسى الشعيبي، **الكيانية الفلسطينية: الوعي الذاتي والتطور المؤسساتي ١٩٤٧ - ١٩٧٧** (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٧٩)، ص ٨٤ - ٨٥.

اللاجئين الفلسطينيين في الدول المجاورة[١٣٧].

تشكلت النواة الأولى لهيئة مقاومة الصلح مع إسرائيل في أواخر عام ١٩٥٢ وعملت بشكل خاص في أوساط من سمتهم الحركة بـ«النازحين العرب» أو «عرب فلسطين»، وأصدرت الحركة باسم هذه الهيئة وكما مر ذكره نشرة أسبوعية مؤلفة من ثماني صفحات حملت اسم **الثأر** وذلك عام ١٩٥٣. وقد تغلغلت الحركة بواسطة هذه الهيئة ونشرتها التعبوية التحضيرية في المخيمات والأوساط الطلابية. وما إن جندت عدداً من الشباب الفلسطيني حتى أوفدتهم لتأسيس خلايا سرية في مخيمات سوريا ولبنان والأردن. وكان أبرز هؤلاء أبو ماهر اليماني الذي (أصبح في ما بعد أحد أعضاء المكتب السياسي للجبهة الشعبية) وأبو عدنان قيس (عضو المكتب للجبهة الشعبية الديمقراطية لاحقاً). ويبدو أن تجمع الحركة ضم حينذاك ما يقارب المئة شاب (لبناني وفلسطيني) يوزعون نشرة الثأر بسرية تامة، ويقومون بتدريبات كشفية تحت ستار المعسكرات الطلابية والشبابية والكشفية. ونشطت الهيئة ضد مشروع جونستون[١٣٨] الذي كان يتطلب تعاون الدول العربية مع «إسرائيل» مما كان يعني للحركة صلحاً مع «إسرائيل» يقوم على الاعتراف بها. ويؤيد ذلك الاتجاه أن جميع أعداد نشرة **الثأر** للسنوات ١٩٥٣ - ١٩٥٥ لم تخلُ من التعرض لمشروع جونستون. وشكلت الهيئة اللجان لإقامة الندوات والمحاضرات والمهرجانات الخطابية، وافتتحت بعض الأندية الثقافية، كما قامت بأنشطة اجتماعية في المخيمات. وفي ٢٥ آذار/مارس ١٩٥٦ تمكنت الهيئة من أن تعقد مؤتمراً عاماً لفروعها في المخيمات أدانت فيه مشاريع الإسكان والتطوير الاقتصادي كمشروع جونستون، وطالب المؤتمر بتجنيد النازحين وإلغاء القيود على تنقلاتهم، وتشديد الحصار الاقتصادي حول «إسرائيل».

إن شعار الثأر الذي رفعته حركة القوميين العرب وأولته كل اهتمامها ونشاطاتها طوال السنوات السبع من الخمسينيات كان نابعاً من إيمان الحركة بالقوة كطريق وحيد لحل المشاكل العربية واسترداد الكرامة القومية التي أهدرت في

(١٣٧) الكبيسي، **حركة القوميين العرب**، ص ٤٧ - ٤٩.

(١٣٨) كان هذا المشروع هو الأساس الذي اتخذه المبعوث الرئاسي الأمريكي الخاص إيريك جونستون عام ١٩٥٣ لإزالة النزاعات الناشئة عن المشاريع المتضاربة لاستغلال مياه نهر الأردن والخروج بمشروع مائي جديد، وأسقط المشروع عامل الحدود من اعتباراته، ونظر إلى المنطقة كقطعة واحدة غير متأثرة بالاعتبارات السياسية. وتمثل الهدف السياسي الأمريكي منه بإيجاد حل نهائي للقضية الفلسطينية لا يخل ببقاء «إسرائيل»، وذلك عن طريق توطين اللاجئين. واستمرت محادثات جونستون ثلاث سنوات وانتهت برفض المشروع من قبل الدول العربية و«اسرائيل». وقد تمت تعبئة المخيمات ضد المشروع، ففي تموز/يوليو ١٩٥٩ اعتصم ستون ألف لاجئ فلسطيني في جبال الخليل، وأضربوا عن الطعام احتجاجاً على المشروع.

فلسطين. هذا الإيمان بالقوة هو إيمان غير مقتصر على الأخذ بالقوة كطريق لتحرير فلسطين فقط، بل هو إيمان مطلق بالقوة كفلسفة ونظرية للحركة، تأثرت بها من خلال إعجابها بالحركات الثورية في كل من إيطاليا وألمانيا، واعتماداً على دراسة الحركة للواقع الدولي، حيث أظهرت النكبة أن السياسة الدولية لا تقوم على أساس المصلحة، ولا تفهم إلا لغة واحدة، هي لغة القوة وحدها، كما ترى أن العرب لن يعيدهم إلى ديارهم السلبية قرار من جمعية عامة، أو تصريح ودي يدلي به وزير «إسرائيلي» أو غربي أو برقيات العطف والتأييد، أو مشاريع التوطين والإغاثة لأن الحلول النصفية الهزيلة لن تقف لحظة واحدة أمام مفهوم الثأر المتطرف العنيف. وبقيت الحركة مجتمعاً مغلقاً على نفسه حول شعار الثأر لغاية عام ١٩٥٧ حتى أنه أطلق عليهم اسم جماعة الثأر وجماعة الحديد والنار دلالة على إيمانهم المطلق بالقوة وانغلاقهم حول مفهوم الثأر، إلا أنه في عام ١٩٥٧ أثار محسن إبراهيم الجدل حول جدوى رفع شعار الثأر وعدم ملاءمته لمرحلة النضال القومي الثوري الذي تخوضه الحركة. وتم التوصل إلى حل باستبدال شعار الثأر بشعار استرداد فلسطين[١٣٩]. وفي فهم الحركة للخطر اليهودي الذي لا يهدد فلسطين وحسب، بل يهدد الأمة العربية كلها، لم تفرق الحركة بين اليهودية كديانة والصهيونية كعقيدة وإيديولوجية، فالصهيونية هي الشعب اليهودي في طريقه إلى فلسطين، وأنه لمن السذاجة بمكان وضع الفواصل والتباينات ما بين اليهودي والصهيوني واليهودي وغير الصهيوني، فكل اليهود هم أعداء الأمة العربية. ولكي تبعد الحركة عن نفسها تهمة العنصرية الطائفية وحتى لا يظهر الصراع كأنه صراع بين العروبة واليهودية كدين وكعقيدة سماوية، فقد شككت الحركة باليهودية المعروفة الآن باعتبارها ليست ديناً كبقية الأديان بل عدتها رابطة عنصرية متعصبة تجمع معتنقيها حول أهداف ومبادئ تخدم المصالح الاقتصادية والسياسية لليهود. وطالبت الحركة بمعاملة اليهود المقيمين في البلاد العربية كما تعامل «إسرائيل» العرب المقيمين في فلسطين. ورأت أنه من الخطأ الشنيع تجاهل خطر اليهود، كونهم يشكلون بؤرة التجسس والتآمر ببثهم روح الهزيمة والاستسلام في صفوف الجماهير[١٤٠].

ومن الجدير بالذكر أن حركة القوميين العرب لم تكن لها أية علاقة سياسية أو اتصال رسمي مع القيادة السياسية المصرية بشكل أساس في مرحلة ما قبل عام

(١٣٩) إبراهيم أبراش، «حركة القوميين العرب وجدلية العلاقة بين الوطنية الفلسطينية والقومية العربية،» **القدس العربي**، ٨/٨/١٩٩٦.

(١٤٠) المصدر نفسه.

١٩٥٨، لكن كانت هناك صداقة وعلاقة خاصة بين أحد قياديي الحركة وعدد من الضباط العرب، إذ تعرف عليهم خلال التطوع بجيش الإنقاذ. وكان بين هؤلاء ثلاثة ضباط شباب من سوريا تخرجوا في الدفعة الوطنية الأولى في حزيران/يونيو عام ١٩٤٧، وهم عبد الحميد السراج وأكرم ديري وجودت الأتاسي، وبقيت العلاقة معهم اعتيادية طيلة سنوات. وكانت نشرة **الثأر** ترسل إليهم، ولغيرهم بشكل منتظم منذ بداية صدورها، وفي كانون الأول/ديسمبر عام ١٩٥٦، وفي مرحلة النضال ضد حلف بغداد والمؤامرات التي نظمت، عرض السراج إمكانية التعاون ودعم نشاط الحركة التي انتشرت أخبارها في أكثر من قطر عربي. وفي أوائل عام ١٩٥٧ بدأت مجموعة من عناصر منتقاة من أعضاء الحركة ومن خارج سوريا بتلقي دورات عسكرية مكثفة في معسكر كتيبة الفلسطينيين قرب دمشق، بعد أن أقرت قيادة الحركة فكرة التعاون لتوفير التدريب والسلاح. وفي هذه الفترة كان اسم المقدم السراج قد برز ضابطاً وطنياً نجح بإحباط مؤامرات أجنبية عديدة، وأشرف آمر تلك الكتيبة (أكرم صفدي) على تلك الدورات. وكان باسل الكبيسي من بين الذين دربوا على المتفجرات وتوقيت تفجيرها بشكل خاص. وفي أواخر أيلول/سبتمبر ١٩٥٧ وخلال النضال ضد مبدأ إيزنهاور في الأردن أولاً ثم خلال أيام الثورة في لبنان أواخر ربيع ١٩٥٨، تلقى شباب الحركة تدريبات مختلفة وأسلحة[١٤١]. أما في العراق ـ وكما نوهنا في فصل سابق ـ فإن حركة القوميين العرب لم تكن لديها قوة سياسية أو أي رصيد جماهيري يذكر قبل ثورة ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨. وكثيراً ما كان أعضاؤها يعدون من منتسبي حزب الاستقلال، ولذا فإن موقفها من القضية الفلسطينية يشكل تبعية لموقف قيادتها التنفيذية القومية (المركز).

وفي نطاق تعدد الهموم والتحديات أمام فروع الحركة في الأقطار العربية بدأ الفلسطينيون في حركة القوميين العرب يطرحون على أنفسهم السؤال التالي: ما هو دور الفلسطينيين الخاص بهم في نطاق الالتزام بالعمل القومي الشامل؟ وأخذ هذا السؤال يطرح نفسه بحدة، بعد قيام دولة الوحدة بين مصر وسوريا أوائل العام ١٩٥٨. ونتيجة لذلك تشكلت من بين العناصر الفلسطينية القيادية في الحركة لجنة سميت «لجنة فلسطين»، وذلك في العام ١٩٥٨ نفسه، وقد تكونت هذه اللجنة من كل من جورج حبش والدكتور وديع حداد وأسامة النقيب من (فلسطينيي سوريا) وزاهي قمحاوي من (فلسطينيي الأردن) وأحمد اليماني وعبد الكريم حمد (من

(١٤١) الهندي والنصراوي، محرران، **حركة القوميين العرب: نشأتها وتطورها عبر وثائقها، ١٩٥١ - ١٩٦٨: الكتاب الأول، ١٩٥١ ـ ١٩٦١**، ص ٢١٥.

فلسطينيي لبنان). وفي إطار الأبحاث والمناقشات الطويلة، اعتمدت لجنة فلسطين على تحرير فلسطين من خلال الفلسطينيين واعتماداً على دولة الوحدة[١٤٢]. وقد وضع هذا الخيار موضع التنفيذ العملي، فاتصلت اللجنة بدولة الوحدة، وقابلت الرئيس عبد الناصر في إحدى زياراته لدمشق عام ١٩٥٩. وفي أثناء مقابلة الرئيس جمال عبد الناصر طالبته الحركة بحضور نائبه السوري عبد الحميد السراج بتدريب الفلسطينيين وإعدادهم وتوفير السلاح لهم، وقد وافق عبد الناصر على هذه المطالب التي قدمت باسم النازحين الفلسطينيين في لبنان. وبالفعل تم تدريب عدد من الفلسطينيين في سوريا على يد بعض الضباط المتعاطفين مع الحركة وبموافقة الأجهزة الرسمية، وتم في ما بعد إرسال ثلاثين قطعة سلاح كدفعة أولى للمتدربين، حيث وصلت إلى الأراضي اللبنانية قبل أيام من وقوع الانفصال عام ١٩٦١. وفي غضون ذلك عرفت حركة القوميين العرب لأول مرة في تاريخها السياسي تكوين جهاز فلسطيني خاص عرف باسم إقليم فلسطين[١٤٣]. وحصل فرع العراق عام ١٩٥٩ على كمية جيدة من السلاح. وكان الشهيد عبد الرزاق عابد السامرائي قد تولى نقل جزء مهم منها إلى الموصل وبغداد[١٤٤]. ولم تمض مدة سنتين على تشكيل الإقليم الفلسطيني حتى عقد أول مؤتمر قطري فلسطيني للأعضاء الفلسطينيين للحركة وذلك في العام ١٩٦٢[١٤٥].

لقد اعتبرت حركة القوميين العرب وحدة مصر وسوريا وقيام الجمهورية العربية المتحدة الأمل في أن تكون دولة الوحدة هي الكماشة التي ستطوق «إسرائيل» وستقضي على الكيان العبري أو «إسرائيل»، إلا أن ذلك الأمل لم يدم بسبب ظهور علائم الفشل لتجربة الوحدة، فضلاً عن ظهور الأفكار والمفاهيم الاشتراكية داخل صفوف الحركة بتأثير تزايد فاعلية العناصر الشابة بالحركة، وبتأثير قرارات تموز/يوليو الاشتراكية. وكانت هذه الانعطافات قد حتمت على الحركة إعادة النظر في مجمل

(١٤٢) لقد أسقطت لجنة فلسطين بنتيجة أبحاثها ومناقشاتها ثلاثة خيارات من بين أربعة وهي: أ ـ تحرير فلسطين من خلال حرب نظامية تشترك فيها دول الجامعة العربية. ب ـ تحرير فلسطين من قبل الفلسطينيين أنفسهم. ج ـ تحرير فلسطين من خلال دولة الوحدة.

(١٤٣) الشعيبي، **الكيانية الفلسطينية: الوعي الذاتي والتطور المؤسساتي ١٩٤٧ ـ ١٩٧٧**، ص ٨٤.

(١٤٤) استشهد عبد الرزاق عابد السامرائي في فجر ٤ تموز/يوليو ١٩٧٦ في مطار عينتيبة بأوغندة مع عدد من المناضلين مثل فايز جابر وجايل العرجا برصاص قوة من الكومندوز (الإسرائيلية) حين قامت مجموعة اسرائيلية بالإفراج عن رهائن احتجزتهم عناصر مقاتلة من مقاتلي مجموعة وديع حداد لمبادلتهم بأسرى ومعتقلين عرب في سجون العدو.

(١٤٥) الشعيبي، المصدر نفسه، ص ٢١٥.

سياستها المرحلية، ومن ضمنها الصراع العربي ـ الصهيوني، وبدأت تبحث عن آلية جديدة لمقاومة العدو الصهيوني في فلسطين[١٤٦]. وبهذا الصدد يذكر نايف حواتمة: «لقد حصلت مجموعة من التحولات في فصائل حركة التحرر والتقدم العربية، وعلى تفاوت هذه التحولات، كانت الساحة الفلسطينية تضج بالتململات والمحاولات لاستعادة تظهير الموقع والدور الخاص لشعب فلسطين وحركته الوطنية، وهذا ما أدى إلى تشكيل العديد من المجموعات التي تتلمس الهموم الفلسطينية الخاصة. وبدأ ذلك في غزة تحت الإدارة المصرية/الناصرية، ثم انتشر في بلدان المشرق بعد انهيار وحدة مصر وسوريا. وتشكلت عدة فصائل منها حركة فتح وجبهة التحرر الفلسطينية ومنظمة التحرير وجيش التحرير، وهذا ما دفع فرع الحركة الفلسطينية ـ الأردنية في حركة القوميين العرب، والامتدادات الحزبية الفلسطينية في أقطار اللجوء، والتي كانت جزءاً لا يتجزأ من الفروع العربية في هذه الأقطار إلى فتح حوار واسع. وأدى إلى بروز جناحين في الرؤيا. وكان الجناح الأول وعناصره الرئيسية يسارية. وقد أخذ يبحث ويتلمس الدور الوطني الخاص أما الجناح الثاني فقد واصل الرهان على المشروع القومي العام طريقاً لفلسطين وتحت إدارة عناصر من الجناح الأول اليساري تشكلت مجموعات أولية فدائية من الاتجاهين، وكان مسؤولها عبد الكريم حمد[١٤٧]. وهو من العناصر البارزة في صف اليسار داخل المخيمات اللبنانية، وتحت إدارته تمت أول عملية فدائية تحت عنوان «شباب الثأر» وسقط فيها الشهيد خالد الحاج أبو عيشة في ٢ كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٤. وارتباطاً بذلك كانت العملية الأخرى التي استشهد فيها كل من محمد حسين يماني ورفيق محمد عساف وسعيد العبد سعيد في ٢١ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٦»[١٤٨].

إلا أن وليد قزيها يذكر أنه عندما تشكلت منظمة التحرير الفلسطينية بداية عام ١٩٦٤ تحت قيادة أحمد الشقيري، وذلك بعد مؤتمر القمة العربي الأول، علقت صحيفة **الحرية** على ذلك بشكل انتقادي، إذ قالت إن هذه المبادرة الجديدة بعيدة كل البعد عن كونها البديل الثوري الذي انتظره الشعب الفلسطيني طويلاً. وفي الوقت

(١٤٦) المصدر نفسه، ص ٨٧.

(١٤٧) عبد الكريم حمد (أبو عدنان) وهو من مواليد نحف قضاء عكا شمال فلسطين عام ١٩٢٧، وهو أحد قادة حركة القوميين العرب في الخمسينيات، وتولى مسؤولية العمل الفدائي في الحركة في لبنان في منتصف الستينيات، ويعتبر أحد رواد الجناح اليساري، وأحد مؤسسي الجبهة الديمقراطية، ومن مؤسسي منظمة التحرير الفلسطينية وعضو المجلس الوطني الأول (القدس ١٩٦٤) استشهد في ١١ آب/أغسطس ١٩٦٢.

(١٤٨) **نايف حواتمة يتحدث**، ص ٥٥.

ذاته شرعت حركة القوميين العرب في تقييم التحديات المتزايدة التي وضعتها ثماني منظمات، إحداها فتح، أمام الحركة ونفوذها بين سكان المخيمات الفلسطينية في لبنان وسوريا والعراق. وبناء على ذلك أسس حبش وحداد قيادة إقليمية مستقلة لفلسطين. وتم سحب أعضائها من الأكثرية الفلسطينية التي كانت قد انضمت إلى القيادات الإقليمية للحركة في البلدان التي كان يقيم بها أولئك الفلسطينيون. وفي أيار/مايو ١٩٦٤ صادق المؤتمر الوطني على هذه الحركة الجديدة، وأصبح الفرع الفلسطيني ملاذاً لكل مؤيدي حبش، والذين كانوا غير راضين عن مسيرة اليسار نحو الاتحاد والالتحام مع الناصرية. ومن جهة أخرى أبدى محسن إبراهيم ورفاقه والذين كانوا أكثر اهتماماً بالقضايا النظرية ارتياحهم لرؤية حبش وهو يركز جهوده في الفرع الجديد مطلقاً أيديهم في القضايا الأخرى[١٤٩]. والفرع الجديد لحركة القوميين العرب والذي كان معروفاً آنذاك بـ«الجبهة القومية لتحرير فلسطين» لم يركز في استراتيجيته في خوض حرب التحرير على الفلسطينيين وتعبئتهم وحدهم، خلافاً لاستراتيجية فتح، بل إنه ركز على المشاركة القومية العربية الرسمية في الحرب، وكان الهدف الرئيسي السياسي والعسكري للحركة (الجبهة القومية لتحرير فلسطين)، هو العمل لتفجير حرب تقليدية بين الدول العربية بقيادة الجمهورية العربية المتحدة وبين «إسرائيل». ونفذ أول نشاط عسكري في ٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٤[١٥٠] عندما قامت مجموعة استطلاعية بعبور الحدود اللبنانية إلى «إسرائيل» واستشهد أحد الرجال، وأسر آخر بعد صدام مع دورية «إسرائيلية» وهكذا سقط أول شهيد من شباب الثأر، الذراع العسكري لحركة القوميين العرب في المعركة[١٥١].

وفي أيار/مايو عام ١٩٦٥ انعقد المؤتمر الوطني الفلسطيني الثاني في القاهرة. وقد أعدت حركة القوميين العرب مذكرة طالبت فيها بتحويل منظمة التحرير الفلسطينية إلى منظمة ثورية تقوم على تنظيم شعبي يجمع كل المنظمات الثورية الفلسطينية، ويكون له جيش نظامي وجيش شعبي، وتقود هذه المنظمة قيادة تنبثق عن طريق الانتخابات. ودعت حركة القوميين العرب الممثلة بقيادة العمل الفلسطيني في الحركة إلى تنظيم كل فلسطيني غير منظم. وساند الحركة بمذكرتها المكتب السياسي للقوى الثورية الفلسطينية، والتي وقعت عليها ثمانية تشكيلات فدائية ما

(١٤٩) قزيها، **التحول الثوري في العالم العربي: حبش ورفاقه من القومية إلى الماركسية**، ص ٨٣.

(١٥٠) وهنا يلاحظ الباحث اختلاف المعلومات والتواريخ بين ما أورده حواتمة وما ذكره قزيها، رغم أهمية تلك المعلومات من الناحيتين السياسية والتاريخية.

(١٥١) قزيها، المصدر نفسه، ص ٨٤.

عدا فتح، كما ألقى صالح شبل[١٥٢] خطاباً طالب فيه بتحويل منظمة التحرير الفلسطينية إلى منظمة ثورية تندمج فيها الحركات الفلسطينية الثورية والتنظيمات الشعبية لتشكيل عمودها الفقري لتحويل منظمة التحرير من حكومة منفى، لا تذكر إلا بالتجربة البائسة، إلى منظمة ثورية فاعلة[١٥٣].

وخطت حركة القوميين العرب خطوة أخرى في اتجاه ممارسة العمل الفدائي، كمحاولة لاستباق الزمن، ولمنع التدهور والتبعثر الذي أخذت تعانيه على المستوى التنظيمي والسياسي، ولاستقطاب منظمات الكفاح المسلح لأعداد متزايدة من الجماهير الفلسطينية. ففي آذار/مارس عام ١٩٦٦ أعلنت الحركة عن أولى عملياتها العسكرية داخل فلسطين المحتلة، وذلك عبر منظمة «أبطال العودة» الفدائية، وترافق ذلك مع دعوة الحركة لمنظمة التحرير الفلسطينية لتبني العمل الفدائي وتدعيمه، لأن منظمة التحرير الفلسطينية هي الجبهة الفلسطينية الوحيدة التي تبدو منذ اللحظة الأولى أن لديها الإمكانات للإعداد لمثل هذا العمل والاستمرار فيه[١٥٤].

وعلى المستوى العربي الرسمي، ظل عبد الناصر يتبنى استراتيجية تصفية القوى الرجعية في الوطن العربي حتى كانون الأول/ديسمبر عام ١٩٦٣ حين دعا فجأة إلى اجتماع لرؤساء وملوك البلدان العربية لمناقشة مشكلة تحويل روافد نهر الأردن بعد أن ثبت عجز البلدان العربية المحيطة «بإسرائيل» عن حماية مشروعات التحويل، وحل محل استراتيجية وحدة الهدف استراتيجية وحدة العمل، وهي صيغة جديدة لاستراتيجية وحدة الصف، غير أن استراتيجية وحدة العمل من خلال مؤتمرات القمة سرعان ما فشلت في تحقيق الحد الأدنى المطلوب من التنسيق العسكري. وفي ٢٣ تموز/يوليو ١٩٦٦ أعلن عبد الناصر نفسه التخلي عن تلك الاستراتيجية، وابتداء من منتصف عام ١٩٦٦ تبنى استراتيجية وحدة القوى الثورية العربية إزاء «إسرائيل»، وقد فهم عبد الناصر الردع على أنه استراتيجية دفاعية بحتة قصد فيها حث العدو على الامتناع عن شن العدوان. ففي أكثر من مناسبة أكد عبد الناصر أنه لا توجد لديه خطة شن هجوم عسكري على «إسرائيل»، وأن استراتيجيته هي ردع

(١٥٢) صالح شبل: وهو فلسطيني ذهب إلى العراق في أيلول/سبتمبر عام ١٩٥٤ لتأسيس العمل التنظيمي تحت غطاء إدارته لشركة تجارية مولها أحد أصدقاء الشباب القومي العربي. وحين تشكلت النواة الأولى من حامد الجبوري ونهاد هيكل وسعيد بركة، كان صالح شبل هو المسؤول عنها. وفي شباط/فبراير ١٩٥٧ فوجئ صالح شبل برجال الأمن يقتحمون مقر عمله ويقتادونه لتحقيق سريع أجراه ضباط الأمن السياسي، حيث أبلغ في نهاية الاستجواب والتحقيق بأمر الإبعاد عن الأراضي العراقية في فترة قصيرة جداً.

(١٥٣) **المحرر**، ١/٦/١٩٦٥، ملحق فلسطين.

(١٥٤) **القدس العربي**، ٢/٨/١٩٩٦.

«إسرائيل» لمنعها من مهاجمة أي دول عربية[١٥٥].

لقد وقع عبد الناصر وحلفاؤه سجناء التصور الذي طرحه لدوره الثوري في المنطقة كمدافع أول عن القضية الفلسطينية. وما لبث المعسكر التقدمي في الوطن العربي أن عانى الانقسامات الخطيرة داخل صفوفه، وأصبحت النظم التقدمية العربية في حالة تشرذم تنافست في ما بينها للتدخل في شؤون القضية الفلسطينية دون أدنى حد من التنسيق. ولو كانت مصر في طرح صورتها مقتصرة على ذاتها أو على نطاق الوطن العربي فقط كونها أقوى دولة عربية، وكون رئيسها أكثر الزعماء العرب شعبية لهان الأمر، ولكانت عواقبها ليست ذات أهمية، غير أن الولايات المتحدة عمدت إلى تصديق ما جاء في تصور مصر لنفسها، فما كان منها إلا أن أخذت تحاول إضعاف قوة عبد الناصر وتحجيم تأثيره في المنطقة.

أما على الصعيد العربي، فقد ثبت أن الاهتمام بفلسطين كان أقل بكثير مما كان متوقعاً، فبينما كانت النظم العربية تتخذ من القضية الفلسطينية موضوعاً تصدر فيه باستهتار قرارات ارتجالية وادعاءات كاذبة، كانت إسرائيل تجهز نفسها بكل حيوية للقضاء على القدرات العسكرية العربية[١٥٦]. وبهذا الصدد يقول نايف حواتمة: «كتبت الكثير حول تجربة عبد الناصر، ونشرت ما كتبته في مجلة **الحرية**، بدءاً من عام ١٩٦٣ وسجلت نقداً لتجربة ٢٣ تموز/ يوليو على أمل إعادة بناء الجيش الحديث والمناخ الذي تخلقه هذه العملية في صفوف جنوده وضباطه، فضلاً عن ارتفاع وتيرة النقد للنظام وأجهزته، وخاصة الأذرع المخابراتية والأمنية بعد هزيمة ١٩٦٧.. وحري بنا أن لا ننسى النهضة التي تمت في زمن عبد الناصر أيديولوجياً وثقافياً وتنويراً للطبقات الصاعدة، عمالاً، فلاحين، فقراء، طبقة وسطى، تحفر دروب التحديث والعصرنة»[١٥٧]. ولهذا يمكن القول إن حركة القوميين العرب قد تأثرت في كل ما مارسته من فكر وإيديولوجية، ولم يقتصر ذلك التأثير على مواقف الحركة السياسية من القضية الفلسطينية، وتصوراتها لسبل التحرير والعودة بل تعدى ذلك التأثير في ما يتطلبه النضال الوطني والقومي بشكل عام، والقضية الفلسطينية بشكل خاص.

---

(١٥٥) محمد السيد سليم، **التحليل السياسي الناصري: دراسة في العقائد والسياسة الخارجية**، سلسلة أطروحات الدكتوراه؛ ٣ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٣)، ص ٢١٥ ـ ٢١٦.

(١٥٦) وليد قزيها، «أثر القضية الفلسطينية على السياسة العربية،» ورقة قدمت إلى: **الأمة والدولة والاندماج في الوطن العربي** (ندوة)، تحرير غسان سلامة [وآخرون]، ٢ ج (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٩)، ج ٢، ص ١٠٢٢ ـ ١٠٢٣.

(١٥٧) **نايف حواتمة يتحدث**، ص ٧٢ ـ ٨٠.

إن الإيديولوجية العربية لا يمكن أن تكتفي بمجرد كونها جملة من الشعارات أو المبادئ النظرية أو المناهج العلمية، بل إن حقيقتها مرتبطة بكونها فلسفة أمة وإعداداً وجودياً متكاملاً لخلق وجهة نظر جديدة في إقامة حضارة إنسانية مشروعة. وعلى العكس فإنه كلما ضاق نطاق هذه الأيديولوجية، تحولت الثورة الشاملة إلى ثورات موضعية، وتبرز العقبات الجزئية لتتضخم وتصبح بمثابة العقبات الكبرى، وبذلك تتعاكس الثورات من حيث إنها تنزع إلى التوحد ويمحو بعضها قوة البعض الآخر. فالثورة إذاً لا تكون في مظهر دون آخر من حياة الأمة، بل إن الثورة لا تبدأ أبداً من مظهر أو مظاهر، بل هي الثورة التي تنبثق من الجذر، الثورة من النواة، الثورة من أصل الموقف التاريخي عامة الذي تقفه إنسانية الأمة من الحاضر والمستقبل[١٥٨].

إن توالي فشل مؤتمرات القمة العربية في الوصول إلى استراتيجية موحدة لمواجهة التحديات الصهيونية، وتكرار الحديث عن احتمال امتلاك «إسرائيل» القنبلة الذرية، وفرض العمل الفدائي واستراتيجية الكفاح المسلح لنفسها في الساحة الفلسطينية، كل ذلك دفع الحركة لتبني الأساس للعمل الفدائي، فإذا لم يستطع خطر الذرة ـ القنبلة الذرية الإسرائيلية ـ أن يوجد عملاً موحداً من أجل فلسطين، فإن أي خطر آخر لن يستطيع إيجاد هذا العمل. وعلى الشعب الفلسطيني أن يبادر بنفسه بمبادرة تحيي قضيته في كافة المجالات[١٥٩]. العمل الفلسطيني لم يعد احتكاراً، ولا يعقل أن يكون العمل التحريري كذلك. أما المبادرة الفلسطينية فقد انتقلت إلى الفئات الثورية الواعية المخلصة التي تعمل بعيداً عن اعتبارات الزعامة والاستئثار والمسايرة والمداورة والمناورة. وبكلمة أخرى، لقد تخطت المرحلة الزعامات واعتباراتها ومنطقها، وليس هناك أي مجال لوقف تيار التاريخ والواقع أو الانقلاب على منطقه، إذ إن التناقض الرئيسي هو بين الشعب المشرد والعدو الغاصب، وانتصار وجهة النظر الثورية وحجة فهم الفئات الثورة للمرحلة والواقع إن هو إلا بداية المسيرة نحو استلام زمام المبادرة والمسؤولية الجسيمة[١٦٠]. وإذا كانت الرصاصات التي انطلقت في الأول من كانون الثاني/ يناير ١٩٦٥ قد أنهت بالفعل عهد الوصاية المفروضة على الشعب الفلسطيني، فإنها في الواقع قد وضعت هذا الشعب في مكانه الطبيعي في مواجهة عدو اغتصب أرضه

---

(١٥٨) صفدي، **مصير الايديولوجيات الثورية: الثورة في التجربة**، ج ٢، ص ٤٩٣.

(١٥٩) **القدس العربي**، ١٢/٨/١٩٩٦.

(١٦٠) عبد الوهاب الكيالي، **القضية الفلسطينية: آراء ومواقف، ١٩٦٤ ـ ١٩٦٦** (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٣)، ص ٢١٥ ـ ٢٥٢.

وأجلاه بالقوة عنها مدعوماً بكل قوى الإمبريالية العالمية. لقد استطاع هذا الشعب أن يأخذ مكانه، وأن يصعد ثورته مجتازاً كل العقبات والشراك التي واكبت مسيرته الثورية، صامداً أمام قوى الثورة المضادة التي تتطلب منها مصالحها المرتبطة بالامبريالية العالمية أن تقف موقفاً معادياً من ثورة تحريرية حقيقية. وإذا كانت مرحلة العمل الفلسطيني التي تلت الأول من كانون الثاني/ يناير ١٩٦٥ قد شهدت بروز الكثير من القوى الوطنية التي نزلت إلى ساحة العمل، فإن مرحلة العمل تتطلب توحيداً حقيقياً لهذه القوى كافة لتتمكن من مواجهة كل الصعاب المتوقعة بصلابة وجلد. وقد أثبتت مسيرة الثورة الفلسطينية على أن انطلاقة الثورة الفلسطينية لم تكن انطلاقة عفوية، بل جاءت نتيجة لدراسات واسعة استهدفت كل التناقضات السائدة في الوطن العربي، وداخل الشعب الفلسطيني الذي مزقت قواه سنوات التشرد، لتتمكن بالتالي من تحويل كافة القوى الفلسطينية إلى قوة متماسكة لتحقيق هدفها الأساسي، وهو التحرير الكامل للأرض الفلسطينية[١٦١]. وبينما كانت القوى الفلسطينية تنتهج استراتيجية جديدة وتهيئ قواها للعمل الفدائي تمَّ في الأردن اعتقال المئات من الشباب الوطني وزجهم في غياهب السجون والمعتقلات، كمقدمة لمحاولة خنق منظمة التحرير الفلسطينية، وكضربة استباقية في وجه وحدة القوى الثورية الفلسطينية. وقد ازداد الموقف وضوحاً بعد خطاب الملك حسين بتاريخ ١٤ حزيران/ يونيو ١٩٦٥ في عجلون ورغم تعمد وكالات الأنباء إخفاء الخطاب والحيلولة دون وصول النص الكامل لهذا الخطاب إلى الرأي العام العربي، إلا أن صحيفة **الجيروزاليم** (الإسرائيلية) أبرزت ما أخفته وكالات الأنباء. فقد نشرت الخطاب في عددها الصادر بتاريخ ١٥ حزيران/ يونيو ١٩٦٥ وفي صفحتها الأولى تحت عنوان كبير «الملك حسين يطالب بتوطين اللاجئين» حيث أوضحت في تفصيل الخبر أن مطالبة الملك حسين هذه تعتبر أول مطالبة من نوعها يقدم عليها حاكم عربي في خطاب علني. وكان الأردن قد اتخذ موقفاً خاصاً تجاه شروط إنشاء منظمة التحرير كما أن لها علاقاتها المؤثرة مع الأحزاب والمنظمات السياسية العاملة في الأردن[١٦٢].

إن الثمن الذي دفعته حركة القوميين العرب خصوصاً وبقية القوى الوطنية من بعثيين وشيوعيين عموماً في الأردن وفلسطين كان ضخماً، إذ تعرضت الحركة الوطنية في الأردن وفلسطين إلى أنواع الإنهاك والمطاردة عام ١٩٦٦ بتهمة المؤامرة

(١٦١) **مناقشات حول الثورة الفلسطينية**، وثائق اختارها ناجي علوش (بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٠)، ص ٦٧ ـ ٦٨.

(١٦٢) الكيالي، المصدر نفسه، ص ٣٣١ ـ ٣٣٥.

الناصرية. وكانت القوى التي شملتها الضربات حركة القوميين العرب وحزب البعث، والحزب الشيوعي، مع أن مواقفها وآراءها متباينة تجاه التجربة الناصرية، وأبرز مثال على ذلك موقف الشيوعيين من عبد الناصر وتجربته. وكانت حصة حركة القوميين العرب من الضربة عام ١٩٦٦ متمثلة بجملة اعتقالات لكل مفاصل العمل والشُعب النشيطة من كافة المناطق. وتركزت بالأساس على مجموعات العمل الخاص (العسكري) التي كانت تقوم بدور التحضير للعمل الفدائي. وقد طالت الحملة أكثر من مستوى قيادي، كادري قاعدي متسلح بمعلومات عن المؤتمر الأول والأخير الذي عقدته الحركة آنذاك في غور الجفتلك صيف عام ١٩٦٥. وكانت للضربة أبعاد سياسية مرتبطة برؤية حقيقة ودلالات ومعاني نشوء منظمة التحرير الفلسطينية من جهة ورياح الحرب المحتملة التي تهب على المنطقة من خلال الأعمال العدوانية «الإسرائيلية»، على القرى والمدن الحدودية (السموع، نحالين، قلقيلية، جنين) من جهة ثانية، لذا فإن صفة الانهيار هي الصفة الحقيقية التي يمكن أن نطلقها على ما وقع نتيجة الاعتقالات وحملات القمع عام ١٩٦٦[١٦٣].

وعلى أي حال ففي ٢٧ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٦٦ أصدرت حركة القوميين العرب بياناً حول أحداث الأردن التي تلت الهجوم «الإسرائيلي» على قرية السموع جاء فيه: «إن الأحداث الخطيرة التي تجري الآن في الأردن كشفت نهائياً حقيقة الحكم القائم هناك وارتباطه المباشر مع الاستعمار والرجعية العربية، وإن ما حدث أثناء الاعتداء الغاشم على قرية السموع وتصرف السلطة الذي ترك المنطقة عن عمد دون تسليح، ودون أن يرسل إليها نجدة حقيقية تذكر، وما جرى بعد ذلك من تنكيل وتقتيل للجماهير التي هبت تطالب بالسلاح للدفاع عن النفس، ومقاومة العدوان، وإن كل ذلك قد فضح الدور الذي حاولت حكومة عمان ومَنْ وراءها إخفاءه منذ مدة طويلة وهو دور التآمر المباشر ضد الشعب وضربه ومنعه من الدفاع عن قضيته تنفيذاً لمخططات الاستعمار وحماية لمصالحه و«لإسرائيل». وإن حركة القوميين العرب إذ تعلن استنكارها لهذا الدور التآمري ولحملة البطش والتقتيل التي يقوم بها الحكم العميل في الأردن ضد الجماهير، فإنها تحيي النضال البطولي لشعب الأردن في كافة مدنه وقراه، وتعلن تأييدها التام والمطلق للمطالب التي تبنتها جماهير الشعب في الأردن وفي نابلس والقدس ورام الله والخليل وكافة المدن الثائرة، وأن

(١٦٣) أبو علي مصطفى، نائب الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، دفاعاً عن الحقيقة توضيحات بشأن بعض ما ورد في كتاب: **نايف حواتمة يتحدث**، ص ١٤.

حركة القوميين العرب تدعو الجماهير العربية في جميع أنحاء الوطن العربي لكي تهب لمساندة انتفاضة الجماهير في الأردن وتأييدها في كفاحها من أجل الحصول على مطالبها المشروعة التي تمكنها من العمل في سبيل قضيتها المقدسة، علماً بأن المطاليب التي حددتها حركة القوميين العرب هي التالية:

أولاً: حق الشعب في التسلح لحماية نفسه ضد العدوان، وخاصة في الخطوط الأمامية.

ثانياً: حق الشعب في التصدي لقضيته بنفسه، وتسهيل العمل الفدائي الفلسطيني مع الكف عن مطاردة الفدائيين.

ثالثاً: حق الشعب بالالتفاف حول قيادته والسماح لمنظمة التحرير الفلسطينية بالعمل داخل الأردن بكامل حريتها.

رابعاً: حق الشعب في الاعتماد على الدول العربية للقوات العربية بالتمركز داخل الأردن وحسب تعليمات القيادة العربية الموحدة.

خامساً: حق الشعب في التعبير عن رأيه، والسماح له بحرية التنقل والاجتماعات وعقد المؤتمرات والإفراج عن جميع المعتقلين، والتوقف عن حملة المطاردة والاعتقال والتنكيل بالمواطنين الشرفاء»[١٦٤].

وفي ضوء ما تقدم، فقد بقيت حركة القوميين العرب متمسكة بمواقفها تجاه القضية الفلسطينية، وذلك بدعوتها المستمرة إلى الفعل المباشر، إذ كانت الحركة سباقة في رفع شعار الثأر ومقاومة الصلح مع إسرائيل، واستمرت في ذلك النهج الذي يصر على حتمية استرداد فلسطين واسترداد كرامة العرب المضاعة معها، ولعل من الحق والإنصاف أن نشير إلى الوقفات المثالية والرائعة التي وقفتها حركة القوميين العرب عبر نضالها المرير منذ نكبة عام ١٩٤٨، مروراً بفترة الخمسينيات والستينيات حيث توجت ذلك النضال بالعمل الفدائي، وانتهاج سبل الكفاح المسلح لتعبيد الطريق أمام الزحف العربي المقدس لتحرير فلسطين.

(١٦٤) مؤسسة الدراسات الفلسطينية، **الوثائق الفلسطينية العربية**، سلسلة الوثائق الفلسطينية العربية السنوية؛ رقم ١، ١٧ ج (بيروت: المؤسسة، ١٩٦٥ ـ ١٩٨١)، ج ٢، جمع وتحرير فائق عنبتاوي، ص ٥٩٥ ـ ٥٩٦.

خاتمة

في هذه الدراسة قدمنا عرضاً شاملاً لدور حركة القوميين العرب في العراق خلال الفترة المحصورة ما بين عامي ١٩٥٨ و١٩٦٦. وهي الحركة التي تعد جزءاً من مسيرة الحركة الوطنية والقومية ليس في العراق فحسب، بل في الوطن العربي أيضاً. لقد أعطت هذه الدراسة في بدايتها توضيحاً للمراحل والفترات الزمنية التي مر بها الوعي القومي العربي منذ وعد بلفور ١٩١٧ مروراً بنكبة فلسطين ١٩٤٨، والتي لعبت دوراً كبيراً في المسار التاريخي لتطور الفكر القومي لدى العرب وتأثير النكبة في ظهور حركة القوميين العرب في أوائل الخمسينيات، منطلقة من مبادئ سياسية فكرية كان لها أثرها الواضح في الساحة الجماهيرية والنضالية العربية. ومن خلال ما تناولته هذه الدراسة من أحداث سياسية مهمة لحركة القوميين العرب في العراق، يتضح ما يلي:

١ ـ كشفت هذه الدراسة بوضوح عن الظروف والأجواء التي نشأت فيها حركة القوميين العرب إثر نكبة فلسطين عام ١٩٤٨، وتأثير تلك الظروف في المسار الأول للحركة بحكم التوافق في العديد من خصائص التكوين النفسي والأيديولوجي لدى معظم قيادييها، وتجاربهم في تنظيمات وجمعيات ذات منحى تحرري للعنف كمعالجة وحيدة للتخلص من آثار النكبة وما آلت إليه.

٢ ـ خضوع الممارسات السياسية لأغلب القادة المؤسسين للحركة إلى أنماط سلوكية مارستها بعض المنظمات المتطرفة في العنف في عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية، وما استجد من المتغيرات الدولية، ليتجلى لنا أن الالتقاء الفكري هو الذي يتمتع بالثبات النسبي. وبهذا الصدد فقد أوضحنا تأثير تلك المنظمات في نهج قادة الحركة ومؤسسيها.

٣ ـ اتسام تنظيم حركة القوميين العرب في مرحلة النشأة بالمركزية المطلقة. فقد كان جهاز الحركة محكم الإغلاق والتماسك تحكمه أنظمة الطاعة وفق مبدأيْ لا

تيارات ولا أجنحة، ونفذ ثم ناقش. وقوام الحركة لا يقوم على المؤتمرات بل على القيادة. ولم تحاول الحركة أن تمد وتوسع لها ساحة شعبية، ولذا بقي طابع الانحسار التنظيمي طاغياً عليها سواء كان ذلك في أرض نشأتها (لبنان) أو في الأردن وسوريا والعراق. وبذلك أمست الحركة حتى قيام الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٥٨، ضعيفة التكوين ولا تستند إلى قاعدة يعول عليها. أما بنيتها التنظيمية فإنها اتخذت الشكل الهرمي، فالقيادة كانت في أعلى مراتب السلطة والقاعدة في أسفلها.

٤ ـ انتهاج حركة القوميين العرب سياسة المراحل، أي تقسيم النضال العربي إلى مراحل سياسية تتبعها مراحل اقتصادية. وهذا لا يعني عدم قدرة الحركة على الربط بين المحتوى السياسي (الوحدة والتحرر) والمحتوى الاجتماعي، وإنما يكمن في حقيقة كون الحركة قد نشأت في ظل ظروف مأساة النكبة العربية في فلسطين، حيث بدأت توجهاتها نضالية ميدانية بحتة هدفها تحرير الأرض بركائز افتراضية لم تبلغ حدود النظرية، في إطار الاجتهاد الشخصي لمؤسسيها.

٥ ـ كان الكفاح المسلح وشعار الثأر هما الحلم الذي ظل يراود الحركة خلال منهاجها المركزي منذ نشأتها وحتى اليوم، ولذا فقد جندت كل طاقاتها وجهودها للحفاظ على القضية الفلسطينية، وقد أسهمت نشرات **الثأر** و**الرأي** و**الوحدة** و**الحرية**، والكتب والكراسات في بلورة الشعور القومي، ودفع حركة النضال في طريقها إلى ساحة المعركة. فالعمل في دائرة الكفاح المسلح والعمل في مجال النضال السياسي كانا يسيران في خطين متكاملين، وكانت الكلمة الداعية والمقالة السياسية تعانق البندقية وتتقدم عليها مرات.

٦ ـ كانت حركة القوميين العرب تزداد انتشاراً جنباً إلى جنب مع انتشار الأفكار الناصرية في الأقطار العربية، ولا سيما بعد العام ١٩٥٥. ولعل ارتباط الحركة الوثيق بالسياسة الناصرية قد أثار بعض اللغط حول استقلالية دور الحركة.

٧ ـ تشكلت حركة القوميين العرب في بداياتها الأولى من نواة تنظيمية في بيروت تدعى بـ «الشباب القومي العربي»، إلا أنها ما لبثت أن غيرت تسميتها إلى التسمية الحالية لحل التداخل والالتباس مع منظمة الشباب القومي العربي لحزب الاستقلال العراقي، وبذلك أصبح هذا الاسم عنواناً لعموم التنظيم القومي للحركة.

٨ ـ على الرغم من امتلاك حركة القوميين العرب الوضوح الفكري في العراق بعد قيام ثورة ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨، إلا أنها لم تستطع نقل ممارساتها النضالية وأفكارها السياسية في تطبيقات جديدة تتطلبها المرحلة التي أعقبت الثورة، بالاضافة إلى عدم قدرتها على وضع التصور الكامل للأحداث. فقد اندفعت الحركة نحو هدف

الوحدة بإلحاح، وبشكل تناست فيه طبيعة الوحدة الحقيقية، بحيث لم تتمكن من التعامل مع واقعها بشكل خاص، والواقع العربي بشكل عام وفق منظور اجتماعي وجغرافي واقتصادي.

٩ ـ اتصف موقف حركة القوميين العرب في العراق بالتغاضي والتجاهل التام للقضايا المهمة التي كانت تعانيها دولة الوحدة كسلبيات المؤسسة العسكرية في كلا الإقليمين، والاستياء بين النخبة السورية والمركزية المفرطة وضعف الأجهزة الإدارية، وعدم تعبئة المشاعر الشعبية، إذ ليس هناك سوى تنظيم هش واحد هو تنظيم الاتحاد القومي. واكتفت الحركة في العراق بصب نقدها على بعض المفاهيم التي طرحت في الساحة السياسية العراقية كالاتحاد الفدرالي والتضامن العربي والوحدة الاقتصادية.

١٠ ـ لقد رأت الحركة في عبد الناصر كل شيء، متناسية أن الرئيس عبد الناصر كان فوق قمة من التناقضات البيروقراطية والسياسية. وبالمقابل كانت هناك الأحزاب المنحلة وقواعدها وهي تراقب وترصد الأخطاء، إلا أنها لم تستطع العمل والتدخل للحد من التجاوزات على الأهداف والمثل التي من أجلها قامت الوحدة. وهكذا كانت المشاعر نحو دولة الوحدة هي السمة المميزة لنهج الحركة من دون إغناء تلك المشاعر بالعمل والنقد لمفردات التطبيق الوحدوي السليم، حيث استمر ذلك النهج إلى حين وقوع كارثة الانفصال الذي انعكست آثاره مبكراً على واقع الحركة بنطاقيه الفكري والتنظيمي.

١١ ـ في الوقت الذي كانت فيه حركة القوميين العرب مؤهلة للحوار الإيجابي مع الرئيس عبد الناصر وخاصة زمن الوحدة فإنها قد ألجمت نفسها بالسكوت تجاه رموز الأجهزة الأمنية والمخابراتية (الرسمية). فلم تحاول الحركة تجاوز جدار هذه الأجهزة وفضح ممارساتها التي كان أهمها عدم إعطائها صورة صادقة عن مشاعر الشارع السياسي لدولة الوحدة وبخاصة سوريا، بل أعطت وجهة نظرها هي... حيث استطاعت هذه الأجهزة فرض أنصارها ومؤيديها، مما أتاح الفرصة للانتهازيين والرجعيين والانفصاليين لاحتلال مراكز الصدارة في التنظيمات الشعبية والنقابات والجمعيات، وأسهم ذلك في تشويه وعرقلة محاولات البناء الوحدوي الديمقراطي السليم. أما الحركة فقد غطت سكوتها بالتمحور حول الشعارات الفوقية عن سوء تقدير مقترن بحسن نية، واكتفت بتلك الشعارات سلاحاً للتبرير والتحليل والهروب من المسؤولية التاريخية. وأدى ذلك إلى عدم تمكنها من أداء دورها المطلوب في إسناد الرئيس عبد الناصر إسناداً واقعياً، مما أنتج تداعي بناء دولة الوحدة لمجرد أن الشرارة داعبت مواطن الضعف.

١٢ ـ كانت نظرة الحركة إلى الوحدة نظرة خاطئة، إذ خلطت بين العملية التي تؤدي إلى تطوير الإدارة الوحدوية تطويراً يتوافق مع موجبات المراحل التي صاحبت قيام الجمهورية العربية المتحدة وبين الاستسلام للواقع في معالجتها لقضية الوحدة العربية، كاتباع الأساليب البيروقراطية في التعامل مع المواطنين، وانعدام الرقابة الشعبية، وتمادي الانحرافات، وإحلال التعبئة الإعلامية (الرسمية) محل التعبئة الجماهيرية المنظمة. وأغفلت حركة القوميين العرب حقيقة لا جدال ولا لبس فيها، وهي العراقة التي اتسم بها الوعي الديمقراطي في مصر ليكون لها سنداً قوياً في تعزيز إسهاماتها في بناء مجتمع وحدوي يتسم بالعدالة والرخاء لإقليمي مصر وسوريا، وذلك ما طمح إليه الرئيس عبد الناصر، فإنه أراد أن يكون اختياره صدى لاختيار الأمة... وأراد أن يكون موقفه تعبيراً عن ضميرها.

١٣ ـ إن توثيق التعاون والتقارب السياسي بين حركة القوميين العرب، وحزب البعث العربي الاشتراكي وبقية الفصائل القومية في تأسيس وقيام الجبهة القومية كان يسير في خط متواز مع اشتداد الصراع القائم بين سلطات قاسم والشيوعيين من جهة، وبين المعسكر القومي من جهة أخرى، إلا أن ذلك التعاون كان يتسم بالمرحلية وليس بالعمق ذي البعد الوطني والقومي. وكان هدف ذلك التعاون الأول والأخير هو تنسيق المواقف المشتركة لعمل منظم هدفه إسقاط النظام ليس إلا، بدليل عدم تجسد الجبهة في ميادين الحياة المختلفة كالقطاعات العمالية والطلابية والفلاحية مع انعدام النيات السليمة لتلك الأطراف.

١٤ ـ بعد الانفصال السوري في أيلول/سبتمبر ١٩٦١ حاولت الحركة أن تطرح مفاهيم تقدمية في مواجهة الإقطاعيين والرأسماليين والرجعيين الذين شكلوا في رأي الحركة المادة الأساسية في الانفصال، واهتمت الحركة للسنوات ١٩٦٢ ـ ١٩٦٤ بإدخال شعار الاشتراكية إلى جانب شعارات الوحدة والتحرر، وأخذ هذا النهج ينمو بسرعة ليؤدي في المحصلة إلى الارتباك والتطرف.

١٥ ـ كان وجود حركة القوميين العرب في تنظيم الاتحاد الاشتراكي العربي في العراق يشكل قوام ذلك التنظيم وعموده الفقري، إلا أن العناصر القيادية الحركية كانت تقوم بممارسات سياسية ضد السلطة داخل الاتحاد وخارجه، ناهيك عن احتفاظ الحركة بتنظيم سري لها، وكان ذلك الدور يسجل ميزة إلى جانب الحركة لا عليها.

١٦ ـ إن الانشقاقات التي طرأت في صفوف حركة القوميين العرب وتعرض تنظيمها إلى التلاشي والانهيار لم يكن بفعل التباين الواسع في الاجتهاد السياسي

حول أساليب التعامل مع المستجدات التي أفرزتها المرحلة بقدر ما كان خلافاً وانشقاقاً اتسم بالتخندق والابتعاد كلياً عن الأسس الأيديولوجية التي نشأت عليها الحركة.

١٧ ـ إن الحركات الوطنية والقومية تستمد قوتها واستمرارها من ارتباطها العميق بالمصير القومي لأي شعب، أو مقدرتها في التعبير عن القضايا الإنسانية الأخرى واستجابة لتطلعاتها الجماهيرية، إلا أن ما آلت إليه الحركة عام ١٩٦٦ كان عكس التوقعات، حيث إن المد الوطني الثوري الناصري والذي تبلور في عامي ١٩٦٥ و١٩٦٦ وبدأ بفرز اتصالاً حميماً بين قيادة عبد الناصر والحركة، لم يؤد إلى تعاظم الحركة وتوسعها ومعالجتها للأحداث التي استجدت في العراق وسوريا وسد الفراغ نتيجة تلك الأحداث، خاصة عام ١٩٦٦، بقدر ما أدى إلى انحسار دورها وتشتيت قيادييها، خاصة في العراق وقواعدها بين هذه الكتلة السياسية أو تلك، ناهيك عن انقطاع أغلب أعضائها عن منظمتهم الأم وقطع صلتهم بتلك المنظومات، مما أدى إلى انهيار الحركة، وما آل إليه ذلك الانهيار من إلغاء دور الحركة وتهميشه في نهاية الستينيات.

وأخيراً وفي خاتمة هذه الدراسة، لا بد من القول إننا كقوميين يجب أن نقف إكباراً مع الشعور بالفخر والاعتزاز لواحدة من التنظيمات والفئات التي ناضلت بمرارة من أجل الوحدة واسترداد فلسطين، وهي حركة القوميين العرب.. والله من وراء القصد.

المـراجـع

كتب

آرمبروستر، مكسيم. **رؤوساء الولايات المتحدة**. بيروت: شركة الكتاب اللبناني، ١٩٦٤.

إبراهيم، سعد الدين. **مصر تراجع نفسها**. بيروت: دار المستقبل العربي، ١٩٨٣.

إبراهيم، محسن. **لماذا...؟ منظمة الاشتراكين اللبنانيين، حركة القوميين العرب من الفاشية إلى الناصرية: «تحليل ونقد»**. بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٠.

أحمد، أحمد يوسف. **الدور المصري في اليمن ١٩٦٢ ـ ١٩٦٧**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨١.

الأسود، صادق. **علم الاجتماع السياسي**. بغداد: مطبعة الارشاد، ١٩٧٣.

الأعمال الفكرية العامة للدكتور قسطنطين زريق. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٤. ٤ مج.

الأهواني، أحمد فؤاد. **القومية العربية**. القاهرة: وزارة الثقافة والارشاد القومي، ١٩٦٠.

باروت، محمد جمال. **حركة القوميين العرب: النشأة ـ التطور ـ المصائر**. دمشق: المركز العربي للدراسات الاستراتيجية والعسكرية، ١٩٩٧.

البدري، حسن. **الحرب في أرض السلام: الجولة العربية الإسرائيلية الأولى، ١٩٤٧ ـ ١٩٤٩**. بيروت؛ القاهرة: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٦.

بركات، حليم. **المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي**. ط ٤. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩١.

بطاطو، حنا. **العراق**. ترجمة عفيف الرزاز. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٩٢. ٣ج.

ج٢: **الحزب الشيوعي العراقي**.

ج٣: **الشيوعيون والبعثيون والضباط الأحرار**.

بن غوريون، دافيد. **لقاءات مع زعماء العرب**. تل أبيب: دار عام عوبيد؛ القاهرة: الهيئة العامة للاستعلامات، ١٩٦٧.

تايلور، آلان ر. **مدخل إلى إسرائيل: الأعمال التحضيرية للجريمة الدبلوماسية الصهيونية، ١٨٩٧ ـ ١٩٤٧**. ترجمة شكري محمود نديم. بغداد: وزارة الثقافة والارشاد القومي، ١٩٦٥. (السلسلة السياسية؛ ١٠)

التجربة النضالية الفلسطينية: حوار شامل مع جورج حبش. أجرى الحوار محمود سويد. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٨. (مرجعيات؛ ٣)

التل، سهير سلطي. **حركة القوميين العرب وانعطافاتها الفكرية**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٦. (سلسلة الثقافة القومية؛ ٣١)

جامعة الدول العربية، الأمانة العامة. **الوثائق الرئيسية في قضية فلسطين: المجموعة الأولى: ١٩١٥ ـ ١٩٤٦**. القاهرة: مطبعة جريدة الصباح، ١٩٥٧.

الجبوري، ابراهيم. **سنوات من تاريخ العراق، النشاط السياسي المشترك لحزبي الاستقلال والوطني الديمقراطي في العراق: ١٩٥٢ ـ ١٩٥٩**. بغداد: المكتبة العالمية، [د.ت.].

الجبوري، عبد الجبار حسن. **الأحزاب والجمعيات السياسية في القطر العراقي... ١٩٠٨ ـ ١٩٥٨**. بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٧٧.

جريس، صبري. **تاريخ الصهيونية: (١٨٦٢ ـ ١٩٤٨)**. بيروت: مركز الأبحاث الفلسطينية، ١٩٨١.

ج١: **التسلل الصهيوني إلى فلسطين (١٨٦٢ ـ ١٩١٧)**.

الجندي، إنعام. **إلى أين يسير الشيوعيون بالعراق؟...: دراسة سياسية مركزة عن وضع العراق السياسي وتسلط الشيوعيين عليه**. بيروت: دار النشر العربية، ١٩٥٩. (الكتاب العربي؛ ٣)

الجوهري، شاكر. **الصراع في عدن**. القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٢.

جيفرز، جوزف ماري ناكل. **فلسطين: إليكم الحقيقة**. ترجمة أحمد خليل الحاج؛ مراجعة محمد أحمد أنيس. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧١ ـ ١٩٧٣. ٤ ج.

الحاج، عزيز. **ثورتنا في العراق وقضية الوحدة**. بغداد: دار بغداد للطباعة والنشر والترجمة، [د.ت.].

الحبيب، محمد حسين. **حقائق عن ثورة ١٤ تموز في العراق**. بيروت: دار الأندلس، ١٩٨١.

الحديثي، نزار عبد اللطيف. **الأمة العربية والتحدي**. بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٥.

حزب البعث العربي الاشتراكي. **نضال البعث: القطر العراقي، ١٩٥٨ ـ ١٩٦٣، من ثورة الرابع عشر من تموز إلى ثورة الرابع عشر من رمضان**. ط٣. بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٦.

الحسني، عبد الرزاق. **تاريخ الوزارات العراقية**. ط ٣ المزيدة الجديدة المهذبة. صيدا: مطبعة العرفان، ١٩٦٥ ـ ١٩٦٩. ١٥ ج.

الحصري، أبو خلدون ساطع. **الإقليمية جذورها وبذورها**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٥. (سلسلة التراث القومي. الأعمال القومية لساطع الحصري؛ ١٥)

حمروش، أحمد. **قصة ثورة ٢٣ يوليو**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٤ ـ ١٩٧٨. ٥ ج.

ج ٣: **عبد الناصر والعرب**.

حميدي، جعفر عباس وإبراهيم خليل أحمد. **تاريخ العراق المعاصر**. [الموصل]: جامعة الموصل، ١٩٨٩.

حيدر، محمد مهدي أسد. **التطورات السياسية في فلسطين (١٩١٨ ـ ١٩٣٦)**. بغداد: المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية، ١٩٨٢.

خدوري، مجيد. **العراق الاشتراكي**. بيروت: الدار المتحدة للنشر، ١٩٨٥.

ـــــ. **العراق الجمهوري**. بيروت: الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٤.

خليل، عادل غفوري. **أحزاب المعارضة العلنية في العراق ١٩٤٦ ـ ١٩٥٤**. بغداد: المكتبة العالمية، ١٩٨٤.

الدباغ، صلاح الدين. **الاتحاد السوفيتي وقضية فلسطين**. بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٦٨. (سلسلة دراسات فلسطينية؛ ٣٠)

الدرة، محمود. **ثورة الموصل القومية ١٩٥٩: فصل في تاريخ العراق المعاصر**. بغداد: دار اليقظة العربية، ١٩٨٧.

دروزة، الحكم وحامد الجبوري. **مع القومية العربية**. ط ٤. بيروت: دار الفجر الجديدة، ١٩٦٠.

دوغان، محمد أمين. **الحقيقة كما رأيتها في العراق**. بيروت: دار الشعب؛ دار الأحد، ١٩٦٢.

الربيعي، فاضل. **كبش المحرقة: نموذج لمجتمع القوميين العرب**. بيروت: رياض الريس، ١٩٩٩.

رزوق، أسعد. **إسرائيل الكبرى: دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني**. ط ٢. بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٧٣. (سلسلة كتب فلسطينية؛ ١٣)

رشدي، عمر. **الصهيونية وربيبتها إسرائيل**. ط ٢. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٥.

رضا، عادل. **تطور مسار الحركة الوطنية في اليمن الديمقراطية**. القاهرة: دار التقدم للطباعة، ١٩٧١.

الزبيدي، ليث. **ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق**. بغداد: دار الرشيد للنشر، ١٩٧٩. (سلسلة دراسات؛ ١٨٤)

زريق، قسطنطين. **معنى النكبة مجدداً**. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦٧.

السامرائي، عبد الله سلوم. **الصهيونية**. بغداد: نقابة المعلمين، ١٩٨٨. (سلسلة المكتبة الثقافية)

سعيد، علي كريم. **عراق ٨ شباط ١٩٦٣ من حوار المفاهيم إلى حوار الدم: مراجعات في ذاكرة طالب الشبيب**. بيروت: دار الكنوز الأدبية، ١٩٩٩.

السفري، عيسى. **فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية... سجل عام لقضية فلسطين في عشرين سنة**. يافا: مكتبة فلسطين الجديدة، ١٩٣٧. ٢ ج.

السيد جاسم، عزيز. **موضوعات الجبهة الوطنية التقدمية: ميثاق العمل الوطني**

في ميزان التجربة السياسية. بغداد: مكتبة النهضة، ١٩٧٢.

السيد سليم، محمد. **التحليل السياسي الناصري: دراسة في العقائد والسياسة الخارجية**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٣. (سلسلة أطروحات الدكتوراه؛ ٣)

سيف الدولة، عصمت. **هل كان عبد الناصر ديكتاتوراً؟**. بيروت: دار المسيرة، ١٩٧٧.

ـــــ [وآخرون]. **عبد الناصر وما بعد**. إشراف أنيس صايغ. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٠. كتاب قضايا عربية.

شديد، محمد. **الولايات المتحدة والفلسطينيون بين الاستيعاب والتصفية**. ترجمة كوكب الريس. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١.

شري، محمد باقر. **العراق الثائر**. بيروت: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٣.

الشعبي، قحطان محمد. **الاستعمار البريطاني ومعركتنا العربية في جنوب اليمن، عدن والامارات**. القاهرة: دار النصر، ١٩٦٢.

الشعيبي، عيسى. **الكيانية الفلسطينية: الوعي الذاتي، والتطور المؤسساتي ١٩٤٧ - ١٩٧٧**. بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٧٩.

الشهاري، محمد علي. **اليمن، الثورة في الجنوب والانتكاسة في الشمال**. بيروت: دار ابن خلدون، ١٩٧٢.

صادق، سعد. **فلسطين بين مخالب الاستعمار**. القاهرة: لجنة القاهرة للتأليف والنشر، ١٩٤٦.

صفدي، مطاع. **مصر الايديولوجيات الثورية: الثورة في التجربة**. بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٣.

الصهيونية ايديولوجية الامبريالية. موسكو: أكاديمية العلوم السوفيتية، [د.ت.].

طلاس، مصطفى. **مرآة حياتي**. ط٤. دمشق: دار طلاس، [١٩٩٧].

ج١: **العقد الأول ١٩٤٨ - ١٩٥٨**.

طه، رياض. **قصة الوحدة والانفصال: تجربة إنسان عربي خلال أحداث ١٩٥٥ - ١٩٦١**. بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٤.

الطوباس، إسماعيل الخطيب. **كفاح الشعب الفلسطيني، ١٩٠٨ ـ ١٩٦٥.** عمان: مطبعة، ومكتبة شوقي، ١٩٧٩.

عبد الله، عامر. **الطريق التاريخي لوحدة الأمة العربية.** بغداد: مكتبة الثورة، ١٩٥٩.

عبد العاطي، محمد [وآخرون]. **تحليل مضمون الفكر القومي العربي (دراسة استطلاعية.** المشرف على الدراسة السيد يسين. ط٢. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٢.

عبد الكريم، سمير. **أضواء على الحركة الشيوعية في العراق.** قدم له صلاح محمد. بيروت: دار المرصاد، ١٩٦٣ ـ ١٩٦٨. ٢ مج.

عبد مصطفى، عبد الجبار. **تجربة العمل الجبهوي في العراق ١٩٢١ ـ ١٩٥٨.** بغداد: منشورات وزارة الثقافة والفنون، ١٩٧٨. (سلسلة دراسات؛ ١٥٧)

العبيدي، ابراهيم خلف. **الحركة الوطنية في الجنوب اليمني المحتل ١٩٤٥ ـ ١٩٦٧** . بغداد: جامعة بغداد، ١٩٧٩.

العزاوي، جاسم كاظم. **ثورة ١٤ تموز: أسرارها، أحداثها، رجالها حتى نهاية عبد الكريم قاسم.** بغداد: شركة المعرفة للنشر والتوزيع المحدودة، ١٩٩٠.

العسكرية الصهيونية. تقديم محمد حسنين هيكل. القاهرة: مؤسسة الأهرام، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، ١٩٧٢. ٢ج.

ج١: **المؤسسة العسكرية الاسرائيلية النشأة ـ التطور، ١٨٨٧ ـ ١٩٧٧.**

عصاصة، سامي. **أسرار الانفصال مصر... سوريا.** القاهرة: دار الشعب، ١٩٨٩.

العظم، صادق جلال. **الصهيونية والصراع الطبقي.** بيروت: دار العودة، ١٩٧٥.

عفلق، ميشيل. **في سبيل البعث.** بغداد: دار الحرية للطباعة، [د.ت.].

ج ٤: **البعث والقطر السوري.**

العقاد، صلاح. **قضية فلسطين: المرحلة الحرجة ١٩٤٥ ـ ١٩٥٦.** القاهرة: جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٦٨.

العلاف، ابراهيم خليل. **تاريخ الفكر القومي العربي: منذ البواكير الأولى لنشوء الأمة العربية حتى عصر القائد صدام حسين.** بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ٢٠٠١.

علوش، ناجي. **الثورة والجماهير: مراحل النضال العربي ودور الحركة الثورية ١٩٤٨ ـ ١٩٦١.** بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٢.

ـــــ. **الماركسية والمسألة اليهودية، ١٨٤٤ ـ ١٩٦٨.** بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٩.

عمر، سلطان أحمد. **نظرة في تطور المجتمع اليمني.** بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٠.

العيسمي، شبلي، **لماذا الوحدة العربية وكيف؟.** بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٣.

فرح، الياس. **القومية العربية والوحدة العربية أمام تحدي المصير.** بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٨.

فرحان، عبد الكريم. **حصار الثورة (مذكرات): تجربة السلطة في العراق.** لندن: دار البراق، ١٩٩٤.

فرسخ، عوني. **الوحدة في التجربة: دراسة تحليلية لوحدة ١٩٥٨.** بيروت: دار المسيرة، ١٩٨٠.

قزيها، وليد. **التحول الثوري في العالم العربي: حبش ورفاقه من القومية إلى الماركسية.** ترجمة سليم بركات. القاهرة: الجامعة الأمريكية، دائرة العلوم السياسية، ١٩٧٣.

كبة، محمد مهدي. **مذكراتي في صميم الأحداث، ١٩١٨ ـ ١٩٥٨.** بيروت: دار الطليعة، ١٩٦٥.

الكبيسي، باسل. **حركة القومين العرب.** ترجمة نادرة الخضيري الكبيسي. ط ٤. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٥.

الكيالي، عبد الوهاب. **تاريخ فلسطين الحديث.** بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٠.

ـــــ. **القضية الفلسطينية: آراء ومواقف، ١٩٦٤ ـ ١٩٦٦.** بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٣.

لاديكين، ف.ب. **مصدر الأزمة الخطيرة: دور الصهيونية في تغذية النزاع في الشرق الأوسط.** ترجمة هاشم حمادي. دمشق: منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، ١٩٧٥.

لاسكي، ديمتروف. **الطريق إلى السلام في الشرق**. موسكو: دار العلاقات الدولية، ١٩٤٧.

مانويل، فرانك أ. **بين أميركا وفلسطين**. ترجمة يوسف حنا. عمان: وزارة الثقافة والفنون، ١٩٦٧.

مبادئ ثورة ١٤ تموز في خطب الزعيم. بغداد: وزارة الارشاد، ١٩٥٩.

متولي، محمود. **الاتحاد الاشتراكي العربي وعاء الديمقراطية**. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٤.

محاضر محادثات الوحدة. القاهرة: دار الأهرام، ١٩٦٣.

المديرس، فلاح عبد الله. **ملامح أولية حول نشأة التجمعات والتنظيمات السياسية في الكويت**. الكويت: دار قرطاس للنشر، ١٩٩٤.

مذكرات آيزنهاور. ترجمة هيوبوت يونغمان. ١٩٦٩.

المصري، أحمد عطية. **النجم الأحمر فوق اليمن: تجربة الثورة في اليمن الديمقراطية**. ط ٣. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، [د. ت.].

مصطفى، أحمد عبد الرحيم. **الولايات المتحدة والمشرق العربي**. الكويت: المجلس الوطني للثقافة، والفنون والآداب، ١٩٧٨. (سلسلة عالم المعرفة؛ ٤)

مطر، فؤاد. **حكيم الثورة: قصة حياة الدكتور جورج حبش**. ط ٤. لندن: منشورات هاي لايت، ١٩٨٤.

مكاوي، عبد القوي. **شهادتي للتاريخ... خفايا الغزو الشيوعي لجنوب اليمن**. القاهرة: [د. ن.]، ١٩٧٩.

مناقشات حول الثورة الفلسطينية. وثائق اختارها ناجي علوش. بيروت: دار الطليعة، ١٩٧٠.

منير، اسبير. **اللد في عهدي الانتداب والاحتلال**. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٧.(سلسلة المدن الفلسطينية؛ ٢)

مؤسسة الدراسات الفلسطينية. **الوثائق الفلسطينية العربية**. بيروت: المؤسسة، ١٩٦٥ - ١٩٨١. ١٧ ج. (سلسلة الوثائق الفلسطينية العربية السنوية؛ رقم ١)

المؤسسة القومية. **الاتحاد الاشتراكي العربي طريقنا للوحدة**. بغداد: المؤسسة، ١٩٦٤.

ناؤومكين، فيتالي. **الجبهة القومية إلى الكفاح من أجل استقلال اليمن الجنوبية والديمقراطية الوطنية**. ترجمة سليم توما. موسكو: دار التقدم، [د. ت.].

ناصر الدين، علي. **قضية العرب**. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٤٦.

ـــــ. **هكذا كنا نكتب**. بيروت: مكتبة الاتحاد، ١٩٥٢.

نايف حواتمة يتحدث. إعداد حوار عماد نداف. بيروت: دار المناهل؛ دمشق: دار الكتاب، [د. ت.].

النتشة، رفيق شاكر. **السلطان عبد الحميد الثاني وفلسطين: السلطان الذي خسر عرشه من أجل فلسطين**. ط٢. الرياض: شركة مطابع نجد التجارية، ١٩٨٥.

نسيبة، حازم زكي. **القومية العربية: فكرتها، نشأتها، تطورها**. ترجمة عبد اللطيف شرارة؛ مراجعة برهان دجاني؛ تقديم قسطنطين زريق. ط ٢. بيروت: المكتبة الأهلية، ١٩٦٢.

الهندي، هاني وعبد الإله النصراوي (محرران). **حركة القومين العرب: نشأتها وتطورها عبر وثائقها، ١٩٥١ - ١٩٦٨: الكتاب الأول، ١٩٥١ - ١٩٦١**. بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ٢٠٠١ - ٢٠٠٣. ٣ ج.

الهندي، هاني ومحسن إبراهيم. **إسرائيل: فكرة... حركة... دولة**. بيروت: دار الفجر الجديدة، ١٩٥٨.

الهلالي، محمد مصطفى. **شخصيات ظلمها التاريخ: عبد الحميد السلطان المفترى عليه**. الموصل: مكتبة الجبل العربي، ١٩٩٤.

وولف، جان. **يقظة العالم العربي**. ترجمة لجنة من الأساتذة. بيروت: المكتب التجاري، ١٩٦٠.

ياسين، صباح. **الفكر والقضايا القومية في الصحافة العربية: دراسة مقارنة للصحافة في مصر والعراق**. بغداد: دار الشؤون الثقافية، ١٩٩٢.

دوريات

ابراش، إبراهيم. «حركة القومين العرب وجدلية العلاقة بين الوطنية الفلسطينية والقومية العربية.» **القدس العربي**: ٨/٨/١٩٩٦.

إبراهيم، محسن. «في الديمقراطية والتنظيم الشعبي.» **الحرية**: كانون الثاني/ يناير ١٩٦٢.

الأسبوع العربي: العدد ١٢٨، تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦١.

الأهرام: ٢٧/ ١/ ١٩٦١.

البلاد: ٩/ ٤/ ١٩٥٦.

الثأر: ٢/ ١١/ ١٩٥٦؛ ٥/ ١٢/ ١٩٥٧، و ٢٠/ ٣/ ١٩٥٨.

الثورة: ١/ ٣/ ١٩٦١.

الثورة العربية: ١٤ ـ ١٨/ ٧/ ١٩٦٤؛ ٢٤/ ٩/ ١٩٦٤؛ ٤/ ١٠/ ١٩٦٥؛ ٨/ ١٠/ ١٩٦٥؛ ١٢/ ١٢/ ١٩٦٥؛ ٤/ ٥/ ١٩٦٦؛ ١٠/ ٥/ ١٩٦٦؛ ٣/ ٧/ ١٩٦٦؛ ٧/ ٧/ ١٩٦٦، و١٨/ ٧/ ١٩٦٦.

جلول، فيصل. «حركة القوميين العرب: قراءة جديدة لتجربة في ذمة التاريخ.» **الفكر العربي**: السنة ٤، العدد ٢٨، تموز/ يوليو ـ أيلول/ سبتمبر ١٩٨٢.

الجماهير: ١/ ٥/ ١٩٦٣؛ ٢٦ ـ ٢٧/ ٥/ ١٩٦٣؛ ٢٩/ ٥/ ١٩٦٣، و١١/ ٨/ ١٩٦٣.

الحرية: ٢٠ شباط/ فبراير ١٩٦١؛ ٢٢ نيسان/ أبريل ١٩٦٣؛ ٤ أيار/ مايو ١٩٦٤؛ ١١ أيار/ مايو ١٩٦٤؛ ١٥ أيلول/ سبتمبر ١٩٦٦؛ ٢١ تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٦٦.

الرأي: ٢٥/ ٣/ ١٩٥٤.

رميض، غانم محمد ونضر علي. «دور حركة القوميين العرب في الجنوب اليمني في الحركة الوطنية حتى عام ١٩٦٧.» **مجلة دراسات في التاريخ والآثار** (جمعية المؤرخين والآثاريين في العراق): السنة ١٩، العدد ١ (٢٠٠).

السامرائي، عبد الله سلوم. «حركة القوميين العرب ودورها في الوعي القومي.» **المستقبل العربي**: السنة ٨، العدد ٨٤، شباط/ فبراير ١٩٨٦.

شكري، غالي. «ربع قرن من التحدي، حركة القوميين العرب من مجموعة إرهابية إلى حزب اشتراكي.» **البلاغ**: العدد ٨٦، آب/ أغسطس ١٩٧٣.

شؤون فلسطينية: العدد ٥٥، آذار/ مارس ١٩٧٦.

شؤون عربية: العددان ٣٣-٣٤، تشرين الثاني/ نوفمبر ـ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٣.

طايع، أنيس. «دعوة إلى تاريخ حركة القوميين العرب.» **الهدف السنوي**: الاعداد ١٢-١٤، كانون الثاني/ يناير ١٩٩٦.

عبد الرحيم، معاذ. «نزاع على الكرسي الأول، فجر الخلاف بين قاسم وعارف.» **الاتحاد**: ٩/ ١٠/ ١٩٨٩.

العروة: كانون الأول/ ديسمبر ١٩٥٢.

عماد، عبد الغني. «الوحدة، والتكامل بين المعوقات والممكنات.» **المستقبل العربي**: السنة ٢٣، العدد ٢٥٧، تموز/ يوليو ٢٠٠٠.

الغرزلي، سليمان. «هيكل وبؤس الصراحة.» **الكفاح العربي**: سلسلة مقالات.

القدس العربي: ٢/ ٨/ ١٩٩٦.

قزيها، وليد. «الأسس الاجتماعية ـ السياسية لنمو الحركة القومية المعاصرة في المشرق العربي.» **المستقبل العربي**: السنة ١، العدد ٦، آذار/ مارس ١٩٧٩.

القشطيني، خالد. «الدول الكبرى وعام النكبة، ١٩٤٨.» **شؤون عربية**: العدد ٥٦، كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٨.

الكبيسي، باسل. «القوميون العرب من العنف الفردي إلى الماركسية.» **البلاغ**: العدد ٨٦، آب/ أغسطس ١٩٧٣.

مجلة الخليج العربي: شباط/ فبراير ٢٠٠٠.

المحرر: ١/ ٦/ ١٩٦٥، ملحق فلسطين.

محمود، أمين. «نشأة النزعة الاستيطانية في الفكر اليهودي الغربي خلال القرن التاسع عشر.» **العلوم الاجتماعية**، السنة ٤، العدد ٢، تموز/ يوليو ١٩٧٩.

مصطفى، حمزة. «ثورة ١٩٥٨ في الوثائق السرية البريطانية.» **آفاق عربية**: العدد ٧، تموز/ يوليو ١٩٨٩.

نوفل، أحمد سعيد. «العلاقة الجدلية بين قضية فلسطين والوحدة العربية.» **شؤون عربية**: العدد ٥٧، آذار/ مارس ١٩٨٩.

هيكل، محمد حسنين. «مرحلة الصراحة والوضوح.» **الأهرام**: ٢٩/ ١٢/ ١٩٦١.

الوحدة: ٤/٣/١٩٦٣؛ ٦ ـ ٨/٣/١٩٦٣؛ ١٢/٣/١٩٦٣؛ ٢٠/٣/١٩٦٣؛ ٢٢/٣/١٩٦٣؛ ٢٤/٣/١٩٦٣؛ ٢٥/٣/١٩٦٣؛ ١/٤/١٩٦٣؛ ٢/٤/١٩٦٣، و٥/١٠/١٩٨٥.

الوقائع العراقية: ٤/١٠/١٩٥٨، و١٠/٢/١٩٥٩.

اليقظة: ١/١٢/١٩٥٤.

مؤتمرات، ندوات

الأمة والدولة والاندماج في الوطن العربي. تحرير غسان سلامة [آخرون]. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٩. ٢ج.

القومية العربية في الفكر والممارسة: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية. ط ٣. بيروت: المركز، ١٩٨٤.

أطروحات

الألوسي، حنان عبد الكريم خضير. «تجربة الاتحاد الاشتراكي العربي في العراق عام ١٩٦٤.» (أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، قسم التاريخ، بغداد، ١٩٧٧).

ابن موسى، خرنان مسعود. «العراق والثورة الجزائرية.» (رسالة ماجيستير غير منشورة في التاريخ الحديث، جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٨٣).

التكريتي، عبد الله محمد عبد الله. «موقف الصحافة العراقية من الثورة الجزائرية في ١٩٥٤ ـ ١٩٦٢.» (رسالة ماجيستير في التاريخ المعاصر، معهد التاريخ والتراث العلمي للدراسات العليا، بغداد، ٢٠٠١).

الحمداني، مجيد حميد يونس. «القوى السياسية وأثرها في الجزائر ١٨٣٠ ـ ١٩٥٤.» (أطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية، [بغداد]).

الدوري، ذكرى أحمد جمعة. «موقف العراق من الثورة اليمنية ١٩٦٢ ـ ١٩٦٨.» (رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، بغداد، ١٩٩٩).

الزيدي، سلمان لفتة. «أحداث اليمن وموقف جامعة الدول العربية منها ١٩٤٥ ـ ١٩٦٧.» (أطروحة دكتوراه غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث

العلمي، بغداد، ١٩٩٩).

الزيدي، عبد الرزاق خلف. «العلاقات اليمنية ـ السعودية ١٩٣٤ ـ ١٩٧٠.» (أطروحة دكتوراه غيرمنشورة، جامعة بغداد ،كلية التربية (ابن رشد)، ١٩٩٦).

سلمان، خضير حسن. «التطورات السياسية الداخلية من العراق ٨ شباط، ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣.» (أطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، بغداد، ١٩٩٨.

سليمان، قحطان أحمد. «السياسة الخارجية العراقية من ثورة ١٤ تموز إلى ثورة ١٤ رمضان ١٩٦٣.» (رسالة ماجيستير، جامعة بغداد، كلية القانون والسياسة، بغداد، ١٩٧٨)

شلاش، سعد مهدي. «موقف الصحافة العراقية من الوحدة المصرية ـ السورية، شباط ١٩٥٨ ـ أيلول ١٩٦١.» (رسالة ماجيستير غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، بغداد، ١٩٩٨).

شيال، عزيز جبر. «دور حزب البعث العربي الاشتراكي في الحركة الوطنية في القطر العراقي ١٩٥٨ ـ ١٩٦٣.» (رسالة ماجيستير، كلية القانون والسياسية، بغداد، ١٩٨٠).

الشيخلي، صلاح الدين اسماعيل. «العلاقات العراقية ـ المصرية بين عامي ١٩٥٢ ـ ١٩٦١.» (رسالة ماجيستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية القانون والسياسة، ١٩٨٠).

لحسن، ازغيري محمد. «تطورات ثورة التحرير الوطني الجزائرية ١٩٥٦ ـ ١٩٦٢.» (رسالة ماجيستير غير منشورة في التاريخ الحديث، جامعة بغداد،كلية الآداب، ١٩٨٣).

النحاس، وائل علي أحمد. «تاريخ الصحافة العراقية ١٩٥٨ ـ ١٩٦٣.» (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، ١٩٩٣).

فهرس

ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ ت ـ

ـ ث ـ

ـ ج ـ

ـ ح ـ

- ز -

- س -

- ش -

- ص -

- ض -

- ط -

- ع -

- غ -

- ف -

- ق -

- ك -

- ل -

- م -

- ن -

- هـ -



هذا الكتاب

لقد اهتمّ عدد كبير من الباحثين بتسليط الضوء على الدراسات العديدة المتعلقة بنشاط الأحزاب والشخصيات التي أدت دوراً مهماً في الأحداث السياسية قبل ثورة ١٤ تموز/يوليو ١٩٥٨ وبعدها، على أنّ دور حركة القوميين العرب لم ينل الاهتمام الكافي والمتكامل في مجال الدراسة والتحليل لبيان موقعها الصحيح ضمن مسار الحركة الوطنية والقومية في العراق كواحدة من القوى القومية البارزة في تلك الحقبة.

يقدّم هذا الكتاب عرضاً شاملاً لدور حركة القوميين العرب في العراق ما بين عامي ١٩٥٨ و١٩٦٦ ـ وهي فترة اتسمت بالصراع السياسي والاحتدام العقائدي ـ مُعتمداً على العديد من المصادر والمراجع، وفي مقدمتها وثائق غير منشورة، ومنها الوثائق المتوافرة لدى حزب البعث العربي الاشتراكي، ووثائق دار الكتب والوثائق ـ وخصوصاً وثائق المجالس العرفية ـ والبيانات والنشرات الخاصة بحركة القوميين العرب، فضلاً عن إصدارات الحركة ومطبوعاتها التي عكست مواقفها وآراءها إزاء القضايا الوطنية والقومية. ويعتمد الكتاب أيضاً على المقابلات الشخصية التي تشكل جانباً مهماً في توثيق المعلومات وتقديم التفسيرات لحقائق كان يكتنفها الغموض.

مركز دراسات الوحدة العربية

بناية «سادات تاور»، شارع ليون، ص. ب: ٦٠٠١ ـ ١١٣
الحمراء ـ بيروت ٢٠٩٠ ١١٠٣ ـ لبنان
تلفون: ٨٦٩١٦٤ ـ ٨٠١٥٨٢ ـ ٨٠١٥٨٧
برقياً: «مرعربي» ـ بيروت
فاكس: ٨٦٥٥٤٨ (٩٦١١)
e-mail: info@caus.org.lb
Web site: http://www.caus.org.lb